

إحسان عبد القدوس

أنف وثلاث عيون

٢

الناشر: مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "البحالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشر ١٧٣

العين الثانية

- ١ -

أنا نجوى ..

نجوى طاهر ..

أمى تعتقد أنى جميلة .. انها لا تكف لحظة عن التغنى بجمالى
 والتباهى بى امام صديقاتها .. شعرى النحاسى اللون .. وعيناي
 المشروطتان الضاحكتان ، كلوزتين مقشرتين شهيتين .. وشفتاي
 المنتفختان كورقتى الورد .. وعنقى المفرد كأنه يتباهى برأسى ..
 و .. و ..

ان أمى تجد لكل قطعة منى ألف وصف ، وألف أغنية ..
 وتضعنى أمامها وتنظر الى بعينين عابدين ، كأنها ترى الله فى
 .. وتعلق تحت ابطى حجابا يحمينى من الحسد .. وعلى صدرى
 مصحفا رخرزة زرقاء .. ولا أخرج من البيت الا بعد ان أخطئ
 فوق البخور سبع مرات ..

ورغم ذلك .. وسواء كنت جميلة أو لم أكن ، فإن احساسى
 بجمالى لم يكن له أثر فى حياتى .. كنت أترك كل احساسى بهذا
 الجمال لأمى ، أما أنا فكان احساسى دائما محصورا فى أن أكون
 شيئا .. شيئا له شخصيته وله أهميته .. واستطعت أن أكون
 أولى طالبات المدرسة .. كل مدرسة دخلتها .. وكنت رئيسة
 فريق التيشيل .. وكنت فى فريق كرة السلة .. ومنذوية فصلى

أكثر .. سيكبر الحب .. ويكبر الانسان .. ويصبح شعبا واحدا ..
 .. الانسان الأبيض والانسان الأسود ، والانسان الأصفر ..
 سيصبحون انسانا واحدا .. شعبا واحدا .. يحب بعضه بعضا ،
 ويعيش فى سلام ..

ثم ..

الحب الخاص ..

حب الولد والبنت .

موجود أيضا ..

ان الانسان مهما تفانى فى مجتمعه لا يمكن أن يستغنى عن
 بيت يعيش فيه وحده ، ويحس فيه بفرديته .. ان الاحساس
 بالمجتمع لا يتعارض مع الاحساس بالفردية .. الآلة الكبيرة ليست
 قطعة واحدة ولكنها آلاف القطع .. كل قطعة لها وظيفتها ، ولها
 احتياجاتها ، ولها شخصيتها .. وكذلك الحب .. مهما تفانينا
 فى حب المجتمع لا يمكن أن نستغنى عن الحب الفردى .. انه
 احتياج فى صميم تكويننا .. وما دام الحب حاجة ، فهو موجود ..
 ولقد بحث الانسان عن الطعام منذ بدء الخليقة ، لأنه فى حاجة
 اليه ، ووجده . وكذلك وجد الحب لأنه فى حاجة اليه .. لأنه
 نابع من تكوينه .. وقد أحببت أبى وأمى الآن حبهما أنبثق من
 طبيعة تكوينى كإنسانة .. وأحببت زميلتى لأن حبى لهن نابع
 من حاجتى الاجتماعية .. وأحببت حبيبى لأنى لا أستطيع أن أحس
 بوجودى الا اذا أحببت .. أنا أحب ، فأنا موجودة ..

والحب ليس الجنس ..

صدقونى ..

انه ليس الجنس ..

او كان الحب هو الجنس لما كان هناك فرق بين رجل وآخر ،

فى النشاط الاجتماعى .. ومندوبة المدرسة كلها فى مجلس اتحاد
 المدارس الثانوية .. كنت أحب أن أكون هذا الشيء الكبير
 المميز .. وكنت أحب أكثر أن أكون محبوبة .. محبوبة من
 زميلتى ، ومن مدرساتى ، وصديقات أمى .. ومحبوبة من أبى
 وأمى .. وأنا وحيدتهما ولكن لم يكن هذا يكفى لأطمئن الى حبهما
 .. كنت أعمل دائما حتى أستزيد من هذا الحب .. كنت أحاول
 أن أجعل من كل دقيقة تمر بهما نغمة حلوة يسعدان بها ويحبانى
 من أجلها أكثر .. كنت أشعر بمسئوليتى عن اسعادهما أكثر
 من احساسى بمسئوليتهما عن سعادتى .. فجعلت من نفسى كل
 شيء فى حياتهما .. أنا الضحكة فوق شفاههما .. أنا خفقتة
 قلبيهما .. أنا كل حياتهما .. وأنا سعيدة بهما .. بحبهما ..
 وهما يسعدان بى .. بحبى ..

ان الحب هو كل شيء ..

هو السعادة .. الهناء .. الراحة .

هو الذكاء ..

هو النجاح ..

انى أعجب لنباتات اللانى ينكرن وجود الحب .. لاني يا نباتان
 .. ان الحب موجود .. انه الحقيقة الوحيدة التى فى حياة
 الانسان .. بل انى أستطيع الآن وبعد أن أصبحت بالية فى
 الجامعة . أن أقرا تاريخ الانسان . فأجد انه تاريخ الحب ..
 وكلما ارتقى الحب . تقدم الانسان .. لقد خلقت البشرية افرادا
 يقتل بعضهم بعضا .. أخوة كل منهم يقتل الآخر . كما فعل
 هابيل وقابيل .. ثم جمع الحب هؤلاء الأفراد فى عائلة .. أصبح
 المجتمع الإنسانى عائلات .. وتحابت العائلات . فأصبحت
 قبائل .. وتحابت القبائل فأصبحت شعوبا .. وسيرتقى الحب

ولا بين فتاة وأخرى .. كما أن ليس هناك فرق بين مطعم وآخر ..

ما الذى يجعل هذه الفتاة تحب هذا انفتى بالذات ، وليس
فتى آخر ..

الظروف ؟

لا .. فالظروف تجمع الفتاة بعشرات الشبان ، ولكن الفتاة
لا تحب إلا واحدا .. والظروف قد تجمع الأصدقاء ، ولكنها لا تكفى
وحدها لتجمع اثنين يحب بعضهما بعضا ..

الزواج ؟ ..

لا .. الزواج قد ينشئ عائلة ، ولكنه لا يكفى للحب .. مهما
طال أمده .. فقد يطول أمد الزواج لأن كلا من الزوجين يحرص
على حياة أثمرت فى إقامتها ، كشريكتين تربطهما مصلحة واحدة
.. ولكن لا يكون معنى ذلك أن كلا منهما يحب الآخر .. فالحياة
ليست مصلحة .. انا أحيانا نضحى بالمصلحة فى سبيل الحياة ..
اذن .. ما هو الحب ؟ ..

هو أن تجدى نفسك فى شخص آخر .. تجددين فيه عقلك ،
وقلبك .. تجددين فيه يومك وغدك .. تجددين فيه مسجلك
ودمعتك .. تجددين فيه حياتك .. تجددين فيه جسدك أيضا ..
ولكنك لا تجددين فيه الجسد وحده .. ان جسدك ليس شيئا قائما
بذاته .. ان فيه عقلك وقلبك ..

ومصيبتنا أننا خلطنا بين الحب والجنس .. ثم اعتبرنا ان
الحب هو الجنس .. انها ليست غلطة الأولاد فقط ، غلطة البنات
أيضا .. كثيرات من زميلاتى اندفعن فى الجنس على أنه حب ..
وشعلة الجنس تنطفئ بسرعة ، وشعلة الحب لا تنطفئ أبدا ..
وكثيرات منهن أيضا خفن الحب وهربن منه لأنهن كن يهربن
من الجنس ..

ما انذى دفعنا الى الخلط بين الحب والجنس ..
ربما كانت التقاليد القديمة التى اعتبرت المرأة متعة .. متعة
تباع فى الأسواق ، وتسبى فى الحروب كالفنائم .. ويقاس
بها ثراء الرجل ، فكما تعددت أصناف الطعام على مائدته ،
تعددت أصناف النساء على فراشه .. وتركت هذه التقاليد أثرها
فى أنظمة الزواج .. لم يكن الزواج فى حاجة الى التفاهم بين
الرجل والمرأة .. كل ما يحتاج اليه الزواج هو عقد .. عقد
بيع وشراء .. بل لم يكن من حق المرأة ان توقع هذا العقد ، فهى
بضاعة .. والبضاعة لا توقع ، ولكن يوقع عنها صاحبها ..
أبوها ..

هذه التقاليد لا تزال فى نفوسنا .. ليست فى نفوس الرجال
وحددهم ، فى نفوس النساء أيضا .. الرجل يعتبر المرأة متعة ،
والمرأة تعتبر نفسها متعته .. وبعض زميلاتى أردن أن يتطورن
.. أن يثرن .. فاعتبرن الرجل أيضا متعة ! ..

والمتعة هنا ، هى متعة الجنس ..

وتطفى المتعة البراقة السريعة ، على المتع العميقة الثابتة ..
متعة الابتسامة المشتركة .. متعة الفكرة الحلوة .. متعة
الهدوء النفسى .. متعة بناء الحياة ..

وهكذا خلطنا بين الحب والجنس ..

بل أن هناك من يعتقد ان الحب ضعف .. استسلام المرأة ،
أو استسلام الرجل ..

لا ..

أبدا ..

الحب ليس ضعفا .. انه قوة كبيرة .. وكلما ازداد الانسيان
قوة ازداد حبا .. فالحب معرض لكل الكوارث .. الحب كالانسان

ولا بين فتاة وأخرى .. كما أن ليس هناك فرق بين مطعم وآخر ..

ما الذى يجعل هذه الفتاة تحب هذا الفتى بالذات ، وليس فتى آخر ..

الظروف ؟

لا .. فالظروف تجمع الفتاة بعشرات الشبان ، ولكن الفتاة لا تحب إلا واحدا .. والظروف قد تجمع الأصدقاء ، ولكنها لا تكفى وحدها لتجمع اثنين يحب بعضهما بعضا ..

الزواج ؟ ..

لا .. الزواج قد ينشئ عائلة ، ولكنه لا يكفى للحب .. مهما طال أمده .. فقد يطول أمد الزواج لأن كلا من الزوجين يحرص على حياة أثمرت فى أقامتها ، كشريكتين تربطهما مصلحة واحدة .. ولكن لا يكون معنى ذلك أن كلا منهما يحب الآخر .. فالحياة ليست مصلحة .. انا أحيانا نضحى بالمصلحة فى سبيل الحياة .. إذن .. ما هو الحب ؟ ..

هو أن تجدى نفسك فى شخص آخر .. تجددين فيه عقلك ، وقلبك .. تجددين فيه يومك وغدك .. تجددين فيه مسرحتك ودمعته .. تجددين فيه حياتك .. تجددين فيه جسدك أيضا .. ولكنك لا تجددين فيه الجسد وحده .. أن جسدك ليس شيئا قائما بذاته .. أن فيه عقلك وقلبك ..

ومصيبتنا أننا خلطنا بين الحب والجنس .. ثم اعتبرنا أن الحب هو الجنس .. انها ليست غلطة الأولاد فقط ، غلطة البنات أيضا .. كثيرات من زميلاتى اندفعن فى الجنس على أنه حب .. وشعلة الجنس تنطفئ بسرعة ، وشعلة الحب لا تنطفئ أبدا .. وكثيرات منهن أيضا خفن الحب وهربن منه لأنهن كن يهربن من الجنس ..

ما الذى دفعنا الى الخلط بين الحب والجنس .. ربما كانت التقاليد القديمة التى اعتبرت المرأة متعة .. متعة تباع فى الأسواق ، وتسبى فى الحروب كالفنائم .. ويقاس بها ثراء الرجل ، فكما تعددت أصناف الطعام على مائدته ، تعددت أصناف النساء على فراشه .. وتركت هذه التقاليد أثرها فى أنظمة الزواج .. لم يكن الزواج فى حاجة الى التفاهم بين الرجل والمرأة .. كل ما يحتاج اليه الزواج هو عقد .. عقد بيع وشراء .. بل لم يكن من حق المرأة أن توقع هذا العقد ، فهى بضاعة .. والبضاعة لا توقع ، ولكن يوقع عنها صاحبها .. أبوها ..

هذه التقاليد لا تزال فى نفوسنا .. ليست فى نفوس الرجال وحدهم ، فى نفوس النساء أيضا .. الرجل يعتبر المرأة متعة ، والمرأة تعتبر نفسها متعته .. وبعض زميلاتى أردن أن يتطورن .. أن يثرن .. فاعتبرن الرجل أيضا متعة ! ..

والمتعة هنا ، هى متعة الجنس ..

وتطفى المتعة البراقة السريعة ، على المتع العميقة الثابتة .. متعة الابتسامة المشتركة .. متعة الفكرة الحلوة .. متعة الهدوء النفسى .. متعة بناء الحياة ..

وهكذا خلطنا بين الحب والجنس ..

بل أن هناك من يعتقد أن الحب ضعف .. استسلام المرأة ، أو استسلام الرجل ..

لا ..

أبدا ..

الحب ليس ضعفا .. انه قوة كبيرة .. وكلما ازداد الانسيان قوة ازداد حبا .. فالحب معرض لكل الكوارث .. الحب كالانسان

ربما منذ كنت فى السابعة من عمرى ..

وكنت أعيش بين أمى وأبى كأسعد طفلة فى العالم ..

أبى عجوز فى الستين من عمره ، وربما أكثر .. طيب حنون .. مستسلم لأمى ..

وأمى فى الخمسين يبدو الحزم على وجهها أكثر مما تبدو الطيبة .. لا تبتسم الا نادرا .. وملاحم القسوة تخفى جمالها .. ولكن وراء قسوتها تبدو آثار جمالها القديم ، ان فيها ملامح كثيرة منى .. وهى نشيطة .. أنشط منى .. قوية .. أذرى منى .. وتمسك بيديها كل خيوط البيت .. هى صاحبة الكلمة .. وهى التى تدير ثروة أبى .. وتديرها بحزم ، لا أحد يستطيع أن يخذعها نى لميم واحد .. والثروة ليست كبيرة .. انها عشرة أفدنة فقط .. ومعاش أبى .. وأنا وحدى التى أعلم مدى طيبتها .. وباقى الأطفال يخافونها ويخافون ملامح القسوة المرتسمة على وجهها .. ولكنها طيبة .. قلبها أبيض .. وتحبنى .. تحبنى أكثر .. مما تحب أى أم ابنتها .. تحبنى حبا غريبا ..

ولم أتساءل وأنا طفلة ، كيف يكون أبى وأمى عجوزين الى هذا الحد ، وأنا صغيرة الى هذا الحد .. كان يخيل الى أن كل الآباء فى مثل عمر أبى ، وكل الأمهات فى مثل عمر أمى .. بل ربما لم أتنبه أصلا الى أنهما عجوزان .. لم يكن هناك شيء ينبهنى الى عمريهما .. كنت أعيش حياتهما ، ويعيشان حياتى .. حياتى ملتصقة بهما الى حد غريب .. أنام بينهما على فراشى واحد .. رغم أن نى حجرة خاصة بى .. وأمى تصحبنى الى المدرسة كل صباح بعد أن أخطو فوق البخور سبع مرات ، وبعد أن تقرأ فوق رأسى آيات من القرآن .. ثم تعود لتتنظرنى أمام باب المدرسة .. تقف بين الخادما . لتعود بى الى البيت .. ولم تكن تطمن ..

نفسه .. معرض للمرض .. ومعرض للأناية .. ومعرض للنزوات .. ومعرض لسوء الفهم .. وقد تعرض حب المجتمع لكثير من الكوارث .. تعرض للحروب .. وتعرض للظلم .. وتعرض لنزوات الطفافة .. واحتاج لقوة كبيرة ليسلم من الحروب ويقاوم الظالمين والطفافة .. وكذلك الحب الخاص .. حب الولد والبنت .. محتاج لقوة .. قوة العاطفة .. وقوة الذكاء .. وقوة الايمان .. قوة أكبر من الأناية .. وأكبر من النزوة .. وأكثر من الحياة نفسها .. ان الرجل القوى هو الرجل الذى يحب .. ويستطيع أن يدمى حبه من نفسه ..

وقد وجدت هذا الرجل ..

الرجل القوى ..

الرجل الرائع ..

وجدت حبيبى هاشم ..

الدكتور هاشم عبد اللطيف ..

وجنته وأنا أقف فى الحياة على حافة اليأس .. اليأس من الحب .. واليأس من الحياة نفسها .. وكنت قد قاومت طويلا .. قاومت طول عمرى حتى لا أياأس .. وحتى أبقى على ايمانى بالحب .. ايمانى بالحياة .. وكنت قوية .. واستطعت بقوتى أن أجتاز كثيرا من الأزمات .. ولكن المقاومة الطويلة كانت تمتص من قوتى ، الى أن واجهت أزهى الأخيرة ، فلم أعد أستطيع أن أقاوم .. أنهرت .. بسبت .. ففقدت ثقتى فى الحياة ، وفى الحب ، وفى نفسى .. الى أن جاء هاشم .. فأضاء النور فى قلبى .. وفى عقلى .. وأعاد الى الحياة والحب .. والايمان .. الايمان بأن الحياة يمكن أن تضم رجالا مثل هاشم ..

منذ متى كنت أقاوم ؟ ..

ينزل حتى كعب قدمها ، ويرتفع حتى أعلى رقبتها .. وقد عرفت فيما بعد أنهم أعضاء فى جمعية « نور الهدى للسيدات المسلمات » .. ولتكن أمى عضوا فى الجمعية .. ولكنها كانت صديقة لأعضائها ، تؤمن بهن .. وتؤمن بأهداف الجمعية .. ولا أستطيع أن أذكر طفولتى إلا اذا ذكرت سيدات جمعية نور الهدى .. لقد عشن فى حياتى كلها كالأشباح .. لا ادرى كلما التقيت بهن ، أنا فى حلم ، أم فى يقظة ..

وكننت فى المدرسة ذات يوم .. وأنا فى السابعة من عمرى .. عندما دخلت المشرفة الى الفصل .. وأخذت تنادى أسماء الطالبات .. ولا اذكر المناسبة الآن .. وظلت تتلو أسماء الطالبات واحدة بعد الأخرى الى أن صاحت باسم .. نجوى عبد الحميد .. ولم يرد أحد ..

وعادت تصيح :

— نجوى عبد الحميد .. موجودة ؟ .

الى أن التقت بوجهى ، فجاءت الى ، وقالت فى حدة :

— انتى مش نجوى عبد الحميد ؟ ..

وقلت وأنا أرفع اليها عيني الصغيرتين فى دهشة وخوف :

— لا يا أبله .. أنا نجوى طاهر .

وقالت المشرفة وهى أكثر حدة :

— لا .. انتى نجوى عبد الحميد ..

وقلت والدموع تنبثق من عيني :

— لا والنبنى يا أبله .. أبدا .. أنا نجوى طاهر ..

وقللت المشرفة فى الأوراق التى تحملها .. وعادت تقول :

— أبوكى مش اسمه راغب عبد الحميد .

الى الخاديات لتذهب بى او تعود بى .. لم تكن تطمنن الى الخاديات أبدا .. فهى التى تطعننى بيدها ، وهى التى تستقنى وهى التى تبذل ثيابى .. كما تحب الطفلة عروستها .. تلعب بها .. ولا تندمج لأحد بأن يلمسها ..

وكانت أمى تصادق ناظرة المدرسة .. كل مدرسة أدخلها .. وتصادق المدرسات .. وتسالهن عن كل دقيقة قضيتها فى المدرسة .. كل حركة من حركاتى .. كل كلمة قلتها .. لم أكن أستطيع أن أخفى عنها شيئا .. أبدا لم أكن أستطيع .. كانت مدهشة فى قدرتها على معرفة أخبارى قبل أن أروىها لها .. فاذا عدت الى البيت أفلت من يد أمى وأجرى لأجلس على ركبتي أبى .. ويستقبلنى والفرحة تلمع على خديه المجعدين ، كأنه يستقبل الحياة من جديد .. وأروى له الحكايات التى روتها لنا المدرسات فى المدرسة ، وأطلعته على كتبى وكرارىسى ، وألقته الأناشيد التى حفظتها حتى يحفظها مثلى .. وهو يضحك .. ويفرح كالأطفال .. لقد كنت احب أبى ، ربما أكثر مما احب أمى .. وكانت لى خالة واحدة .. تركها زوجها وترك لها ستة من البنات والصبيان .. وهى خالة فقيرة .. تعانى كثيرا فى تدبير حياتها .. وأمى تعطف عليها .. ولم تكن خالتى تتردد علينا الا نادرا .. ولم تكن تزورها الا نادرا .. ورغم ذلك فقد كنت احبها .. كنت كلما رأيتها تعلقت بها وإرتميت على صدرها .. واضحك ، عندما تغار منها أمى .. ان أمى تغار على فعلا .. خصوصا من خالتى ..

وكانت لأمى صديقات يجتمعن عندها كل أسبوع .. ولم أرهن الا وكل واحدة تلف رأسها وعنقها بطرحة بيضاء تسدلها على كتفيها .. وكل منهن ترتدى معطفا سواء فى الشتاء أو الصيف ،

قلت وأنا أتراجع عنها كأنها على وشك أن تطعننى فى قلبى :

— لا .. بابا اسمه عثمان طاهر ..

ونظرت الى المشرفة بكل عينيها ، ثم قالت :

— أمال يبقى مين راغب عبد الحميد .

قلت وقد انطلقت كل دموى :

— يبقى جوز خالتى ..

وظلت المشرفة تنظر الى بكل عينيها ، ثم قالت :

— طيب تعالى ..

وجذبتنى من يدى .. وسرت وراءها الى حجرة الناظرة ..

وأنا أنشج بالبكاء .. وقلبى الصغير يرتجف ..

ووقفت بعيدا ، ومالت المدرسة على الناظرة تهمس فى

أذنها وتعرض عليها أوراقها .. ورأيت من خلال دموى قلبى

الصغير يزداد ارتجافا .. وكنت خائفة .. كنت أشعر بأن شيئا

سيحدث لى .. شيئا لا أريده .. وبقيت أبكى فى الفصل الى أن

اضطرت المدرسة أن تستدعى المشرفة لتأخذنى وتجلس بى فى

الفناء ، تحاول أن ترفه عنى ..

وبعد فترة .. جاءت الفراشة تستدعيني الى حجرة الناظرة

.. وأمسكت المشرفة بيدي وهى تبسم لى ، وقالت :

— لازم مايا جت ..

وسحبت يدى من يدها ، وجريت الى حجرة الناظرة ودموى

تسبقتنى ..

وجدت ، أمى ..

والقيت نفسى بين أحضانها .. وعدت أبكى .. وهى تربت

على ، قائلة :

— بس يا حبيبتى ، ما تزعليش ..

ورفعت رأسى اليها ، قائلة وأنا أنشج :

— شفتى أبله المشرفه بتقول ايه ؟

وقالت أمى ووجهها غارق فى الألم :

— عارفه .. عارفه كل حاجه ..

ثم قامت من جلستها ، ويدي فى يدها ، وقالت للناظرة :

— بكره حاريد عليكى ..

ثم التفتت الى قائلة :

— تعالى يا نوجا فروح البيت .. تغسلى وشك ..

أبله الناظرة ، تهز رأسها هزات متتابعة .. ثم تلتفت الى وعلى

شفقتها ابتسامة كبيرة وقالت لى :

— تعالى يا نجوى . بتعيطى ليه يا حبيبتى ..

وخلطت اليها فأخذتني تحت ذراعها ، وضمتنى اليها ..

وخبات رأسى فى صدرها كأنى أحتمى بها من المشرفة ، وعدت

أجهش بالبكاء ..

وعادت الناظرة تقول فى حنان :

— بس يا حبيبتى .. ما تعيطيش .. احنا نقدر على زعل

نجوى أبدا ..

ثم فتحت درج مكتبها ، وأخرجت قطعة من الحلوى قدمتها

لى ، وهى تقول :

— خدى يا حبيبتى .. ودلوقت ارجعى الفصل بتاعك ..

ولا تزعليش أبدا .

ورفعت رأسى اليها وأنا ألتقط قطعة الحلوى . وأمسح

دموى بكم ثوبى ، وقلت :

— أنا اسمى نجوى طاهر .. مش كده يا أبله .

وقالت الناظرة وابتسامة الحنان تملأ شفقتها :

قلت فى حدة :

أمال المشرفة قالت ان اسمى نجوى عبد الحميد ليه ؟
وانطلقت نظرات أمى من تحت جفنيها المكرمشين ، وهامت
بها فى الفراغ ، وقالت كأنها تحدث نفسها .. وفى صوتها لهجة
حزم .. حزم قاس :

— غلطة وحادث صلح .. اتصلت خلاص ..

وفى البيت بدأت أحس بتصرفات غير طبيعية .. لم أعتد عليها
.. لقد نادى أمى الخادمة ، وقالت لها فى عنف كأنها تعانى الما
فى داخلها :

— خدى ستك نجوى اغسلى لها وشها .. وغيرى لها
هدومها ..

ثم نظرت الى أمى قائلة :

— تعال يا عثمان بيه .. عايزاك .

ودخل وراءها الى حجرة النوم ، وأغلقا بابها عليهما .
وقلبي ليس مستريدا ..

لا زلت أحس بشيء كبير على وشك أن يقع على ..

وفى العصر ، جاءت سيدات نور الهدى ، والتففس حول أمى
فى حجرة الصالون .. وعندما دخلت اليهن ، تلقفنى بنظرات
غريبة .. ربما كان فيها اشفاق .. ربما كان فيها رثاء .. لم أكن
فى سن تسمح لى بتفسير النظرات .. ولكنى أذكر أنى لم أسترح
الى نظراتهن .. خيل الى أن الشيء الكبير أوشك أن يقع .. وعاد
قلبي يرتجف .. وأخذتني كل منهن بين يديها تقبلنى .. ويرددن
كلاما فى لهجة التعديد .. والله كبرتى يا نوجا .. احلويتى
يا حبيبتى .. مين كان يصدق يا أخواتى .. و .. خطوت الى أمى
التصق بها كأنى أحتمى فيها من هذه الأشباح الملتفة فى ملاءات

— طبعا يا حبيبتى .. طبعا .. روحى الفصل بتاعك بأه ..
وما كدت أخرج من حجرة الناظرة حتى عاودتنى دموعى كلها
.. لم أستطع أن أضع فى فمى قطعة الحلوى ..

وفى آخر النهار خرجت من المدرسة فوجدت أمى فى انتظارى
وركبنا سيارة أجرة ، رغم أن البيت قريب ، لا يبعد عن
المدرسة أكثر من عشر دقائق سيرا ..
وقالت أمى وهى تضمنى اليها داخل السيارة وتضحك فى
وجهى :

— انتى اسمك ايه ؟ ..

قلت ودموعى لا تزال فى عينى :

— نجوى ..

سألت :

— نجوى ايه ؟ ..

قلت :

— نجوى طاهر ..

فالت :

— وبانا اسمه ايه ..

قلت :

— اسمه عثمان طاهر ..

فالت :

— ومين مامتك ؟

قلت :

— أنتى ..

فالت :

— خلاص .. تبقى زعلانة ليه ..

— ما فيش لزوم للكلام ده دلوقتى يا عزيزه هاتم .. ، تأثرش
على البننت ..
وسكتت أمى ..
استسلمت لأبى على غير عاداتها .. ووجهها المكرمش الحازم
تطوف به سحابة من الحزن .. والألم ..
وفى المساء فوجئت بزيارة خالتي وزوجها السابق لنا ..
لم يكن من عادة خالتي أن تزورنا إلا فى مناسبات قليلة ..
وليس هكذا فجأة ..
ولم يزرنا زوج خالتي أبدا من قبل .. بل انى لم أكن رأيت
الامرأة واحدة فى العلم الماضى عندما ذهبت أنا وأمى لزيارة
خالتي ، وجاء هو صدفة لزيارة أولاده .. لقد أجلسنى يومها على
ركبتيه ، وقبلنى كثيرا كأنى ابنته ..
ونظرت الى خالتي فى غباء وهلع ..
وقبلتنى خالتي ..
وحملنى مطلقها بين يديه ورفعنى فى الهواء ، وقال وهى
يضحك ضحكة كبيرة :
— شايقين الحلاوه ..
— وأمى وجهها صارم ..
— وأبى بيتسم فى طيبة ..
وجذبتنى أمى من بين يدي مطلق خالتي كأنها تنتزعنى منه ..
وقالت فى لهجة حازمة أقسى مما تعودته منها :
— روحى أودتك يا نوجا .. وبعدين حانبقى ننده لك ..
ونظرت اليها فى دهشة .. وخيل الى انى سأبكي .. ولكنى
لم أبك .. وقفت الدموع خلف عيني تحرقهما كأنها تبحث عن ثقب
تنهر منه ..

بيضاء .. وقلبي يزداد ارتجانا . وصدتني أمى قائلة :
— انتى سايبه بابا جوه لوحدده يا نوجا .. ما يصحش ..
روحى يا حبيبتى اتعدى معاه ..
ونظرت اليها كأنى أقول لها .. حتى انت يا ماما .. وجريت
الى بابا فى حجرته . وأنا أكتم دموعى بكل ارادة الطفلة .. وأخذ
أبى يلاعبنى ، وعقلى كله فى حجرة الصالون مع الأشباح
البيضاء .. وقلبي يرتجف ..
وخرجت الأشباح من البيت .
وعادت أمى الينا ووجهها المكرمش يبدو أكثر قسوة وأكثر
حزما .. وجلست ساهمة .. ثم التفتت الى فجأة ، وبين شفيتها
ابتسامة مهمومة .. وقالت :
— تعالى لما تمك يا حبيبتى ..
وضمتنى الى صدرها ، كأنها تحاول أن تختبئ فيه من هذا
الشيء الكبير الذى يكاد يقع .. وعادت تقول وهى تهزنى كما تهز
الأم طفلها لتنبيهه :
— انتى اسمك ايه ؟ ..
وقلت ولستانى يرتعش بارتعاشة قلبي ..
— اسمى نجوى ..
فالت :
— نجوى ايه ؟
قلت :
— نجوى طاهر ..
فالت وهى لا تزال تهزنى :
— وبابا اسمه ايه ؟
وقاطعها أبى قائلا فى حدة :

ال حاجة ، ما عدا الأولاد .. وفضلوا لغاية ما عجزوا وبقوا
 كهنه وهم ما يخلفوش .. لا أولاد ولا بنات .. راحوا لدكاتره
 كثير .. ولدجالين كثير .. ونصابين كثير .. وزاروا المشايخ
 والأولياء .. وحجوا هم الاتنين .. ما فيش فايده .. ارادة ربنا
 .. ربنا عايز كده .. وبعدين يا ستي ، الاتنين العواجيز دول
 راحوا يزوروا تاس قرايبهم .. ولقوا عندهم أولاد وبنات كثير
 .. وكان بينهم بنت صغيرة .. صغيرة قوى ما كملتش سنتين ..
 وحلوه .. حلوه قوى .. ما فيش أحلى منها فى الدنيا كلها ..
 فقعدوا سرجوا أم البنت الحلوه دى علشان تديها لهم .. تقعد
 معاهم .. وتونسهم فى وحدتهم .. وتملا حياتهم بالنور والأمل
 .. ورضيت الأم انها تديهم البنت .. أصل كان عندها بنات كثير
 غيرها .. و ..

وقاطعته قائلة :

— فهمت ..

كان ذكائى يتبع كلماته حرفا بحرف ، واستطعت أن أستنتج
 بقية القصة ..

وقال أبى كأنه فوجيء :

— فهمتى ايه ؟

وانطلقت دموى كلها ، وقلت وأنا أنشج وأخبط بقدمى نى
 الهواء :

— فهمت ان اسمى نجوى عبد الحميد .. أنا مالى ..
 مالىش دعوه .. أنا نجوى طاهر .. انت بابا .. مالىش بابا
 الا انت .. مش عايزه بابا تانى ..

وبدأت أصرخ ..

وقامت خالتي من جلستها ملهوفة على .. فنظرت اليها نظرة

وذهبت الى حجرتى ، وضباب كثير يملأ رأسى .. ويملأ قلبى
 الصغير .. أحاول أن أفهم شيئا عما يدور حولى ، فلا أفهم ..
 أحاول أن أفهم سر هذا الخوف الذى ينتابنى ، فلا أفهم ..

وبعد أكثر من ساعة سمعت صوت أمى ينادينى ..

وخرجت من غرفتى وأنا أزحف اليها بخطوات بطيئة مترددة ..
 وشدتنى أمى اليها بسرعة ، كأنها تخاف أن تسبقها يد أخرى
 الى ، وقالت وهى تجلسنى بجانبها :

— اسمعى يا نوجا .. أنا حاكلكم وعايزاكى تاخذى بالك
 من الكلام كويس .. و ..

وقاطعها أبى فى حزم كأنه قرر أن يأخذ الخيوط كلها بين
 يديه :

— اسكتى انتى يا عزيزة .. أنا اللي حا اقول لها ..

وخالتي تنظر الى باشفاق وفى عيبيها آثار دموع ..

وقال أبى وهو ينظر الى فى حنان ، ويتنسم ابتسامته الطيبة :

— نعالى يا نوجا .. تعالى عندى هنا ..

وأجلسنى على ركبتيه وأنا أنظر اليه وأرتعش ، وقال فى
 صوته الهادى :

— أنا حاكى لك حكاية .. بس قبل ما احكى لازم تبوسينى
 بوسه كبيره .. وتضحكى لى ضحكه كبيره .. كبيره تبرى ..

وقبلته ..

ونظر الى شفتى وقال :

— وفين الابتسامه الحلوه ..

وابتسمت .. تون ان أحسن بابتسامتى ..

وقال وهو يجذب رأسى ويسندها الى كتفه :

— شو فى يا ستي .. كان فيه اتنين متجوزين .. ربنا اداهم

سريعة .. ثم صرخت أكثر .. وقلت فى حدة :
— سببى .. مش عايزاكى .. أنا ما اعرفكيش ..

وعادت خالتى الى مكانها صامتة ..
وخالتى هى أمى الحقيقية ..

وأمى الثانية جالسة صامتة .. ووجهها واقف .. كل تىء
فيه واقف .. كأنها أصيبت بالشلل ..

وقال أبى .. أبى الذى ليس أبى :

— بس يا نوجا .. ما تبقىش عبيطه .. انتى لازم تكونى
أسعد بنت فى الدنيا .. البنات كلها عندها أب واحد وانتى عندك
اتنين .. والبنات كلها عندها أم واحد وانتى عندك اتنين ..

وقالت أمى الحقيقية .. تقاطعنى :

— والنبي عزيزه أختى أحق بيها منى .. أنا شلتها سنتين
وتسعة أشهر .. وهى شالتها خمس سنين .. ومش مخليه
حاجة تتعمل وما عملتهاش . دى أكثر كمان من أمها ..

وعدت أصرخ :

— أنا ماليش دعوه .. أنا ما ليش أب الا انت ..

وقال أبى :

— ماهو أنا أبوكى .. والأسناذ عبد الحميد كمان يبقى أبوكى

.. وانتى اللى تختارى تحبى تقعدى مع مين فىنا ..

وصرخت غورا :

— معاك انت .. انت بابا ..

وأضاء وجه أبى ، وقال :

— خلاص .. تقعدى معايا .. بس لازم تقولىلى .. انتى

اسمك ايه ..

قلت وصراخى يهدأ :

— نجوى ..

قال :

— مضبوط .. ونجوى ايه ؟

قلت وأنا أمسح أنفى بكم ثوبى :

— نجوى طاهر ..

قال وهو بيتنسم ابتسامه كبيرة :

— مضبوط .. وبابا اسمه ايه ؟

قلت وأنا أنشج :

— اسمه عثمان طاهر ..

قال :

— مضبوط .. وماما اسمها ايه ؟

قلت وأنا أمسح دموعى من فوق شفتى بلسانى :

— اسمها عزيزه هانم ..

وقالت أبى وهى تخفى سعادتها وراء قناع حزمها ، وكأنه

لم يحدث شىء :

— قومى يا نوجا اغسلى وشك .. وادخلى السرير ..

وقمت من فوق سائقى أبى .. وقبل أن أخرج من الغرفة

صاحت خالتى .. أى أمى الحقيقية :

— مش تبوسينى يا بنت ..

واستدرت اليها ..

ويطلقت فيها ..

ثم نظرت الى مطلقها .. أبى الحقيقى .

وجريت ..

لم أقبلها .. ولم أقبله ..

وجاءت أمى ورائى والابتسامه منطلقة على وجهها .. واخذت

الظاهره .. ولا تفسيراً لغيره ماما من خالتي .. ولكنى الآن
أعرف أنها تعتمد إبعاد خالتي عنى حتى لا أتعود عليها .. حتى
لا تلج على الحقيقة فأحب خالتي أكثر من ماما .. أو الجأ الى
خالتي أكثر مما الجأ الى ماما .. واستسلمت .. كنت أنا أيضاً
فى حاجة الى الابتعاد عن خالتي حتى لا تذكرنى بأنها أمى .. كنت
أريد أن أتفرغ بكل عواطفى لحب بابا وماما .. أن الحب يستطيع
أن يخلق من خالتي أما لى ، ومن زوج خالتي أباً لى .. أن الأمومة
والأبوة يكتسبان .. الأم تكتسب حبها لابنها يوماً بعد يوم منذ
تحمله فى بطنها ، وبعد أن تلده .. وكذلك الابن يكتسب حب
والديه بمرور الأيام .. لأنه يراها فى كل لحظة .. ولأنه فى
حاجة اليهما فى كل لحظة .. هكذا ينشأ الحب .. وأنا فتحت
عينى على هذا العجوزين الطيبين اللذين أعيش بينهما ، وأستطيع
أن أكتسب حبهما .. حب الابنة .. لا فرق بين حبنى لبابا وماما ..
وحب أى بنت أخرى لأبيها وأمها ..

ولم يكن حبنى لأبى يكلفنى شيئاً .. أن طبيته وحنانه يملآن
قلبى ويسريان فى دمى .. لم كن أنعمد معه شيئاً لأحبه أكثر
أو يحبنى أكثر .. انه لا يريد منى شيئاً إلا أن يرانى سعيدة ..
وسعادتى هى كل حياته .. ولكن المشكلة كانت مع أمى .. أن
أمى مع كل حبها لى ، لا تستطيع أن تنسى انى لست ابنتها ..
وهذا الإحساس يولد عندها عقدة الخوف .. الخوف من أن تفقدنى
يوماً ما .. وحتى لا تفقدنى فهى تحاول أن تفرض سيطرتها على
.. تحاول أن تسيطر على كل دقيقة من عمرى .. وعلى كل
صغيرة وكبيرة من حياتى .. انها لا تترك أبداً شيئاً لى وحدى ..
كل شىء تشاركنى فيه .. بل كانت تستطيع أن تدخل فى عقلى
لتشاركنى فى كل فكرة .. وتحاول أن تدخل فى قلبى لتشاركنى كل

تقبلنى .. تيلات كثيرة عنيفة .. قبائلى فى كل قطعة بنى ..
ثم قبلت يدى ..

ومن يومها عرفت أن أمى هى خالتي .. وأبى ليس سوى
زوج خالتي .. وقضيت عمرى كله بعد ذلك أحاول أن أتجاهل
هذه الحقيقة ..

ولا ادري ما هى الاجراءات الرسمية التى اتخذت .. ولكن
من يومها ، وأسمى فى كل مدرسة أدخلها هو نجوى طاهر ..
وأسمى فى شهادة الميلاد .. نجوى طاهر ..

وكانت هذه أول أزمة واجهتها فى حياتى ..

ولكنى أيامها لم أتبين انها أزمة .. لم أنتبه الى انى بدأت
أفسر تصرفات أمى وأبى تفسيراً جديداً .. وأتساءل كيف تنازلت
هتى أمى الحقيقية بهذه البساطة .. ثم على مر الأيام بدأت أضغ
جواباً لكل سؤال .. أشنعت نفسى بأن أمى الحقيقية تنازلت عنى
لأنها تحبنى أكثر .. لأنها أرادت أن توفر لى حياة خير من الحياة
التي كان يمكن أن أعيشها معها .. فهى فقيرة .. مرتبكة ..
تعيش مع أولادها الستة فى غرفتين بشوارع الواليلية بالعباسية ..
وقد ضحت بى من أجل حياة أرقى نسبياً .. لأعيش مدللة بين
أبوين عجوزين يحتاجان الى بقدر حاجتى اليهما .. ان أمى لم تكن
تكرهنى يوم تنازلت عنى .. كانت تحبنى .. تحبنى أكثر .. وقد
يقيت حتى بعد أن عرفت الحقيقة أنادى أمى .. أمى اننى ولدتنى
.. بلقب « خالتي » وأنادى أبى .. أبى الحقيقى .. بلقب « عمى »
.. وبابا وماما هما اللذان أعيش معهما ..

وقد حرصت ماما أكثر من الأول على الا تزور خالتي ،
والا تزورنا .. وكنت فى الأيام السابقة لا أضغ تفسيراً لهذه

واحدة .. و .. تعرفى فلان ، ده يا ستى يبقى متجاوز بنت خالة
نحبة هانم اللى تبقى واخده عبد الغنى بيه ابن أخت شربات هانم
مرات عبد المعطى باشا .. وهكذا .. هذا هو الحديث المفضل
عندها ..

وكانت أمى تحب أن تتظاهر دائما بأنها من عائلة كبيرة غنية .
وصنعت لنفسها نسبا يمتد الى أحد الباشوات .. وكانت تحرص
على أن تتنادى زوجها « عثمان بيه » وتحرص على أن يناديها
زوجها « عزيزه هانم » .. رغم أن بقية العائلات التى هى مستوانا
لا تستعمل « بيه » ولا « هانم » ..

وكان بين العائلات التى تصادقها أمى عائلة تسكن فى حلوان
.. عائلة كبيرة .. قديمة معروفة .. ليست عائلة غنية جدا ..
ولكنها على الأقل أغنى من عائلتنا .. وكانت سيدة هذه العائلة
تتفق مع أمى فى إيمانها بسيدات نور الهدى .. ولا يمضى أسبوع
الا وتزورها أمى .. دائما تأخذنى معها والعب مع بنات العائلة
.. وكانوا كلهم يحبوننى .. فانى أستطيع دائما أن أكتسب
صداقة البنات ، كما أكتسب صداقة زميلانى فى المدرسة ..
ثم ..

حدث شىء غريب ..

كنت فى الثانية عشرة من عمرى .. وكنا فى زيارة العائلة
.. وكنت العب مع البنات عندما نادتنى أمى وقالت لى :
— بوسى ايد عمك يا نوجا .. انتى خلاص .. اتخطبتى
لعادل .

ووقعت كالمبهورة لا أفهم شيئا ..

وحذبتنى « حماتى » وضمتنى الى صدرها وقبلتنى .. وهى
تقول :

خلجة من خلجاته . ليست لى حرية .. حتى فى نومى .. فقد
عودتنى على أن أنام معها .. بينها وبين أبى ..

واستسلمت لسيطرتها .. فقد كانت سيطرة مبعثها الحب ..
حب غريب .. لم أر أما تحب ابنتها مثل هذا الحب .. وكان
استسلامى لسيطرتها يمنحنى حق التدلل عليها .. كنت أتدلل
عليها الى حد أن أمرها وأشخط فيها .. قومى يا ماما هاتى لى
لجاية ميه .. ماما انزلى اشترى لى قلم رصاص .. ماما ..
ماما .. لم أعد أخاف من وجهها المكرمش ولا من فتاع الحزم
والقسوة التى تضعه فوقه والذى يخيف كل البنات ..

وكانت حياتى المنطلقة هى حياتى فى المدرسة .. كنت فى
المدرسة أحس بشخصيتى أكثر .. أتححرر من سيطرة أمى ، ومن
احساسى المتجسم بحاجتى الى أبى .. وأنطلق بين زميلانى ..
وأشارك فى كل النشاط المدرسى .. وأتفوق .. وأضحك ..
وأمرح .. وأحس بقوتى كلها .. انى لا زلت الى اليوم أحب
حياتى فى المدرسة .. ثم فى الجامعة .. ولا أدري كيف سأعيش
بعد أن أخرج ..

ونحن لسنا أغنياء .. معاش أبى ثلاثون جنيها .. وإيراد
عشرة أفدنة .. نحن عائلة متوسطة ، تعيش فى شقة متواضعة
بشارع الجيزة ..

ولكن أمرى تحب كثيرا أن تتعرف الى العائلات الغنية ..
وخسوسا العائلات القديمة .. ولها أسلوب خاص فى اكتساب
صداقة هذه العائلات .. وتتباهى بصداقتها .. وسيدات جمعية
نور الهدى ينتلن اليها الأخبار العائلية أولا بأول .. وتتباهى
بمعرفة هذه الأخبار .. وتحفظ كل الأنساب .. حتى يخيل الى
أنها تستطيع أن تربط كل عائلات مصر بخيط واحد ، وهى عائلة

أن يسرقني منها أحد ، فوضعتني في خزانة واحتفظت بفتحها في جيبها .. والفتاح ، كما كان يخيل إليها ، هو عادل ..

وليس معنى ذلك أنها لا تحبني .. انها تحبني الى حد الجنون .. ولكنه حب يختلف عن حب الام الطبيعية .. حب يغلب عليه الاحساس الملكية .. انها تحس بكل كيلو من لحمي وعظامي كأنها دفعت ثمنه ، واصبح حقًا لها .. وليس لأحد آخر حق فيه ..

وفرق كبير بين الحب والاحساس بالملكية ..

الحب هو ان تعطى من تحب ..

والملكية هي ان تأخذ ممن تملكه ..

وربما كان هذا هو الفرق بين الام الطبيعية ، والام بالتبني .. الفرق بين امي الحقيقية ، وامى التي أعيش معها ..

ولكنى أيامها لم أحس بهذا الفرق .. بل لم أتساءل لماذا خطبتنى امى الى عادل فى هذا السن المبكر .. فرحت .. فرحت بخطبتى كأن امى اشترت لى حذاءً جديداً .. وفرحت أكثر عندما احسست بأننى اصبحت شيئاً مميزاً بين كل زميلاتى فى المدرسة .. أنا البنت المخطوبة الوحيدة فى المدرسة كلها .. لى رجل .. وفى اصبعى دبلة ..

وبدأت فى هذه السن المبكرة افكر فى الرجل ..

بدأ احساسى يتشكل رغماً منى ليصبح احساس امرأة .. امرأة فى الثانية عشرة من عمرها ..

لم أفقد مظاهر طفولتى .. كنت لا أزال أجرى ، والعب الاستغماية ، وأنط الحبل ، وأضحك كما يضحك الأطفال ، وأبكي كما يبكي الأطفال .. ولكن من وراء هذه المظاهر كان احساسى يتجه الى عالم أكبر من عالم الأطفال ، وعقلى يفتتح لخواطر

— ده أنا اللي أبوسها وأبوس ايدها كمان .. هو أنا كنت حلأتى عروسه لابنى أطفى من كده .. جمال ، وأخلاق ، وأصل .. وأنا لا أستطيع أن أفهم شيئاً ..

بل لا أستطيع أن أتبين صورة عادل الذى خطبت له .. لقد كنت أراه يروح ويجىء فى البيت .. ولكنى لم أكن أتعمد أن أدقق فيه النظر . أن أستوعب ملامحه .. انه أكبر منى .. كان أيامها فى الثالثة والعشرين .. طالب فى كلية التجارة .. ولم أكن فى هذه السن قد تعودت على أن التفت الى الشبان وأدقق فى ملامحهم ..

واعتقدت أن الأمر ، هزار ..

كلام ستات ..

ولكن لا ..

الأمر جد ..

خطبت وأنا فى الثانية عشرة من عمري ولبست الدبلة .. هل هذه عجيبة ..

ان هاشم عندما سمع هذه القصة رفع حاجبيه فرق عينيه الحائيتين ، وأطلت من تحت أنفه القوى ، ابتسامته الطيبة الحلوة .
وقال :

— مش معقول ..

انى أستطيع الآن أن أفهم لماذا خطبتنى امى لعادل وأنا فى الثانية عشرة من عمري ..

أرادت أن تحكم سيطرتها على ..

خافت من عمري أن يصل بى يوماً الى التمرد عليها .. خافت من قلبى أن يشب على حب رجل لا ترضى عنه .. خافت من جمالى أن يكبر يوماً الى حد لا تستطيع احتكاره لنفسها .. خافت

ويجلس بجانبى قليلا ، ومعنا امه وامى ، ثم يقوم ويدخل الى غرفته .. وقد تجرأت بعد فترة وتسلكت وراءه .. دخلت غرفته .. وقفت امامه كالغيبية ، وانا لا أدري ماذا أريد منه ، ولكنى أحس بأنى أريد منه أشياء كثيرة .. أحس انى بالنسبة له لست كبقية البنات اللاتي فى سننى .. لى عليه حقوق أكثر .. ولى مطالب لا أستطيع أن أتبينها .. مطالب الحب .. ولكن الحب كان لا يزال فى فهمى كأسطورة من الأساطير التى تروىها لى أمى قبل أن أنام ، وتنقلنى بها الى عالم بعيد لا أجد له أثرا فى واقعى ..

ونظر الى عادل يومها كأنه يزن كل قطعة منى .. أحسست بنظرتة تسقط على عنقى .. ثم على صدرى .. ثم على خصرى .. ثم على ساقى .. ثم هز رأسه كأنه قرر أنى لم أنضج بعد .. وانحنى وقبلنى فوق رأسى ، وقال وهو يبتسم لى كأنه يبتسم لطفلة :

— روحى يا نوجا اقعدى مع اخواتى .. أنا عايز أذاكر .. وخرجت من غرفته وانا تائهة فى ضباب كثيف يمالأ قلبى وعقلى ..

وربما كان يمكن فى هذه الأيام أن أتناسى كل هذه الأحاسيس .. أن أتركها تسقط فى قاع قلبى ، وأكومها فى مؤخره عقلى . وأتفرغ لطفولتى .. الى أن أنضج .. ولكن أمى لم تتركنى أياس .. كانت تصر على أن تثير فى دائها احساسى بأنى فتاة ناضجة . وتحملنى مسئوليات الفتاة الناضجة .. ما تجريش كده يا نوجا ، ما تنسيش انك ما بقتيش عيله .. أنتى مخطوبه .. غطى ركبتك أحسن والله العظيم أقول لعادل .. واقفه فى الشباك ليه .. مش خايفه عادل يعرف ويفتكر انك بتبصى للواد اللى قصادنا ..

وخيالات لا يمكن أن تكون خواطر وخيالات طفلة فى مثل عمري .. وبدأت أرى عادل كما لم أتعود أن أراه ..

نظرتة التى تطل من عينيه الواسعتين تثير أحاسيسى وتطلق دمائى فى وجنتى .. كأنه يلقي بها فى ماء نائم فيوقظه ، وتفتح عيني دوائر ، ودوائر ، وتشملنى كلى ..

وشاربه الصغير الأنيق أحس به يدغدغ أنفى .. دون أن يقترب منى ..

وقوامه الطويل العريض أحس بثقله ، وهو بعيد عنى .. بل أنى بدأت أنظر الى كل الرجال نظرة جديدة .. لم يعد الرجل مجرد مخلوق يتحرك أمام عيني الطفلتين .. بل أصبح شيئا آخر .. أصبح له معنى آخر .. أصبحت أبحث فى كل رجل عن الجمال . عن الشخصية .. عن معانى الرجولة .. ثم أقتارنه بعادل ..

وعادل هو رجلى الوحيد .. صحيح أنى لم اختره من بين بقية الرجال ، ولكنى وجدتة كرجل لى ، كما وجدت أبى وامى ، دون أن أختارهما .

وأصبحت أشرب من ملامح عادل يوما بعد يوم .. قلبى يفتح لحيه يوما بعد يوم .. قلبى يتحرك بين ضلوعى كأنه عصفور يحاول أن يكسر قشرة البيضة ليخرج الى الحياة ..

ولكن عادل بعد خطبتنا ظل يعاملنى كطفلة .. لم يكن ينصوّر أن كل هذه الأحاسيس يمكن أن أحملها فى صدرى وانا لا زلت فى الثانية عشرة .. فكان — بلا قصد — يستهين بى .. نظرتة التى لم تخلف عن نظرتة لكل البنات اللاتي يملأن البيت . وينعمن نط الحبل ، وكان ينظر الى قائلا :

— ازيك يا نوجا .. عامله ايه فى المدرسه ؟

عادل .. عادل .. عادل .. كانت أمى تكرر اسم عادل عذري
أذنى ألف مرة فى اليوم .. كأنها تشدنى اليه بألف حبل ..
وأصبحت لا أخرج ولا أدخل الا بأذن عادل .. اذا قلت لأمى
انى أريد أن أذهب للعب مع صديقتى ، قالت فى برود :
— أسألى عادل الأول ..

إذا أردت أن أشترك فى رحلة من رحلات المدرسة ، قالت
كأنها تقنعنى بأنها لم تعد مسؤولة عنى :
— أنا ماليش دعوه .. استأذنى عادل ..

وكان عادل لا يقول لى الا ما تريد أمى ان تقوله .. لا يأمرنى
الا بما تريد أمى أن يأمرنى به .. رأيها هو رأيها .. لقد استطاعت
فعلًا أن تحكمنى بعادل .. أن تزيد من سيطرتها على .. وكان
عادل يؤمن بها ويحترمها .. كان يجلس معها أكثر مما يجلس
معى .. وتحادثه فى التليفون فى اليوم الذى لا باتر، لزيارتنا
أو لا تذهب لزيارته .. كانت تحادثه طويلا أكثر مما أحادثه ،
وأحيانا تحادثه دون أن أدري .. واناجأ بأوامر عادل لى ، كأنها
تخرج من بين شفتى أمى ..

هذا الإلحاح من أمى فى ربطى بعادل ، هو الذى أسرع لى
الى حبه .. أصبحت أحبه وأنا فى الثالثة عشرة من عمري ..
واعترفت ببني وبين نفسى بهذا الحب .. حب ساذج فيه براءة
الطفولة ، وخيالها ، وطهرها .. وكلما ازددت حبا لعادل ، ازدددت
استسلاما لأمى ، فهى التى تملك عادل ..

وقد بدأت فى هذه الأيام أقحم نفسى على حياة عادل أكثر ..
أصبحت كلما ذهبنا الى زيارة عائلته ، أجرى اليه فى غرفته ..
أجلس على سريريه .. وألعب بكل محتوياتها .. وأبقى فيها ..
لا أريد شيئا الا أن أبقى فيها .. أحدثه ويحدثنى .. وأنظر اليه

كأنه الشيء الوحيد الذى أملكه فى حياتى .. كأنه كل مستقبلى ..
كل شخصيتى .. وهو لا يزال يعاملنى كطفلة .. لا يقبلنى الا فوق
راسى ..

الى أن كان يوم فتحت فيه أحد أدراج مكتبه ، فلمحت فيه
عصاة لفتاة .. فتاة غيرى .. وقبل أن أتمعن فى الصورة رأيت
عادل فصرخ فى وجهى :

— أوعى تفتحي الدرج ده تانى ..

ثم خطا نحوى خطوة سريعة ، وأغلق الدرج بعنف حتى
كاد يفلقه على أصابعى ..

وقلت وأنا أنظر اليه وأحس بشيء يسيل من قلبي كأنه دمي :
— اشمعنى الدرج ده اللي مش عايزنى أفتحه ..
قال :

— علشان ما يصحش تفتحي أدراجى .
قلت فى براءة :

— أنا شفت فيه صورة واحدة ..

قال :

— دى صورته بتاعة واحد صاحبى شايلها عندى ..

قلت :

— ليه ؟

قال :

— ليه ايه ؟

قلت :

— ليه شايلها عندك ؟

قال وهو بضيق بى :

— مالكيش دعوه .. انتى لسه صغيره .. ما يصحش تتكلمى فى الحاجات دى .

ولم تكن صغيرة الى هذا الحد ..

لقد بدأت أشعر بالغيرة وأنا فى الثالثة عشرة من عمري ..
الغيرة بكل آلامها ، وكل قسوتها ..

بدأت أحس بصغر سنى .. واعتقدت أن عادل يعرف بنات غيرى الأتى صغيرة .. ودفعنى هذا الاعتقاد الى أن أحاول أن أسبق عمري .. أن أبدا أكبر .. فتحايلت على أمى حتى سمحت لى بأن البس حذاء بكعب ، ثلاثة سنتى .. واستطعت بواسطة إحدى زميلاتي فى المدرسة أن أحصل على أصبع روج .. وأصبحت أقلب فى المجلات فتتوقف عيناي على صور البنات اللاتي يكبرننى .. واتجه ذوقى الى أزياء لا تليق بسنى .. وأمى لا تفهم فى الأزياء ، فانتقادت ورائى ، وأصبحت تفصل لى ثيابا أكبر من عمري وسمحت لى بأن أصبغ شفقتى بالروج فى مناسبة أو مناسبتين .. وهى فرحة بى كما تفرح الطفلة بعروستها ..
وجاء عادل لزيارتنا يوما ..

وجلس مع أمى وأبى ..

وتأخرت فى غرفتى أعد لعادل مفاجأة .. تخيلتها مفاجأة

كبرى ..

وقفت أمام مرآتى أصنف شعري بحيث أرفعه فوق رأسى كما تفعل البنات الكبيرات .. ووضعت الكحل حول عيني .. وصبغت شفقتى بالروج .. وأرتديت ثوبا جديدا ، شددت فتحة صدره ، حتى كشف عن مساحة كبيرة من لحمى .. ولبست جوربا وحذاء بكعب .

لقد كنت جميلة .. جميلة فعلا .. رغم انى لم أستطع أن

أصنف شعري كما يجب .. ورغم أن خطوط الكحل كانت مهتزة حول عيني .. ورغم أن « الروح » فوق شفقتى كان ماسخا .. وخرجت الى عادل ..

وفوجيء ..

رايت المفاجأة فى ارتعاشة رموش عينييه ..

ولم يغضب .. ولكنه ظل ينظر الى كأنه يرانى لأول مرة .. وكأنه ينظر الى فتاة كبيرة ..

وابتسمت أمى ، وشاعت ابتسامتها فوق وجهها المكرمش القاسى ، كأنها ترانى أمامها أجمل فتاة فى العالم .. وقهقهه أبى نائلا :

— مالك كبرت مره واحده كده .. ده انتى لغاية النهارده الصبح كنتى لسه عيله ..

وقلت وأنا ابتسم فى دلال وأنتنى بقوامى الطويل فى افتعال :

— من فضلك يا بابا .. ما تقولشى على عيله ..

وقال عادل وهو يقاوم المفاجأة :

— من امتى بتحطى روج يا نوجا ؟

وقلت وأنا أهزل له كتفى :

— مارا سمحت لى ..

وقالت أمى :

— وساله يا عادل يا ابنى .. ما دام اتخطبت لك بيتى من

حقها تحط روج .

وظل عادل محتفظا بنظرة الدهشة فى عينييه ..

ومن يومها بدأ بيدي نحوى اهتماما أكثر ..

وتسللت قبلته من فوق رأسى الى خدى ..

انى أذكر قبلته الأولى فوق خدى .. لقد دخلت اليه فى غرفته

فيها وحدي ، هائمة في أحاسيسي .. أحاسيس حلوة .. والنشوة
تضح في عروقي .. ويدي لا تزال على خدي كأنى أخشى أن
تطير قبلته من فوقه .

وبقيت وحدي في حجرة الصالون ، الى أن سمعت صوت
أمى تناديني لنعود الى بيتنا ..

وركبنا قطار حلوان ، وأنا بجانب أمى .. صامته .. منتشية
.. هائمة في أحاسيسي ..

ونظرت الى أمى كأنها تحاول أن تكتشف سرى ، وقالت :
— مالك ؟

قلت وأنا أنظر من شبك القطار :

— أقول لك حاجه ؟

قالت :

— خير .. قولى ..

قلت كأنى أزف اليها فرحتى :

— عادل باسنى ..

وبدا الاهتمام على وجه أمى وجذبتنى اليها قائلة :

— باسك فين ؟

قلت :

— فى أودته ..

قالت :

— يعنى باسك فى أى حته ..

قلت وأنا أبتسم :

— باسنى فى خدى ..

وسكتت أمى قليلا كأنها تبلع الماء وقالت :

— كام مره ؟

عندما كنا فى زيارة عائلته .. وكنت ألبس الحذاء ذا الكعب ..
وثوبى ضيق ، مفتوح الصدر ، وشعرى مفروق من منتصف رأسى ،
ومسدل حول وجهى .. وفى نظراته هذا الشيء الجديد ..
ووجهه يلعب .. ثم حاول أن يتشاغل عنى بالعبث فى أدراج
مكتبه .. ثم قام فجأة ، واقترب منى ، وأمسكنى من كفتى ، وقال
فى صوت لاهث :

— أنتى كبرتى يا نوجا .. واحلويتى .. ما كنتش فاكرك أنك
حاتكبرى بالسرعه دى ..

وظل ممسكا بى ..

عيناه فى عيى ..

وعيناه ترتعشان .. وأحاسيسى كلها متيقظة مرتبكة ، كأنها
تواجه ضوءا شديدا لا تحتمله ..

وانحنى ، وقبلنى فوق وجنتى ..

أول شفتين ساخنتين فوق وجنتى ..

وحاولت أن أحتمل لمستهما ..

ولكنى لم أحتمل ..

أحسست بدمائى كلها تندفع فى عنف .. وأحسست بقلبى
يطير بين ضلوعى . كأن العصفور قد كسر قشرة البيض وانطلق

فى عالم لا يعرفه بعد .. وأحسست بركبتى ترتعشان ..
أحسست بأنى فى حاجة الى قوة كبيرة .. قوة لم أعودها بعد

حتى أحتمل كل هذا ..

ولم أجد هذه القوة ..

فنزعت نفسى من بين يديه ، وجريت من أمامه ، ويدي على
خدى مكان قبلته أخشى عليها أن تطير منى ..

وانزويت فى حجرة الصالون ، ولم يكن فيها أحد .. وبقيت

قلت بلا مبالاة وأنا لا زلت هائمة فى نشوتى :

— فاهمه ..

ومن يومها وأمى تسألنى دائما عن كل التفاصيل .. أدق التفاصيل .. وتعودت بعد ذلك وخلال حياتى كلها أن أقول نها كل شيء .. لم أكن أشعر بأى خجل وأنا أطلعها على كل شيء .. وقد أطلعته على تفاصيل كثيرة .. كثيرة .. كان أهم ما تسعى وراءه هو هذه التفاصيل .. لم يكن يهمها المبادئ ، ولكن تهمها التفاصيل ..

وحبى لعادل يكبر ..

وكل شيء فى يكبر مع حبى ..

صدرى يكبر .. جسدى يكبر .. عقلى يكبر .. أحاسيسى تكبر .. وعمرى يكبر .. كل شيء يكبر بين يدي عادل .. كل قطعة منى يلمسها ، تكبر .. وكل كلمة يقولها يكبر بها عقلى ..

وكل لحظة من لحظاته يكبر بها قلبى ..

خيل الى أيامها! أنى لا أكبر بعمرى .

ولكنى أكبر بحبى ..

وقد أحببت بكل ما فى طاقة الحياة من حب .. أحببت حبا فيه كل شيء .. فيه الخيال .. وفيه سذاجة الطفولة .. وفيه النشوة .. نشوة المرأة .. وفيه الأمل المستقر الهادئ .. وفيه الألم .. ألم الغيرة ..

كنت أحبه كطفلة .. تندفع بحبها بلا حدود .. وكنت أحبه كفتاة كبيرة تعد نفسها للزواج .. وكنت أحبه كأم تختار اسم اولادها قبل أن تراهم ..

وأحبنى عادل ..

قلت :

— مره واحده بس .. بوسه واحده ما فيش غيرها ..

قالت :

— وكنتم قاعدين واللا واقفين ..

قلت :

— واقفين ..

قالت :

— وكان ماسكك ازاي ..

قلت وأنا أحاول أن أتذكر :

— مش فاكركه .. مش فاكركه اذا كان ساعتها كان ماسكنى

واللا لأ ..

قالت فى حدة :

— يعنى كان حاضنك ؟

قلت :

— لا .. كان مسكنى من دراعى ..

قالت :

— وعملتى ايه ..

قلت :

— جريت وقعدت فى الصالون ..

وسكنت أمى قليلا ووجهها يزداد قسوة ، ثم قالت كأنها تحدث نفسها :

— مش حاجه .. ما هو برضه خطيبك .. انما أكثر من كده مش من حقه ..

والتفتت الى وقالت فى حدة :

— فاهمه ..

اسبوع ، لا أفعل شيئاً الا أن أكتب لعادل .. كتبت له عشرات
الخطابات .. كلها حب .. وأمى تدخل وتخرج ، وهى تصرخ :

— يا بت ما تبقيش مجنونه .. بلاش لعب عيال ..

ولكنى لم أتحرك من غرفتى .. ولم أفتح نوافذها .. ولم
أخلع البلوفر الصوف .. الا بعد أن عاد عادل من السعودية ..

الى هذا الحد أحببته ..

وأحببت معه كل الدنيا ..

كل الناس ..

كل شيء ..

وكان الحب يضىء عقلى بنور الذكاء .. ويملاً كيانى بالمرح
.. ويدفعنى الى النجاح والتفوق .. ويصنع لى شخصية قوية ،

حذوة ، يحبها الناس .

كم كنت سعيدة ، أيامها ..

ولكن ..

كانت هناك فترات من الألم .. فقد كان لعادل بعض المغامرات

النسائية .. ضببت فى منديله مرة آثار أحمر شفاه .. وضببت

فى درج مكتبه صورة لسيدة ربما كان عمرها أكبر من الخامسة

والثلاثين .. وكنت أثور .. وأبكى .. ولكن عادل كان يقنعنى

سريعاً بأنه فى حاجة الى هذه العلاقات ليطلق فيها شبابه ، الى

أن تزوج ويتوب عنها .. كان يقنعنى دائماً بأنها علاقات عابرة

لا تترك خدشاً فى قلبه ولا فى حياته .. علاقات يحتاج اليها

كل رجل قبل أن يتزوج .. وكانت تمر بى لحظات أفكر فيها أن

أمنح عادل من نفسى ما يغنيه عن هذه العلاقات ، حتى قبل أن

التزوج .. ولكنى كنت أعود وأجن .. لا ، لم يكن جينا .. ولكنى

كنت أسمع نفسى فوق مستوى هذه العلاقات العابرة .. أنا شيء

أحبنى قدر ما أحببته .. وحبه يكبر كلما كبرت .. والنظرة
فى عينيه تكبر وتزداد لمعانا يوماً بعد يوم ..

أصبحنا لا نستطيع أحدنا أن يستغنى عن الآخر ..

كنت أكتب له فى كل يوم خطاباً حتى فى الأيام التى أراه
فيها .. خطابات مليئة بالكلمات الحلوة التى أقرؤها فى القصص ،
وأحيلها الى واقع أعيش فيه ..

وكان عادل يكتب الى أيضاً كل يوم خطاباً .. ولو كلمتين ..

وربما كانت كلماته ساذجة ، فيها محاولة لشباب مغرور يحاول

أن يثبت لنفسه أنه أديب كبير .. ولكنى أيامها كنت أعتبر خطاباته

أرقى ما يستطيع الانسان أن يكتب .. كنت أعيش فى كل كلمة من
كلماته ..

أن حياتى فى هذه الفترة ، كانت أغنية .. أغنية أغنيها فعلاً

.. أغنيها مع كل أغنية تنطلق من الراديو .. ليست أغنى

عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ فقط ، بل كل الأغانى .. أغان

لا يخطر على بال أحد أن يحفظها ، ويغنيها مطربون من الدرجة

الثانية والثالثة ، ولكنى كنت أحفظها .. أحفظها لأنى كنت أجد

فى كل كلمة حب . حبى ..

وقد نال عادل بكالوريوس التجارة قبل أن اتم الخامسة عشرة

من عمرى .. وأذكر فى هذه الأيام أنه سافر الى السعودية فى

رحلة قصيرة مندوباً عن الشركة التى عمل بها .. وكنا فى عز

الصف .. ولم أحتمل أن يعيىش عادل فى لهيب السعودية ، بينما

أنا فى القاهرة أعيش فى صيف أرحم .. فما كان منى الا أن

أغلقت جميع نوافذ غرفتى « شيش وزجاج » وحبست نفسى فيها

بعد أن ارتديت بلوفر من الصوف ، حتى أعانى نفس ما يعانيه

عادل من لهيب الصيف فى السعودية .. وبقيت هكذا ثلاثة

.. فتدخل لتجلس مع أبى ، وتتركنا وحدنا .. وبمجرد أن تدير ظيورها لنا ، تلتقى شفاهنا العطشى .. ونعيش فى قبلة واحدة طويلة .. طويلة .. كأن كلاً منا يبخل على نفسه بلحظة يتنفس فيها .. ثم فجأة أيضاً ، تعود أمى .. وتفترق شفاهنا ، وهى لا تزال عطشى ..

فاذا ذهبنا الى زيارة عائلة عادل ، حدث نفس الشيء .. نجلس جميعاً معاً ويدور بيننا الحديث الفاتر ، والنظرات الساخنة .. نظرات الشوق الكبير .. ثم يقوم عادل ويدخل الى غرفته ، وأهم أن الحق به ، ولكن أمى تشغلنى فى حديث وتظل تشغلنى الى أن تقرر بينها وبين نفسها أن تسمح لى باللحاق بعادل .. فترحمنى من حديثها .. وأجرى اليه .. وملتقى فى قبلتنا الطويلة .. الطويلة .. الى أن أسمع صوت أمى ينادينى من بعد كأنها تشدنى من الجنة ..

وكان أفسى ما توقعه أمى على من عقاب .. هو ألا تتركنى لعادل .. وكانت المدة التى تتركنى له فيها ، تطول وتقتصر حسب رضائها عنى .. أحياناً تتركنى له ربع ساعة .. أحياناً خمس دقائق .. أحياناً دقيقة واحدة ..

وكانت أمى تتظاهر أمام عادل بأنها لا تتعمد أن تتركنا وحدنا .. ولكن كان هذا أمراً صريحاً بينى وبينها .. كانت تصارحنى بأنها تتعمد أن تتركنى له .. حتى تهددنى بالألا تتركنى له ..

ثم بمجرد أن ينصرف عادل .. كانت تسألنى عن التفاصيل .. كل التفاصيل .. تسألنى وفى عينيها نهم مثير كأنها طفل جائع ينتظر ما يشبع جوعه :

— علمت ايه .. احكىلى ..

واقول وأنا اتدلل عليها :

أكبر من حاجة الرجل العابرة .. لا يمكن أن أنزل الى مستوى الحاجة العابرة .. أنا الحب .. أنا الحياة كلها .. حب عادل ، وحياته .. فكنت أكتفم ألم الغيرة فى قلبى الصغير .. وأزيع من أمام عيني خيال عادل وهو يقبل على امرأة أخرى كبيرة يقبلها ويحتضنها .. وأسمو بحبى الى حد أن أفنع نفسى بأن هذا من حق عادل ، وأنه حرام على أن أحرمه من حقه ، وأن أعذبه بحاجته التى لا أستطيع أن أريحه منها الا بعد أن نتزوج .. ولكنى بدأت فى هذه الأثناء أكره النساء الكبيرات .. لا ، لم أكرههن .. فقلبى لم يكن يتسع للكراهية .. ولكنى كنت أخاف منهن على حبى .. كنت أتصور أن كلاً منهن يمكن أن تنقض على عادل وتأخذ منى ، ولو أخذوا عابراً ..

وكانت قبلاتنا قد كبرت فى هذه الأثناء ..

وصلت قبلة عادل الى شفتى البكر .. العذراوين ..

وكنت أذوب فى قبلته ..

أذوب كلى ..

أحس كأنه يسحب بشفتيه كل ما فى .. يسحب قلبى .. ويسحب عقلى .. ويسحب أعصابى .. ويسحب كل قطعة منى .. أحس بكل ما فى من حياة يتجمع بين شفثيه .. لم تعد لى حياة الا هنا .. بين هاتين الشفتين ..

وكانت أمى تدير نشاط قبلاتنا كأنها قائد فرقة موسيقية يدير أنغام عصفورين يتناجيان بأعذب الألحان ..

كانت قد اعترفت لنا بحق تبادل القبلات .. ولكن .. تحت اشرافها .. فكانت عندما يأتى عادل لزيارتنا .. تجلس بيننا كالحارس الأمين .. ونحن نتبادل حديثاً فاتراً ، ونتبادل نظرات ساخنة .. الى أن تقرر أمى فجأة أن هناك ما عمله داخل البيت

فى قلبى .. وفى احساسىسى .. ورغم ذلك ، فلم أكن أتضايق
 .. كنت أحب هذا الحوار .. وأحب أن يطول ، كأتى أردد آخر
 أغنيات حبى .. كأتى أطلع صديقتى الوحيدة على أعز أسرارى
 .. رغم الخلاف الكبير بينى وبين أمى حول معنى الحب .. أمى
 تعتقد أن الحب هو أن يأخذ الرجل المرأة ، ولا شىء أكثر .. وأنا
 أعتقد أن الحب هو التقاء .. التقاء شخصيتين .. والتقاء فكرتين
 .. والتقاء قلبين .. والتقاء حياتين ..

ولكن ..

الأيام الحلوة لم تدم طويلا ..

بدأت تغوص فى الضباب ..

مرض أبى .. وأنا فى السادسة عشرة من عمري .. أصيب
 بشلل نصفى خنق الكلمات فوق لسانه .. لم يعد يستطيع أن
 ينطق .. ولم يعد يستطيع أن يتحرك الا اذا حملناه من مكان الى
 مكان .. أصبح لا شىء .. ففقدته .. وأحسست أنى فقدت ميزان
 حياتى كلها .. لم أشعر بأن أبى كانت له كل هذه الأهمية فى
 حياتى الا بعد أن أصبح لا شىء .. لقد كان بالنسبة لى صمام الأمان
 من طفيان أمى .. كان العقل المتزن الذى يحمينى من نزواتها ..
 كان الصدر الطيب الحنون الخالى من العقد النفسية ومن الأنانية ،
 الذى ألجأ اليه كلما خنقنتى أنانية أمى وخوفها الدائم من أن تفقدنى
 يوماً ما .. كان أبى هو الذى يحبنى كابنته .. وأمى لا تستطيع
 أن تنسى انى لست ابنتها .. فقط تبنتنى ! ..

وقد زاد طفيان أمى بعد مرض أبى ..

أصبحت أنانيتى حادة كالكسكين ..

وأصبحنا نتشاجر دائما .. وفتصارخ .. هى تصرح

— هو احنا لحقنا نعمل حاجة .. ده انتى ما بعدتيش عنا
 الا يدوبك دقيته ؟

وتقول :

— معلش .. بكره تشبعى منه .. قوللى .. باسك ؟

وأقول بلا خجل :

— طبعاً .. باسنى ..

وتقول أمى والنهم فى عينيها :

— شو فو البجاجة .. وايه كمان ! ؟

وأرد وأنا أتغالى فى دلالى كأتى عروس فى صبيحة ليلة
 الزفاف :

— ولا حاجة .. هو فيه ايه كمان ؟ !

وتقول أمى :

— يعنى حضنك ؟ !

وأقول :

— لا ..

وتعود تسألنى :

— حط ايدى على صدرك ! ؟

وأقول وأنا أبتسم :

— ايه ده يا ماما .. أنا ما اسمحكيش تكلمينى بالشكل

.. ده

وترد أمى فى حزم :

— أوعى تخليه يحط ايدى على صدرك .. أولا صدرك يخسر

وانت لسه بنت بنوت .. وثانيا ده مش من حقك ..

ويسنمر هذا الحوار بيننا طويلا .. تسألنى .. وتسألنى ..

كل لمسة .. كل حركة .. كل كلمة .. وهى تنظر الى كأنها تفتش

.. ملئصة بعادل أكثر من التصاقى بها .. أتأثر به وبكلامه ، أكثر
 .. ما أتأثر بكلامها .. بدأت تحسن أن عادل لا يصلح ليكون مفتاح
 الخزانة التى تضعنى فيها ، وتحفظ به فى جيبها .. لقد أصبح
 عادل أكبر من أن يسعه جيبها .. وتحركت عندها عقدة الخوف
 من أن تفقدنى يوما .. تفقد شيئاً تملكه .. فبدأت تحارب عادل
 .. تحارب حبى .. ووجهها المكرمش يزداد قسوة يوما بعد
 يوم ..

وقد بدأت تقلل من زيارتنا لعائلة عادل .. فاذا جاء عادل
 لزيارتنا استقبلته استقبالا رسميا كأنه غريب .. وجلست أماما
 كالسجان .. لا تتركنا لحظة .. ووجهها المكرمش يقف بيننا
 كالحائط المصفح .. ثم بدأت تنقل إلى أخبار علاقات عادل
 النسائية .. كانت تبحث بنفسها عن أخبار هذه العلاقات وتقطرها
 فى أذنى كالسم .. وكنت أصرخ فى وجهها :

— عارفه .. عارفه .. مش ممكن حاتقوليلى حاجه عن
 عادل أنا مش عارفاها ..

ولكنها كانت تعاربنى بهذه العلاقات .. بل أنها اتصلت
 بامرأة فى الأربعين من عمرها مطلقة رجل غنى ، كان عادل على
 علاقة معها فى فترة من فترات نزواته .. وجعلتها تحادثنى فى
 التليفون وتروى لى تاريخها مع عادل ، وتغيطنى ، وتقسم لى
 أنها كانت تنفق عليه .. و .. عارفه البدله البنى اللى يلبسها ،
 أسائيه كده مين اشترأها له .. و ..

وكنت أحتمل .. لم أكن أحتمل ببساطة .. كنت أعانى الألم
 .. ألم الضيق .. ألم الغيظ .. ألم الغيرة .. ألم الإحساس
 بعجزى أمام جبروت أمى .. ورغم ذلك كنت لا أزال أفنع نفسى
 بحبها .. كنت أخاف من أن أكرهها ..

وأنا أصرخ .. ثم أجرى الى أبى وهو راقد فى فراشه .. ليس
 فيه شىء حتى إلا عيناه المحدثتان المنهوكتان وألقى بنفسى على
 صدره وأبكى . وينظر الى أمى بعينيه وقد وضع فيهما كل ما بقى
 له من قدرة على الغضب والسخط .. ويشوح فى وجهها بذراعه
 السليمة .. ويطلق من زوره أصواتا مشروخة تثير الشفقة كأنها
 خوار ثور جريح على وشك أن يموت .. ثم يدير عينيه الى ،
 وفيهما دموع تهم أن تنطلق .. وتسقط ابتسامة ضعيفة على
 جانب شفثيه المشلولتين ، ويمسح وجهه على شعري كأنه يربت
 على .. ثم لا يستطيع أكثر من ذلك ..

وكان لمرض أبى أثر على حبى لعادل أيضا .. نقل حبى الى
 طور آخر ، لم يعد حبا فيه مرح الطفولة وانطلاقها وسذاجتها
 .. ولكن أصبح حبا جادا عميقا يحمل مسئولية الحياة كلها ..
 لقد أصبح عادل هو القوة الوحيدة لى .. هو سندی الوحيد ..
 وأحس هو بنفس ما بدأت أحس به .. فاكتملت لحبنا شخصيته ..
 لم يعد حبنا يقبل أن يعيش تحت اشراف أمى وادارتها .. أصبح
 لحبنا شخصية مستقلة عن شخصية أمى .. أصبحت لنا أحداثنا
 الخاصة ، ومشاريعنا الخاصة ، وأحلامنا الخاصة .. ولم أعد
 أرحب بالحوار الطويل الذى يدور بينى وبين أمى بعد أن التقى
 بعادل .. وأصبح لى ولعادل رأى خاص فى كل ما تقوله أمى
 .. أصبحنا نرد عليها ونعارضها .. لم نكن نتحداها أو نتهجم
 عليها .. أبدا .. كان كل ما نطالب به هو حقنا فى رسم حياتنا ،
 وفى تصرفاتنا .. وبالعكس .. كنا نحرص دائما على أن نحيطها
 بحبنا ، وأن نبدي لها هذا الحب .. ونحرص أيضا على الانصدمها
 فى أثنائها وفى طريقة تفكيرها ..

وبدأت أمى تلاحظ هذا التطور .. بدأت تحسن انى أصبحت

وأعلنت أمى فسخ الخطبة .. من جانبها وحدها ..
وسرقت دبلتى من أصبعى وأنا نائمة ، واخفتها عنى ..
وجننت ..

كنت أصرخ كالمجنونة .. وأتكلم كالمجنونة .. وأحطم كل
شء حولى كالمجنونة ..

وأمى لا تشفق على .. لقد أعلنت الحرب .. وقد تعودت
أن تنصر فى كل حرب تعلنها ..

لقد سلطت على كل أفراد العائلة ليقنعونى بأن أنسى حبنى
بعادل .. حتى أمى الحقيقية جاءت لتقنعنى بفسخ الخطبة ..
وتؤكد لى أن عادال لا يصلح لى ..

وسلطت كل الدنيا للتشهير بعادل وعائلته .. بل انها ذهبت
الى رؤسائه فى عمله لتشكوه اليهم ، وتقنعهم انه يحاول أن
يفغونى ويخطئنى ..

وعادل جن أيضا ..

انه يتكلم فى التليفون ويصرخ فى أمى :
— أنا حاتجوزها غصب عنك .. اذا ما اتجوزتهاش بالذوق
حا اتجوزها بالعافيه .. حاخفها .. لو كنت أمها بصحيح
ما كنتيش عابتي فيها كده ..
وأمى تقبل التحدى ..

ولا تكف عن الحرب ..

وأنا أحاول أن أحتمل .. أحاول أن أصبر .. أحاول أن
أجد شقا ينفذ منه النور .. نور الأمل .. ولكن وجه أمى المصفح
ليس فيه منفذ للنور ..

وفجأة ..

هربت ..

وأخيرا قرر عادل أن المخرج الوحيد لنا هو أن نعجل بزواجنا
.. وكلم أمى .. ورفضت .. رفضت فى حزم قاس كأنها لن
تقبل أبدا أن نتزوج .. وكانت حجتها الأولى أننا يجب أن ننتظر
حتى أنتهى من دراستى الثانوية .. وعندما تعهد عادل بأن يتركنى
أتم دراستى بعد أن نعقد القران .. بدأت تضع العراقيل ..
عراقيل كثيرة .. انها تغالى فى طلب المهر .. وفى المؤخر ..
وفى شروط الشقة التى يجب أن يحدث عنها عادل لنسكن فيها
.. والموقف يتطور بسرعة عجيبة .. كلام كثير .. كثير ..
وخناقات بين أمى وأم عادل .. وسيدات جمعية نور الهدى
يتنقلن بين بيتنا وبيت عادل .. وينقلن آخر الأخبار .. وآخر
الكلام .. ويحرفن كلمة تقال هنا .. وكلمة تقال هناك .

وأنا أصبحت تائهة .. كالفرخة الدائخة ..

وأصبحت لا أرى عادل .. أحادثه فى التليفون خلصة ..
وأنام باكية على صدر أبى المشلول .. ومرة أو مرتين أقترح
عادل بيتنا ليرانى رغما عن أمى .. ولكنها وقفت فى وجهه ،
ووصلت الى حد تهديده باستدعاء البوليس ..

وشبت النار فى صدر أمى عندما علمت أن عادل مرشح
لوظيفة كبيرة فى الكويت .. كان عادل فى حاجة الى هذه الوظيفة
ليبنى مستقبله . وليجمع ثروة لنا .. ولكن معنى هذا انه سياتخذنى
بعيدا عن وجه أمى ..

مستحيل ..

لا أحد يستطيع أن يأخذنى بعيدا عنها ..

انها تملكنى ..

تملك كل كيلو من لحمى وعظمى .. ولا يمكن أن تسمح

لأحد بأن يأخذنى منها .. لا عادل ولا غيره ..

وفتح عادل الباب بمفتاح أخرجه من جيبه ، ولم أفكر ساعتها
فى أن أسأله لماذا يحتفظ بمفتاح شقة شقيقه فى جيبه ..
وقال عادل ونحن ندخل :

— أنا ما رضيتش أخذك عند أمى ، علشان بامتك ما تحصلناش
هناك .

وهززت رأسى موافقة ..

وأغلق عادل الباب وراءه ..

ولم أحاول أن أنظر حولى الى محتويات الشقة .. كانت
عينى معلقين بوجه عادل ..
وقال عادل :

— احنا نستنى لما اخويا يرجع من الشغل الساعة خمسة ..

ونبعت نجيب المأذون ونتجوز ..

وقلت فى صوت ضعيف وأعصابى منهوكة :

— اعمل اللي انت عايزه يا عادل .

ولم أكن ساعتها أفكر فى الزواج .. كان كل ما أفكر فيه
هو أنى أصبحت مع عادل وحدنا بعد كل هذا العذاب الطويل ..
بعد كل هذا الشوق المضى .. وحدنا .. ولا ننتظر أن تدخل
أمى علينا فى كل لحظة .. لأول مرة نلتقى بعيداً عن شبح أمى ..
وركنت رأسى على صدره ، وقلت كأنى أنتهد :

— أنا تعبانه يا عادل .. تعبانه .

وقال فى حزم كأنه قبض على عنق القدر :

— خلاص .. النهارده آخر يوم تتعبى فيه .. بعد النهارده
مش ممكن حد يفرقنا عن بعض ..

ثم رفع رأسى اليه ..

شفتاه تتطلعان الى شفتى ..

كانت بناجأة بالنسبة لى أيضا .. فانى لم أفكر قبلها فى
الهرب .. ربما كنت أفكر فى الهرب بعقلى الباطن ، ولكنى لم
أفكر فيه بعقلى الواعى .. وقد صحبتنى أمى يومها الى المدرسة ،
وأوصت على الناظرة والمدرسات وحذرت عليهن أن يتركنى
أغادر المدرسة الا اذا جاءت وتسلمتنى بنفسها .. وقضيت طول
الصباح شاردة .. لا أستطيع أن أندمج فى حديث مع زميلاتى
.. لا أستطيع أن أتكلم ، ولا أن ابتسم شاردة .. ساهمة .

وغر فسحة الظهر ، كنت فى فناء المدرسة ، ولحلت الباب
الكبير مفتوحا .. وبلا ارادة منى .. وأنا لا زلت شاردة ، ساهمة
.. خطوت نحو الباب .. وخرجت .. خرجت من المدرسة .

ولم أتنبه الا وأنا فى الشارع بعيدا عن المدرسة .. ووقفت
برهة كأنى أشد خطة تعيش فى عقلى الباطن .. ثم جريت الى
أقرب تليفون ، واتصلت بعادل فى مقر الشركة التى يعمل بها ..
وجاء عادل فى سيارة أجرة بعد ربع ساعة .. وأنا واقفة
فى الشارع مرتدية زى المدرسة ، وكل ما فى شارد ..
وجريت اليه بمجرد أن لحته ، وقفزت جالسة بجانبه .
ولم نتكلم ..

كان كلاً منا كان ينتظر هذه اللحظة .. وكأننا دبرنا خطة
الهروب معا ..

اكتفى عادل بأن أخذ يدي فى يده ، وأمر السائق أن يتجه
الى العجوزة .. وطول الطريق ونحن الاثنى صامتان . ويدي فى
يده .. وقلباننا يخفتان فى صدرينا .. والنظرة الساهمة فى عيني
.. وفى عينيه نظرة تحد .. تحد لأمى .

وأخذنى عادل الى بيت شقيقه الأكبر ..

وكان شقيقه يسكن وحده فى شقة بالعجوزة ..

والتقينا ..

قبلة طويلة .. طويلة .. لن تنتهى أبدا .. وكل منا يبخل على نفسه بلحظة يضيئها فى التقاط نفسه ..

وأحسست كأن عمري كله يستريح بين شفثيه .. كل ما عانيته .. كل ما تحملته .. كل عذابي .. كل حرمانى .. كل حيرتى .. كل أعصابى المتهبة تنطفئ نارها وتهدأ بين هاتين الشفتين ..

وقال عادل وهو يجلسنى على الأريكة :

— أنتى مراتى يا نجوى .. مراتى قدام ربنا وقدام الناس .. مراتى من خمس سنين ، من يوم ما تخطبنا .. وتعلقت بعنقه ، وأنا أهمس :

— يا حبيبى يا جوزى ..

ولم تنتظر الى أن يأتى الماذون ..

لم نكن نستطيع أن ننتظر بعد كل هذا العذاب .. وكل هذا الحرمان ..

واستسلمت ..

لا ..

كل منا استسلم للآخر .. فلم يكن عادل يريد شيئا أكثر مما أريده ..

لم أشعر بأنى أفقد شيئا .. لم أشعر بأنى أضحي بشيء .. كل ما كنت أشعر به هو أنى لا أريد أن أفقد عادل مرة أخرى .. لا أريد أن أعود الى عذاب الشوق اليه ، والحرمان منه .. أريد أن تستقر حياتى كلها هنا .. بين ذراعيه ..

وعيناي مغمضتان ، وشفثاى مدسوستان بين شفثيه ، كأنى

أتشبث بهما من خوف الألم .. لا .. لم يكن بيننا ألم .. ليس كما كنت أتصور .. الحياة فى هذه اللحظة تجرى وحدها ، بلا ارادة منى ، ولا ارادة منه .. كأننا لم نتعمد شيئا .. اننا فعلا لم نتعمد شيئا .. لم نتعمد الا أن يلتصق أحدنا بالآخر ، والى الأبد ..

وكان خيال أمى يطوف بى .. ووجهها المكرمش القاسى يتقضم على كانه يحاول أن يشدنى من بين ذراعى عادل .. ولكنى كنت ابتسم فى شماتة .. انى أعى تماما ما أفعله .. انى أضع أمى أمام الأمر الواقع حتى تسلم بزواجنا .. لن تستطيع أن تنتصر على حبى .. ستخضع .. ستستسلم .. ثم ..

رقدت بين ذراعى عادل مغمضة العينين .. لست نائمة .. ولكنى هائمة .. مستريحة .. وابتسامة النصر على شفثى .. النصر على أمى ..

الى أن عاد شقيقه مدحت .. وقفز عادل واقفا بمجرد أن سمع المفتاح يدور فى قفل الباب ، واعتدلت جالسة وأنا أشد ثوب المدرسة فوق ركبتي . وارتسمت دهشة كبيرة على وجه مدحت عندما رأتى .. وقال كالجهوت :

— نجوى .. ايه الللى جابك ..

وقال عادل يقاطعه :

— احنا حانتجوز دلوقتى يا مدحت .. كنا مستنيينك علشان تجيب لنا الماذون وتشهد على العقد ..

وقال مدحت وهو ينظر الى كانه يتصورنى مجنونة :

— مش أحسن نقول لمامتك ونبعث نجيبها ..

وقلات فى اصرار :

— ماما مش حاترضى اننا نتجوز ..

قال :

— بس لما تعرف ان المسأله وصلت للدرجه دى ضرورى حاترضى ..

وقال عادل تى حدة :

— ما فيش فايدة يا مدحت يا خويا .. انت عارف عزيزه هانم .. راسها زى الحجر .. وعمرها ما ترحم حد .

وقال مدحت :

— ما هو علشان كده .. دى او عرفت انكم اتجوزتم حاتقلب الدنيا على دماغكم .. ويمكن توديك محكمة الجنائيات .. دى جباره .. انا عارغها اكثر منك ..

وقال عادل وهو يكاد يفقد أعصابه :

— ما هو ما فيش فايدة من الكلام دلوقتى .. حانتجوز يعنى

حانتجوز ..

وأدار مدحت عينيه بينى وبين عادل ورأى علامات التصميم على وجهينا ، فقال وهو بيتنسم كأنه يبارك حينا :

— أنا موافق .. بس سيونى على الأقل أقول لأمى ..

علشان المسأله تبتى عائلته ، وما تبقاش اتنين هربوا مع بعض .. خصوصا ان نجوى لسه ما كملتش تمتاشر سنه .

وقال عادل :

— وأمى حاتعمل ايه يعنى .. حاتكبر نجوى .. ولا حاتعمل

ايه ..

وقلت لمدحت ..

— لو مامتك عرفت قبل مامتى .. مامتى تتجنن اكثر .

وقال مدحت وأبتسامته تتسع :

— سييوا المسأله على أنا .. أصلكم مش شايئين حاجه .. الحب مخبى عنكم حاجات كثير .. يا بختكم ..

ثم أسرع الى التليفون واتصل بأمه ، وعاد قائلا فى مرح :

— أمى حاتكون هنا بعد عشر دقائق ، وحاتحضر كتب الكتاب ..

وقال عادل :

— وافقت؟!!

وقال مدحت :

— باين عليها فرحت لما قلت لها ..

وبلسنا فى الانتظار ..

ولم تنقض عشر دقائق .. حتى سمعنا صوت اقدام كثيرة تقترب من الباب .. ثم .. دق الجرس ..

وارتعشت ..

لا أدرى لماذا ..

ولكنى ارتعشت .. وأحسست كأن دمائى كلها تنسحب

من عروقى وتتسرب من قدمى ..

وفتح الباب ..

ووجدت أمامى أمى ..

أمى أنا ..

وجهها المكرمش القاسى ..

ومعها خالى .. وابن خالى .. وأم عادل .. وأبوه ..

وشخص آخر لا أعرفه ..

ونظرت الى أمى بكل عينيها ..

لم تنظر الى احد آخر .. لا الى عادل .. ولا الى مدحت ..
ثم تقدمت نحوى ، ونظراتها الثابتة القاسية مركزة فوق
وجهى ، وقبضت على ذراعى بيد قوية ، وقالت فى صوت صارم ،
— اللآيا بنتى ارجعى بيتك ..

وحاولت أن أشد ذراعى منها .. ولكن قبضتها قوية .. وأنا
ضعيفة .. منهوكة .. ارتعش .. والجميع من حولى صامتون
كأنهم يشهدون موتى .. وهذا الصمت يزيدنى خوفاً .. وضعفاً
.. وارتعاشاً ..

وجدبتنى أمى ناحية الباب ..

وصرخ عادل :

— أخذ لازم نتجوز .. نتجوز دلوقتى .. خلاص ، ما فيش
فايده .. لازم نتجوزا ..

والتفتت أمى الى من أتوا معها ، وقالت فى ثبات :

— شوغور انتم ابنكم ..

ونزلت بى .. ووضعتنى فى سيارة أجرة ..

وحاول الطريق وهى تردد :

— يا خسارة تربيتى فيكى .. كده تعملى فى أمك يا نوجا ..

وأنا بجانبها صامته ..

ارتعش ..

وضباب كثيف يملأ عيني ..

وما كدنا ندخل البيت حتى التفتت الى قائلة فى حزنها

القاسى :

— اسمعى يابت انتى .. و ..

وقاطعتها وأنا أستعين بما بقى فى من قوة لاتحداها :

— من فضلك .. أنا خلاص ما بقتش بنت ..

ونظرت الى بعينين متسعيتين من الهلع .. وقالت فى صوت
سحوح :

— تصدك آيه ؟ .

قلت وأنا استند على حافة المائدة حتى لا أقع من الانهالك :

— قصدى ائى ست .. بنتك خلاص بقت ست يا ماما ..

ورفعت كفها وهوت به على صدغى ..

بكل ما فيها من قوة .. بكل ما فيها من قسوة ..

ورفعت يدى ووضعتها مكان الصنفة وأنا أنظر اليها

كالمجنونة ..

وهذأت أمى سريعاً .. استعادت كل أعصابها .. وقالت

كأنها فكرت وانتهت الى قرار :

— وماله برضه مش حانتجوزيه .. فاهمه انك انتى والوآد

بتاعك حائجبرونى .. أبداً .. اللى عملتوه ده لعب عيال ..

ما بقاش مهم اليومين دول .. عملية بنسيطة وترجعى بنت

تانى ..

وصرخت بكل صوتى :

— انتى مش أمى .. مش أمى .. أنا مش عايزه أعرفك ..

مش عايزه أقعد معاكى .. أنا عايزه أمى .. خدينى لأمى ..

وكانت هذه هى أول مرة أواجه أمى بالحقيقة التى حاولنا

أنا وهى أن نتجاهلها طول حياتى ..

وسقطت بعدها مغشياً على ..

وفتحت عيني فى اليوم التالى ، لأجد نفسى فى فراشى ، وأمى

بجانبي وقد غاص وجهها المكرمش فى اللهفة .. وألم حاد

أشعر به فى معدتى ، وفى صدرى .. وفى حلقى .. ألم حقيقى

.. ألم لم أشعر به مثل قسوته من قبل .. كأن كل شىء فى محتق

وتميل أُمى فوقى وتهمس وفى عينيها نهم لا مع :

— احكىلى .. الحكايه دى حصلت ازاي ؟

انها تريد أن تعرف التفاصيل .. تفاصيل اللحظة التي أصبحت بعدها سيده .. أو أصبحت بنتا ليست عذراء .. كل آلامها وكل لهفتها على .. لم تستطع أن تتغلب على نهمها الغريب لمعرفة التفاصيل .. عن جوع خيالها الى ما يجرى بينى وبين عادل بعيدا عنها .. ما يجرى بين البنت والولد .. وأصرخ :

— مش حا احكيك حاجه الا بعد ما اشوف عادل .. هاتى

لى عادل الأول ..

وتفتابنى رعشة ..

رعشة تهز كيانى كله ..

وتأخذنى أُمى بين ذراعيها وتضمنى الى صدرها بقوة ، كأنها تريد أن تعوضنى بحنانها عن حب عادل .. وبذراعيها عن ذراعى عادل .. وتهمس ودموعها تملأ تجاعيد وجهها المكرمش القاسى :

— دول عاملين لك عمل يا بنى .. سحروا لك .. أنا

عارفاها خديجه هاتم .. الله يجازيكى يا خديجه يا بنت جلسن ..

واتنتعت أُمى فعلا بأن خديجة هاتم والدة عادل قد سحرت لى .. عملت لى عمل .. وبدأت تجتمع بمجلس ادارة جمعية نور الهدى لبيطلن السحر ، ومفعول العمل ..

وأصبحت سيدات نور الهدى يجتمعن فوق رأسى كل صباح بعد صلاة الفجر ، وكل مساء بعد صلاة العشاء .. ملتقات فى طرحهن البيضاء .. منتصبات أمام عيني كالاشباح ؛ ويقرآن القرآن ، وكثيرا من التعاويذ .. وكنت أجن .. رأسى يلتهب كالنار ، وأذناى تطنان .. والاشباح البيضاء تملأ عيني فأحس

.. أمعائى مختنقة .. رثنائى مختنقتان .. حلقى مختنق .. وفى رأسى صداع .. صداع هائل .. وتأوهت قائلة :

— ماما .. أنا تعبانه ..

ومدت أُمى يدها تربت على يدي قائلة فى لهفة :

— بعد الشر عليكى يا بنتى .. انشا الله أنا ..

وفى هذه الأيام رأيت هاشم لأول مرة .. الدكتور هاشم ..

لم يكن هاشم هو أول طبيب عادنى فى مرضى .. سبقه طبيب آخر تاه بين معدتى وكبدى ومرارتى ، ووصف لى أدوية كثيرة .. ومع كل دواء تسوء حالتى أكثر .. الألم يفرى كل قطعة من جسدى .. وكل عضلة فى داخلى تنقبض وتختنقنى .. تختنق قلبى .. وتختنق معدتى .. وتختنق حلقى .. كل شئ فى يتقلص ويتحول الى آلة تعذيب ..

وكنت أرفع عيني الى أُمى وأقول لها فى توسل :

— ماما .. عايزه أشوف عادل .. ابعتنى له خلية بيجى ..

وترد أُمى دون أن تخفف لهفتها على من حقدتها على عادل :

— خفى انتى الأول .. وبعدين نبقى نشوف حكاية عادل ..

وأقول وأنا أهز رأسى فوق الوسادة كأنى أحاول أن اتخلص من قيد حول عنقنى :

— مش حااخف الا لما اشوف عادل .. هاتى لى عادل ..

وتنظر أُمى الى فى شفقة ليس فيها صفح ، وتقول :

— عادل مش حاخيفنك .. عادل لو شافنك حايلخلص عليكى ..

وتجرى دموعى فوق خدى واهمس :

— حرام عليكى يا ماما ..

بدوار .. واقفز من فراشى وأجرى الى أبى المشلول .. وألقى
بنفسى فوق صدره ، وأنا أصرخ فى فزع .. ويشوح أبى بذراعه
السليمة فى وجه أمى .. وعيناه تلمعان بكل ما بقى فيه من
قدرة على الغضب والسخط .. ويخرج من حلقه أصواتا ممقطة
كخوار ثور جريح على وشك أن يموت .. ثم لا يستطيع أن يفعل
أكثر من ذلك . وأمى تستطيع دائما أن تستعيدنى ، لتضعنى
تحت رحمة الأشباح البيضاء ..

وحالتى تسوء أكثر ..

هل يمكن أن يفعل بى الحب كل ذلك ؟ أم هو فعلا السحر ؟

لا أدرى .. لا أدرى .. لم أعد أستطيع أن أدرى شيئا ..

وقررت سيدات جمعية نور الهدى أن يستعن بالشيخة زين
لتبطل عمل السحر .. وجاءت الشيخة زين .. امرأة سمينة
قوية مزججة الحواجب . وجلست فى غرفتى تحرق البخور ،
وتقرأ تعاويذ لا التقط منها سوى بعض كلمات فارغة كأنها الهلوسة
.. ثم وضعت تحت راسى حجابا وأقسمت أنه يبطل السحر
ويجعلنى أكره عادل بعد ثلاثة مواعيد .

ثم بعد أيام عادت الشيخة زين ، وأعلنت أن حالتى تستدعى
أن تكتب التعاويذ على قشرة بيضة ، ثم تدفن البيضة فى قبر
مهجور ..

ودفعت أمى الثمن .. وطلبت من إحدى صديقاتها من أعضاء
جمعية نور الهدى أن تذهب بنفسها مع الشيخة زين لدفن البيضة
فى القبر المهجور ..

وبعد أيام أخرى ، عادت الشيخة زين لتعلن أنه يجب أن

أخطو فوق تراب يؤخذ من تحت رأس ميت ، لم يمض على موته
سوى ليلتين ..

وخطوت فوق التراب ..

ولكن ..

حالتى تسوء ..

وقرّر مجلس ادارة جمعية نور الهدى أن حالتى أكبر من قدرة
الشيخة زين .. وأن العمل الذى عملته لى طنط خديجة هاتم ،
لابد أنه عمل نصرانى ، فلا بد والحالة هذه من الاستعانة بالسنت
فيكتوريا ..

وكل هذه الاتفاقات والأحاديث كانت تدور بجانب فراشى ،
وأشترك فيها أحيانا .. وأصرخ فى وجوه الأشباح البيضاء :
— كل ده كلام فاضى .. أنا مش مؤمنه باللى بتعملوه ده
.. هاتولى دكتور كويس ..

وتردد احدى عضوات نور الهدى :

— كلام فاضى ازاي يا نوجا .. ده السحر جه فى القرآن ..
وترد أمى :

— هو أنا بخلت عليكى بالدكاترة .. أمال الأدوية المترصصة
جنبك دول بيقوا ايه ؟ ..

وتستمر الاجراءات ..

وجاءت الست فيكتوريا .. سيدة عجوز قبيحة الشكل ، ولكنها
خفيفة الدم .. لقد استطاعت أن تضحكنى .. وعندما ضحكت
اعتقدت أمى أن الست فيكتوريا سرها بائع ..

واستطلعت الست فيكتوريا حالتى ، وقررت أنها خطيرة ،
وأنها يستنظر أن تبيت ليلة معنا ، فى النصف الثانى من الشهر
العربى ، عندها يبدأ القمر فى التناقص .. ثم أخذت أحد أمشاط

— خلاص يا مدام .. كله حايبجي كويس ..
 ودفعت لها أمى عشرة جنيهات ..
 ربما دفعت أمى فى هذه الأيام نصف ما ادخرته للسحره
 والمشعوذين ..

كل ذلك لأكره عادل ..
 ولكنى لم أكرهه ..
 انى نى كل يوم أزداد الحاحا على أمى لتتصل به ، وتدعه
 يهاتفنى .. وأتوسل اليها أن تتركنا نتزوج ..
 وهى ترفض ، بحجة أن عادل لا يصلح لى .. وتكرر على
 مسامعى قصصا من فضائح عادل .. وتؤكد لى أنه لا يحبنى
 .. ويكفى أنه خدعنى ..

وفى يوم .. قالت لى وهى تنظر فى عيني :
 — اسمعى يا نوجا ، أنا حا اقول لك حاجه ما كنتش عايزه
 اقولها لك ، الا بعد أن تخفى .. أنا مضطرة اقولها ما دام مش
 راضيه تبطللى سيرة عادل ..

ورفعت اليها عينين متسائلتين ..
 واستطردت أمى قائلة ووجهها مصفح وعيناها واقفتان :
 — تعرفى عادل اللى بتحبيه ده كان عايز يمشى مع مين ؟
 وزفرت أنفاسى وقلت فى ضيق :

— مع مين ؟
 قالت فى صرامة :
 — مع بنت خالتك .. يعنى مع أختك ..
 وقفزت جالسة فى فراشى كأنى لدغت ، وصرخت :
 — كدابه .. ستين كدابه ..
 وقالت أمى فى قسوة :

شعرى وحفرت عليه بمسمار بعض الرموز .. وأوصتنى أن
 أمشط به شعرى كل يوم سبع مرات .. وحرصت أمى على أن
 تنفذ هذه التعليمات بدقة .. كانت هى التى تمشطنى بالمشط
 سبع مرات فى اليوم ..

وفى النصف الثانى من الشهر العربى عادت اليها الست
 فيكتوريا ساعة الغروب .. وجلست معنا ، وأنا ، تروى
 لنا أسرار العائلات التى استعانت بها فى طرد السحر ، أو فى
 عمل السحر .. وكانت تذكر العائلات بأسمائها .. وبوقاحة ..
 وأمى تستزيدها وأذناها منتصبتان ، جائعتان الى التفاصيل ..
 وأنا أغفو وأصحو لأجد الست فيكتوريا لا تزال تتحدث ، وأذنا
 أمى منتصبتان ..

وفتحت عيني فجأة بعد منتصف الليل فرايت الست فيكتوريا
 تلخع ثيابها .. خلعتها كلها .. أصبحت عارية كما ولدتها أمها ..
 ثم أمسكت بشمعة وأوقدتها .. ثم خرجت الى الشرفة ، وأغلقت
 بابها وراءها .. وأمى تنظر اليها فى وقار وتقديس كأنها شى
 محراب الشيطان ..
 وهمست فى ذعر :

— الحقى الست المجنونه دى يا ماما .. أحسن حد
 يشوفها ..

وردت أمى فى صوت يهزه التقديس :
 — ما حدش يقدر يشوفها دلوقتى يا بنتى .. دى دلوقت مع
 الملائكة ..

وظلت الست فيكتوريا فى الشرفة الى أن بدأت خيوط الفجر
 تشق الليل ، ففتحت الباب وعادت اليها .. عارية .. وبثيابا
 الشمعة مطفأة فى يدها .. وقالت وهى تبتمس فى مرح :

فأنتى بادر على شغل ، فادانى نمره تليفون ، وطلب منى
 من نلمه ووعدى انه يشغلنى فى الشركة بتاعته .. انما الحقيقه
 السنريحتش للطريقه اللى كلمنى بيها ، خصوصا انه ادانى
 نمره التليفون وأنا خارجه ومن غير ما حد يشوفه .. وماقلدلكيش
 .. قلت خليه هو يقول لك .. انما يظهر انه ما تليكش
 لك نفايه دلوقت ما تعرفيش ..

وقلت وأنا أشعر بصلوعى تضغط على قلبى :

— وبعدين ..

وعادت تنظر الى أمى وأمها ثم قالت :

— اتصلت بيه بعد شهرين .. وطلب انه يقابلنى .. ادانى
 بعد على باب الشركة ..

وصرخت :

— ورحتى ..

وقالت سميره :

— رحى .. كنت فاكراه انك عارفه .. انه تالك .. ولقيته
 سنينى على باب الشركة .. وأول ما شافنى راح واخذنى من
 شى ، ونده تاكسى .. قلت له ، على فين يا عادل .. قال لى
 سنى ، مالكىش دعوه .. واخذنى على شقه فى العجوزه ..
 وصرخت :

— كدابه .. كدابه .. مش ممكن .. مستحيل .. انتم كلكم
 سادبوا على .. عايزنى أكرهه .. عايزنى أسيبه .. مش حاكرهه
 .. ومش حاسيبه ..

وقالت سميره :

— على كل حال أنا من يومها ما شفتوش .. ولو انه جه
 أنا فى الوايليه أكثر من مره .. ساعات يطلع يسلم علينا ..

— طيب أنا حابعت اجيب أختك . وتقول لك بنفسها
 كل حاجه ، علشان تعرفى اذا كنت كدابه ولا انتى اللى عبيطه ..
 وانهمرت دموعى .. وعدت أصرخ .. وأنا أشد فى شعرى .
 وأضرب الوساده بيدي :

— كدابه .. كدابه .. انتى بتكرهيه .. وعايزانى أكرهه
 .. أنتى أمرن عليكى انى أموت من انى أتجوزه .. خلاص
 حاموت .. حاموت .. حاموت علشان خاطرک .. علشان
 ..

ولم تتأثر أمى ..

وأرسلت الخادمة الى الوايليه لتستدعى خالتى — أى لى
 الحثيثيه — ومعها أختى .

أختى تكبرنى بعام واحد .. وهى جميله .. ربما كانت
 أجمل منى .. وتبدو فعلا أجمل منى رغم الضيق الذى تعيش
 فيه ..

ونشبت بيد أختى . وقلت لها ودموعى فوق خدى :

— وحياتى عندك يا سميره .. قولى لى .. عادل عاكسك
 .. كان عايز منك حاجه ..

ونظرت سميره الى أمى .. والى أمها .. وترددت .. وترددت
 طويلا .. الى أن قالت خالتى ورموشها ترتعش فوق عينيها :

— ما بلاش السيريه دى يا نوجا .. انتى فى ايه وأتلا فى
 ايه ..

وقالت أمى كأنها تملى ارادتها :

— لا .. خليها تقول ..

وقالت سميره وهى تتلعثم :

— الحقيقه انه السنه اللى فاتت لما شافنى عندكم هنا ،

ولم أعد أحتفل أكثر من ذلك .. خطفت السماعه من يد
 .. مرة ، وقلت وأنا أضغط بيدي الأخرى على قلبى المطعون :
 — كده برضه يا عادل .. كده .. كده برضه .. كده ..
 وسقطت السماعه من يدي ، وأنا أسمع صرخته :
 — نوجا .. نوجا ..
 وانطلقت أمى السماعه التى سقطت من يدي فوق السرير ،
 .. منها الى مكانها ..
 وارتببت فوق فراشى ورأسى يدور ، ونى معدتى ألم حاد
 .. وكان آخر ما سمعته خالتى — أمى الحقيقية — وهى تقول :
 — والنبي ده حرام عليكم ..
 ثم غبت عن الوعى ..
 وقد عرفت فيما بعد .. بعد أكثر من ثلاث سنوات .. أن كل
 .. لم يكن سوى تمثيلية ألفتها أمى ، واشتركت فى تمثيلها أختى
 .. بعد أن اقنعتها أمى بأن عادل لا يصلح لى ، وأنه
 .. وعرفت أن عادل كان يتردد فعلا على بيت خالتى .
 .. نيسأل عن أخبارى ، يحاول أن يوسط أمى الحقيقية فى
 .. لا ليغازل أختى ..
 .. ولكن أيامها صدقت ..
 .. صدقت أن عادل، حاول أن يكون على علاقة مع أختى ..
 .. وانهرت ..
 .. انهرت كلى ..
 .. واشند بى المرض الذى لا أجده دواء .. لم أعد أستطيع أن
 .. نى على قدمى .. ووجهى أصفر يميل الى الأخضرار .. وكلما
 .. نظرت فى المرآة ، بكيت ..
 .. وقد حاول عادل فى هذه الفترة أن يتصل بى فى التليفون ،

وساعات يستنى قدام البيت لغاية ما انزل : ويمشى معايا ..
 وغلبت أنصحه .. وأفهمه ..
 وعدت أصرخ :
 — كدانه .. مش حاصدق .. مش حاصدق ..
 وقالت أمى كأنها القدر الغاضب :
 — اذا ما كنتيش مصدقه ، خليا تكلمه بالتليفون قدامك ..
 ثم جذبت آلة التليفون ووضعتها أمام سميرة ، واستطردت :
 — خدى كلميه .. علشان تعرف انها عبيطه ومضحوك
 عليها ..
 وخالتى — أمى الحقيقية — فى ركن من الغرفة ، تبكى بدموع
 صامته ..
 ورفعت أختى سميرة سماعه التليفون بيد مرتعشة .. وأدارت
 الرقم بأصبع أكثر ارتعاشا .. ثم جذبتها أمى ، ووضعت رأسها
 بجانب رأسى حتى أسمع كل ما يقوله عادل ..
 وما كاد عادل يسمع صوت سميرة ، حتى صاح .. كأنه
 يعرف صوتها من ألف صوت :
 — سميرة .. ازيك .. ايه أخبارك ؟
 وقالت سميرة ، وهى تقرب السماعه من أذنى :
 — ما عنديش أخبار يا عادل ..
 وقال عادل فى حماس :
 — وحاشوفك امتى ؟
 وقالت سميرة وهى تنظر فى وجهى :
 — مش حاقدر يا عادل .. بلاش نشوف بعض أحسن ..
 وقال عادل كأنه صدم :
 — ليه يا سميره .. احنا مش اتفقنا .. و ..

.. ان يكون لرجل آخر .. أبدا .. ان مجرد الفكرة تخفف
..

رأى لا تبخل على علاجى ..

السحرة والدجالون لا ينقطعون عن البيت ..

والأطباء ..

وقد أشار أحدهم بضرورة اجراء عملية المصران الأعور ..
وشرحت برأيه .. كنت أريد ان يحدث لى أى شىء يلهينى عن
.. انى .. ان أنتقل من هذا البيت .. وأدخل مستشفى ..
.. أنيب تحت البنج .. ويفتح بطنى .. وأجد نوعا آخر من الألم
الذى يضيق به صدرى .. والمرضات .. وباقات الزهور ..
.. الاهتمام الذى يحيط بى .. كل ذلك قد يلهينى عن عذابى ..
ولكن أمى ترددت فى اجراء العملية ..

تخاف على من شق بطنى .. رغم أنها لم تخف على من شق
..

وكانت قد سمعت فى هذه الأثناء عن هاشم .. أقصد
الدكتور هاشم عبد اللطيف .. سمعت عنه ، وعن معجزاته ،
من شير من العائلات الكبيرة التى تعرفها وتتودد اليها .. فقررت
ان تستدعيه ليقول رأيه قبل اجراء العملية .. ولم يكن استدعاء
الدكتور هاشم سهلا .. انه دائما مشغول .. ومواعيده تحجز
قبالها بأسبوع أو أسبوعين ... ولكن أمى لا تعجز .. لقد
استطاعت ان تصل الى عائلة صديقة لعائلة الدكتور هاشم ،
.. استطاعت ان تحدد معه موعدا لزيارتى عن طريق أخته ..

وجاء هاشم بيتنا ..

رأته لأول مرة ..

ولكنى كنت أرفض ان أرد عليه .. . كانت أمى تحمل الى آلة
التليفون عندما يتحدث عادل ، وتقول لى وعينها فى عينى كأنها
تحاول ان تسلب ارادتى :

— عادل ...

وأهز رأسى فوق الوسادة ، وأقول بصوتى الضعيف المنطلق
من تحت اثقال قلبى :

— مشش عايزه أكلمه .. مشش عايزه اسمع صوته ..
ولا سيرته ..

وتلمع عينا أمى بالنصر ، وتقول فى سماعه التليفون :

— أسفه يا عادل يا ابنى .. نوجا تعبانه ، مشش قادره
تتكلم ..

ويئس عادل وسافر الى الكويت ليتسلم عمله الجديد ..
وأرسل من هناك أكثر من خطاب .. لم يصلنى أى منها .. كانت
أمى تستولى عليها وتخفيها عنى ..

وانا بنهارة ..

أحس أنى تيتمت .. كل قطعة منى أصبحت يتيمة .. كل
قطعة فقدت أباهما الذى رباها وكبرت فى أحضانه .. شفتاى
يتيمتان .. نهداى يتيمان .. عنقى يتيم .. كل قطعة منى لا تدرى
مصيرها بعد ان فقدت عائلها .. كل قطعة لمستها عادل تبكى
لمسته ، كل قطعة سقاها بنظرته تبكى نظرتة .. واحساسى
باليتيم يذينى .. والحيرة تمزقنى . الحيرة فى تصور مستقبلى ..
لم أكن أتصور أبدا ان يكون فى حياتى رجل آخر .. رجل يقبلنى
كما كان يقبلنى عادل .. ويلمسنى كما كان عادل يلمسنى ..
ويعيش نى قلبى كما كان عادل يعيش فى قلبى .. مستحيل ..

وترددت أمتى قليلا .. لم تكن تريد أن تتركنى وحدى مع الدكتور .. ولم تستطع أن تهمل طلب الدكتور للقهوة ولأول مرة .. من أن شخصية أمتى تهتز كأن شخصية أخرى على وشك أن .. معها .. ثم خرجت لتأمر باعداد القهوة للدكتور ، وعادت .. مرة .. لتقف بجانبى ..

وأخرج هاشم مفكرة صغيرة من جيبه ، وشد من جانبها قلما أيقا رفيفا ، وأخذ يسألنى عشرات الأسئلة .. ويسجلها .. ثم أعاد المفكرة الى جيبه .. وبدأ يفحصنى .. وقد عقد ما بين .. اجيبه ، كأنه يركز ذهنه كله فى أصابعه التى يتحسسنى بها .. وأصابعه رقيقة حائية مهذبة ، خيل الى أن الألم يهرب من تحتها .. كلما لمس قطعة منى أحس أنها شفيت ، وأحترار ماذا أقول له .. انى أذكر أن الألم كان هنا ، ولكنى الآن لا أشعر به .. وصمت ذبير يحيط بنا وهو يفحصنى .. البيت كله صامت فى خشوع .. وأمتى تكاد تجبس أنفاسها .. بل خيل الى أن حى انجيزة كله قد صمت ، هاشم يفحصنى ..

وانتهى هاشم من فحصى ، ونظر الى طويلا ، كأنه حائر فى .. ثم أخذ يقلب فى روثات الأطباء الذين سبقوه فى الكشف على .. ثم هز رأسه وقال كأنه اتخذ قراره ، وابتسامته تملأ شفثيه :

— أقول لك حاجة بس ما تزعليش ؟

ورفعت اليه عينين متسائلتين .. واستطرد قائلا :

— انتى ما عندكيش حاجة .. كل حته فيكى سنيمة وزى اليمب .. كل اللى عندك تقلصات شديده فى المصارين وفى المعدة ، وفى عضلات الصدر .. نتيجة أزمة عصبية .. وضعيفة ..

عيناه الواسعتان الطيبتان .. وجفناه المنتفخان كأنه يحمل تحتها بلسما يكفى لشفاء الناس كلهم .. وأنفه الكبير الصامت كأنه ينوء بعبقريته .. وشفثاه المتسمتان دائما كأنه يمسح بابتسامته آلام مرضاه .. وشعرات بيضاء منتثرة فوق رأسه كأنها بريق ذكائه .. ورائحته نظيفة تفوح منه كأنها رائحة الهواء النقى ..

انه شخصية ..

شخصية ملأت البيت كله ..

ان شخصيته أراحت أعصابى وأطلقت ابتسامتى بمجرد أن رأيته ..

وجذب هاشم مقعدا وجلس بجانب الفراش ببساطة كأنه صديق قديم ، وقال وهو يبتسم وينظر فى عينى ليختبر صفاء بياضهما :

— ازيك يا حلوه .. مش عيب تعيبى وتزعلنى ماما بالشكل ده ..

وقلت وأنا أتأوه :

— أنا تعبانه يا دكتور .. تعبانه .. حاسه أنى مخنوقه .. و ..

وقاطعنى وهو يبتسم فى وجهى :

— حانشوف دلوقتى ..

وقالت أمتى وهى واقفة عند رأس السرير :

— اعمل لك قهوه يا دكتور ..

وقال هاشم بسرعة دون أن يلتفت اليها :

— مضبوط من فضلك .. بس ما تجيبهاش دلوقت ..

بعدين ..

ونظرت إليه كأنه كشف سرى ، وقلت :

— بس أنا تعبانه قوى يا دكتور .
وقال مبتسما :

— عارف .. الأعصاب بتتعب ، أكثر من المرض العضوى ..
وأنا حاكتب لك على دوا مقوى ، ودوا يريح أعصابك ..
إنما الدوا مش كفايه ، لازم انتى تساعدى نفسك ..
وقالت أمى :

— يعنى ما تعملش عملية الأعور يا دكتور ؟ ..

— هى ما عندهاش الأعور .. إنما لو حبت تعمل عليه
علشان تتسلى ، مافيش مانع .. بس مش دلوقتى .. بعد
ما تتقوى ..

ونظرت إليه مرة ثانية كأنه قرأ ما فى رأسى ، وقلت :

— وأساعد نفسى ازاي ؟ ..

ونظر فى ساعته ، ثم ابتسم لى كأنه يربت بابتسامته على
خدى ، وقال :

— أنا قدامى ربع ساعه أندر أشرب فيها القهوة ، واشتغل
لك دكتور نفسانى .. احكىلى ..

وقلت وأنا أنظر الى وجهه كأنى أبحث عن مكان أستريح
فيه :

— احكىلك ايه ؟ ..

قال فى هدوء :

— احكىلى عن آخر حاجة زعلتك ..

ونظرت الى أمى متسائلة ..

وتبع نظراتى ، ثم قال :

— بلاش ماما تقعد معنا .. عن اذنك يا هانم سيبينى مع
أبوى .. رابعى لى القهوة ..

كان هاشم يتكلم ببساطة مذهلة ، رقيقة ، مهذبة ، كأنه
أخى وصاحب حق على .. ولم تستطع أمى أن تقاوم بساطته
سردت برهة ، ونظرت الى ، ثم نظرت إليه ، وقالت وهى تخرج
من الغرفة :

— طيب يا دكتور .. بس على الله يكون الشفا على ايديك ..
وبقيت معه وحدى ..

وأحسست بالحرج ..

لا أدري لماذا ..

واحتريت ماذا أقول له .. احتريت من أين أبدا .. ونظر الى
وابتسامته لا تزال تربت على خدى ، وقال :

— تحبى أساعدك .. انتى يا ستى بتحبنى واحد .. وبعدين
.. كملى انتى بأه ..

وقلت وأنا أرخى أهدابى فوق عيني :

— ما كانش حبيبي بس .. كان خطيبي .. اتخطبت له من
خمس سنين .. كان عندى اثنا عشر سنة .. و ..

وبدأت أروى له القصة كلها .

رويت له كثيرا من التفاصيل .. تفاصيل صغيرة لا تهمة
وليس لها أثر فى حياتى .. ولكنى كنت أختزن الكلام طول عمري ،
فانطلقت أفرغ كل طاقتى على الكلام .. ولا أريد أن أنتهى ..
وكلما تكلمت أكثر ، استرحت أكثر .. وهو يستمع فى هدوء ،
وحسب ، واهتمام ، كأن قصتى تعنيه فعلا ..

أخفيت عنه أنى ابنة متبناة ..

وأخفيت عنه أنى لست عذراء ..

وأخفيت عنه أيضا أن عادل كان يغازل أختى ..

لقد حاولت إلا أخفى عنه شيئا .. ولكنى لم أستطع ..
لا لعدم ثقتى به .. فقد أعطيته كل ثقتى ، ولكن لأنى أحسست
بالخجل .. لم أرد أن أبدو أمامه بشيء يثيبنى .. ربما لأنى
أحسست منذ اليوم الأول أن هاشم بالنسبة لى لا يمكن أن يكون
مجرد طبيب .

وقلت بعد أن تعبت من الكلام :

— أنا حيرانه يا دكتور مش عارفه حااعمل ايه .

ونظر الى كأنه يمسح آلامى برموش عينيه ، وقال :

— ما حدش حايقدر يقول لك تعملى ايه .. لأن ما حدش
يقدر يحس باللى انتى حاسه بيه .. يعنى أنا عارف دلوقتى انك
بتحبنى عادل .. انما ما اقدرش أعرف انتى بتحبيه قد ايه ..
وما اقدرش أعرف الحب ده يستحمل ايه وما يستحملش ايه ..
لا أنا .. ولا مامتك .. ولا حد فى الدنيا يقدر يعرف .. انتى
لوحدك اللى تقدرى تعرفى ، وانتى لوحدك اللى تقدرى تاخذى
قرار ..

قلت وأنا انظر اليه مبهورة به :

— بس أنا حيرانه يا دكتور .. مش قادره آخذ قرار ..

ونظر الى كأنه يفحصنى من جديد ، وقال :

— الحيرة بين عقلك وقلبك .. يمكن بتحبيه انما مش مقتنعه

بيه ..

قلت :

— وممكن الواحده تحب من غير ما نقتنع ؟

قال :

— ممكن .. ويبقى حب مشوه .. زى المولود اللى يتولد

من غير عقل .. يعيش طول عمره معتوه ..

قلت وعيناي سارحتان وراء خيال عادل :

— الحقيقة أنا مش مقتنعه بيه قوى .. اصله شقى ..

وبنه زايغه ..

روضع الدكتور هاشم فنجال القهوة من يده ، وقال :

— المهم انك تاخذى قرار .. تاخديه بقلبك وبعتلك .. ويوم

ما تاخذى القرار ده ما تخليش حاجه تقف فى سكتك .. اذا

مررت انك تتجوزيه اتجوزيه مهما حصل .. واذا قررت انك

سيبيه ، سيبيه مهما حصل برضه ..

قلت كأنى أتشبت به حتى لا يتركنى :

— والألم اللى باحس بيه يا دكتور ؟

قال :

— كله من أعصابك .. أى صدمة عاطفية بتأثر على الأعصاب

.. وأكثر حته بتأثر فيها الأعصاب هى الجهاز الهضمى ، ومنطقة

الصدر .. ودول اللى بتتألى منهم .. والدوا اللى كتبتكك لك

حايرخى أعصابك .. وينيمك كويس .. انما زى ما قلت لك ..

مش كفايه .. لازم تواجهى مشكلتك ، وتحليها .. خدى قرار ..

واستحملى نتيجه .. وأول حاجه تعملها دلوقتى ، انك تقومى

من السرير ..

وقام واقفا ..

وبسرعة مد يده الى غطاء السرير وجذبه من فوقى ، وقال

وهو بيتسم :

— قومى قدامى لما أتشوف ..

ومددت يدي بسرعة أجدب قميص نومى فوق ساقى .. وأنا

أحس بدمايى تجرى بسرعة فى عروقى وتزدحم فى وجتى ..
وقلت هامسة :

— مثن قادره يا دكتور ..

وقال فى لهجة أمرة :

— لا .. تقدرى .. واندهى لماما علشان تفرح بيكى ..
ورفعت صوتى الضعيف أنادى أمى :

— ماما .. ماما ..

وكانت أمى بجانب الباب .. ربما سمعت كل كلمة قلتها
للدكتور .. ودخلت قبل أن يضيع صدى ندائى . وقال لها هاشم :
— نجوى حاتقوم من السرير .. ومثن عايزها ترقد فيه
تانى الا لما تحب تنام .

ومدت أمى ذراعها لتعيننى على مغادرة الفراش ..
وقال هاشم فى لهجة أمرة :

— سيبها تقوم لوحدها ..

وشدت أمى ذراعها بعيدا عنى كأن أمر هاشم قد سرى
فيه ..
وقمت من الفراش ..

كان قد مضى على أكثر من شهر وأنا راقدة .. وأحسست
بقدمى وهما تلمسان الأرض ، كأنهما تسقطان على شوك ..
وشعرت بدوار .. كدت أقع .. فسندتنى أمى ، وأخذتنى فى
صدرها .. وعاد هاشم يقول بلهجته الأمرة :

— قعدىيا على الكرسي .

وأجلستنى أمى على المقعد الذى كان يجلس عليه هاشم ..
وجلس هاشم على حافة السرير .. وقرب وجهه من وجهى ،
وقال :

— اسمعى يا نجوى .. انتى ضعيفه .. ضعيفه قوى ..
.. ما تتقوى انتى معرضه لحاجات كثير .. ولازم تاخذى
.. منك من نفسك كويس .. أنا ماقدرش أعالجك من غير
.. أساعدينى .. كلى كويس .. ونامى كويس .. واضحكى ..
.. أخرجى من البيت أول ما تحسى أنك تقدرى تخرجى .. اتفسحى
.. وشمى هواء ..

وهزرت رأسى قائلة فى ضعف :

— حاضر ..

والتفت الى أمى قائلا :

— أرجوكى يا هانم .. ما تخليش نجوى تقعد لوحدها ..
.. انا لها صاحباتها .. والننى بتحبهم .. واعملى لها كل حاجة هى
.. ايزاها ..

سم عاد الى وقال ضاحكا :

— لو ما كنتش دكتور .. كنت قلت لك اعملى زار ..

وتالت أمى وقد تهلل وجهها :

— والننى دى الست سكينه قالت نفس الكلام .. ووصفت
.. الزار ..

وقال هاشم وهو لا يزال يضحك :

— ما تصدقش الست سكينه ..

ثم عاد الى قائلا :

— بدل الزار روحى ارتقى واسمعى مزيكه .. انتى بتحسى
.. البيت !

وهزرت رأسى بالإيجاب وأنا أحس بدمايى تعود وتزدحم
.. بجنسى .. وقالت أمى :

— دى طول النهار والليل فاتحه الراديو على آخره ..

.. بدأت آلاف الذكريات تدهمني .. وأتذكر أنى لست عذراء
.. وأتذكر أن عادل غازل أختى .. وأتذكر أنى لن أتزوجه ..
.. وأتذكر أنى معرضة لرجل آخر فى حياتى .. وبدأت أعصابى
.. من جديد .. وعضلات صدرى تنقبض وتؤلنى .. ومعديتى
.. كأن يدا قاسية تعصرها .. ورأسى يلتهب كالنار ..

واليوم التالى ..

واليوم الثالث ..

وأنا أتالم .. أتعذب .. الاحساس بالاختناق يعاودنى ..

وصرخت فى أمى :

— ابعتى هاتيلى الدكتور هاشم .. كلميه فى التليفون

داووقتى ..

ونظرت الى أمى وقالت :

— ولازمته ايه بس الدكتور ..

وصرخت :

— ما هو يا تجيبيلى الدكتور هاشم ، يا تجيبيلى عادل ..

وامتألت عينا أمى بالدهشة ..

ولم أكن أقصد شيئا ..

أمى فهمت أشياء لم أقصدها فى هذه الأيام ..

ربما لمحت فى عينى ، مستقبلى ..

كانت أمى مستعدة أن تفعل أى شىء لتبعد عنى شبح عادل ،

فاستدعت لى الدكتور هاشم مرة ثانية .. وقد دهش هاشم

عندما طلبته أمى فى التليفون .. كان متأكدا أن حالتى لا تستدعى

أن يعود لزيارتى .. ورغم ذلك استسلم للاحاح أمى ، وجاء ..

وانتظرته كائى على موعد معه .. ليس موعدا مع طبيب ،

اكن موعدا مع رجل .. غيرت قمص نومى ، وارتديت قميصا

وقال هاشم ضاحكا :

— خليه مفتوح على آخره ..

ثم مد يده الى وهو محتفظ بيدي فى يده :

— خلاص يا نجوى .. توعدينى أنك تعالجي نفسك .. وأنا

أوعدك أنك لو خففى نفسك حا اشغلك معايا دكتور هاشم ..

تخففى كل الناس ..

وتركنا هاشم ..

تركنا بعد أن ملأ البيت حياة .. وملأنى تصميما على أن

أخلص من الحالة التى أعانيها .. وقالت أمى بعد أن أوصلته

الى الباب وعادت الى :

— ده باين عليه دكتور شاطر قوى .. على طول عرف

الى فيكى .. والنبي كان حقنا خليناه يكشف على أبوكى بالمره ..

وقلت وأنا ساهمة وراء هاشم :

— المره الجايه ..

وقالت أمى وهى تنظر فى وجهى كأنها لا تفهمنى :

— المره الجايه ليه بأه .. الراجل قالك أنك ما فيكيش حاجه

.. بس تقوى ، وتنسى الحكايات اللى فى مخك .. واللا يعنى

لغاويه تغرمينى خمسه جنيه كمان ..

قلت وأنا لازلت ساهمة :

— ده يستاهل عشره ..

وقد ارتحت يومها فعلا .. أحسست بأنى أزحت عن صدرى

حملا ثقيل .. واستطعت أن أنسى عادل لساعات طويلة .. ثم

نمت نوما عميقا بعد أن تناولت حبة من حبوب « الليبرم » التى

وصفها لى الدكتور هاشم ..

ولكنى فى اليوم التالى بدأت أضعف من جديد أمام قصتى مع

وقال هاشم ضاحكا :

— خليه مفتوح على اخره ..

ثم مد يده الى وهو محتفظ بيدي في يده :

— خلاص يا نجوى .. توعديني انك تعالجي نفسك .. وانا
اوعدك انك لو خففتي نفسك حا اشغلك معايا دكتوراه علشان

تخففي كل الناس ..

وتركنا هاشم .

تركنا بعد ان ملأ البيت حياة .. وملأني تصميما على ان
أتخلص من الحالة التي أعانيها .. وقالت أمي بعد ان أوصلته
الى الباب وعادت الى :

— ده باين عليه دكتور شاطر قوى .. على طول عرف
الى فيكى .. والنبي كان حقنا خليفاه يكشف على أبوكى بالمره ..

وقلت وأنا ساهمة وراء هاشم :

— المره الجايه ..

وقالت أمي وهى تنظر فى وجهى كأنها لا تفهمنى :

— المره الجايه ليه بأه .. الراجل قالك انك ما فيكيش حاجه
.. بس تقوى ، وتنسى الحكايات اللى فى مخك .. والا يعنى

لغاويه تغرمينى خمسه جنيه كمان ..

قلت وأنا لازلت ساهمة :

— ده يستاهل عشره ..

وقد ارتحت يوما فعلا .. أحسست بأنى أزحت عن صدرى
حملا ثقيلًا .. واستطعت أن أنسى عادل لساعات طويلة .. ثم
نمت نوما عميقا بعد أن تناولت حبة من حبوب « الليبرم » التى
وصفها لى الدكتور هاشم ..

ولكننى فى اليوم التالى بدأت أضعف من جديد أمام قصتى مع

عادل .. بدأت آلاف الذكريات تدهمنى .. وأتذكر أنى لست عذراء
.. وأتذكر أن عادل غازل أختى .. وأتذكر أنى لن أتزوجه ..
وأتذكر أنى معرضة لرجل آخر فى حياتى .. وبدأت أعصابى
تتلف من جديد .. وعضلات صدرى تنقبض وتؤلنى .. ومعدتى
تتقبض كأن يدا قاسية تعصرها .. ورأسى يلتهب كالنار ..

واليوم التالى ..

واليوم الثالث ..

وأنا أتالم .. أتعذب .. الاحساس بالاختناق يعاودنى ..

وصرخت فى أمى :

— ابعثى هاتيلى الدكتور هاشم .. كلميه فى التليفون

دلوقتى ..

ونظرت الى أمى وقالت :

— ولازمته ايه بس الدكتور ..

وصرخت :

— ما هو يا تجيبيلى الدكتور هاشم ، يا تجيبيلى عادل ..

وامتألت عينا أمى بالدهشة ..

ولم أكن أقصد شيئا ..

أمى فهمت أشياء لم أقصدها فى هذه الأيام ..

ربما لمحت فى عينى ، مستقبلى ..

كانت أمى مستعدة أن تفعل أى شىء لتبعد عنى شبح عادل ،

فاستدعت لى الدكتور هاشم مرة ثانية .. وقد دهش هاشم

عندما طلبته أمى فى التليفون .. كان متأكدا أن حالتى لا تستدعى

أن يعود لزيارتى .. ورغم ذلك استسلم للاح أمى ، وجاء ..

وانتظرته كأنى على موعد معه .. ليس موعدا مع طبيب ،

اكن موعدا مع رجل .. غيرت قميص نوى ، وارتديت قميصا

وتعلقت بعينييه كأتى أستجير بهما من عذابي ..
وقال وابتسامته تتسع لى :
— انتى لسه راقده يا نجوى .. أنا مش قلت لك تقومى من
السريير ..

وقلت وعيناي تتبعان عينيه :
— مش قادرة يا دكتور .. كل ما أقوم أحس بدرخه ..
وقال وهو يجلس على مقعده :
— انتى بتدلعى ..
وقلت كأتى أتأوه :

— أبدا والله يا دكتور .. صدقنى .. أنا تعبانه ..
وأمسك بيدي يعد نبضى .. وشد جفن عيني ليرى لونه ..
وأمى واقفة على رأس السريير ، تدير عينيها بيبي وبينه ،
كأنها تحاول أن تقرأ ما فى رأسى وما فى رأسه ..
وقال هاشم وابتسامته لا تزال تربت على خدى :
— مش بتنامى كويس بعد ما بتأخذى الدوا ..
قلت :

— بنام كويس .. بس باقوم من النوم زى المفزوعه ..
ومن أول ما أقوم من النوم باحس بالتعب .. ألم فى صدرى ،
والم فى معدتى ..

وقال وهو ينظر الىّ فى حنان كأتى ابنته :
— أنا مش حاكتشف عليكى تانى .. ومش حا اغير لك الدوا
.. لأنك لسه ما خديتهش
قلت كأتى أنفى عن نفسى تهمة :
— أبدا والله باخذ الدوا كل يوم ..
قال :

من « الفيللا » ، لونه فى لون الورد الفاتح ، طويل الأكمام ،
يغطى صدرى حتى رقبتى .. وطلبت من أمى أن تغير ملاءات
السريير .. فرشت ملاءات لونها أزرق سماوى .. ورقدت مستندة
نظهرى الى الوسائد .. وأمسكت فى يدي بمرأتى الصغيرة ،
وأخذت أمشط شعرى بالمشط المسحور الذى حفرت عليه الست
فيكتوريا رموزها السحرية .. ثم .. خرجت من صدرى تنهيدة
عميقة ساخنة .. كأنها شياطين قلبى .. ففى هذه اللحظة ، وأنا
أستعد للقاء هاشم تذكرت عادل .. لا شىء يمكن أن ينزع عادل
من قلبى حتى ولا هاشم ..

وكانت أمى ترتقب حركاتى .. وترقب كل نظرة فى عيني
.. وتبدو الدهشة على وجهها وهى ترى اهتمامى باستقبال
هاشم .. ثم تبتسم دون أن تعلق بشىء .. كأنها وجدت أخيرا
الدواء الذى يشفينى من عادل .. وقالت وابتسامتها تتعثر فى
وجهها المكرمش :

— نعمل ايه كمان يا نوجا .. مش تفتكرى نبعث نجيب
شوية شيكولاتة نقدم له منها ..
ورفعت اليها عيني غاضبتين وقلت :
— ما فيش لازمه ..

ثم أليقت بمرأتى الصغيرة جانبا كأتى خجلت لأن أمى كشفت
سرى ..
وجاء هاشم ..

الشعرات البيض فوق رأسه كأنها بريق ذكائه .. وعيناه
الطيبتان .. وجفناه المنتفختان كأنه يحمل تحتها بندسما يكفى
أشفاء البشر كلهم .. وابتسامته الهادئة التى يربت بها على خدى
.. ورائحة نظيفة تحيط به كأنها رائحة الهواء الطلق ..

— الدوا المهم انك تخرجى وتتفسحى وتضحكى ..
قلت :

— مش قادره يا دكتور .. ماليش نفس ..
ونظر الىّ فى حيرة .. وأحسست فجأة كانى أعذبه ..
أحسست كائن نادمة لانى اتعبه معى .. صعب علىّ فى حيرته ..
وقال وهو يتنهد :

— مش عارف أقول لك ايه يا نجوى .. حالتك مش ممكن
تحفى منها الا بارادتك .. انك تكونى قويه .. وزى ما قتلتك
.. تاخذى قرار وتصمى عليه مهما كانت الظروف .. ومهما
تعبت فيه ..

وأحنيت رأسى وقلت كانى أخاطب نفسى :
— أصل فيه حاجات ما قلتهاش لك ..
ورفعت رأسى ونظرت الىّ أمى قائلة :
— تسمحي تسييينا لوحدنا يا ماما ..

ونظرت أمى الىّ فى دهشة ، ولوم ، كأنها تؤنبى على
وقاحتى .. ثم التفتت الى هاشم وقالت كأنها تستر وقاحتى :

— تحب أعمل لك قهوه يا دكتور ؟
وقال هاشم وهو بيتسّم ابتسامة صغيرة :
— لو سمحت ..

وخرجت أمى .. وقبل أن تصل الى الباب التفتت الىّ ، ثم
التفتت الى هاشم .. كأنها توصيه بى ..
ونظر الىّ هاشم ينتظر منى أن أتكلم ..
وقلت وأنا أعبت بأصابعى فى ملاءة السرير :
— عايزة أقول حاجه لازم تعرفها علشان تعرف حالتى ..
وقال وهو بيتسّم لى كانى طفلة :

— خير ..

ورفعت اليه عينى كانى أعده بمفاجأة كبيرة ، وقلت :

— تعرف ان ماما دى ، ما تبقاش ماما ..

ورفع هاشم عينيه كانى فعلا فاجأته :

— ازاي ..

قلت بسرعة :

— دى تبقى خالتى ..

قال :

— ومامتك عايشه ..

قلت :

— أيوه .. انما فتحت عنيه لقيت نفسى عايشه مع خالتى ..

لقيت خالتى تبقى أمى ..

ومسح هاشم علامات الدهشة من فوق وجهه بابتسامته ،

وقال :

— وتفكرى لو كنتى عايشه مع مامتك ، كانت حياتك

اتغيرت ..

قلت :

— ما اعرفش .. أنا عمرى ما عشت مع ماما ..

وقال الدكتور هاشم وابتسامته تتسع :

— شوفى يا نجوى .. أنا مش حا اعالجك علاج نفسانى

.. مش لأن ده مش اختصاصى .. انما لأنك مش فى حاجه

لعلاج نفسى .. أنتى مش معقده .. أنتى قويه .. وشخصيتك

قويه .. وظروفك كلها واضحة قدامك .. كل ما هنالك انك

صدمت صدمة أثرت فى أعصابك ، وأعصابك أثرت على صحتك

.. وكل اللى لازم تعمليه دلوقتى انك تستردى صحتك .. وبعد

ما تسترديها أعصابك حاتستريح وتقدرى تحلى مشكلتك ..
تقدرى تاخذى قرار وتنفذه .. تقدرى تنسى عادل .. أو تقدرى
تهربى معاه .. تقدرى تعملى كل حاجة .

وقلت وعيناي معلقتان فى عينيه :

— ما أنا مش عارغه أعمل ايه .. حيرانه .. وحيرتى هي
اللى تعبانى ..

قال وهو ينظر الى فى حنان :

— بكره حا افوت عليكى الساعه أربعه ، واخذك انتى
وماما ، واخرجك من البيت ..
ونظرت اليه فى دهشة ..

ولكنى لم أصدم .. أحسست أن من حقّه أن يدعونى للخروج
معاه .. لقد دعانى ببساطة وقلب مفتوح .. أحسست أنه بالنسبة
لى أكثر من طبيب .. وكأنى أعرفه من زمن طويل .. كأنى
اكتشفته فى حياتى .. اكتشفت أنه كان دائما فى حياتى .. كأنه
أخى .. أو ابن عمى .. وفرحت بهذا الاكتشاف .. فرحت
فرحة كبيرة .. ودفعتنى فرحتى الى الاحساس بأنى شىء هام ..
شخصية متميزة الى حد أن الدكتور هاشم يهتم بى كل هذا
الاهتمام .. لا يمكن أن يكون هاشم يدعو كل مرضاه الى أن
يصحبهم فى نزهة .. أنا وحدى .. أنا شىء آخر .

وعادت أمى تحمل له فنجان القهوة ، وقال لها وعنى شفتيه
ابتسامه كبيرة :

— بكره يا هانم حا افوت عليكم الساعه أربعه .. واخذك
انت ونجوى نتفصح فى العريبه شويه ..

واتسعت عينا أمى ..

ثم استراحت عيناها ، ولعلت فوق شفيتها ابتسامه ضيقة ،
كأنها بدأت تفهم شيئا جديدا ..
وقالت :

— ده انت تعمل فينا جميل ما يتنسيش يا دكتور .. أصل
ما حدش قادر على نجوى أبدا .. دى مجننانى ..

وشدت مقعدا وجلست بجانب هاشم وهو يرشف القهوة ..
ولأمى طريقة عجيبة فى اكتساب صداقة الناس عندما تحتاج

الى صداقتهم .. انها تستطيع بسرعة أن تقتنعهم بأنها ضعيفة ،
وأنها حائرة ، وتثير الاحساس بأنها فى حاجة الى رجل يقف
بجانبها ويساعدها على مشاكلها .. لأنها سيده كبيرة وحيدة ،
والآن زوجها عجوز مشلول .. وبسرعة تستطيع أن تحمل من
تريد مسئوليتها ، ومسئولية مشاكلها .. وتشعره أنه أصبح
عضوا فى العائلة الصغيرة المكونة منها ، وأبى ، وأنا ..

واستطاعت بهذه الطريقة أن تكتسب صداقة هاشم .. وأن
ترفع الكلفة بينها وبينه .. واستطاعت أيضا أن تمد نسبيا بين
عائلتها وعائلته .. وأخذت تحدثه عن العائلات الكبيرة التى
تعرفها ، واحدة بعد أخرى ، حتى وصلت الى عائلته .. وبدأت
تستخرج منها أنسابا وفروعا الى أن فاجأته بأنها .. نسايب ! ..

وهاشم يستمع فى صبر ، وابتسامته بين شفتيه .. كأنه
جالس مع صديق على مقهى يقطع معه الوقت فى كلام فاضى
.. وينظر الى بين الحين والآخر ، نظرة ملؤها الطيبة والحنان
كأنه يثبت لى أنه لم ينشغل عنى بحديث أمى .. وبينى وبينه
ابتسامه كأننا متفقان على أن كلام أمى ، كلام فاضى ..

الى أن فاجأته أمى قائلة :

— انما قول لى يا دكتور ، انت ما تجوزتش لغاية دلوقتى

ليه ؟

بسرعة بسرعة ، وخيل الىّ أنى لمحت لمسة حمراء تطوف
بوجنتيه ..

وأتم هاشم فحص أبى ..

وأقر علاج الأطباء الذين سبقوه ..

وصافحنى وهو يقول مبتسما :

— بكره حا اشوفك يا نجوى .. وما ترجعيش السرير تانى

الا ساعة ما تيجى تنامى ..

ورفض أن يأخذ أتعابه ، وقال لأمى وهى تلح عليه :

— احنا خلاص بقينا عيله واحده ..

وخرج ..

وعينا أبى تبسمان خلفه ، وتهتهات خافتة تخرج من شفثيه

المسلولتين ، كأنه يباركه .. لقد أحبه أبى ..

وأنا واقفة كالمسطولة .. أحاسيس كثيرة تنتابنى ، لا أدرى

سببها ولا أدرى حقيقتها ..

ولم أعد الى فراشى ..

بقيت أدور فى البيت .. ولا أزال مسطولة .. وأجد نفسى

أفكر فى هاشم ، فأحس أنى سخيفة .. لا يمكن أن يتجه تفكيرى

اليه فى هذا الاتجاه ، لجرد أنه طبيب طيب القلب كل ما يحاوله أن

ينفذنى من أزمى ، ويساعدنى على أن أسترد صحتى .. ليس

من حقى أن أفسر تصرفاته بأكثر من هذا .. وأبعد هاشم عن

تفكيرى وأنصرف الى التفكير فى عادل .. خيل الى أنى أصبحت

أفكر فى عادل حتى لا أفكر فى هاشم .. وأصرخ فى أمى !

— وحياتى عندك .. انشاء الله تعدينى .. قولى لى الحقيقة

.. عادل ما بعثش جوابات ؟

وترد أمى وهى تتشاغل عن النظر فى عيني :

— ما بعثش ..

واحمر وجهى كأن أمى جرحتنى ..

لا أدرى لماذا .. ولكنى أحسست أن هذا السؤال يمسنى ،

ويجرحنى ..

وقال الدكتور هاشم ، وهو يضع فنجال القهوة من يده :

— يمكن ما لفتش لغاية دلوقتى اللى تقنعنى بالجواز ..

وقالت أمى :

— لا مالكتش حق يا دكتور .. ده ..

وقبل أن تتم كلامها قام هاشم واقفا وهو يقول :

— تستمحي لى يا هانم .. ميعاد العياده قرب ..

وفزعت أمى من فوق مقعدها قائلة :

— ده أنا كان نفسى تكشف على البية جوزى ..

ونظر هاشم فى ساعته وقال :

— حاضر ..

ثم التفت الىّ وعيناه مبتسمتان ، كأنه يقول لى أن كل ما يحدث

له من تحت رأسى ..

وصحبته أمى الى غرفة أبى ..

وسرحت قليلا ..

ثم فجأة وجدت نفسى أنزع الغطاء من فوقى وأجرى خلفهما

وأنا بقميص النوم حافية القدمين .. كأنى لم أكن أستطيع أن

تفوتنى لحظة أرى فيها هاشم .. وكأنى تخلصت من ضعفى

ومن ضيقى ، من ألم التقلص الذى كان يخلق كل قطعة من

جسدى ..

ورفع هاشم رأسه من فوق قلب أبى ، ورأتى واقفة أمامه

فابتسم ابتسامة كبيرة فرحة .. ثم رأتى فى قميص النوم مخفض

.. ويذكرنى بأحلامى .

وارتدت أُمى البالطو الأسود ، ووضعت فوق رأسها العمامة
أو « التيربون » الأسود . وهو الزى الذى تخرج به دائما ..
وارتديت أنا ثوبا أحمر .. أكمام طويلة وصدر مقنول .. لعل
اللون الأحمر يخفف من هزالى واصفرار وجهى ..

واختارت أُمى المتعد الخلفى ، قبل أن يختاره لها أحد ..

وتركتنى أجلس بجانب هاشم ..

وانتجنا الى طريق المعادى .. وهاشم يتحدث طول الطريق
.. ويحرص على أن يوزع الحديث بينى وبين أُمى ، بل كان يتعمد
أن يتجه بحديثه الى أُمى أكثر مما يتجه به الى .. كمظهر الأدبه ،
ورفته .. وكان مرحا ، منطلقا .. أضحكنى كثيرا .. نسيت فى
ضحكائى كل حيرتى فى أحاسيسى نحوه .. بل انه أضحك أُمى
أيضا ، التى لا تضحك الا نادرا ..

وفجأة انقطعت ضحكى ، كأنها اصطدمت بصخرة كبيرة
صرعتها ..

تذكرت شيئا ..

شيئا كان مركونا فى جانب عقلى ، ولم أشعر بأهميته أبدا
وانا أفكر فى عادل .. ولكنى الآن وأنا بجانب هاشم ، أشعر به
كبيرا بشعا كأنه شق مفتوح يمتد فى جسمى كله ، من أول عنق
الى قدمى ..

تذكرت انى لست عذراء ..

ماذا يعنى هذا ؟

لا شئ ..

لا شئ بالمره ..

لا شئ جديد يبدو على وجهى ، او على جسمى ..

وأعود أدور فى البيت .. افتح الراديو .. ثم أغلقه ..
وأفتح كتيبى المدرسية .. وأحاول أن أذاكر .. ثم ألقى بها على
مدى ذراعى .. ثم أجد نفسى أعود لأفكر فى هاشم .. وأشعر
بسخافتى .. وأشعر أنى أحلم بشئ لا يمكن أن يتحقق .. شئ
كبير .. شئ غال .. لا يمكن أن يكون من نصيبى ..

وأُمى ترقبى بعينين يقظتين كأنها تخنق كل حركة من
حركاتى ..

وأخذتنى فى حضنها فى المساء وأخذت تحدثنى عن الدكتور
هاشم .. حديثا يبدو عاديا .. ولكنى أعلم خبث أُمى .. انى
أفهبها جيدا ، كما تفهمنى جيدا .. انها تحاول أن تضع هاشم
فى قلبى مكان عادل .. وتثير به أحلامى .
وقالت :

— انها تفتكرى الدكتور هاشم عنده كام سنه ؟ ..

قلت وأنا أدير لها ظهري :

— ما اعرفش ..

قالت كأنها لن تكف عن الحديث عنه أبدا :

— ده راجل فى عزه .. ولا باين عليه سن .. وعيله ..

ومركز .. وغنى .. يا بخت اللى تتجوزه .

وتركتها تهرف ..

وتناولت حبة « الليبرم » وحاولت أن أنام ..

نمت نوما متقطعاً رغم « الليبرم » ..

وفى اليوم التالى ..

جاء هاشم ..

كنت أريده الا يجىء .. كنت أريد أن أقتنع نفسى بأن كل
ما تخيلته كان مجرد حلم ومضى .. ولكن الطبيب جاء لينتد مريضه

فلماذا أفصح نفسى ..

ثم ان هذا الموضوع ليس مشكلتى .. ان مشكلتى هى زواجى
من عادل فلماذا اطلع هاشم عليه .. وما يستطيع هاشم ان
ينصحنى به ..

ولكن لماذا أخفى هذا الموضوع بالذات عن هاشم .. ربما
لانى أخشى ان أسقط من عينه .. أخشى ان ينظر الى نظرة
جديدة .. نظرة الرجل الى فتاة ليست عذراء ..

ما هذا الهراء .. لماذا اتعب نفسى .. ثم من هو هاشم
بالنسبة لى .. انه لا شيء .. لا شيء .. مجرد طبيب طيب
القلب يعالجنى .. فلماذا أخلق فى حياتى مشكلة بسببه ..
ولماذا انقاد الى خيالات وأحلام ، ستبقى دائما مجرد خيالات
وأحلام ..

وزفرت أنفاسى فى ضيق ..

وسمعت صوت هاشم الملىء الكسول ، يقول لى :

— مالك .. سرحانه فى ايه ؟ ..

والتفت اليه وقلت وعلى شفتى ابتسامة مهتره :

— ولا حاجه ..

وقال وهو يبتسم فى اشفاق :

— انا عارف انتى سرحانه فى ايه ؟

وابتسمت ابتسامة مسكينة ..

وبعد قليل اوقف هاشم السيارة على كورنيش النيل ، وهو

يقول :

— ننزل نتمشى شويه ؟

ثم التفت الى وقال :

— علشان ما بيقاش لك حجه ..

تتغير مشيتى ، ولم تتغير رنة صوتى ، ولم يتغير منطق تفكيرى
... لا شىء حدث لى . لم اكن فتاة فاضلة ، واصبحت غير
فاضلة .. لم اكن فتاة صغيرة واصبحت كبيرة .. انى لا احس
باحساس المرأة .. لا اعرف ما هو احساس المرأة .. احساسى
الجسدى لم يتغير .. لا شىء .. لا شىء ..

ورغم ذلك فانى لا استطيع ان أقنع نفسى بانى لم أتغير .
ان احساسا جديدا يتأبى .. احساسى بانى فتاة ليست عذراء
.. أو هو احساسى بانى فتاة ناقصة .. لست كباقى البنات ..
ربما لم يعد من حقى ان ارتبط بهذه الارتباطات البريئة الساذجة
التي تجمع بين الأولاد والبنات .. لا يمكن ان تقوم بينى وبين
هاشم ، علاقة بريئة .. انى امرأة .. لست فتاة ..

ووجدت نفسى اطل من نافذة السيارة واتبع كل بنت المحها
فى الطريق .. واتساءل ، هل هى عذراء .. أم هى مثلى ..
وخيل الى فى لحظة ان كل البنات عذارى .. حتى السيدات
الكبار عذارى .. أنا .. أنا وحدى التى ليست عذراء ..

والتفت الى هاشم كأنى اهم ان أكتشف له عن سرى ..
مرت بى لحظة قررت فيها فعلا ان أصرح له بانى لست عذراء ..
ولكن لسانى تخشب فى حلقى ..

ولكن لماذا اصرح له ؟ ..

ان احدا لا يعلم سوى امى وعادل .. فان عادل لم يطلع
احدا على ما حدث بيننا ..

وامى تقول ان ما حدث لا يهم .. عملية صغيرة بسيطة ،
وأعود عذراء .

وبصرف النظر عن العملية ، فانى لم أفقد الأمل بعد فى زواجى
من عادل ..

ونزل من السيارة ..

وفتح الباب لأمي أولا .. ثم فتح الباب لى ..

ومشينا قليلا .. وأنا أشعر بأن التقلصات التي أعانى منها بدأت تذوب فعلا .. أشعر بعضلات صدري مرتاحة .. ومعدتى مرتاحة .. ورغم أن خطاى كانت مهترجة من ضغنى ، إلا أنى أتعب من المشى .. وصدري منشرح .. أصبحت كل مشكلتى متجمعة فى عقلى وحده ..

ووقف بنا هاشم يطل على النيل ..

وترددت أمى قليلا ثم قالت :

— انتم حا تقفوا .. طيب أنا حامشى شويه .. ألين ركبى ، دنا بفالى شهر ما خرجتس من البيت ..

وتركنا أمى ومشت وحدها ..

ولم تكن سلمة النية ..

انى أعرف أمى ..

لقد أردت أن تتركنى وحدى مع هاشم .. تعمدت أن تتركنى له .. حتى تقرب بيننا .. وربما خيل إليها فى هذه اللحظة أن هاشم سيصارحنى بحبه .. وأصارحه بحبى .. ويقبلنى وأقبله .. وينتهى موضوع عادل .. ويبدأ موضوع هاشم .. هذه هى طريقة تفكيرها .. انى أعرفها ..

واستند هاشم على سور الكورنيش ثم قفز جالسا على العمود الحجرى .. قفز فى رشاقة .. كأنه لا يزال فى العشرين من عمره ..

ووقفت بجانبه أكاد التصق به ، وأنا أحس بنفسى بجانبه صغيرة .. صغيرة .. لست صغيرة فى حجمى ، ولكن صغيرة فى شخصيتى ..

وأسفط هاشم نظراته فوقى ، وهو جالس أعلى منى ، كأنه يسقط على دشا من الحنان يغسل به قلبى .. ثم قال :

— خدتى قرار فى مشكلتك ؟

ورفعت اليه عينى ، وقلت :

— أبدا .. ليسه محتارة ..

قال :

— أنا عارف انه صعب .. ناس كثير بتحتار حيرتك ..

مشكلتك مشن مشكلتك انتى لوحدك .. مشكلة ناس كثير ..

ساعة ما القلب يبقى فى ناحية ، والعقل فى ناحية .. يبقى من الصعب ان الواحد يستريح ، أو ياخذ قرار ..

وخيل الى ساعتها أنه يتحدث عن نفسه ..

فى صوته رنة أسى وضيق ..

وقلت له وأنا أنظر فى عينيه أحاول أن اكتشف سره :

— لو كنت انت محلى يا دكتور .. كنت عملت ايه ..

وابتسم ابتسامة ساخرة ، يسخر بها من نفسه ، وقال :

— أنا محلك فعلا ..

قلت فى دهشة :

— ازاي ؟

قال وهو يشكو لى همه :

— أنا كمان باعرت واحد ومش مقتنع بيها .. بقالى ار

سنين باعرفها ، ولغاية دلوقت مش عارف أحدد موقفى منها ..

مش قادر أسيبها ، ومش قادر أفضل معاها .

قلت وقد أحسست فجأة أنى كبرت .. أصبحت أكبر منه

.. كأنى أمه . واحساس بالלהفة عليه ينتابنى :

— بتحبها ؟ !

قال وهو يلتفت برأسه الى النيل ، ويفرق نظره في مياهه ،
كأنه يحاول أن يكتشف أعماقه :

— مش عارف .. ساعات بيتهيألى انى باحبها ، يرجع عقلى
يقول لى انى مش ممكن أكون باحبها .. لما أكون بعيد عنها أبقي
عايز أشوفها ، ولما أكون معاها أبقي عايز أهرب منها .. مش
عارف .. مش عارف .. كل اللى أنا متأكد منه هو احساسى
بأنى مسئول عنها .. ويمكن ده الاحساس الوحيد اللى رابطنى
بيها ..

قلت له وعقلى يتخيل مختلف الصور :

— مسئول عنها ازاي ؟

قال :

— مسئول عن غلطى معاها .. مسئول عن أول يوم شفتها
فيه وخرجت معاها ، وضعت قدمها ..

وقفز الى ذهنى ما جرى بينى وبين عادل يوم ذهبت مع
عادل الى شقة أخيه .. يوم أصبحت بنتا ليست عذراء .. هل
حدث نفس الشيء بين هاشم وفتاته .. وقلت له ورموشى ترتعش
فوق عينى :

— هى بنت زى كده ؟

قال مبتسما :

— لا .. أكبر منك بسبع سنين .. وكانت متجوزه ومطلقة ..

واسترحت ..

لا أدري لماذا استرحت .. ربما لأنى كنت أريد أن احتفظ
لهاشم بمكانة أكبر من بقية الرجال بما فيهم عادل .. وقلت
وأنا أبتسم فى سذاجة ، محاولة أن أكون السيدة الكبيرة العاقلة
التي تحل له مشاكله :

— وما تتجوزهاش ليه .. يمكن أما تتجوزها تستريح ..
قال :

— مش ممكن .. الأنى مش مقتنع بيها .. زى ما انتى مش
مقتنعه بعادل ..

واخيت راسى وقلت :

— أنا كنت مقتنعة خالص بيه .. انما الحاجات اللى عرفتها
عنه طيرت اقتناعى .. وأهلى كمان مش موافقين .. كل أهلى ..
امى اللى عايشه معاها ، وأمى الثانية .. وأبويا اللى مرببىنى ،
وأبوبا الحقيقى .. كلهم .. كلهم .. ماحدث موافق أبدا ..
قال وهو يبتسم ابتسامته الهادئة :

— لو كنتى مقتنعة بيه ، كنت اتجوزته حتى لو كانوا أهلك
مش موافقين ..

قلت كأتى اخاطب نفسى :

— وسافر .. سافر الكويت ..

قال :

— برضه كنتى اتجوزته ..

وبقيت صامته ، وعقلى سارح ..

واستطرد :

— اللى عايز أقوله لك .. انك مش مظلومة .. ومش ضحية
.. ومامتك مش السبب .. لو كنتى انتى مقتنعة بانجواز ..
كان زمانك هربتى له .. كان زمانك كسرتى الدنيا علشان توصلى
له .. النهارده ما فيش بنت ما بتعملش اللى هى عايزاه خصوصا
فى مسألة الجواز .. وانتى قويه .. وذكيه .. مش ناقصك
حاجه .. لكن مش مقتنعه ..
هل هذا صحيح ..

لا أدري ..

ولكنى لا أحس بأنى أريد أن أهرب من بيتى ومن أمى لاتزوج عادل .. لقد أصبحت مترددة .. أصبحت أخاف من عادل .. لا أتق به .. انى فعلا غير مقتنعة به .. ولكن هل برئت من حبه .. لا .. لا أظن .. انه لا يزال يعيش فى قلبى .. ويعيش فى جسدى .. انه الرجل الوحيد الذى وهبته هذا الجسد .. ولا أستطيع ، حتى اليوم ، أن أتصور رجلا آخر يلمسنى .. ولم أتكلم .. بقيت صامته ..

وقال هاشم كأنه يرد على خواطرى :

— متهياً لى إن مش كل حب ينفع للجواز .. الجواز يعنى هدوء ، واستقرار ، وأولاد ، ومستقبل ، ومحتاج لحب يساعده كله .. إنما فيه حب مجنون ما يستحملش الاستقرار ، ما يقدرش عليه .. حب ناقص .. تعرفى أنا ما اتجوزتش الست الللى قلت لك عليها ليه .. لأنى مقدرتش أحترمها .. عمري ما أحترمها .. عمري ما حسيت إن عندها كرامة علشان أحترمها .. والحب الللى ينقص الاحترام ، مش ممكن ينفع للجواز ..

وقلت وأنا ساهمة :

— ده صحيح ..

ومرت بيننا فترة صمت ، وكل منا ينظر فى صفحة النهر الكبير ، كأنه يفرق فيه مشاكله .. وفجأة رفع هاشم رأسه ، كأن جرس منبه رن فى صدره .. ونظر فى ساعته .. وقال مبتسماً :

— ميعاد العيادة جه ..

ثم ضحك قائلاً :

— أحمدي ربنا انك ما حببتيش دكتور .. كان عكندن عليكى

من ساعه بالعيانين بتوعه ..

ورفعت اليه عينى وفيهما نظرة لوم .. ثم قلت وأنا أبعد عينى عن ابنته وابتسامه خجلة فوق شفتى :

— ليه .. فيه دكاتره كل البنات تتمنى تحبهم ..

وابتسم هاشم ..

وخطونا نحو السيارة ..

وفجأة وقفت ورفعت اليه وجهى ، وقلت فى رنة اصرار كأنى طفلة صغيرة مدللة :

— أقدر أعرف اسم البنت الللى بتحبتها ..

ورفع هاشم حاجبيه دهشة ، وأطلت ابتسامه حائرة من تحت أنفه الكبير ، وقال :

— ليه ..

قلت وأنا ابتسم :

— نفسى أعرف البنت الللى ممكن يحبها الدكتور هاشم يكون اسمها ايه .. أول اسمها بس ..

وتردد قليلاً ثم هز كتفيه ، وقال :

— اسمها أمينة ..

وأحسست انه اسم عادى ، لا يمكن أن يعبر عن شخصية متميزة يحبها الدكتور هاشم ، وقلت فى صوت خافت :

— اسم حلو ..

ونظر الى هاشم وقال وكأنه يعتذر لأمينة :

— أنا قلت لك حكايتى معاها علشان تعرفى إن مشكلتك مش مشكلتك لوحدهك .. وان راجل زبى عنده أربعين سنه واقع فى نفس المشكله ومشر عارف يحلها .. وكل ده علشان ترتاحى ، وأعصابك تهدى ، وصحنك تبقى كويسه ..

وقلت :

— أنا عارفه يا دكتور .. ومش حانسى أبدا .. ربنا يخليك لى ..

وكانت أمى قد عادت مقبلة علينا ، وعلى شفيتها ابتسامة صغيرة ، ووجهها ترتسم عليه براءة مزيفة .. وعيناها مسلطتان على وجهى ، تحاول أن تعرف كل ما حدث .. كل التفاصيل .. واستقبلها هاشم وابتسامة كبيرة على فمه قائلا :

— خلاص يا هانم .. اعتبرى نجوى خفت خلاص .. بس كل يوم لازم تخرج تتفسح ..

وقالت أمى كأنها تحاول أن تضع فى كلامها معنى خفيا :
— البركة فيك يا دكتور .. دى ما بتقتش بتسمع كلام حد الا كلامك ..

وعدنا ..

وكنت اميل الى الصمت فى طريق العودة ..

وكنت قد بدأت أشعر بالضعف يعاودنى ..

ركبتاى مخلختان .. وتقلصات فى معدتى .. وصدرى

يضيق ..

ولكنى لم أشك ..

وأوصلنا الدكتور هاشم الى باب البيت ، وخرج من سيارته ليصافحنا ، والحت عليه أمى أن يصعد ليتناول فنجالا من القهوة أو الشاي .. ولكنه اعتذر فى رقة .. واحتفظ بيدي فى يده فترة طويلة .. أحسست خلالها كأن يدي التصقت بيده لا تريد أن تفارقها .. وقال وهو يربت على خدى بابتسامته :

— خلاص يا نجوى .. حاتبقى كويسه .. مش عايز أسمع

تانى إنك عيانه ..

وقلت كأنى أودعه الوداع الأخير ، وصوتى حزين :

— باذن الله يا دكتور ..

وعاد الى سيارته ..

وقد ابتعد هاشم عنى فعلا .. ابتعد طويلا .. مرت شهور كثيرة قبل أن أراه مرة ثانية .. وقبل أن تبدأ قصتى معه من جديد .

وجذبتنى يومها أمى وصعدت بى الى البيت فى خطوات سريعة ولهفتها تتقدمها ..

وكنت أعرف سر لهفتها ..

تريد أن تعرف التفاصيل ..

وتدللت عليها .. أخذت أخلع ثيابى فى ببطء .. وهى جالسة أمامى دون أن تخلع ثيابها تسألنى :

— قولى لى يابنتى ، ربنا يهدى سرك ، كنت بتحكوا فى ايه ..

قلت وأنا مديرة لها ظهري :

— ولا حاجه ..

قالت فى حدة :

— ولا حاجه ازاي بس .. ده انتم ما بطلتوش كلام ..

قلت فى برود :

— كنا بنتكلم عن عادل ..

وخطبت على صدرها قائلة :

— عادل !! يا خيبتك .. يا خيبتك .. وده موضوع تكلمى

عنيه الراجل .. انتى مش شايلاه طول الوقت بياكلك بعينيه ..

والتفت اليها فى غضب :

— ولا باين عليه ..
 قلت كائى لم اسمعها .. كائى اخاطب نفسى :
 — يعنى اكبر منى بواحد وعشرين سنه ..
 قالت :

— وده يفرق ايه .. ده انتى كنتى واقفه جنبه زى ما تكونوا
 متجوزين بقالكم سنين .. لايقين على بعض زى تفاحه وانشتت
 نصين ..

وابتسمت لها كائى اسخر منها ومن عقليتها ..
 ولم تكف امى عن الحديث عن هاشم .. ظلت تتحدث عنه
 طول الليل .. ولم اكن استمع لها .. ولم اكن متضايقه من
 حديثها .. وكانت تحاول ان تقنعنى بان هاشم معجب بى ..
 وتقارن بينه وبين عادل .. وتصعد بهاشم الى السماء وتخسف
 بعادل الارض .. وكنت انا سرحانه .. افكر فى اتجاه مختلف
 تماما عما تقوله امى .. كنت متأكده ان هاشم ليس معجبا بى ..
 ليس الاعجاب الذى تعنيه امى .. ربما كان معجبا بى كفتاة
 رقيقة ضعيفة قرر ان يساعدها فى ازمته .. ولكن لا اكثر من
 ذلك .. وكنت اقاوم كل ما فى خيالى من احلام متعلقة بهاشم
 .. كنت اعرف انه الرجل الوحيد الذى استطاع ان يثير احلامى
 بعد عادل .. وربما كان الرجل الوحيد الذى يستطيع ان يحل
 فى قلبى مكان عادل .. بل انى كنت افكر فيه بطريقة اخرى غير
 التى تعودت ان افكر بها فى عادل .. طريقة قد تقودنى الى نوع
 آخر من الحب .. حب اكبر واعمق واكثر استقرارا .. ولكنى
 يجب ان اقاوم اندفاعى فى هذه الاحلام .. انى ذكية واستطيع

— من فضلك ما تقوليش كده يا ماما .. هو كل راجل يبص
 لى يبقى حايكلنى بعنيه .. انا ما شفتش فى عينه غير طبيته
 ورقته .. ده الدكتور هاشم حاجه تانيه ..
 وصاحت امى :

— ولا حاجه تانيه ولا تالته .. احلفلك ميت حلفان انه معجب
 بيكى ..
 وقلت كائى اصدمها :

— ادب اتوك انه بيحب واحده ..

ونظرت الى امى كأنها لا تصدقنى .. ثم خفت حماسها مرة
 واحدة ، وقالت فى صوت خافت :
 — وجبتى مينين الكلام ده ..

قلت :

— هو اللى قال لى .. واسمها امينه ..

قالت :

— امينه ايه ؟

قلت :

— ما اعرفش .. ما قاليش ..

وقالت امى وهى تمصمص شفيتها :

— يمكن ..

وسكتت كأنها تفكر فى خطة جديدة .

وقلت لها كائى اغيظها :

— انتى عارفه ان عنده اربعين سنه ..

قالت :

أنا أقدر أنها أحلام لا يمكن أن تتحقق .. أين أنا من هاشم ..
ماذا فى حتى يحبني .. ثم انه يحب فتاة أخرى ..

ورنت فى أذنى كلمة هاشم « الحب اللى ينقصه الاحترام مش
ممکن ينفع للجواز » .. ترى هل يمكن أن يحترمنى هاشم لو علم
أنى لست عذراء .. وهل يمكن أن أجعله يحترمنى لو أحبني وهو
يجهل أنى لست عذراء ..

ولكن لماذا انساق وراء كل هذه التفاصيل ..

من قال ان هاشم يحبني ..

أو أنى أحب هاشم ..

وأى تقول كأنها تخطف فى نومها :

— صدقيني .. ما تقيش عبيطه .. الدكتور هاشم معجب
بيكى .. ما تضيعيش راجل زى ده من ايدك .. دى فرصة ..
اعقلي، يا نوجا .. وسبيك من لعب العيال بتاع سى عادل ده ..

وأدرت لها ظهري .. وأنا أشعر بسخافتها .. بل أشعر
بالاشمئزاز منها .. دكتور جاء ليعالجنى وبلغ من اهتمامه بى
أن صحبنى فى نزهة قصيرة ، وبدل أن تشكر نبلة ، تحاول
اصطياده .. شىء مقرف ..

وتناولت حبة « الليبرم » وحاولت أن أنام ..

وقمت من نومى عصبية .. ضعيفة .. منهكة .. أريد ان
اتحرك أن أخرج .. أريد أن أتلهى عن أفكارى وخواطرى ..

وفكرت أن أذهب الى المدرسة .. كان يجب أن أذهب الى
المدرسة .. فأنا أستعد لنيل الشهادة الثانوية السامة .. ولم
يبق على الامتحان الا شهور ..

واكننى جنت ..

أحمست أنى لست قوية الى حد أن أواجه زميلاتى .. خيل
الى أن كل من تنظر الى ستكشف فى الحال أنى لست عذراء ..
وخيل الى أنى لن أحتمل أن أبقي وأنا لست عذراء وسط مئات
البنات العذارى .. لن أستطيع أن أجرى مثلهن .. ولن أستطيع
أن أهرج مثلهن .. ولن أستطيع أن أتكلم كلامهن ..

ولم أذهب الى المدرسة ..

وصرخت فى أمى :

— ماما .. عايزه أخرج ..

وقالت أمى :

— تروحي فين ؟

قلت :

— ما اعرفش .. عايزه أخرج والسلام ..

قالت :

— طيب مش نكلم الدكتور هاشم فى التليفون الأول ..

وصرخت :

— أوعى تكلميه .. لو كلمتية حارمى نفسى من الشباك ..

أنا مجنونه .. وانتي عارفه أنى مجنونه ..

وقالت أمى فى دهشة :

— ليه بس يا بنتى ..

وعدت أصرخ :

— أهو كده والسلام .. أنا عايزه أخرج لوحدى ..

والتمعت القسوة على وجه أمى المكرمش ، وقالت فى حدة :

— الا دى .. أظن عايزه تخرجى لوحدهك علشان تهربى مره

تانيه .. من هنا ورايح ما فيش خروج الا رجلى على رجلك ..

انشاء الله حتى تكونى رايحه كباريه ، برضه معاكى .. انتى
لسه بتقولى انك مجنونه .. ما فيش مجانين يخرجوا لوحدهم ..
ومن يومها ..

لم أعد أخرج الا وامى معى .. رجلى على رجلها ..
وقد ذهبنا معا الى بعيد .. الى العن من « الكباريه » ..
سرنا معا طريقا طويلا ..
طريق اليأس ..

- ٢ -

فكرت اُمى بسرعة ، ثم قالت وهى تنظر الى بعينين تائهتين
كانها ترى بهما مستقبلا يحيرها :
— قولى نروح عند زيزى ..

وكانت زيزى أبعد ما يمكن أن يخطر على بالى فى الحالة
التي كنت أعانيها .. لقد كان كل ما أفكر فيه أن أتصل ببعض
صديقاتى وأنزل معهن لنطوف بالدكاكين ، أو نجتمع فى بيت
واحدة منهن لنبادل قصص حينا .. صديقات فى مثل سنى ..
قلوبنا تدور فى دوائر متشابهة ، وعقولنا تنطلق فى أفق واحد
.. أما زيزى فهى شئ آخر .. انها سيدة متزوجة .. زوجها
يعمل فى وظيفة كبيرة فى بنى سويف ، وهى تقيم فى القاهرة
وحدها .. حرة .. منطلقة الى أبعد حدود الانطلاق .. والناس
يتحدثون عنها ، ويروون عنها قصصا عجيبة .. وتعيش فى
مستوى أعلى من المستوى الذى يمكن أن يوفره لها زوجها ،
أو عائلتها .. انها تملك سيارة كبيرة شيفروليه .. وسيارة أخرى

مسفيرة لأولادها .. وتسكن فى شقة فاخرة بمصر الجديدة ..
وتشترى ثيابها بالدسته .. معروف عنها أنها مسرفة الى حد
الجنون فى اقتناء الثياب .. والناس تتحدث .. ولكن زيزى
لا تهتم بكلام الناس ..

وكانت اُمى تعرف زيزى من زمن طويل .. وتعرف أمها
وأخواتها .. وربطت بيننا وبينهم بصلة نسب كعادتها .. تمد
فروع العائلة لتصل الى كل من تريد أن تصل اليه ..

وكانت اُمى معجبة بزيزى أعجابا خفيا ، لا تعبر عنه الا نادرا
.. كانت تعتبرها سيدة شاطرة ، استطاعت أن تلعب بالرجال ،
وأن تستخدمهم ليوفروا لها الحياة الفخمة الهنية التى تعيشها ..

ان اُمى تؤمن بأن دور المرأة فى الحياة هو أن تستغل الرجال
.. ولا شئ أكثر .. لا تؤمن بأن هناك ما يمكن أن تقدمه المرأة
الا جسدها .. وأن عليها أن تساوم على هذا الجسد لتحصل على
أكبر ثمن .. حتى الزواج .. ليس له معنى عند اُمى ، الا معنى
الشراء والبيع .. ولهذا كانت اُمى معجبة بزيزى .. لأنها تستطيع
أن تساوم ، وتستطيع أن تحصل على ثمن كبير ..

وسيدات جمعية نور الهدى ، كن أيضا معجبات بزيزى ،
لأنها تتبرع للجمعية كثيرا .. ولأنها تلجأ اليهن فى أعمال السحر
التي تحتاج اليها بين الحين والحين ..

ولكن اُمى كانت حتى تلك الأيام ، تبقى بعيدا عن زيزى
.. لم تكن تنفرنى منها .. ولكنها لم تكن تشجعنى على الاختلاط
بها .. لذلك دهشت عندما اقترحت اُمى أن نذهب الى زيزى
.. ونظرت اليها وأنا أبحث فى وجهها لعلى أكتشف سرها وقلت :
— اشمعنى زيزى ..

فوقه البخور .. ووضعت على الأرض ، لأخطو فوقه سبع مرات ، كما عودتني في كل مرة أهم فيها بالخروج من البيت . ودون أن أفكر ، استدرت من أمام مرآتي ، وقذفت وأبور السبيرتو بقدمي ، بما فوقه من بخور ، وأنا أصرخ :

— مش عايزه أتبخر .. ما فيش حاجة جابتلي الكافيه الا البخور بتاعك ده .. بتبخريني على ايه .. الناس حاتحسدني على ايه .. على خييتي ! ؟

وأسرعت أمي والتقطت وأبور السبيرتو من على الأرض قبل أن يشعل في البيت نارا .. وخرجت وهي تتمتم :

— ربنا يهديكي يا بنتي ..

ومن يومها تعودت أن أصرخ في أمي .. وتعودت أن تحتلم صراخي .. ولكن احتمالها لم يكن يعنى استسلامها لي .. انها لم تستسلم لي أبدا ..

وخرجنا من البيت ..

وركبنا سيارة تاكسي الى محطة المترو .. ثم ركبنا المترو الى مصر الجديدة .

ووصلنا الى بيت زيزي ...

بيت فخم ، لا يمكن أن يكون بيت موظف ، حتى لو كان موظفا في الدرجة الأولى .. الأرض الباركيه مغطاة بقطع من السجاد العجمي .. والأثاث على الطراز الحديث ، يبدو كله جديدا .. ان زيزي تبدل أثاث بيته كل سنة أو سنتين .. والنجف ، والتماثيل .. مظاهر الاسراف في كل ركن من أركان البيت .. ورغم ذلك لم أسترح .. أحسست كلما نظرت الى شيء كأن نظرتني تقف في حلقى .. كأن هناك شيئا مفقودا في هذا البيت .. لعله الذوق .. أو لعله الاحساس بقيمة الأشياء التي

وقالت أمي وهي تخفي عينيها عنى :

— أصلها ست دمها خفيف .. يمكن تضحك وتنسيكي اللي أنتي فيه .. وكمان ناخذ رأيها في حالتك .. دي ست بتفهم .. وهزرت كتفي وقلت بلا مبالاة :

— مافيش مانع ..

وقمت أرتدي ثيابي بنفس مصدودة .. والضعف يسرى في مفاصلي .. ولوني أصفر يميل الى الاخضرار .. وعقلي مشنت بين ياسي من عادل ، وأمل في هاشم .. وأحاول أن فلا أستطيع أن أياسر .. ولا أستطيع أن أعيش لحظات بلا أمل .. وارتدت أمي معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء ، ووقفت على باب غرفتي تقول لي وأنا سارحة في عذابي :

— ياللا يا نوجا .. استعجلي شويه .. ده احنا لسه حانطلع مصر الجديده ..

ونظرت اليها في حدة ، كأنها شكنتي بدبوس لتوقظني .. وصدمت بشكلها وهي في معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء ، كأنها جلاذ يواجهنى ليذبح قلبي .. وصرخت فيها كأنني أصرخ من فزعى :

— ما تستعجلنيش .. احسن والله أحلف ما اخرجش ..

انا مش طايقه حد يكلمني ..

وارتعشت رموش أمي كأنها خافت من صرختي .. وتهدت .. ثم قالت في صوت ضعيف :

— طيب يا نوجا .. ما تزعليش .. على مهلك يا حبيبتى .. ثم ابتعدت عن غرفتي ، وعادت بعد لحظات وفي يدها « وأبور السبيرتو » مشعل وفوقه لوح من الصفيح ، يقطط

يضمها .. لا شك أنها أشياء قيمة .. غالية .. نقود كثيرة دفعت
فيها .. ولكنها ملقاة ومكدسة بشكل يفقدها قيمتها ..

وقالت أمى وهى تتبع عيني وأنا أدور بهما فى أرجاء البيت :
— بكره أعمل لك بيت أحسن من ده ميت مره ..
قالتها كأنها تغرينى بالأمل الكبير !
وقلت وأنا الوى شفتى :

— أنا ما احبش يبقى عندى بيت زى ده .. ما فيهش ذوق !
وقالت أمى والاعجاب يشهق على وجهها :
— ده زى ما يكون بيت واحده اميره ..
وقلت بسرعة :
— ده زى ما يكون بيت واحده أرتست ..
ودخلت علينا زيزى ..

مرتدية قميص نوم شفاف ، وفوقه « روب ديشامبر » من
الحرير الطرز بالدانتيل تركته مفتوحا ، ليكشف عن قميص النوم
ومن تحته جسدها الممتلئ .. رغم أننا كنا فى الساعة الثانية
عشرة ظهرا ..

وقبلت أمى فوق كلتا وجنتيها وهى تقول :
— أهلا عزيزه هانم .. وحشتينا .

ثم التفتت الىّ ، ولعلت فرحة عجيبة فى عينيها ، وقالت :
— نوجا .. مش معقول .. ده انتى كبرتى قوى .. أنا
ما شفتكىش بقالى سنه .. حد يكبر ده كله فى سنه واحده ..
ثم احتضنتنى الى صدرها وأخذت تربت على ظهري ، ثم
التفتت الى أمى قائلة :

— دى انتى لازم تجوزيها حالا يا عزيزه هانم .. خلاص ..
آن الأوان ..

وقالت أمى وهى سعيدة بفرحة زيزى بى :

— هى يا ستى اللى بتدلج .. عايزه تكمل وتخس الجامعة ..
وقالت زيزى وهى تضحك ضحكة صاحبة رنانة :
— وده يمنع ..

ثم أخذتنى من يدي ، وأجلستنى بجانبها على الأريكة ، وأخذت
تبللق فى وجهى ، ثم قالت كأنها كشفت سرى :

— مالك يا نوجا .. انتى مش عاجبانى .. زى ما يكون
فيه حاجه مزعلاكى ..

وقالت أمى بسرعة كأنها تدافع عنى :

— ما انتى عارفه يا زيزى انها كانت عيانه ..
وقالت زيزى ، وهى تنظر الىّ :

— وتسريحة شعرك مش حلوه .. دى تسريحة بتاعة واحده
عجوزه ، مش بتاعة بنت حلوه زيك .. تعالى أعمل لك تسريحه
تانيه ..

وقامت واقفة وشدتنى من يدي .. وسارت بى وهى تقفز
فى مشيتها كأنها طفلة .. ودخلت بى الى حجرة نومها .. وأمى
وراءنا ..

حجرة النوم .. لونها بمبى فاتح .. الستائر بمبى ..
وملاءات السرير بمبى .. وكساء المقاعد بمبى .. والخشب لونه
بنى غامق ..

وأجلستنى زيزى أمام مرآتها .. وعشرات من زجاجات
العطر الغالية ، وأدوات الزينة .. ووقفت فوق رأسى تسرح
لى شعرى .. وهى تتكلم ، وتضحك .. انها تستطيع أن تبعث
الحياة حولها .. كلامها يطلق الزغاريد فى قلبى وأعصابى ..

ووجدت نفسى أتحمس معها .. وأضحك معها .. وانسى نفسى
وهمى معها ..

وأمى جالسة بعيدا ، والسعادة تشرق فوق وجهها ، كأنها
اكتشفت الطريق الذى كانت تائهة عنه ..

ثم أخذت زيزى تعرض علينا ثيابها الجديدة :

فتحت دولابا يمتد بطول الحائط كله .. وبرزت منه عشرات
الفساتين .. كأنها الجاربات المعلقة فى حريم السلطان ..
فساتين كثيرة .. ومعاطف .. وقطع من الفراء .. وأحذية .. لم
أر فى حياتى كل هذه الأحذية فى دولاب واحد ..

وفى بساطة خلعت ثيابها ، وارتدت ثوبا من ثيابها الجديدة
لتريه لى ..

ولم أستطع أن أملا عيني بجسدها عندما خلعت عنه ثيابها ..
خجلت ..

وبعد ذلك صنمت على أن أخلع ثوبى لتقيس على ثوبا من
ثيابها ..

وحاولت أن أرفض ..

ولكنها ألحت ..

وأمى تلح معها ، وتقول :

— جرى أياه يا نوجا .. حانتكسفى من مرات ابن عمك ..

وشدت زيزى ثوبى ، فاضطرت أن أخلعه .. ونظرت
الى وأنا بالقهيمص ، كأنها تنظر الى بعيون عشرات الرجال ، وقالت
وفى عينيها بريق عجيب :

— أياه الحلاوه دى كلها يا نوجا .. ده إنتى صدرك يجنن ..

وضمنت ذراعى حول صدرى كأنى أحميه من عينيها ، وفيهما

نظرات عشرات الرجال ..

وأرتعش من الخجل ..

مت من الخجل ..

والبستنى ثوبها ..

وجمعت قماشه فى يدها من عند الظهر ، حتى تشده على

جسمى ، لأنه كان واسعاً على .. انها أسمن منى ..

والتفت الى المرأة ..

ونظرت الى نفسى ..

الثوب من الشيفون الهفاف الأزرق يكشف عن ذراعى ..

وعن مساحة كبيرة من صدرى .. ويلتف حول جسدى كأنه قطعة

من صفحة السماء تضمنى .. أحسست كأنى أستطيع أن أطير

بهذا الثوب .. والتسريحة التى صنعتها لى زيزى ، تركت خصنة

من شعرى تهفو فوق عيني .. فأحسست أنى أكاد أطير فعلا ..

وزيزى تضحكنى ..

لا تكف عن إثارة ضحكاتى ..

وكلماتها تثير فى معان جديدة .. معانى الأثوثة .. انها ترفع

عمرى .. أحس أنى كبرت .. وأحس أنى امرأة .. لم أكن

أحس من قبل أنى امرأة .. رغم أنى امرأة ..

وقالت زيزى :

— عبد الله جوزى حايجى من بنى سويف النهارده بعد

الضهر ، وحانروح تسهر فى الأوبرج .. أياه رأيكم تسهروا

معانا ..

ونظرت الى أمى ، كأنها تسألنى رأبى .. ثم التفتت الى

زيزى قائلة :

— بس أينا يا زيزى مش واخدين ع السهر ده ..

وقالت زيزى :

— يا شبخه أخرجى من الحبسه دى .. ونوجا كمان تشوف

ولكنى لم أكن سعيدة ..

كنت أعلم أنى مقدمة على حياة لست مقتنعة بها .. حياة لم أفكر فيها من قبل ، ولم تمثل حلما من أحلامي .. ولكنى كنت منساقاة إليها .. الأنسى .. لأجد شيئا يشغلنى عن نفسى ، ويملا وقتى الفارغ ..

وألقيت نفسى على فراشى متعبة ..

أحس بالضعف .. ضعف صحتى ، التى لا تحتمل مشوار مصر الجديدة ، ولا تحتمل كل هذه الاثارة التى ملأت بها زيزى أعصابى ..

نمت من التعب ..

واستيقظت متعبة أيضا .. ولكنى قاومت التعب .. وجدت نفسى أبيض بعناد عجيب .. عناد كبير .. أقاوم به ضعفى .. أقاوم به عدم اقتناعى بالاقبال على الحياة .. وأقاوم به الإيمان بالحب .. أريد أن أضحك .. أن ألهو .. أن ألبس ثيابا كالتى تلبسها زيزى ..

وارتديت ثوبى الجديد .. ثوبا لونه أصفر .. وكل ثيابى لا تصلح للأوبرج .. انها ثياب بسيطة ، لفتاة فى مدرسة .. تحب .. وتعد نفسها للزواج .. لا لفتاة تفكر فى السهر فى الأوبرج ..

وجاءت زيزى فى الساعة العاشرة والنصف ، وتركت زوجها تنتظرها فى السيارة ، وصعدت إلينا .. وصرخت بمجرد أن رأتنى :

— ايه اللى لابساه ده يا نوجا .. ده انتى زى ما تكونى رايحه المدرسه ..

ثم شددت فتحة صدر الثوب ، حتى كشف عن كتفى ..

الذنيا وتنتفسح .. حاتفضلى مخبياها كده لغاية امتى .. اللى فى سنها كل يوم سهرانين فى حته ..

وقالت أمى فى صوت خفيض :

— أنا ما عنديش مانع .. بس ..

وعادت زيزى تقول فى حماس :

— بس ايه .. لا بس ولا حاجة .. احنا حانكون مع عبد الله جوزى .. انتى مش بتقولى جوزى يبقى قريبك .

وقالت أمى :

— بس أنا عمرى ما رححت الأوبرج .

وقالت فى حماس :

— ما لكيش دعوه بنوجا .. سيبها لى أنا ..

والتفتت الى قائلة :

— ايه رأيك يا نوجا ..

قلت :

— بس أنا عمرى ما رححت الأوبرج .

وقالت فى حماس :

— خلاص تروحيه ..

ثم اقتربت من أذنى وهمست :

— هو الواد اللى بتحببه ما بيروحش الأوبرج .. أوعى يكون

بياخذك تزوروا المشايخ ..

واتفقنا على أن تمر علينا زيزى فى العاشرة مساء ، هى

وزوجها .. لتذهب معها الى الأوبرج ..

وعدنا الى البيت ..

والعالم الجديد الذى لوحث لى به زيزى يشغلنى عن حيرتى ،

وعن وهمى ..

— اقعد انت جنب عبد الله يا خيرى .. والسنات حاتقعد
ورا ..

والتفتت لينا ، كأنها تقول لأمى أنها حريصة على الا يقترب
أى رجل من ابنتها ، وثبتت لها أنها حريصة على التقاليد ..
وحيانا زوجها وهو جالس أمام عجلة القيادة .. رجل طويل
عريض .. سمين .. ضحكته تملأ شفتيه .. وتبدو عليه السعادة
.. سعادة الحيوان الذى لا يفكر كما يفكر الناس ، ولا يشغل
باله بما يشغل بال الناس .
وذهبتا الى الأوبرج ..

ودخلنا وأنا أسير ملتصقة بأمى كأتى أحتمى بها .. لقد
كنت أحتمى بها فعلا .. كنت مرتعشة ، والرغبة تملأ كيانى ..
ولم ألاحظ أن أمى كانت ترتعش أيضا من الرغبة .. وكلانا يعلق
عينيه بزيزى كأننا طفلتان تخشيان أن تتوها عن أمهما ..

وقادتنا ريزى الى مائدة .. كان يجلس عليها آخران ؛
وسيدة .. وهلل الرجلان لمقدم زيزى .. ثم سكتا عن التهليل
مرة واحدة ، عندما سقطت عيونهما على .. وتبادلا النظرات
المتسائلة مع زيزى .. وعادا ينظران الى .. وقد انقلب كل منهما
مرة واحدة بعد التهليل الذى استقبلا به زيزى ، الى رجل مؤدب
مهذب .. وابتسامة واسعة فوق شفتى كل منهما .. ابتسامة
لرجة ..

وجلست بن خيرى الذى معنا فى السيارة ، وبين أحد الرجلين
الذين وجدناهما على المائدة .. كان اسمه سامى .. واستدار
كل منهما الى .. عيونهما لا تفارق وجهى .. وابتسامتهما تدور
حولى كالفراشات المجنونة .. وكل منهما يبذل جهده ليثير
ضحكاتى ، ويجذب اهتمامى ..

وخلعت دبوسا من الماس كانت تتحلى به فوق صدرها .. وشبكته
فوق كتفى .. ثم أخذت تسرح لى شعرى وتطلق خصلة منه
تتدلى فوق جبيني فى اغراء .. ثم أخرجت من حقيبتها أصبع
الروج ، وصبغت به شفتى .. ثم أصلحت وضع الكحل الذى
أضعه حول عيني ..

وأنا مستسلمة ..

وأمى مستسلمة ..

كأن كلينا اثنتان من نساء الريف جاءتا الى القاهرة لأول
مرة ، وسلمتا نفسيهما لمحتالة ..

ولم تهتم زيزى بأمى .. لم تعلق بشيء على معطفها الأسود ،
وعمامتها السوداء .. كأنها لن يكون لها دور فى الحياة التى
تسوقنا إليها ..
ونزلنا ..

لم يكن زوج زيزى وحده فى السيارة .. كان معه رجل
آخر .. شاب .. أصغر من الدكتور هاشم .. لعله فى الخامسة
والثلاثين من عمره .. محفلط .. كل شيء فيه مرسوم بدقة ..
حتى خيل الى أنه عد شعرات رأسه قبل أن يضع كل شعرة
بجانب الأخرى ..

ونزل الشاب من السيارة ليستقبلنا .. وقدمته لنا زيزى
قائلة :

— خيرى ..

فقط ..

لم تكمل اسمه ..

ثم قالت له :

ليس هذا هو مكانها ..
 انها ليست من هذا الصنف من النساء العجائز ..
 ولكنها تفعل ذلك من أجلى .. تفعله لأنها تريد أن تنسينى
 عادل .. تفعله لأنها تخاف اليوم الذى تفقدنى فيه ..
 ورغم ذلك فقد كان احساسى ساعتها حائرا بين الخجل
 منها ، والاشفاق عليها .. الخجل منها وهى جالسة بمعطفها
 الأسود وعمامتها السوداء ووجهها العجوز المكرمش ، الى مائدة
 تعلوها زجاجات الويسكى .. والاشفاق عليها لأنى أعرف لماذا
 تقبل على نفسها كل هذا ..

وقالت زيزى وهى تضحك ضحكة كالزغرودة :

— ساكنة ليه يا نوجا .. خدى بالك من سامى .. أوعى
 تصدقى كلامه .. ده كداب ..

ولا أدرى لماذا نظرت اليها ساعتها فى تحد .. قررت
 ساعتها أن أثبت لها أنى لست الفتاة القروية التى تصل الى القاهرة
 لأول مرة .. وتملكنى عناد عجيب أن أثبت شخصيتى القوية فى
 هذا المجتمع الجديد الذى يحيط بى .. أن أسيطر عليه . أن
 أملكه .. وأحكمه ..

وانطلقت ..

تحررت من الخوف ..

تحررت من ضعف صحتى ..

تحررت من ذكريات حبى ..

وجمعت كل ذكائى لأجذب كل الاهتمام الىّ .. وانطلقت
 أحدث .. أروى الحكايات .. وأطلق التعليقات الساخرة ..
 وأثير الضحكات .. وفى دقائق أصبحت ملكة المائدة .. كل
 الاهتمام موجه الىّ .. حتى الرجل الذى يجلس بجانب زيزى

والرجل الثالث تفرغ ليزى ، ينشب عينيه فى وجهها ،
 ولا يكف عن التحدث اليها .. حديثا هامسا لا أسمع منه الا اقله ..
 وعبد الله الزوج ما كاد يجلس على المائدة حتى تفرغ للء
 كأسه ، والتهام قطع الخيار وأصناف « المزات » .. ويطلق بين
 الحين والحين تعليقا لا يسمعه أحد ، ويضحك عليه وحده ..
 كأنه ليس معنا .. وكأن زوجته ليست معه ..

وأى .. انها جالسة بمعطفها الأسود وعمامتها السوداء .
 عند طرف المائدة ، لا ترفع عينيها عنى .. عينان خائفتان ..
 حائرتان .. وتبدو كأنها من هذا الصنف من النساء العجائز
 اللاتى يصاحبن النساء الجميلات ويقدن لهن حياتهن .. ربما
 اعتبرها هكذا الرجال الذين معنا .. ربما لم يصدق أحد منهم
 انها أوى .. ربما اعتقدوا انها تتاجر بى .. لا أحد يهتم بها .
 لا أحد يتحدث اليها .. عبد الله زوج زيزى وحده ، هو الذى
 يلتفت اليها بين الحين والحين .. ويقول لها بصوته الغليظ
 الأجش :

— تا خدى حطة خيار يا عزيزه هانم ..

ثم يخبط على ساقها بكفه الثقيلة ويصيح :

— والله أنستينا يا عزيزه هانم ..

وتبتسم أوى ابتسامة ضعيفة لا تلبث أن تموت على شفيتها
 .. وعيناها مركزان علىّ ، ترقب كل حركة ، وكل لمسة ،
 وكل لفطة .. وأذناها منتصبان تحاول أن تلتقط بهما كل كلمة
 .. كل همسة .. انها تجلس فى طرف المائدة كآلة الرادار ينعكس
 على وجهها كل ما يحدث لى .. تبتسم عندها أبتسم .. وتفرع
 عندما يتمادى أحد الرجلين اللذين يحيطان بى ..

وصعبت علىّ ..

نظرة طويلة ثابتة .. الى أن نكس عينيه خجلا من نفسه ، وقال
فى صوت خافت :

— آسف ..

وأمرى تنظر الىّ وشفتها ترتعشان ، لا تدري ماذا تقول ،
ولا كيف تتصرف ..

وشخصية زيزى تذوب أمام شخصيتى .. انها تفقد عرشها
.. ورغم ذلك فهى تبتسم لى طول الوقت .. وتهتم بى طول
الوقت .. كأنها قبلت التحدى ..

وقالت لى كأنها لم تعد تحتل أكثر :

— احنا لازم نقوم بأه يا زيزى .. نوجا لسه قاييه هن العيا ،
وما تستحلمش سهر أكثر من كده ..

وقالت زيزى بسرعة :

— واحنا كمان لازم نقوم ..

وقمنا ..

وضغط سامى على يدى وهو يضافحنى قائلا :

— احنا لازم نشوف بعض تانى ..

قلت ساخرة :

— أمال .. ضرورى ..

وركبنا سيارة زيزى وخيرى معنا .. وفى هذه المرة لم تكلف
زيزى نفسها مهمة حمايتى .. فجلست بجانب زوجها فى المقعد

الأمامى .. وتركت خيرى يجلس معنا فى المقعد الخلفى .. ولكنى
كنت أذكى منها .. وضعت أمى بينى وبين خيرى ..

وقال خيرى وهو يضافحنى أمام باب البيت :

— احنا لازم نشوف بعض تانى ..

وكررت نفس اللهجة الساخرة :

استدار الىّ .. وعبد الله زوجها نسى قطع « المزة » وأصبح يتلقف
كل كلمة تخرج من بين شفتى .. وأمرى تلحظ اندفاعى وتخاف ...
وزيزى فوجئت بجرأتى ، ونظرت الى نظرة ثاقبة كأنها اكتشفت
أمرى لست الفتاة الساذجة البسيطة كما كانت تظننى ..

ومألاً خيرى كأساً وقدمه الىّ .. ورفضته بابتسامة كبيرة ،
قائلة :

— مرسى ..

وقال :

— ليه ؟

قلت بصوت عال ساخر :

— انت كفايه .. تسكر !

وانطلقت الضحكات ..

وشرب خيرى الكأس وحده .

وسامى يحاول أن يجذبنى فى حديث هامس بينى وبينه ..
ولكنى أحيل همساته الى كلمات مسموعة .. يسمعها كل من
على المائدة .. فيزدرد وجهه .. ويخجل من نفسه .. ولكنه
تمادى .. كف عن محاولة الهمس .. وبدأ يلمسنى لمسات تبدو
كأنها لمسات غير مقصودة .. ويتظاهر بأنه يريد أن يجذب طبق
الزرة من آخر المائدة ، ليرك أنفاسه تقترب من أذننى .. ووجهه
يلمس وجهى .. وتمادى أكثر ، فشعرت بيده فوق ساقى ..

وأمسكت بيده بأطراف أصابعى ، ورفعتها الى أعلى بحيث
يراها الجميع ، كأنى أرفع شيئاً قذراً .. وقلت بأعلى صوتى :

— شوفى يا زيزى لقيت ايه على رجلي ..

وضح الجميع بالضحك ..

ثم ألقيت بيد سامى من يدى ، والتفت اليه ونظرت اليه

— أمان .. ضرورى ..

وصعدت الى غرفتى .. وأمى ورائى .. وجلست على حافة السرير وأنا أخلع ثيابى .. وقبل أن تسألنى .. أشبعت فضولها ، ورويت لها كل التفاصيل .. كل كلمة .. وكل لمسة .. وكل رأى لى .. وبعد أن شبعت تركنتى وحدى الأمان .. وسحب سوداء من الحيرة تبطلعنى .. ماذا فعلت .. ولماذا فعلت .. لماذا وضعت قدمى فى هذا الطريق .. انى لست ساذجة .. وأعرف هذا الطريق حتى نهايته .. فلماذا سرت فيه .. ولماذا لم أسر فى الطريق الذى فتحه لى هاشم .. لا .. ان طريق هاشم طريق مسدود لا أمل فيه .. والحب التنظيف الذى أثار به خيالى .. ليس الا وهما .. انه يحب فتاة أخرى .. وحتى اذا لم يكن يحبها .. فلماذا يحبنى .. وعادل .. عادل .. لماذا تركنى وسافر .. لماذا لم يبق الى جانبى لنحاول مرة أخرى أن يصل أحدنا الى الآخر .. ولكنه مستهتر ، لقد غازل أختى .. الى هذه الدرجة بلغ استهتاره .. ولكنى أحبه .. هل صحيح أنى لا زلت أحبه .. لا أدرى .. لا أدرى .

وبكىت ..

وانسابت حيرتى دموعا على خدى ..

ونمت باكية ..

وصحوت فى اليوم التالى وأنا أحس أكثر بضعف صحتى .. فقد اضطررت أن أبقى فى الفراش يومين .. وزيزى تسأل عنا فى اليوم أكثر من ثلاث مرات .. وتتحدث مع أمى طويلا فى التليفون ..

وما كدت أغادر الفراش ، حتى جمعيتنا سهرة فى بيت زيزى .. كان هناك سامى ، وخيرى .. والرجل الثالث ..

مراد .. ورجال آخرون كثيرون .. وسيدات كلهن من صنف زيزى .. أنا البنات الوحيدة بينهن .. بنت ! وأنا أصغرهن .. أجملهن .. أنا وردة فى غابة من النساء يتمايلن فى خلعة كالأشجار العجوزة ..

وتوالت السهرات .. فى البيت .. فى الأوبرج .. فى الأريزونا .. فى الشجرة .. وأنا لم أفقد شيئاً ..

لم يستطع رجل أن يأخذ منى شيئاً .. ولا لمسة واحدة .. ولا كلمة تريحه وتشجعه على .. ورغم ذلك فكل الرجال يحبوننى .. اننى نفحة من الهواء النظيف وسط الجو الفاسد الذى يعيشون فيه .. انى أريح عيونهم من الوجوه المصبوغة بالألوان الفاقعة .. انى أمل صعب ، وسط الأرض السهلة التى يسيرون فوقها ..

وأمى فهمت المجتمع الجديد الذى دخلنا فيه .. وبدأت تكون صداقات خاصة بينها وبين الرجال الذين نلتقى بهم .. صداقات لحسابى طبعاً .. وأصبحت أمى تترتاح لصداقاتها مع الرجال أكثر من ارتياحها لصداقاتها مع النساء .. اكتسبتهم باثارة عطفهم عليها .. لأنها وحيدة .. عجوز .. وزوجها مشلول .. وهى تعلم أن عطفهم عليها ليس الا تقرباً منى أنا .. واستطاعت بذلك أن تستغلهم .. وأن تضعهم فى خدمتها .. وأذكر أول يوم تفتحت فيه أمامنا كنوز هذا المجتمع الذى نعيش فيه ..

لقد اتصل بنا خيرى فى التليفون ذات صباح ، ليدعونى الى سهرة فى المساء .. وفى خلال الحديث قالت له أمى أنها ستصحبنى لنطوف بالحوانيت ، ونشترى بعض الحاجيات .

ولا أدري حتى اليوم اذا كانت قد قالت له ذلك عن قصد أو عن غير قصد . ولكن خيري عرض أن يأتي ليصحبنا . ووافقت أمي ..

وصدبنا لنطوف بالحوانيت ..

واشترينا بضائع بما يزيد عن عشرين جنيتها .

دفعها خيري .

وانهالت الهدايا بعد ذلك .. من خيري .. ومن غيره .. هدايا في مناسبات .. وهدايا بلا مناسبات .. وقد كنت أبهر بهذه الهدايا .. لم أكن أعتقد أن الناس يمكن أن تهدي بهذه السهولة .. وهذا الاسراف .. وأمى تفرح بالهدايا أكثر منى .. وهى التى تحفظها فى دولابها .. وتحفظ بالمفتاح فى جيبها .. لا أستطيع أن أستعملها الا باذنها .. وأصبح عندى ثلاثة راديوهات ترانستور .. وجاعنى تلفزيون هدية .. وخواتم .. وثياب ..

ثم ..

فوجئت بسامى يتقدم لخطبتي ..

انهم يتزوجون أيضا فى هذا المجتمع ..

وكنت أعتقد أنه مجتمع يقوم على اللهو .. على تضاء السهرات .. وأن الأزواج فيه هم المغفلون .. ولن يرضى أحد أن يتزوج منه حتى لا يصبح مغفلا هو الآخر .. ولكن لا .. الرجال فيهم حاسة عمياء تقودهم الى دنيا المغفلين .. وربما اكتشف سامى حقيقتى .. اكتشف انى فى هذا المجتمع لست الا ضحية عذابى وحيرتى .. وآمن بطهارتى ، خصوصا وأن كل هذا الفساد لم يصل الى .. انه يعرف أن أحدا من الرجال لم يستطيع أن ينال منى ..

وقدرت سامى ..

أحسست به رجلا ..

وأنا لا أحبه .. ولكنه وسيم .. وفى مركز ممتاز .. انه

زوج تفخر به أى فتاة ..

ولم ترفضه أمى ..

ولم تقبله ..

ولكنها تركته معلقا ..

وأنا لم يكن يهمنى أن ترفضه أو تقبله .. فأنا لا أريد الزواج

.. ان ما ينقصنى شيء آخر غير الزواج .. ينقصنى الحب ..

وليس فى قلبى من الحب الا ذكرياتى مع عادل ..

وخيرى أيضا تقدم لخطبتي ..

وتركته أمى معلقا هو الآخر ..

وبدأت أتأكد أن أمى لا تريد أن أتزوج .. تريد لى عشرات

الرجال الأبقى لها .. ولكنها لا تريد لى رجلا واحدا حتى لا يأخذنى

منها .. الى هذا الحد وصلت أنايتها .. ربما لأنها ليست أمى ..

وعشرات الرجال يترددون على بيتنا ..

يترددون بلا زوجاتهم ، وبلا شقيقاتهم .

وليس معنى ذلك أننا فقدنا سمعتنا فى الحى الذى نقيم

فيه .. أبدا .. ان أمى لا تزال تحرص على كل مظاهرها ..

وسيدات جمعية نور الهدى لا يزلن يترددن علينا بانتظام ..

والبخور يحرق فى الصباح والمساء .. ولا تسمح لرجل أن يزورنا

الا فى مواعيد مناسبة .. وربما ثارت رغم ذلك بعض الأقاويل

عنى وعن أمى .. ولكنها كانت أقاويل خافتة .. ومحصورة فى

الحى الذى نقيم فيه .. وأصدقائنا كلهم من خارج الحى ..

وأنا تعيسة .

قد اتصلت بنا فى التليفون ودعتنى أنا وأمى لتناول الشاي ،
وأوصتنا الا نتأخر لأن عندها ضيوفا مهمين ، وقالت لأمى :
— وخلقى نوجا تلبس الفستان الأخضر .. ما تنسيش !
وكانت كل ميزة الفستان الأخضر ، انه يكشف عن كتفى
الذيين تعتقد زيزى أنهما أجمل كتفين رأتها فى حياتها ..
ولبست الفستان الأخضر ، وذهبت أنا وأمى ..
ولم نجد عند زيزى الا عبد الفتاح بيه رفعت ..

ووقف عبد الفتاح يحيينى فى ادب كبير ، وألقى على نظرة
هادئة .. أحسست رغم هدوئها أنها استوعبتنى كلى .. وأنها
درست فى لحظة واحدة ، كل قطعة منى .. نظرة خبير ..
ثم استدار وصافح أمى ، واهتم بها اهتماما زائدا .. قدم لها
مقعد الصدارة .. وقدم لها أول فنجان شاي .. واتجه بمعظم
حديثه اليها .. دون أن يهملنى .. ولكنه كان يتحدث الى كابتته
.. وفى وقار .. وهدوء .. وحنو .. وأحسست كأنه يتعمد
أن يعفنى من المجهود الذى يمكن أن أبذله كى أهتم به .. كأنه
يريد أن يقول لى انه ليس كباقى أصدقاء زيزى .. وأنه لا يريد
منى ما تعود أن يطلبه أصدقاء زيزى .. وقد ارتحت فعلا الى هذا
الاحساس .. وشعرت بجانبه بأنى أستطيع أن أكون على
طبيعتى .. كأنى فعلا ابنته ..

وكعادة أمى جرت الحديث بينها وبين عبد الفتاح الى موضوع
العائلات ، والأنساب .. واكتشفت بسرعة نسبنا بيننا وبينه ..
والتفتت الى وقالت :

— تعرفى يا نوجا .. ده عبد الفتاح بيه يبقى فى مكانة عمك
تمام .. ما هر يبقى ابن خالة بنت عم أبوكى .. يعنى عمك ..
وضحكت قائلة :

لست سعيدة بهذه الهدايا ، ولا بهذه الحفلات ..
ولكننى لا أجد شيئا آخر أفعله الا أن أتلقى هذه الهدايا ،
وأفرح بها فرحة تقصر ، ثم تقصر كلما توالى الهدايا .. حتى
أصبحت فرحتى مجرد نظرة ألقى بها على الهدية .. والحفلات
سئمتها حفلة بعد حفلة ، حتى أصبحت أبخل على الناس بذكائى
الذى أسليهم به .. وأمنحهم به وقتا لاهيا .. ولكن ماذا أفعل
غير هذا .. هل أعود الى المدرسة .. مستحيل ..
لا أستطيع ! ..

وأنا متأكدة أن أمى لا تريد تزويجى ..

وأستطيع أن أتحداها ..

ولكن لماذا أتحداها .. لماذا أتحدى أنايتها .. واحساسها
بأنها اشترت كل كيلو من لحمى وعظامى .. لماذا ؟

ليس هناك دافع يجعلنى أتحداها ..

فأنا أيضا لا أريد الزواج الآن ..

الذين تقدموا الىّ لم يستطع واحد منهم أن يفتح قلبى ..
وبقيت مستسلمة لهذه الحياة ..

ثم ..

دخل حياتى فى هذه الأثناء عبد الفتاح بيه رفعت ..

عبد الفتاح بيه رجل فى الثامنة والأربعين من عمره ..
متزوج .. وله أولاد وبنات .. بنت منهن أكبر منى ، ومتزوجة ..
ولها أولاد .. مليونير .. حتى بعد قوانين التأميم استطاع أن
يحتفظ بجزء كبير من ملايينه .. ربما أصبح نصف مليونير ..

وطبعاً لم أر أبدا زوجته ولا بناته .. ولكنى التقيت به فى
بيت زيزى .. ليس فى سهرة ، ولكن على الشاي .. وكانت زيزى

فى بيته .. وفى بيته شديد قوى .. تصورى ان ما حدش لفاية
دلوقتى شاف مراته .. يدوبك تزور قرايبها .. وقرايبها
يزوروها ..

وفى اليوم التالى ..

ارسل الينا عبد الفتاح سائقه الخاص .. يحمل لفافة صغيرة
.. فضتها أمى لتجد داخلها علبة صغيرة من القطيفة الحمراء ..
ما كدنا نفتحها حتى بهتنا نحن الاثنين ..

كان فى العلبة « بروتس » من الماس ..

من الماس الحقيقى ..

ومع البروش كارت يحمل اسم عبد الفتاح رفعت ، وقد
أضاف فوق اسمه كلمة واحدة : « عمك » ..

وأسرعت أمى فى نفس اليوم الى محل السرجانى الصائغ
لتتّمن « البروتس » ..

ان ثمنه لا يقل عن ثلثمائة وخمسين جنيها ..

وبلعت أمى ريقها ..

ورفعت حاجبى دهشة ..

وتطورت علاقتنا بعد ذلك بعبد الفتاح تطورا سريعا .. غريبا
.. فقد كان عبد الفتاح صديقا لأمى ، أكثر منه صديقا لى ..
رغم أنى أعرف ومتأكدة ، انه لا يربطه بأمى الا رغبته فى الوصول
الى ..

كان يتحدث معها فى التليفون مرتين فى اليوم .. حديثا
طويلا .. لا تبلغنى أمى الا نصفه .. ولا أهتم بأن أسألها عن
النصف الآخر ..

ثم بدأ يتردد علينا ..

لَمْ يكن يتردد كل يوم .. يومين أو ثلاثة فى الأسبوع ..

— أزيك يا عمى ..

والتهمت الى عبد الفتاح وفى عينيه نظرة جادة ، وقال :

— أنا عايزك تعتبرينى عمك بصحيح ..

وأخرجت أمام نظرتة الجادة ، وقلت وأنا أرخى عينى عنه :

— حاضر يا عمى ..

ولا أذكر كيف دار الحديث بعد ذلك .. ولكنى أذكر أن زيزى

قالت لى بعد قليل :

— ايه الدبوس الوحش ده اللى شابكاه فى صدرك ؟ ..

وقلت :

— يا خبر يا زيزى .. ده يجنن .. ده أنا شارياه بتلاته

جنيه من عند مونا ..

وقالت زيزى كأنها تعلمنى :

— حد يلبس دبوس بتلاته جنيه على فستان حلو كده ..

وصدر حلو بالشكل ده ..

وقال عبد الفتاح وهو يضحك ضحكة صغيرة :

— خلاص يا زيزى .. ما تزعليش ، الدبوس حا يتغير من

بكره ..

وقلت كأتى الومه :

— انت كمان مش عاجبك الدبوس بتاعى يا عمى ..

وقال عبد الفتاح وهو ينظر الى كأنه يتفق معى على زيزى :

— عاجبنى .. بس علشان نسكت لسان زيزى ..

وقام عبد الفتاح منصرفا فى الساعة السابعة ..

وبقينا مع زيزى وهى تحكى وتبالغ فى تعداد أملاك عبد

الفتاح ، ومصانعه ، وأدبه ، وذوقه .. ثم قالت :

— عيبه ان عمره ما يستهر بره .. الساعة تسعه لازم يكون

أو آنية زهر .. ففى مرة حطمت شاشة التلفزيون .. قذفتها
بمنفضة الاسجائر ..

وأمى احتملى ..

وأونكل عبده يحتملى فى صبر الرجل الذى يعرف كيف
يصل الى ما يريد ..

وكل شىء يتغير حولى بسرعة .. اسرع من تفكيرى ..
لم نعد نتردد على زيزى .. ولم تعد أمى تشجع الرجال الذين
تعرفهم على التردد علينا .. كأنها قررت أن تكتفى من كل الرجال
بعبد الفتاح .. وأصبحت أحس أن هناك قوة تدفعنى لتحصرنى فى
ركن ضيق حتى تفترسنى .. قوة خفية لا أراها ، ولا أستطيع
أن أقاومها ..

وأنا خائفة ..

خائفة ..

حائرة ..

مرتبكة ..

محرومة من الحب ..

وأبكى ..

وصحتى تسوء ..

و ..

وفى يوم دق جرس التليفون ، وكنت بجانبه صدمة ، وأمى
فى المطبخ ..

ورفعت السماعة ..

وسمعت صوت عادل .. عرفته بعد هذا العمر الطويل ،
وصرخت :

— عادل ..

ويدخل الى حجرة أبى المشلول ، ويبقى معه بضع دقائق ..
وكانت أمى قد أقتعت أبى بصلة النسب التى تربطه بنا .. ثم
بعد ذلك يخرج ويجلس معنا فى الصالة ليشرّب فنجال القهوة ..

ويوما بعد يوم أصبح هو كل شىء فى البيت .. هو رجل
البيت .. هو الذى يهتم بشئوننا .. وهو الذى يلبي حاجاتنا ..
وهو الذى يشتري لى ثيابى .. ليس هو بنفسه .. بل يعطى
الأمى لتشتري لى .. وعين أخى من أمى الحقيقية فى احدى
شركاته .. وابن عمى عينه فى شركة أخرى ..

والكلمة ترتفع بيننا وبينه ..

واناديه دائما : أونكل عبده ..

وكان أحيانا يقبلنى فى وجنتى .. قبلات يحاول أن يستقر
بها على خدى .. ولكنى لا ألث أن أسحب خدى من تحت شفتيه ،
وأجرى وأنا أمثل دور ابنته .. وأحيانا كنت اتدلّل عليه ، وأجلس
على ركبتيه .. ثم لا تكاد ذراعه تلتف حول خصرى حتى أقفز من
فوق ركبتيه وأنا أصيح فى مرح يليق بسنى :

— أوريلك جزمى الجديده يا أونكل ..

ويبتسم فى صبر ..

ولكنى كنت أعرف أن للصبر حدودا .. وأن عبد الفتاح
يريد أن يصل .. كيف ومتى .. لا أدرى .. ولكنى بدأت أخاف
.. أخاف اليوم الذى يصل فيه .. وأحس به رجلا أقوى من
ذكائى ، وأقوى من اصرارى على طهارتى .. أسفة .. على
ما بقى من طهارتى .. وبدأت أخاف هذه الأحاديث الطويلة التى
تدور بينه وبين أمى .. وبدأت أعصابى تثور .. وأصرخ فى
وجه أمى ، واتهمها بأنها تخفى عنى شيئا .. أشياء .. وبدأت
أعود على تحطيم أى شىء كلما ثارت أعصابى ، أحطم طبقا ،

قال فى تردد :

— تحبى فين ؟

قلت بسرعة وأنا أهمس :

— فى شقة أخوك .. دلوقتى حالا ..

وضعت سماعة التليفون .. ودون أن التفت خلفى .. دون أن أبدل ثيابى .. سرت على أطراف أصابعى .. وفتحت الباب فى هدوء .. وأغلقتة بلا صوت .. وخرجت ..

سرت فى الشارع بخطوات سريعة .. أكاد أجرى .. وأتلقت خلفى خوفاً من أن تكون أمى قد لحقت بى .. وأتلقت حولى باحثة عن سيارة تاكسى .. ثم تذكرت أن عادل كان يحدثنى من بيته فى حلوان ، وأنه لن يستطيع أن يصل الى موعدنا فى شقة شقيقته بالعجوزة ، قبل ثلثى ساعة على الأقل .. وتذكرت أيضاً انى لا أحمل معى نقودا .. نسيت أن آخذ معى نقودا .. وحتى لو كنت قد تذكرت النقود ، فلم أكن أستطيع أن أحمل منها شيئاً ، إلا اذا أخذته من أمى فهى لم تعودنى على أن تكون لى نقود خاصة بى .. ولم تخصص لى أبداً « مصروف ايد » .. فهى دائماً معى ، وما أريده تشتريه لى بنفسها ..

وقررت أن أسير على قدمى من الجيزة الى العجوزة ..

واخترت أن أسير فى الشوارع الخلفية .. حتى لا ترانى أمى اذا ما فكرت فى اللحاق بى ..

وسرت طويلاً وأنا سارحة ، لا أكاد أتبين جوانب الطريق الذى أسير فيه .. لا أكاد أرى الناس من حولى .. ثم فجأة ، اكتشفت أنى سارحة فى أمى .. أفكر فيها .. وأفكر فيما يمكن أن يحدث لها عندما تكتشف اختفائى ... وأفكر فى الحياة التى نعيشها معا .. وفى أونكل عبده .. وفى زيزى .. لم أكن أفكر

ثم خفضت صوتى حتى لا تسمعنى أمى ، وقلت :

— جيت امتى ..

وقال عادل فى صوت تمزقه أنفاسه :

— وصلت البيت من نص ساعة بس .. ما كنتيش بتتردى على

جواباتى ليه يا نوجا ..

وقلت وأنا أتلفت حولى :

— أنا ما وصلنيش منك ولا جواب ..

قال فى دهشة :

— ازاي ده .. أنا كنت بابعت لك كل يوم جواب ..

ويعدين بقيت أبعت كل اسبوع .. ما كنتش مصدق انك حاتفضلى

طول عمرك ما ترديش على .. و ..

وقاطعته قائلة :

— انت فين دلوقتى ؟

قال :

— فى البيت ..

قلت :

— أقدر أشوفك ..

قال :

— طبعا .. أنا جيت مخصوص علشان أشوفك ..

قلت :

— بس مش فى بيتكم ..

قال :

— فين ؟

قلت :

— فى حته ما حدش يشوفنا فيها ..

لقاتنى معه ، ولكنها القطيعة الطويلة التى مرت بيننا هى التى
تثير ظنونى ، وتسلب الشك على حبى ..

هكذا قلت لنفسى .. ثم عدت أفكر فى أمى .. وأونكل عبده ..
وسرت أكثر من ساعة .. أدخل فى شارع وأخرج من
شارع ، دون أن أشعر بالتعب .. أفكارى تلهينى عن التعب ..
ووصلت الى العمارة التى تقع فيها شقة شقيق عادل ..
ولكنى أخذت أطوف حولها ، الى أن قدرت أنه قد مرت فترة كافية
لوصول عادل من حلوان ..

وصعدت الى الشقة ..

لم اكن مرتبكة ..

ولكنى كنت لا ازال افكر فى أمى ، لا فى عادل ..

وحتى اللحظة التى ضغطت فيها على جرس الباب ، وأنا

افكر فى أمى ..

وفتح الباب ..

وكأنى أفقت من أفكارى .. عدت من عالم بعيد لم يكن فيه

عادل ..

ولم أستطع أن أتبينه كله من النظرة الأولى .. بدأ أمام عيني
كالصورة المهزوزة .. وقبل أن أتبينه شدنى اليه ، وأغلق الباب
بيده الأخرى ، ثم احتوانى فى صدره ، وهو يهمس :

— نوجا ..

وضغطنى اليه كأنه يحاول أن يدخلنى تحت ضلوعه ..

وحاولت أن أستريح على صدره .. وملت براسى على كتفه ،
وأغمضت عيني لأنسى كل شيء الا احساسى به .. ولكنى
استطيع أن أنسى .. ولا أن أرتاح .. كل ما أحس به انى

فى عادل .. ولم اكن هائمة فى لحظة لقاتنى معه ، بعد هذه
الغيبية الطويلة التى استمرت أكثر من عام .. لم اكن أشعر
باندفاعى اليه .. ولا بالشوق اليه .. ولا بحبى له .. كل هذه
العواطف والأحاسيس كانت غايبة عنى وأنا ذاهبة اليه .. كل
ما كان يشغلنى هو احساس بانى هاربة من أمى ..

وحاولت أن أتعمد التفكير فى عادل .. حاولت أن أتصور
شكله بعد هذه الغيبية الطويلة .. هل امتلأ وازداد سمته ..
هل لا تزال على شفثيه هذه الابتسامة اللاهية .. هل لا يزال
فى عينيه هذا البريق الجرىء .. وحاولت أن أملاً صدرى
بالاحساس بالحب .. وأن أهيم فيه .. وأن أفرح به .. ولكنى
ما لبثت أن وجدت نفسى أعود الى التفكير فى أمى ..

انى متأكدة انى هاربة من أمى ..

ولكنى لست متأكدة انى هاربة الى عادل ..

ليس عادل هو السبب فى هروبى ..

ولكنها أبى التى أهرب منها ..

انى أفر من الحياة التى تعدها لى أمى ..

ولست هاربة الى حياة أعرفها وأريدها لنفسى ..

وبدأت اشك فى انى لا زلت أحب عادل ..

وحاولت أن أطرد هذا الشك ..

خفت .. خفت أن اكتشف انى لم أعد أحب عادل .. وتمنيت

أن أكون مخطئة فى ظنى .. انى فى حاجة الى حب عادل ..

فى حاجة الى أى حب ، لينقذنى من المصير الغامض الذى أنساق
اليه .. ليمحنى القوة على مواجهة أمى .. وأونكل عبده ..

وهزرت راسى كأنى أنفض عنها ظنونى ..

لاشك انى لا زلت أحب عادل .. وسأكتشف حبى لحظة

— تعمدنى الأول يا عادل .. أنا تعبانه موت .. تعرف انى
جايه ماشيه من بيتنا لغاية هنا ..

قال :

— مش معقول ..

قلت :

— أصلى هريت من ماما .. وما كنتش معايا ولا مليم ..
وكان لسه بدرى على ما تيجى من حلوان ..

وجدبني من يدي وأجلسنى على الأريكة .. نفس الأريكة
التي سفحت عليها عذريتى .. وطففت بعينى فوق الأريكة قبل
أجلس عليها ، كأتى أبحث فيها عن شىء غال فقدته .. ثم تعمدت
أن أجلس فوق شخص آخر راقده عليها .. كأن هذا الشخص
الآخر هو أنا .. وكأتنى لا زلت راقدة فوقها منذ هذا اليوم
البعيد ..

وقال عادل وهو يجلس بجانبى ملتصقا بى :

— أنا متأكد ان مامتك هى اللى كانت بتأخذ جواباتى وتخبيهم
عذك ..

قلت وأنا لا زلت هائمة فى هذا اليوم البعيد :

— يجوز ..

ثم التفتت اليه واستطردت قائلة :

— بس أنا عرفت عنك حاجات كتير زعلتنى .. ويمكن لو كنت
استلمت جواباتك ما كنتش رديت عليك ..

قال وحاجباه يرتفعان فى تساؤل :

— عرفتى ايه ..

قلت بلا حماس ودون ان أتألم ، كأتنى اتحدث عن موضوع
لا يهمنى :

مستسلبة له .. وضقت باغماض عيني .. ففتحتها ..
واصطدمتا بحائط العرفة الذى أمامى ..

وأبعدنى عادل عن صدره .. وأخذ ينظر الى بعينين مبتسمتين
.. وأنا أنظر اليه كأتى أبحث فيه عن حبيبي القديم .
وخيل الى أنه تغير ..

عيناه لأيس فيهما هذا البريق الجرىء .. ان فيهما بريقا ..
ولكنه بريق حاد لا يخلو من قسوة .. بريق عيني رجل خاض
معركة الحياة فى أعنف ميادينها .. وابتسامته مستقرة هادئة
.. ابتسامه رجل لم يعد يلهو ..
ونظرت اليه نظرة ثانية ..

لقد ازداد سمنا .. وخيل الى ان قامته قد قصرت ..
ووجهه أصبح أشد سمرة ، وخطوط عميقة تدور حول جانبي أنفه
وتحدد خديه .. كأنها آثار جراح تركتها معركته هناك .. فى
الصحراء .. وشارب صغير فوق شفثيه .. خيل الى أنه شارب
معفر ، لا تزال عليه آثار الرمال التى تقذفها الريح فى وجوه
القوم الرحل ..

وهمس عادل وهو ممسك بكلتا يدي .. وعيناه تطلان فى
عيني وابنسامته تنطلق على وجهه كله :

— وحشتينى .. وحشتينى قوى ..

وقلت وبين شفثى ابتسامه لا أحس بطعمها :

— وانت كمان ..

قال ورموشه تهتز فوق عينيه كأنه حائر من أين يبدأ :

— كده تسيبيني من غير ولا كلمة .

قلت وشىء كخيبة الأمل يزحف على صدرى :

— احنا مش حانسيب بعض بعد كده أبدا يا نوجا .. ولا يوم .. ولا ساعه .. ما حدش يقدر يفرقنا عن بعض .
 وقلت وأنا أرخى عيني عن عينية :
 — أنا تعبت قوى يا عادل ، من يوم ما سبنتى ..
 قال وشفتاه تقتربان من شفتى :
 — خلاص .. من هنا ورايح ، مش حانتعبي أبدا ..
 وأغمضت عيني ..
 كنت أريد قبلته ..

أريد أن أتأكد من انها لا تزال القبله التى عشت فى ذكراها
 طويلا ..

واقتربت شفتاه أكثر ..
 أحس بهما تلامسان شفتى ..
 وأنا مغمضة العينين ..
 وأتمعن فى قبلته كأنى أتذوق طعاما لأتأكد من أنه لا ينقصه
 الملح ..

لا .. ان قبلته ينقصها شيء .. ينقصها الملح .. وشفتاى
 اللتان أحسست بهما كاليتميتين يوم تركهما ، لا أحس بهما كأنها
 عادتا الى أبيهما .. أحس بهما كأنهما لا يذكران هذه القبله
 .. تاهتا عنها ..

وتركنه يتقبلنى أكثر ..
 أخذ شفتى كلها بين شفتيه .. يعصرهما .. يحاول كل
 جهده أن يبعث فيها الحياة ..

وشفتاى صامتتان .. مستسلمتان ..
 وبذلت جهدا كبيرا كى أحركهما بين شفتيه .. كى أبادله
 قبلته ..

— عرفت انك خرجت مع أختى ، وجبتها معاك هنا .. فى
 الشقه دى ..

وصرخ عادل :

— كدابين .. اللى قالوك كده كدابين .. عايزين يوقعوا بيننا
 .. أنا كنت باروح لمامتك الحقيقيه وأختك علشان أعرف أخبارك .
 علشان يساعدونى على أمك التانيه ..

ونظرت اليه .. ولم يهمنى كثيرا أن أتأكد من صدقه ..
 وقلت فى فتور وقد بدأت أحس بالتعب يسرى فى مفاصلى اثر
 المشوار الطويل الذى مشيته ..

— يجوزة ..

وقال عادل :

— ما تقوليش يجوز .. صدقتنى يا نوجا .. وحياتك عندى
 أن كلامهم كذب ..
 وأجبتة وابتسامه فوق شفتى كأنى أطمئنه :
 — مصدقك ..

ومرت بيننا فترة صمت ثقيلة .. تبادلنا خلالها نظرات
 مختلسة .. وخيل الى لحظتها أن كلامنا قد اكتشف أنه صدم
 فى الآخر .. لست وحدى التى صدمت .. ولكن عادل أيضا
 صدم .. ولست وحدى التى شعرت بأن عادل قد تغير .. هو
 أيضا شعر بأنى تغيرت .

ورغم ذلك كان يجب أن نتأكد من حقيقة عواطفنا ..
 كان يجب أن نحاول استعادة حرارة الحب الكبير الذى
 عشت فيه صباى وشبابى .. الحب الذى روى أيام عمرى حتى
 تفتحت ..

واقترب عادل منى وقال وأنفاسه تطوف بوجهى :

ولكنى لا زلت غريبة عنه ..
وتركته يتمادى أكثر ..

يضفطنى الى صدره فى عنف ، كأنه يختبئ فى ليستظل
بجسدى ، بعد الشهور الطويلة التى قضاهها فى صحراء الكويت
.. ويده تمسح على ظهري .. وأصابه كلها منفرجة عن
بعضها كأنه يحاول أن يكومنى فى قبضته .. ثم زحفت أصابعه
ومست صدرى .. صدرى الذى كبر بين يديه .. صدرى الذى
أخذ ممسوحاً وتركه مكوراً ناضجاً ..
وأنا أراقب كل لمسة من لمساته بعقلي .. كأنى أبحث عن
صداها فى جسدى .. وفى قلبى ..

جسدى بارد كالثلج .. وأعصابى صامتة كعروق الخشب
.. وقلبي يتململ فى ضيق .. وصدرى لا يستطيع أن يتعرف
على هذه اليد التى ربهته ، وأنضجته .. أنى لا أحس بشيء رغم
شهور الحرمان الطويلة التى مرت بى ..
ولكنى لا زلت مستسلمة ..

أحاول أن أبحث فى عادل عن حبيبى ..

ثم مال بى فوق الأريكة .. وأنفاسه تحرق وجهى كلفح النار
عنه. **واحدى يديه مدسوسة فى شعري ، ويده الأخرى تقفز فوق**
كل قطعة من جسدى .. وثقله كله فوقى ..

وأنا لا أطيق أن أغمض عيني ..

ولا أطيق أن أفتحهما ..

ووصلت يده الى طرف ثوبى ، وهم أن يرفعه ..

وفكرت أن أبقي مستسلمة ..

لم لا ؟!

ان من حقه على أن أستسلم له .. انه الوحيد فى حياتى

الذى عبر على جسدى .. انه صاحب هذا الجسد .. انه الرجل
الذى صنعنى .. وصنع منى امرأة .. انه زوجى ، حتى ولو لم
نكن قد تزوجنا ..

ولكنى لم أستطع ..

لم أعد أطيق مزيداً من الاستسلام ..

أعصابى تلتوى ..

والزهق يخنقنى ..

ومددت يدي أمسك بطرف الثوب حتى لا يرفعه .. ونزعت
شفتى من بين شفتيه .. وأشحت بوجهى عن وجهه ، وهمست

— كفايه يا عادل ..

ولكنه لا يريد أن يكف ..

وضايقتنى أنه لا يريد أن يكف ..

كنت أعتقد أنه أكثر رقة ، وأكثر حرصاً على الا يأخذ منى
أكثر مما أعطيه ..

ولكن .. لعله لا يصدق أنى لا أريد .. لعله يعتقد انى أتدلل

عليه .. أو انى خجلة من أن أعبر عن حاجتى اليه ..

واضطرت أن أقاومه .. وقلت فى عصبية وأنا أحاول أن

أزيحه عن صدرى ، وصوتى يفيض بزهقى :

— ما تبقاش مجنون يا عادل .. أنا تعبانه ..

وافزاح من فوق صدرى ..

واعتدلت من رقدتى ، وجلست أحاول أن أسترد أنفاسى ..

وأنا أحس بشعرات ذقنه الثقيلة وقد ألهمت وجهى ..

وقال وأنفاسه لاهثة :

— احنا لازم نتجوز يا نوجا .. لازم ..

تلت وأنا أساوى شعري بيدي :

وقال عادل وصوته يأتي الى كأنه يشدني من عالم بعيد :
 — انا حاسس أنك اتغيرت يا نوجا ..
 ونظرت اليه كأنه كشف سري ..
 وقلت وأنا أحاول أن ابتسم :
 — اتغيرت ازاي ..

قال وفي عينيه لوم وعتاب :
 — مش عارف .. بس حاسس أنك اتغيرتى .. ما بقيتيش
 زى زمان .. ومتهيألى انى ما وحشتكيش ..
 قلت وابتسامتى ترتعش فوق شفتى :
 — أبدا بس أنا كنت يائسه منك .. وكما كنت عيانه ..
 من يوم ما شفنا بعض آخر مره وأنا عيانه ..
 وقال فى لهفة :

— عيانه ازاي ..
 قلت ووجه الدكتور هاشم يقفز فى خيالى :
 — بأعصابى ..
 وأمسك عادل بيدي ، وضغط عليها ، وقال :
 — وانتي استحملتى كثير يا نوجا ..
 ونكست رأسى صامته ..

لقد احتملت فعلا .. وتغيرت .. وانى أحس اليوم .. فى
 هذه اللحظة .. بكل التغيير الذى حدث لى .. أحس انى لم أعد
 الفتاة التى أحببت عادل هذا الحب المراهق المعلق فى السحاب
 .. أحس فى هذه اللحظة بالذات بأنى انسانة أخرى غير التى
 كنت أتصورها .. أحس بعقل جديد فى رأسى .. وقلب جديد فى
 صدرى .. وعالم جديد يحيط بى .. ان هذا العالم الجديد أصبح
 عالمى فعلا ، مهما أنكرت ، ومهما ترددت فى الاعتراف به ..

— وتفنكر ان ماما حاتسينا نتجوز ؟ ..
 ونظرت الى الباب كأنى أتعجل امى لتانى وتضبطنى ..
 وقال عادل :
 — مش حانستنا لغاية مامتك ما تسبنا نتجوز .. وافقت
 ولا موافقتش ، لازم نتجوز ..
 قلت :

— انت عارف ان ماما مش سهلة ..
 قال :
 — مهما عملت .. احنا تعبنا كثير يا نوجا .. وما تعرفيش
 أنا تعبت قد ايه فى الكويت .. كل يوم كان بيضوت على زى سنه
 .. وكان كل الى مصبرنى انى كنت عارف انى باكسب واحوش
 علشان أرجع واتجوزك ..
 ثم بدأ يحدثنى عن حياته فى الكويت .. وعن الاموال التى
 ادخرها من عمله هناك ..

وأنا أنظر بين الحين والحين الى الباب ، فى انتظار امى
 .. لماذا تأخرت .. لقد مضت مدة كافية لتكتشف هربى ..
 ولا بد انها عرفت انى هربت الى عادل .. انها لم تصدق أبدا
 انى نسيت عادل .. كانت دائما مؤمنة بأنى لا زلت أحبه ..
 ولا بد انها عرفت ان عادل قد عاد من الكويت .. ما دمت قد
 هربت .. وربما اتصلت ببيته وعرفت من عائلته انه قد عاد
 فعلا .. ولا بد انه خطر لها انى سألتقى به فى هذه الشقة التى
 ضبطتنى فيها عندما هربت فى المرة الأولى منذ أكثر من عام ..
 انها ذكية .. وفيها حاسة كلب الصيد ، تستطيع بها ان
 تتبعنى أينما ذهبت ..
 فلماذا تأخرت ..

ما كادت شفناه تلمسان خدى ، حتى نفرت منه .. وهمست فى
حزم :

— سيبنى دلوقت يا عادل ..
وابتعد عادل وهو ينظر الى بعينين واستعتين ، ثم ارتسمت
على شفوية ابتسامه مسكينة .. كأنها ابتسامه رثاء .. يرثى
بها حينا ..

وعدت ألفت الى الباب كأنى استغيث بأى .. استغيث بها
من حيرتى ..

لماذا تأخرت

ووجدت نفسى ألوم أوى ، لأنها تأخرت .. ثم أخيرا ..
ارتفع زئير جرس الباب ..
وانطلقت فرحة خبيثة فى صدرى .. وقلت كأنى أخطب
نفسى :

— دى لازم مايا ..

وقال عادل :

— أذا مش حافظح ..

وقلت كأنى أرجو :

— لو ما فتحتش حاتفضل مايا تضرب الجرس ، انشالله
لغاية بكره الصبح .. وتعمل لك فضيحة فى المماره .. ويمكن
تجيب البوليس ..

واكفهر وجه عادل وقال كأنه يستعد للحرب :

— طيب قومى خشى جوه .. وأنا حا أقول لها انك مش
هنا ..

قلت وأنا أشفق عليه :

— ما فيش فايدة يا عادل .. لازم نواجهها بصراحه ..

ولكن ما الذى غيرنى ؟

هل هو مجرد مرور الزمن ..

أم أنى كنت أحب عادل كفتاة ، ثم لم استطع ان أحبه
كامرأة ..

أم هو يأسى من عادل .. أيام ان انتزعتنى منه أوى ، وحطمت
حبنى ..

أم هم عشرات الرجال الذين رأيتهم فجأة حولى ، وكأنى
تنبتهت الى أن هناك رجالا غير عادل .. كلهم معجبون بى ..
وكلهم يحبوننى .. ولكل منهم أسلوب فى اعجابه وجبه ، ويختلف
عن أسلوب الآخر .. ويختلف عن أسلوب عادل ..

أم هو البذخ والاسراف والهدايا الكثيرة التى أذهلتنى ..
أم هو هاشم ..

لماذا أحشر هاشم فى كل حديث بينى وبين نفسى .. ان
هاشم مر فى حياتى مرور النسمة العابرة .. ولا يمكن أن يكون
قد ترك فيها أثرا يغيرنى .. ولكن .. من يدري .. لعل هاشم
قد غيرنى فعلا .. لعله هو الذى جعل لى ذوقا آخر فى الرجال
.. لقد مرت أيام اعتقدت فيها أن هاشم يستطيع أن يحل فى
قلبى محل عادل .. صحيح أنى أحسست أن تفكيرى فى هاشم
هو مجرد طموح .. مجرد حلم بعيد .. ولكن فى هذه الأيام ..
تحطمت صورة عادل فى قلبى .. لم يعد عادل هو مثلى الأعلى ..
أصبح مثلى الأعلى هو هاشم .. شخصيته .. طبيعته .. حنوه
.. وعمره الأربعين .. ومن يومها وأنا أبحث فى الرجال عن رجل
مثل الدكتور هاشم ، لا مثل عادل ..

واقترب منى عادل مرة ثانية ، وحاول أن يقبلنى .. ولكن

وقال عادلًا

— احنا حانتجوزا .. وما حدش حا يقدر يمنعا من الجوازا ..
.. كفايه ضيعتى من عمرنا سنه .. حرام عليكى .. انتى
يا غبيش فى قلبك رحمه ..
وقالت أمى :

— لو صحيح قلبك عليها كنت جيت اتجوزتها من بيت اهلها ..
بنات الناس ما بيتجوزوش فى الشارع يا سى عادل ..
ثم التفتت الىّ ، وقالت فى حزم :
— قومى يا ست نوجا وكفايه فضايح .. قومى معايا ..
وقلت كانى اغيظها :
— لا .. مش قايمه .. مش عايزه ارجع بيتك تانى ..
وقالت فى تأثر :

— ده مش بيتى يا نوجا .. ده بيتك زى ما هو بيتى ..
ولو انها تركتنى فى هذه اللحظة ، لجريت وراءها ، ولحقت
بها .. ولكنها لم تتركنى .. وقفت امامى تلح علىّ .. والنساء
المتشحات بالطرح البيضاء صامتات ينظرن الىّ بعيون جامدة ..
ثم قالت أمى وهى تتنهد :

— قومى معايا يا حبيبتى .. وعادل يبجى يتقدم لك فى بيتك
.. واحلفك انى مش حا اعارض .. كفايه اللى حصل .. واللى
انتى عايزاه حا يتعمل ..
ونظرت اليها فى تعجب ..
فاظننى استسلامها ..

انها لا تدرى انى لم أعد أريد الزواج من عادل .. لا تدرى
انى اكتشفت أن حبى قد ذبل .. أصبح كوردة كنت قد وضعتها
بين صفحات كتاب .. ولم يبق من عبيرها الا الذكرى ..

ونظر الىّ عادل طويلًا ..

وجرس الباب لا يكف عن الرنين ..
وأنا التفتت الى الباب .. ثم التفتت الى عادل فى رجاء ..
ورنين الجرس يملأ اذنى كأنه جرس سيارة المطافىء فى طريقها
الى اطفاء حريق ..
وزفر عادل انفاسه ، ثم قام وفتح الباب ..
وكانت أمى ..

مرتدية معطفها الأسود ، وعمامتها السوداء ، ووجهها
المكرمش اشد قسوة ، والتجاعيد أكثر عمقا كأنها جروح قديمة
جفت ، وعيناها ملهوفتان ، قاسيتان ، فيهما تحد مريع .. وخلفها
ثلاث من سيدات جمعية نور الهدى ، متشحات بطرحهن البيضاء
كأنهن الأشباح ..

وما كدت أراها حتى امتلأ صدرى بشعور التحدى ..
تحد ساخر ..
شعور أقرب الى الشماتة ..
ونظرت الى أمى كأنها تصفنى بعينيها .. وقالت فى صوت
مبحوح :

— كويس كده يا ست نوجا .. كويس لعب العبال ده ..
واتكأت على مسند الأريكة ، وقلت بلا مبالاة :
— أنا حره .. ما حدش له دعوه بى ..
وصرخت :

— لا انت مش حره .. انتى مش سايبه .. انتى وراكى
أهل لازم تحسبى حسابهم ..
والتفت سيدات نور الهدى حولى ، بطرحهن البيضاء ،
وأجسامهن الضخمة ، كأنهن قررن خطفى .. أو قتلى ..

وقفزت واقفة فى حدة :

— طيب اتفضلى .. اما اشوف .

وقال عادل وهو ينظر فى وجه امى كأنه لا يصدقها :

— انتى بتتكلمى جد يا طنط ..

وقالت امى وهى لا تنظر اليه :

— طبعا يا عادل .. انا عايزه ايه غير سعادة نوجا ..

وقال عادل بحماس :

— أموت عليكم الليلة دى ؟

وقالت امى :

— خليها بكره ..

ثم أحاطتنى بذراعها وجذبتنى ناحية الباب ..

وخرجنا دون أن التفت الى عادل ..

وخلفنا الثلاث المتشحات بالطرح البيضاء ..

ووجدت فى انتظارنا أمام باب العمارة سيارة عبد الفتاح

بيبه رفعت .. أونكل عبده .. يقودها سائقه الخاص ..

وجلسنا داخل السيارة .. أنا فى الوسط وبجانبى امى .

وحولى سيدات جمعية نور الهدى .. كأتى مجرمة ، قبض عليها .

وفى طريقها الى السجن ..

ولم أتكم خلال الطريق ، ولا كلمة .

وشعور جارف باليأس يملؤنى ..

اليأس من كل شىء ..

من الحب .. ومن المستقبل .. ومن السعادة .. ومن

نفسى ..

ووصل اليأس الى قمته فانقلب الى احساس باللامبالاة ..

لم أعد أبالى بشىء مما يجرى حولى .. لم أعد أبالى بما يمكن

ان يحدث لى .. بل لم أعد أبالى بأن أسأل نفسى عما أريد ..

ولا بأن أضغ معنى لتصرفاتى ..

وهزرت كتفى ، وأنا أخاطب نفسى ، كأتى أوكد احساسى

باللامبالاة .. وقالت امى وقد لمحت هزة كتفى :

— مالك ..

قلت :

— ولا حاجة ..

ثم ابتسمت ابتسامة بلهاء ..

ووصلنا الى بيتنا ..

ودخلت حجرتى ، وأنا منتظرة أن تلحق بى امى لتسألنى عن

التفاصيل .. كل التفاصيل .. التفاصيل التى تشبع شهوتها

العجيبة لمعرفة ما يجرى بين الولد والبنت ..

ولكنها لم تلحق بى ..

ظلت مشغولة عنى .. تتحدث طويلا فى التليفون .. وحولها

سيدات جمعية نور الهدى ..

وحوالى الساعة الثالثة ، سمعت رنين جرس الباب .. ثم

سمعت صوت أونكل عبده .. وانتظرت أن تأتى امى لتستدعينى

لمقابلته كعادتها .. ولكنها لم تأت .. وتمسكت بعنادى .. ولم

أخرج من غرفتى ..

وبعد أكثر من ساعة ، جاءت امى ووقفت أمامى ووجهها

صارم جامد وقالت فى لهجة حازمة :

— عبد الفتاح بيه عايزك ..

قلت بلا مبالاة :

— ليه ؟ ..

قالت :

— ودى كمان فيها ليه .. ما تقومى تشوفى عايز ايه ..

وهزرت كفتى .. وقمت وأنا بقميص النوم ، وارتديت فوطه
الروب ، وهممت بالخروج من الغرفة .. وقالت أمى :

— مش تلبسى فستان احسن ..
قلت :

— مافيش لازمه .. أونكل عبده مش غريب ..
وخرجت ..

ووقف عبد الفتاح يستقبلنى ..

وابتسامه كبيرة على شفطيه الغامقتين ، وقال فى حنان
مفتعل :

— أنا زعلان منك يا نوجا .. كده تخضينا عليكى .. دى
عمایل دى ..
وقلت :

— مش مهم ..

ثم جلست بجانبه .

ونظر الى أمى .. ونظرت اليه أمى .. ثم التفتت أمى الى
قائلة ، وهى تدفع أمامى ورقة كانت موضوعة على المائدة
الصغيرة :

— خدى امضى هنا ..

قلت فى دهشة :

— ايه دى ...

قالت :

— دى يا ستى ورقه علشان تانى مره ما تحاوليش تتجوزى
من ورانا ..
قلت :

— مش فاهمه ..

قالت :

— ما هو أنا ما اقدرش استحمل أكثر من كده .. ما اقدرش
أعيش وأنا خايفه فى كل لحظة انك تهربى وتتجوزى من ورايا
.. الورقه دى تمنعك من انك تتجوزى من غير ما نعرف ..
ويوم ما تحبى تتجوزى ، نبقى نقطعها ، ونجوزك اللى انتى
عايزاه ..

قلت :

— ودى تبقى ورقة ايه دى ..

قالت أمى فى حزم :

— ورقة جواز ..

قلت :

— يعنى حا اتجوز ..

قالت :

— جواز كده بس لغاية ما تتجوزى بصحيح ..

قلت وأنا أضحك :

— وحانجوز مين بأه باذن الله ..

وقالت أمى ووجهها يبتسم :

— عبد الفتاح بيه ..

وارتفعت ضحكتى ، كأنى أصرخ بها ، واستطردت أمى قائلة :

— الراجل الله يخليه ، حب يهدى سرى .. واتفقنا اننا

نكتب الورقه دى .. يعنى زى ما تقولى كده جواز عرفى ...

انما ما فيش أكثر من الورقه ..

وقلت وضحكتى لا تزال تصرخ وتملا البيت كله :

— صحيح حا تتجوزنى يا أونكل ..

— مرسى يا أونكل ..
ثم انحنيت أقبله قبلة سريعة على خده ..
وقذفت بالشيك أمام أمى ..
وجريت الى غرفتى ..
وجاء أونكل عبده خلفى ..

— ٣ —

هذه الورقة التى وقعتها بامضائى ، والتى لم أقرأها حتى اليوم ، والتى تسميها أمى ورقة زواج .. هذه الورقة حققت لأمى كل أمانيتها ..

وكانت كل أمانيتها أن تزوجنى لرجل لا يأخذنى منها .. رجل يتركنى لها .. زوج يتنازل عن كل حقوقه ، لها ، إلا الحق الوحيد الذى لا تستطيع أن تباشره بنفسها !
وكان عبد الفتاح بيه رفعت ، هو هذا الرجل ..

ولم يكن عبد الفتاح يريد أن يتزوجنى .. كان الزواج بمعنى الزواج أبعد ما يكون عن خياله .. ولكنه كان يريد أن يأخذنى .. بأى ثمن .. وكان يعلم أنه لا يستطيع أن يصل الى عن طريق قلبى .. ان عقليته وأسلوبه فى الحياة لا يحتملان هذا الطريق .. ثم انه كان يعلم أن هذا الطريق مسدود أمامه .. ليس عنده شيء يمكن أن يفتح به قلبى .. كل ما عنده هو ثراؤه .. ماله .. فالطريق الوحيد هو أن يشترينى .. يشترينى ممن ؟ ! من نفسى !! لا .. لقد اكتشف أننى لست حرة نفسى .. عرف أنى ، سواء سارادتى أو بغير ارادنى ، ملك لأمى .. فقرر ان يشترينى من أمى

وقال عبد الفتاح بيه وعلى شفطيه ابتسامة هادئة :
— ياريت يا نوجا ..
وقلت :

— وأنا فى ديك الساعة يا أونكل .. حد طایل ..
وجذبت الورقة ، وأمسكت بالقلم ، وقلت وأنا أوقع دون أن أقرأ شيئاً :

— وادبنى مضيت ..
وأخذت أمى الورقة وطوتها بعناية ، ووضعتها فى صدرها ..
وقالت :

— لازم تفهمى انك لو اتجوزتى دلوقتى حد تانى .. قبل ما نقطع الورقة دى .. حاتخشى السجن .. تبقى كأنك متجوزه اتنين ..
وقلت بلا مبالاة :

— ما تخافيش ..
وقال عبد الفتاح وهو ينظر الى بعينين هادئتين :
— وخذى ده كمان يا نوجا ..
وناولنى « شيك » ..
قلت :

— وده ايه كمان ..
قلت :
— ده المهر .. مش اللى بيتجوز بيدفع مهر ..
ونظرت فى الشيك .. انه بمبلغ الفى جنيه .. وهو مكتوب باسم أمى .. لا باسمى أنا ..
مهري ألفين جنيه .. كويس !!
وابتسمت لعبد الفتاح بيه ، وقلت :

.. انها لا تبغى .. انها لا تعطيني لرجل فى الحرام .. ولكنه
زواج .. زواج عرفى .. فيه كل ما يتطلبه الشرع .. والدين
الحنيف ..

ورغم ذلك ترددت اُمى فى ان تعرض على مشروع هذا العقد
.. كانت خائفة منى .. خائفة من ان تفقد بقية هويتها اُمى
.. الى ان هربت الى عادل ..

وكانت تعتقد انى لم ابرأ من حبى لعادل .. وانى لن اكف
عن محاولة الهرب اليه ، والزواج به رغم انفسها .. فقررت ان
تنفذ مشروع الاتفاق بينها وبين عبد الفتاح ..
ان تزوجنى له ..

هذا النوع من الزواج !

وكل ذلك لم اتبينه لحظة ان وقعت على الورقة .. لم اعط
نفسى مهلة للتفكير .. كنت واقعة فى برائن اليأس الذى انقلب
الى لا مبالاة ، بعد ان اكتشفت الفراغ القاتل الذى يملأ قلبى
بعد ان تكذبت انى لم اعد احب عادل .. وان كل ما كنت احس
به نحوه ، لم يكن سوى وهم تثيره ذكريات حب مراهق .. حب
لم يكبر مع عمرى .. تخلف مع طفولتى ..

ودخل عبد الفتاح ورائى الى غرفتى ..

تركته اُمى يدخل ورائى ، وبقيت منتظرة قريبا من الباب ،
فى حجرة الضيوف .. وابى المشلول فى حجرته ، لا يدري شيئا
من كل ما يجرى فى بيته ..

والقيت نفسى على الفراش وانا لا زلت بالرؤوب فوق قميص
النوم .. ونظرت الى عبد الفتاح نظرة لا مبالية .. ربما كان
فيها كثير من السخرية ..

.. وب عقلية المتاول بدأ يقول اُمى على وصبر طويلا على
مساومتها .. مساومات كانت تجرى من وراء ظهرى .. لا اعلم
بها .. و اُمى ليست هينة .. انها تستطيع ان تساوم .. وهى
فى الوقت نفسه ليست سيئة الى حد المجاهرة بسوءها ، فهى
تريد ان تجد غلالة تغطى بها عملية البيع والشراء .. ولكنها كانت
تعلم طول الوقت ان هناك مصلحة مشتركة بينها وبين عبد الفتاح
.. فعبد الفتاح يريد ان ياخذنى ، ولكنه لا يريد ان ياخذنى منها
.. بالعكس .. انه حريص على ان يبقينى معها .. فهو متزوج
وله اولاد كبار ، وله مركزه الاجتماعى الذى يحرص على مظهره ،
وكل ذلك يفرض عليه ان تبقى علاقتى به فى السر .. لا يعلم بها
أحد .. وكى لا يعلم بها أحد يجب ان ابقى مع اُمى ، وان تبقى لى
كل مظاهر البنت التى لم تتزوج بعد .. حتى لو كان من بين هذه
المظاهر ان يتقدم لى الخطاب .. وهذا يرضى اُمى .. انها
تستطيع بذلك ان تضمن انى سابقتى لها الى الأبد .. ملكا خاصا
.. فى بيتها .. امام عينيها .. هى وحدها صاحبة الحق على ..
ليس هناك رجل يشاركها فى سلطتها على ..

وقد انتهت المساومة الى الاتفاق على كتابة هذه الورقة ..
التى تسهيها اُمى زواجا .. او زواجا عرفيا .. انها فى الواقع
عقد بيع .. وعقد بيع من نسخة واحدة تحتفظ به اُمى .. فقد
رفضت اُمى ان يكتب العقد من نسختين يحتفظ عبد الفتاح
بالنسخة الثانية منها ، حتى لا يكون له حق يشهره فى وجهها
وتكون هى وحدها صاحبة الحق عليه .. ورضى عبد الفتاح ..
لانه لم يكن يريد ان يكون له حق أكثر من الحق الذى يعلم ان
اُمى وافقت عليه ..

وكانت هذه الورقة هى الغلالة التى طوت فيها اُمى ضميرها

وابتسم عبد الفتاح ابتسامة الرجل الصبور ، وقال :
 — قوى يا نوجا .. باحبك قوى .. انا كل ما ابص لك
 يتهيالى انى لسته عندى خمسة وعشرين سنه .. وكل ما بتضحكى
 بتهيالى ان الدنيا كلها بتضحك .. بتضحك لى انا .
 وسرحت ..

أحاول أن أحس بصدى كلماته فى قلبى .. انى فى حاجة الى
 الحب .. أى حب .. وحاجتى الى الحب هى التى تدفعنى الى
 التفكير فى الحب ..

ونظرت الى عيني عبد الفتاح .. وفيهما لمعة خاطفة .. انه
 يحبنى بطريقته الخاصة .. طريقة الرجل الفنى .. يحبنى كما
 يحب تحفة .. كما يحب عمارة .. حب تغلب عليه انانية الامتلاك
 .. كحب أمى .. ولكنه حب ..

وأفقت من خيالى ، وعبد الفتاح يقترب بشفتيه من شفتى ..
 ولم أحاول أن أهرب من شفثية ..

خيل الى أن محاولة الهروب ، لا داعى لها .. فأنا وقعت
 الورقة .. والرجل دفع الفى جنيه .. وأمى تقول أن هذا زواج
 .. ثم انى أريد أن يحدث لى شىء .. أن أتسلى بشىء .. أى
 شىء .. لا ابالى بأى شىء ..

ثم تملكى شعور جارف بانى أريد أن أتفرج على عبد الفتاح
 بيه رفعت ، الغنى المشهور ، صاحب النفوذ .. وهو يمارس
 الحب ..
 وتفرجت ..

وتفرجت على شفثيه وهما تتحركان بين شفثى .. فى اشتهاه
 عنيف جشع .. وتفرجت على عينيه تبرقان أحيانا كأنهما ستنطلقان
 من وجهه ، ويفمضهما أحيانا كأنه يحتفظ بهما لنفسه ، خوفا من

وجلس على حافة الفراش .. وأخذ يتكلم .. لم يكن يهمنى
 ما يقول ولكنى كنت أريد أن أسمع كلاما .. أى كلام .. كلام
 يشعرنى بأن هناك شيئا يحدث فى حياتى .. أى شىء ينتشلنى
 من هذا الركود .. من هذا السأم .. من هذا الفراغ .

وعينائى تطلان على وجهه .. ربما كنت أسمع كلامه بعينى
 أكثر مما أسمعه بأذنى .. أسمعه ينطلق من تجاعيد وجهه
 الأسمر . سمرة تميل الى زرقة .. ومن السنوات الخمسين
 التى تحيط بعينيه .. ومن شفثيه الرفيعتين الحازمتين اللتين
 يملئ بهما مشيئته على الناس .. ومن أصابع يديه القصيرة
 الغليظة كأنها تأكلت وهو ينبش بها الأرض بحثا عن كنز هارون
 الرشيد ..

وخطر على بالى سؤال ..
 هل يحبنى ..

عبد الفتاح .. هل يحبنى ؟

غريبة أن أسأل نفسى هذا السؤال .. ان موضوع الحب
 لم يكن أبدا موضوعا بيننا .. هو يعلم ذلك .. وأنا أعلمه ..
 ولكن لماذا الفى الحب بيننا .. لماذا افترض أن كل ما هو بيننا
 هو بيع وشراء .. انه لم يشترنى الا لأنه يحبنى .. وأنا .. وأنا
 لم أبعه نفسى الا لانى وجدت فيه شيئا أحبه .. ربما احساسى
 بقوته .. أقصد قوة ثرائه .. قوة نفوذه .. قوة صبره على طول
 الشهور التى مضت .. قوة ذكائه التى استطاع أن يصل بها
 الى .. قوة اهتمامه بى .. انى لم أحس بكل هذا تجاد أى رجل
 آخر من الرجال الذين قدمتهم الى زيزى ..

ووجدت نفسى أسأله كائى أحداث نفسى :

— بتحبنى يا أونكل ..

استسلامى سخيـف ..

وافكارى سخيـفة ..

والفيلم الذى شاهدته سخيـف ..

انى لست نادمة ..

ولا سعيدة طبعاً ..

ولا أريد أن أبكى ..

ولا أريد أن ابتسم ..

فقط .. سخيـفة !

واحساسى بالسخافة يملؤنى .. يسرى فى كل عروقتى ..

انه احساس مؤلم .. ليس هينا أبدا الشعور بالسخافة ..

انى أحس بشيء ينزف من قلبى .. وأحس بأعصابى تتلوى ..

ولا أستطيع شيئاً .. ليست لى دموع تريحنى .. ولا أجد دافعاً

للصراخ حتى أصرخ وأرتاح .. ولا أستطيع أن ألوم احداً ..

ولا أمى .. ان السخافة عذاب متجمد .. أصم .. كالخشب ..

كعمود من الحديد أحمله فى صدرى .. واتلوى فى فراشى ..

وأخفى وجهى فى وسادتى .. وأضرب عليها بقبضتى .. وصدرى

ضيق ..

وجاءت أمى بعد أن خرج عبد الفتاح من البيت ، لتسمع منى

التفاصيل .. كل التفاصيل .. ورفعت اليها رأسى فى زهق ،

وقلت بلا صراخ :

— سيبنى دلوقتى يا ماما .. أنا تعبانه ..

وخرجت أمى ..

ولكنها عادت لتنام بجانبى طول الليل ، فى انتظار أن تسمع

التفاصيل .

أن يذركاه ويفرا الىّ .. وتفرجت على يديه الثقيلتين الجافتين ،
وهما تختاران الأماكن التى تتحسسها من جسدى .. وتفرجت
عليه وهو يخلع ثيابه فى هرولة مضحكة ، وتفرجت على وجهه
وهو يحتقن ويزدرد ويسخن .. وتفرجت على أنفاسه وهى تنفح
وتلهث .

تفرجت ..

كل ما أحسست به ، هو احساس المتفرجة .. كأنى أشاهد
فيلماً سينمائياً .. للكبار فقط .. كأن هذا الجسد ليس جسدى
.. وكأن كل ما حدث لا يحدث لى .. أنا بعيدة .. هناك مقاعد
المتفرجين .. أتفرج ..

ولم أذكر ساعتها أنى لست عذراء ..

لم يخطر على بالى هذا الموضوع ..

ولم يحاول عبد الفتاح أن يذكرنى به .. لم تبد على وجهه
دهشة عندما اكتشف أنى لست عذراء .. ولم يسألنى ، ولا علق
بشيء ..

ربما لأنه كان يعلم بينه وبين نفسه ، ان العلاقة بيننا لا تتطلب
أن أكون عذراء ، ولا تعطيه حقاً ليحاسبنى على الماضى .. وربما
لأن عقد البيع لم يسجل فيه أنى عذراء ..

المهم أن هذا الموضوع لم يقلقنى أبدا طول فترة علاقتى بعبد
الفتاح .

ولكنى يومها .. وبعد أن ارتدى عبد الفتاح ثيابه ، وخرج
ليشرب فنجان قهوة مع أمى .. بدأت أحس احساساً جديداً ..

أحسست بأنى سخيـفة ..

كل ما حدث .. سخافة !

وأنا .. سخيـفة ..

رجلا مهما مثل عبد الفتاح بيه رفعت .. ربما .. فانى لم استطع
أن أعرف أبدا حقيقة شعور أبى نحو عبد الفتاح .. لسانه المشلول
كان يمنعه من التعبير عن شعوره .. وعيناه كانتا تصممان
وتموتان كلما رأى عبد الفتاح أو تحدثنا عنه أمامه ..
وفيما عدا هذا ، كنت أعيش حياة فتاة عادية ..
فتاة ..

بنت

أمى تعاملنى أمام الناس على أنى فتاة ، وتأخذنى وتزور
بى العائلات ، وتقبل الحديث عن خطوبتى .. بل انها لا تمنع
فى استقبال الخطاب .. وأنا بدورى لا أمانع فى أن أبدو أمام
كل خطيب تعرضه على احدى صديقات أمى الكثيرات .. غريبة ..
ان خطابى كثيرون .. وكلهم يلحون .. أمى هى التى ترفضهم
دائما .. وعادل لا يزال يحاول أن يتصل بى .. ولكنها محاولات
يائسة .. وأنا أريده أن يظل على اتصال بى .. فقد كان عادل
هو سلاحى الذى أهدد به أمى .. أهددها بالهرب اليه والزواج
منه .. وكانت أمى لا تزال مقتنعة بأنى أحبه ، وكنت أتركها على
افتناعها .. حتى تظل خائفة .. وأفتعل معها خناقات أهددها فيها
بالهرب الى عادل .. لتخاف أكثر ..

ولكنى أشعر بالسخافة ..

الاحساس بالسخافة لا يفارقنى أبدا .. سخافة حياتى كلها ..
سخافة التمثيلية التى أعيش فيها .. وأحاول أن أهرب من هذا
الاحساس بالسخافة .. فأملأ وقتى بأشياء تافهة .. كل يوم
أنزل أنا وأمى لنطوف بالحوانيت .. وأشتري .. وأشتري فى
جنون .. أشتري بلا مزاج وبلا ذوق .. وفلوس عبد الفتاح
لا تنتهى .. وكل يوم أذهب الى سينما أو فى زيارة .. ثم عرضت

انها لن تستريح أبدا . الا اذا سمعت التفاصيل .. كل
التفاصيل ..

وتغيرت حياتنا بعد ذلك ، بفضل سخاء عبد الفتاح ..
انتقلنا من شقتنا الصغيرة فى الجيزة ، الى فيلا فى شارع
الهرم ..

وجددنا اثاث البيت كله ..
وأصبح عندنا طباح وسفرجى ..

وفى عبد ميلادى اشترى لى عبد الفتاح سيارة أوبل كابتن ،
لونها أبيض .. ورفضت أمى أن أتعلم قيادتها .. خافت على ..
وربما خافت أن أهرب بها .. وأصبح عندنا سائق أيضا ..
وعلاقتى بعبد الفتاح لا تزال سرا .. لا يعلمه أحد ..
والذين يعلمون لا يعلمون أكثر من أنه صديق العائلة ، وبعضهم
يعتقد أنه قريب لنا .. ولا زلت أناديه أمام الناس ، وأمام أبى
أيضا « أونكل عبده » . وهو لا يأتى لزيارتنا أكثر من مرتين فى
الأسبوع .. ويأتى غالبا فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وينصرف
فى السادسة .. وتستعد أمى لزيارته بأن تخلق البيت الا منى
ومنها .. تصرف الطباخ .. وترسل السائق فى مشوار ..
تكلف السفرجى بأن يأخذ أبى المشلول فى كرسيه ذى العجلات ،
ويخرج به فى نزهة بشارع الهرم .. ثم يأتى عبد الفتاح الى
غرفتى .. وتجلس أمى قريبا من الباب ..

وعندما يعود أبى من نزهته ، يكون عبد الفتاح قد خرج
من غرفتى وجلس مع أمى فى الصالون ، يشرب فنجان القهوة ..
ولم يكن أبى يحب عبد الفتاح ولم يكن يكرهه .. ولكنه
مستسلم لوجوده وسط العائلة .. استسلامه لكل شيء
وربما كان يشعر ببعض الاعتزاز بأن يكون أحد أصدقاء العائلة

.. لم أعد فى نظرها فتاة ساذجة .. ولم تعد أمى أما ساذجة ..
.. لقد عرفت أننا أخذنا عبد الفتاح .. صحيح أنها لا تعلم بمدى
العلاقة التى أصبحت تربطنى بعبد الفتاح .. لا تعلم بأمر الورقة
المكتوبة بيننا .. ولكنها تعلم كل شيء بعد ذلك .. بل أنها فى
أول يوم عدنا الى زيارتها قالت وهى تطلق ضحكها الصارخة :

— وازى عبد الفتاح بيه .. ده من يوم ما شافك عندى
أول مره ما حدش شافه .. انها مش والنبي راجل كريم ..
مش قلت لك .. ماغيش حد فى كرمه أبدا .. دم بيرمى الفلوس
رمى ..

وكانت تتكلم وهى تنظر الى ثوبى ، والى الساعة التى فى
معصمى ، والخاتم الذى فى أصبعى ..

ورغم ذلك لم تكن زيزى تمنع فى أن نعود الى صداقتنا
.. فهى فى حاجة الى كل وجه جميل تستطيع أن تزين به
سهراتها ، وترضى به أصدقاءها الكثيرين ..
وبدأت أسهر فى المحال العامة ..

وأصدقاء زيزى يترددون على مستوى معين من المحال العامة
.. الأوبرج .. الشجرة .. الأريزونا .. هناك مستوى آخر
من المحال لم أذهب اليه مع شلة زيزى .. شبرد .. وسميراميس
.. والهيلتون .. هذه المحال ذهبت إليها مع شلة أخرى ..

وإذا لم أسهر فى المحال العامة سهرت فى الحفلات الخاصة
التي تقيمها صديقات زيزى .. وكلهن زوجات .. أزواجهن
مغفلون ..

ونظرات الرجال من حولى تلسعنى ..

انى لا زلت أجمل وأصغر من فى الشلة .. ف
وكنت أتسلى بلسع نظرات الرجال .. ولكنى أصبحت

على أمى أن نعود الى زيارة زيزى .. ورفضت أمى .. لقد كانت
تريد أن تكتفى من مجتمع زيزى بعبد الفتاح .. ولكنى صممت ..
انى زهقانه وأريد حياة تشغلنى عن نفسى .. وأريد حياة
صاخبة .. مزدهمة .. حفلات .. ورجال .. ورقص .. ولكن
أمى ترفض .. وشكوت لعبد الفتاح .. ولم يكن عبد الفتاح
يرفض لى طلبا .. فاستطاع أن يقنع أمى بأن تسمح لى بزيارة
زيزى .. وقال لها :

— ما دام انتى معاها يا عزيزه هانم .. أنا مطمئن عليها ..
وردت أمى قائلة :

— انت عارف يا عبد الفتاح بيه انى مش موافقه على
عيشة زيزى .. والناس بتتكلم عنها كثير .. واحنا مش ناقصين
كلام .. نوجا لسه صغيره ومش زى الستات اللى بيتلموا على
زيزى ..

وقال عبد الفتاح كأنه يدخل مع أمى فى مباراة نفاق ..
وكل منهما يعلم حقيقة الآخر :

— يا ستى .. الناس بتتكلم على بعض بالحق والباطل ..
والحقيقه زيزى ست مسليه ، وبتحب نوجا .. وما دام انتى
معاها .. خلاص .. انتى الخير والبركه ..

وكان عبد الفتاح مطمئنا على فعلا ما دأمت أمى معنى (٥٠٥)
كان واثقا أن أمى تعمل لحسابه .. أصبحت موظفة عنده ..
وظيفتها أن تحتفظ بى له .. وتعدنى له .. وتسجننى له (٥٠٥)
ويصل عن طريقها الى كل ما يريد منى .

وعدنا الى حياة زيزى ..

أنا وأمى (٥٠٥)

ولكن زيزى لم تعد تعاملنى على ائى فتاة جديدة على مجتمعها

.. وأنا أقاوم فى صمت .. وأقاوم أكثر لأستمر فى هذه الحياة العنيفة التى أعيشها .. وتمر بى ليالى لا أستطيع أن أخرج ، فادعى أمام أمى أنى زهقانة دون أن أصرخ لها بالأمى .. ثم بدأت أشعر بنغزات فى صدرى كنفز السكين .. وحتى هذه الآلام كتمتها .. ولكن النفز يشتد .. وأحس بقلبى يضرب .. ضرباته ليست منتظمة .. ثم أصبت بالحمى .. ارتفعت درجة حرارتي مرة واحدة الى الأربعين .. ربما ارتفعت قبل ذلك ، ولكنى صبرت عليها الى أن وصلت الى الأربعين ..

.. ووقعت ..

أصبت ..

واللهفة تصرخ على وجه أمى : **ههه** وأنا مستسلمة أجتر الألم .. وأنصهر فى الحمى .. صامته .. لا أريد شيئاً .. حتى الشفاء ..

وجاء عبد الفتاح ومعه طبيب ..

وجاء طبيب آخر ..

ثم كونسلتو من أربعة أطباء ..

انه قلبى ..

قلبى مريض ..

حمى الروماتزم وصلت الى قلبى ..

والأطباء يترددون كل يوم .. ويتهامسون .. ثم يهمسون فى أذن أمى .. ولا أحد يقول شيئاً .. ولكنى فهمت أنه قلبى .. وهبطت الحمى ..

ولكن قلبى .. انى أفيق على نغزات تكاد تقتلنى .. وأحياناً أحس به كأنه متوقف .. وأغمض عيني فى انتظار الموت .. وهمست لأمى :

— ابعتى هاتى الدكتور هاشم ..

عصبية .. أنى أضحك فى عصبية .. وأتكلم فى عصبية .. وأتحرك فى عصبية .. والبس وأترين فى عصبية .. ذوقى فى اختيار ثيابى أصبح ذوقاً عصبياً .. أصبحت أنتقى ثياباً تكشف عن مساحات كبيرة من لحمى .. وأترين زينة فاقعة .. لا لشيء .. الا لأنى عصبية .. وأحياناً أجرح بعصبيتى دون قصد .. القى كلمة تجرح .. أو ضحكة تجرح .. أو حركة تجرح .. وأمى بجانبى بمعطفها الأسود وعمامتها السوداء .. كخفير الدرك .. تحاول أن تحميني من عصبيتى .. ومن الرجال .. لا تسمح لى منهم الا بلسع نظراتهم ..

وأحساسى بالسخافة يشتد ..

أعود الى البيت الأتلى فى فراشى ، وأخفى وجهى فى وسادتى ..

ولا شيء يريحنى ..

يريحنى من سخافتى ..

وكلما شغلت نفسى فى هذه الحياة ، شعرت بفراغ أكثر . كأنى أعيش فى كيس مثقوب كلما ملأته فرغ .. ان الفراغ فى داخلى .. انى أعلم أنه فى داخلى .. فى قلبى .. فى أحاسيسى .. فى رأسى أيضاً .. ليس فى رأسى شيء لأنى أصبحت أخافت أن أفكر .. وهذا الفراغ ، هو الذى يترك المجال للأحاساس بالسخافة ..

والسخافة تأكل من جسدى ..

أعصابى تمتص صحتى ..

انى أضعف .. وأحس .. ولونى يذوب .. وزرقة باهتة تحت عيني .. ثم بدأت أشعر بالألم فى مفاصلى .. أخفيتته عن أمى .. لم أشك .. ولكن الألم يشتد .. وأحس به ينتقل وينتشر ..

انه لم يتغير ..

ربما زادت الشعرات البيض فى رأسه .. كأن ذكاه أصبح
أكثر اشعاعا .. وعيناه الواسعتان الطيبتان .. وجفناه المنتفختان
كأنه يحمل بلسما يكفى لشفاء الناس كلهم .. وأنفه الكبير الصامت
.. وشفتاه المبتسمتان دائما كأنه يمسح بابتسامته آلام مرضاه
.. ورائحته نظيفة تفوح منه كأنها رائحة الهواء النقى ..

وابتسمت صامته كأنى ارتحت لمجرد رؤيته ..

وأحسست أنى أتعجله ليقترب منى حتى يفحصنى .. لا ..
لم أكن أريده أن يفحصنى .. كنت أريده أن يقترب منى لأضع
رأسى على صدره ، وأرتاح .. أنام ..

واقترب منى ، وشد مقعدا وجلس بجانب فراشى .. ثم
أمسك بيدي يقيس نبضى .. وأحسست بيدي كأنها تريد أن تنام
فى يده .. أحسست به يسرى فى أعصابى كلها .. وسكت
النفز فى قلبى ..

وقالت أمى :

— احنا غلبنا يا دكتور ، ده ..

وقاطعها بلهجة حازمة :

— لو سمحتى يا عزيزة هاتم .. قهوه ..

ونظرت اليه أمى كأنها تلومه لأنه لم يمنحها فرصة للكلام ،
ثم خرجت لتأمر باعداد القهوة ..

وأدرت رأسى نحوه .. ولم أكن أريد أن أقول شيئا .. كنت
فقط أريد أن أنظر اليه .. ولكنه قال ، وحاجباه معقدان كأنه
يجمع بينهما كل ذهنه :

— ما تتكلميش دلوقتى يا نجوى ..

وبدأ يفحصنى ..

والتمعت عينا أمى الحزبتان ، كأنها تذكرت شيئا كانت ..
نسيته .. لقد كانت حتى هذا اليوم تعتمد على الأطباء الذين
يستدعيهم عبد الفتاح .. وعبد الفتاح لم يكن يعرف الدكتور
هاشم ..

وأسرعت أمى نحو التليفون فى خطوات حازمة كأنها قررت
أن تتحرر من سيطرة عبد الفتاح ..

وشعرت بين غابة الألم التى أعيش فيها كأنى ابتسم ..
انى لم أفكر ساعتها فى الدكتور هاشم ، كطبيب يشفينى ، ولكنى
فكرت فيه كدواء مسكن .. ولا أدرى لماذا فكرت فيه بعد كل هذه
الشهور .. ربما لأنه كان دائما فى داخلى وكنت أضغط عليه
بأعصابى حتى أقنع نفسى بأنه ليس فى داخلى .. حتى أتخلص
من الأحاسيس التى تركها فى عندما جاء يعالجنى فى المرة
الأولى .. وربما عندما طلبت من أمى أن تستدعيه ، كنت فى
حاجة الى هذه الأحاسيس ، أكثر من حاجتى اليه كطبيب ..

وجاء الدكتور هاشم ..

هاشم ..

جاء فى نفس اليوم ، وفى الساعة الثانية بعد الظهر ، بعد
موعد عيادته مباشرة .. ولابد أن أمى قد أبلغته بخطورة مرضى ،
حتى جاء بهذه السرعة ..

ووقف على رأس فراشى وسحابة من الجزع تطوف بوجهه ،
طردها بابتسامة كبيرة ، ثم قال وهو ينظر فى وجهى كأنه بدأ
يفحصنى :

— أنا زعلان منك .. يعنى حضرتك ما تفكرينش
الا لما تعيبى ..

ملأت منه عينى ..

قلبي المرتبكة .. نسيت انى مريضة .. كان كل ما فى من مرض
انى لا استطيع ان اقوم من فراشى لالحق به ..
وعاد الى ..

وعادت وراءه امى تحمل له فنجال القهوة ..

واخذ الفنجال ووضعها جانبا كأنه لن يشربه ، وقال لأمى :

— أقدر أشوف الرشتات ..

وأخرجت له امى عشرات الروشتات ، والتقاير ، وصور

الأشعة ، التى اعددها الاطباء الذين سبقوه ..

واستغرق فى دراستها ..

لم يلتفت الى ..

وفجأة وجدت نفسى أتساءل وأنا أنظر اليه وهو مستغرق فى

دراسته .. هل يعلم شيئا عن علاقتى بعبد الفتاح .. ولا أدري

لماذا خيل الى أنه قد يكون قد اكتشف هذه العلاقة وهو يفحصنى

.. انه وهم .. ولكن هكذا خيل الى ساعتها .. كأنى خشيت أن

يكون قد رأى بصمات عبد الفتاح فوق فخذى .. أو شم رائحته

فوق صدرى .. واضطربت .. أحسست كأنى أريد أن أجرى

الى الحمام الاستحم حتى أتخلص من رائحة عبد الفتاح وبصماته ..

وأعد لهائشم نظيفة ..

والقى هاشم بالأوراق التى فى يده ، بعصبية .. ثم نظر

الى والتقى بعينى المضطربتين فابتسم وقال :

— ما تسألنيش دلوقتى .. لسه ما عرفش .. بعد ربع

ساعة بالضبط حا اعرف ..

ونظر فى ساعته ..

وقلت وأنا أبتسم بكل ما بقى من قدرة على الابتسام :

— تفكر حاخف يا دكتور ؟

وشعرت وهو يفحصنى بشيء لم أشعر به واى طبيب آخر

يفحصنى .. كان مستغرقا فى فحصى الى حد انى شعرت بانى

أفحص نفسى معه .. كأنى أنا وهو طبيبان ، وهذا الجسد ليس

جسدى .. ولكنه جسد مريض اشترك فى فحصه .. وساعدنى

هذا الاحساس على أن أحدد نوع الآمى أكثر .. وأن أعبر بدقة

أكثر .. لقد كانت مواضع الآمى تفلت منى دائما عندما يسألنى

عنها الطبيب .. كنت لا أكاد أحس بها فى ركبتى حتى يخيل

الى أنها فى كفتى ، وليست فى ركبتى .. ولكنى الآن أستطيع

أن أحصر الألم .. وأجيب على أسئلة هاشم السريعة ، وأنا

واثقة من صحة ما أشعر به ..

ثم فحص قلبى ..

فحصه طويلا .. وسماحته فى يده .. كأنه يخاطب قلبى

بالتليفون حديثا طويلا لن ينتهى ..

ثم فجأة رفع رأسه ، ونظر الى مبتسما ، وقال وعلامات

الاجهاد على وجهه :

— انتى ما يكنكيش دكتور واحد .. لازملك انتين ..

ثم قام واقفا واستطرد قائلا فى عجلة :

— فين التليفون ..

وأشرت بأصبعى ، وقلت وأنا أبتسم له :

— بره .. فى الكوريدور ..

ومددت يدي لأضغط على الجرس الموضوع بجاب فراشى

حتى يأتى له أحد بالتليفون ، ولكنه خرج من الغرفة ليبحث عن

التليفون بنفسه .. خطأ فى بساطة ، كأنه فى بيته .

وسمعت صوته يأتى الى وهو يحادث الطبيب الآخر .. كل

خلجة منى كانت منصرفا الى الاستماع لصوته .. ونسيت ضربات

ونظر الى كانه غضب منى وقال :

— نجوى .. ما تبقيش زى العيال الصغيرين .. اذا كنت
باقول لك لسه ما اعرفش .. يبقى حاعرف ازاي اذا كنتي
حاتخفى والا لا ..

وانسعت ابتسامتى ..

أحسست به قريبا جدا منى .. أحسست به فى قلبى المريض
.. حائر معه .. انه لا يحاول أن يبدو أمامى كطيب يقول كلاما
يشجع به رضاه .. انه يريد أن يطمئن هو أيضا ، قبل أن
يطمئننى ..

وتكرمش وجه أمى أكثر ..

أحسست فى لهجته كانه يقسو على ..

وعاد هاشم بقول لى :

— تعالى نقول أى كلام لغاية الدكتور رشدى ما بييجى ..
قولى لى .. كنت بتعملى آيه طول المده اللى ما شفتكيش فيها ..
ولم يكن يعنى كلامه ..

كان يريد أن يقول أى كلام ليرفه عن نفسه فى حيرته ..

قلت وابتسامتى لا تزال فوق شفتى :

— كنت عابشه ..

وقال هامسا وهو ينظر الى أمى نظرة سريعة ثم يعود وينظر
الى :

— ومين اللى تعب قلبك ..

قلت بصوتى الضعيف كانى أذافع عن نفسى :

— ولا حد .. هو اللى تعب لوحده .

قال ضاحكا :

— لازم علشان كان لوحده ..

قلت نى صوت خافت :

— يمكن ..

وعاد ينظر الى ساعته ، ثم قال :

— الدكتور رشدى اتأخر ..

ثم التفت الى واستطرد قائلا :

— تعرفى أنا متغاضب منك .. ازاي تعبى .. بنت صغيره
وحلوه زيك تسبب نفسها لغاية ما تعيا ليه .. ما تقوليش ربنا
عايزا كده .. ربنا مش عايز حد يعيا .. الناس هى اللى بتعيا
نفسها .. انتى ما تولدتيش عيانه .. انتى اللى عييتى نفسك ..
ودلوقتى بتتألمى .. ومامتك بتتألم .. وأنا بتألم ..

مرة ثانية كان يتكلم باخلاص .. ببساطة .. انه يتألم لى
.. يتألم الى حد لا يشفق على فى مرضى ، بل يلومنى عليه ..

ومصصت أمى بشفتيها ، وسكتت ، وهى ملتفتة اليه
ونظرة لوم كبيرة فى عينيها .. لوم لا تفصح عنه خوفا منه ..

وعاد هاشم والتقط أوراق الأطباء الآخرين ، يدرسها مرة
ثانية ..

وجاء الدكتور رشدى يحمل معه آلة رسم القلب ..

وتقدم اليه الدكتور هاشم يستقبله كانه صاحب البيت ،
وعاونه على وضع آلة رسم القلب .. وعلى ربط قطع الرصاص
فوق ذراعى .. ثم أطل بعينه يتبع الورقة التى تخرج من الآلة
مرسوما عليها نبضات قلبى .. وهو معقد الحاجبين .. وخيل
الى أنه يلهث وراء الخطوط التى ترسمها الآلة ..

ولحت على شفثيه طيف ابتسامه ، ما ليثت أن اختفت ..

ثم قام هو والدكتور رشدى بعد أن انتهى من رسم قلبى ،
وخرجا من الغرفة .. وأمى معها .. وغاب طويلا .. ربع ساعة

وقلت :

— عايزه أعيش يا دكتور ..

قال :

— يبقى مش كفايه انك تفكرى انك تتخلصى من الألم .. ألم الروماتزم .. لأن الموت يربك من الألم أكثر من الحياه .. انما لازم تفكرى فى حاجه تعيشى علشانها .. حاجه عايزه عملها .. حاجه حلوه .. حاجه تشرح .. حاجه تسعدك .. أمل .. أمل .. كبير .. وقررى بينك وبين نفسك انك تعيشى علشان الحاجه دى .. عايزك تحسى بأن لك اراده على الحياه .. قررى انك تعيشى .. وانتى تعيشى ..

ونظرت اليه ، وكلماته توقظ دمايى وتطلقها فى عروقى .. أحسست بشيء يتدفق فى داخلى كأنه يروى جفاف جسدى الهزيل الذى أنهكه المرض .. وقلت :

— حاضر ..

وقال ضاحكا :

— حاضر دى مش كفايه .. قولها تانى .. قولها وانتى بتضحكى ..

وتعلقت عيناي بوجهه .. هذا الوجه كان معى منذ رأيناه أول مرة .. كان معى .. ولكنى هربت منه .. هربت الى الفراغ .. الى السخافة .. ربما لم يمرض قلبى الا لانى أخذته بعيدا عن هذا الوجه ..

وقلت مرة ثانية :

— حاضر ..

وكدت أستطرد قائلة : سأعيش من أجلك ..

وعاد هاشم يقول :

.. أو أكثر .. ثم عاد الى وحده وخلفه أمى ، وكان الطبيب الآخر قد انصرف ..

وجلس هاشم بجانب فراشى .. وقد أشرق وجهه بابتسامه كبيرة .. وأمسك بيدي فى يده .. وقال :

— دلوقتى أقدر أقول لك .. شنوفى يا ستى .. الدكاتره اللى شافوكى قالوا ان عندك روماتزم فى القلب .. انما أنا باقول لا .. الروماتزم ما وصلش القلب .. انما قريب قوى من القلب ..

وأشار بأصبعه الى تحت قلبى مباشرة .. وقال :

— الروماتزم واصل لغاية هنا .. انما حا يحاول يوصل للقلب .. والمفروض دلوقتى انى أنا وانتى والروماتزم نخش معركة .. بس لازم أعرف انتى حا تقفى مع مين .. معايا .. ولا مع الروماتزم ..

وابتسمت ابتسامة ضعيفة ، وقلت :

— معاك طبعا ..

قال :

— خلاص .. اتفقنا .. وأنا مش حا أخبى عنك حاجه .. علشان تبقى دايم عارفه انتى واقفه فىن .. وصدقينى لما أقول لك انك أهم من فى المعركة دى .. انتى بارادتك تقدرى تخفى .. وبارادتك .. تقدرى تموتى .. فتقوللى .. انتى عايزه ايه بالضبط ..

وقالت أمى :

— ايه لازمة الكلام ده يا دكتور .

قال ضاحكا :

— ده كلام بينى وبين نجوى ..

وأخذ يراجع زجاجات الدواء التى وصفها لى الأطباء
الآخرون ، واختصر نصفها ، وأوصانى بالنصف الباقى ..

ثم نظر فى ساعته ، وقال :

— الليلة حا اطمئن عليكى فى التليفون الساعه تمانيه ..
والساعه تسعه تكونى نمتى .. وبكره الصبح حا افوت عليكى
قبل ما أروح العياده واجيب لك التقرير معايا .. وبتحبى
ساندويتشات ايه ؟ !

قلت فى دهشة :

— أكل ساندويتشات !!

قال ضاحكا :

— لا .. ده علشانى أنا .. أصلى لسه ما تغدتنشى ..
وحا افوت أكل ساندويتش ..

وقالت أمى :

— نجيب لك الغدا حالا يا دكتور ..

قال :

— لا .. ما عنديش وقت ..

ثم عاد والتفت الى قائلا :

— بتحبى ساندويتشات ايه ؟ ..

قلت وأنا أبتسم وقلبى المريض يضحك فى صدرى :

— فراخ . وسوسيس .. ومخ .. وروزيف ..

قال :

— خلاص .. حا اكلهم فى صحتك ..

ونظر الى بعينين مبتسمتين ، كأنه يقبلنى بهما ..

وخرج ..

وهممت أن أعتدل فى فراشى وأطل وراءه واتزود بنظرة أخرى

— المسألة مش سهله .. الحرب بيننا وبين الروماتزم يمكن
تاخذ لها شهر .. ولازم نستحمل الشهر ده .. ونستحمل شهرين
كمان .. ونستحمل واحنا بنضحك .. واحنا متأكدين اننا حاننتصر
.. وأنا حاوصفلك حالتك بالضبط .. انتى تعرفى تقرى
انجليزى ؟ ..

قلت :

— لا ..

قال :

— مش مهم .. الليلة حا اسهر واكتب لك تقرير عن حالتك
بالعربى .. حا اقول لك كل الى باعرفه .. يعنى لو حفظت
التقرير ده تنقى دكتوراه زيبى .. وده علشان لو عرفتى مرضك
حانعرفى ازاي تحاربه .. مش بيقولوا اعرف عدوك .. أهو
أنا حااقولك ايه هو عدوك .. اتفقنا ..

قلت وأنا أحس بابتسامتى تملأ وجهى كله :

— اتفقنا ..

— شيك هاند على كده ..

ومددت له يدي ، واحتفظ بها فى يده ، وقال وقد تغيرت
نبرة صوته .. أصبحت نبرة هادئة تنبض بالحنان :

— لازم تخفى يا نجوى .. لازم ..

ثم ترك يدي وقال وقد استرد لهجته :

— أول حاجة عملها انك ما تتحركيش من السرير .. مش
كفايه انك ما تقوميش .. ما تتحركيش خالص .. مش
عايزين نتعب قلب حضرتك .. زى انتى ما بتتعى قلبنا .. وكل
حركة ممكن تتعب القلب .. ولما يتعب يضعف ، وما يقدرش
يقاوم العدو اللئيم واقف على بابيه .. ورينى الأدوية اللئيمه عندك ..

الذى كان بصفه لى ، يستطيع اى طبيب آخر أن بصفه ..
ولكن هاشم شفانى بارادته .. بعناده فى مقاومة المرض ..
باصراره على أن أشفى .. لقد نقل الى هذه الارادة ، والعناد
والاصرار .. واطلق فى عروقى قدرته على الحياة ، وايمانه
بها ، وحبها لها .. سلبت على قلبى أشعة الأمل ، وحقننه
بالابتسام ، والمرح ، والتفاؤل .. وأطلقه فى دنيا نظيفة ، طاهرة
.. حلوة ، تضج بالزغاريد ..

ربما كان كل هذا جزءا من كفاة هاشم كطبيب ، وسر
نجاحه وشهرته .. وقد عشت فعلا أياما طويلة ، وأنا أعتقد أن
اهتمام هاشم بى كل هذا الاهتمام ليس سوى اهتمامه بأى
مريض من مرضاه .. ولكن ، لا .. مستحيل .. انه لا يستطيع
أن يعطى كل مرضاه كل هذا الاهتمام .. انه يعطينى كأنه أبى ..
كأنه أختى .. كأنه حبيبى .. ويعطينى فى بساطة .. بلا تكلف
.. وبلا رسميات .. وبسرعة أصبحت شخصية تملأ البيت كله ..
واستطاعت شخصيته أن تجدد هواء البيت . أصبح هواء
نظيفا .. واستسلمنا لهذه الشخصية .. أنا ، وأبى ، وأمى
وربما كان استسلام أمى ، استسلاما بلا اقتناع ، انها هو
استسلام للهفتها على وحرصها على شفانى .. ولكنها استسلمت
.. وأصبحت حياتنا كلها نحن الثلاثة ، وحياة الخدم أيضا .. تدور
حول الدكتور هاشم .. نعيش فى انتظار لقائه .. ونعيش فى
اللحظات التى يقضيها معنا .. وكل شىء تغير .. هذا الضجيج
الذى كان يحيط بى ، سكت .. والأطماع التى تملأ رأس أمى ،
نامت .. وزوارنا خفت أقدامهم .. حتى مواعيد زيارة عبد الفتاح
لنا تغيرت .. لم يعد يأتى لزيارتنا فى الساعة الثالثة بعد الظهر
.. لأن هاشم يأتى عادة فى هذا الموعد .. أصبح عبد الفتاح

.. ولكنى تذكرت .. تذكرت أنى يجب أن أعيش .. فبقيت
راقدة ..

انى أحبه ..

لن أنكر هذا الحب مرة ثانية .. لن أياس من حبه ، لأنى
لا أريد شيئا الا أن أحبه .. كل ما أريده أن يتركنى أحبه ..
وسأعيش من أجل هذا الحب ..

وكلى معه ..

خيالى ..

وأمالى ..

وقلبى المريض ..

يجب أن يشفى هذا القلب ..

يجب ..

انى لا أريد أن أعطيه قلبا مريضا .

— ٤ —

هزمتنا الرومانزم ..

هاشم وأنا ..

قلبى الآن سليم يستطيع أن يحمل من الحب أضعاف ما يحمله
قلب أى بنت .. ولكنى لا أزال أخاف عليه .. على قلبى ..
انى لا أبعثر دقائقه فى الجرى والتنطيط .. ولكنى أحتفظ بها كلها
للحب .. للحياة ..

ولا أعتقد أن هاشم قد شفانى بعلمه كطبيب .. ان العلاج

لست فى حاجة الى أن يحبنى .. يكفى أنى أحبه .. أحب كلماته ..
 .. وأحب عينيه .. وأحب أنفه الكبير ..
 وابتسمت له ابتسامة كبيرة ..

وقلبى المريض يبتسم معى ، ويستمد الحياة من الابتسام .
 وبدأ هاشم يحدثنى عن مرضاه .. ويحقت قلبى بالأمل وهو
 يروى لى قصص المرضى الذين تم شفاؤهم بعد يأس .. وكان
 يتحدث عن مرضاه كأنه يتحدث عن كل حياته .. ان الدكتور
 هاشم ليس سوى مجموعة من المرضى .. يعيش حياتهم ويتألم
 بالآلام .. ويعطيهم الدواء كأنه يعطيه لنفسه .. يحس بهرارة ،
 ويحس بمفعوله .. ان كل احساسه معهم .. حتى أنى كنت
 أتساءل ، هل يمكن أن يبقى جزء من احساسه لحب آخر ..
 ولكنى لم أحس بالغيرة من مرضاه .. كنت أحس أنى شىء آخر
 .. كنت أنسى أنى واحدة من هؤلاء المرضى .. وبالعكس بدأت
 أشباركه فى احساسه .. بدأت أعيش معه فى نفس العالم الذى
 يعيش فيه .. وعرفت مرضاه .. ورسمت لكل واحدة منهم
 صورة فى خيالى .. وكنت أفاجئ هاشم وأسأله :

— ازاي الأستاذ مروان دلوقت .. شفته ..

والأستاذ مروان مريض بتضخم فى الكبد ..

ويبتسم هاشم كأنى ذكرته بأعز الناس عنده ، وينطلق يحدثنى
 عن مروان بكل احساسه ..

ولم يكن اهتمامى بمرضى الدكتور هاشم ، نفاقا .. أبدا ..
 قطعاً أنى كنت أهتم بهم لأشراكه اهتمامه .. ولكن كان هناك
 شىء آخر .. وهو أنى كنت أجد فى حياة هؤلاء المرضى ، حياة
 أنظف من الحياة التى أعيشها .. كنت أنقل تفكيرى فى همومى
 الى التفكير فى همومهم ..

يأتى فى الساعة الخامسة بعد أن يذهب هاشم الى عيادته ..
 وكان هاشم يزورنى فى الصباح قبل أن يذهب الى عيادته
 .. وأحيانا كثيرة يعود الى فى المساء .. وكان فى الأيام الأولى
 يفحص قلبى كلما جاء .. ثم يجلس بجانبى يشرح لى حالتى ،
 وتطور الروماتزم فى صدرى ، ومفعول الأدوية التى يعطيها
 لى ويكتب لى أبحاثا فى أسرار مرضى — باللغة العربية —
 ويتركها لى لأقراها ، ثم يعود ويناقشها معى .. لقد استطاع
 أن يجعل منى أخصائية فى القلب .. استطاع أن يتجه بذكائى
 كله الى دراسة جديدة على ، الهنتى عن العالم التافه الذى كنت
 أستغل فيه ذكائى .. وأصبحت أعرف كل عرق فى قلبى .. وكل
 عضلة .. وكل دقة من دقاته .. وهو أيضا .. هاشم .. لقد
 عرف قلبى كما يعرف أصابع يده .. ولم يعد يفحصنى كلما جاء
 .. وقال لى :

—أنا من كتر ما سمعت قلبك .. بقيت أقدر أسمعه وأنا
 بعيد عنك .. باسمعه فى العيادة .. وباسمعه فى البيت ..
 وباسمعه وأنا سهران مع أصحابى ..

ونظرت فى عينيه الطيبتين المبتسمتين .. وقلت :

— لازم اندوشت ..

وضحك قليلا :

— اندوشت فى الأول .. انما دلوقتى خلاص ، خدت على
 الدوشه .. وأصل قلبك ابتدى يبقى مؤدب ويبطل دوشه ..

وحررت يومها كيف أفسر كلماته .. خفت أن أطير معها فى
 الخيال الى حد أن هاشم يحبنى .. وفى الوقت نفسه خفت أن
 أجردها من الأمل .. وهربت من حيرتى فى حلاوتها .. حلاوة
 كلماته .. وفى النظرة الطيبة المبتسمة التى تطل من عينيه .. انى

قال كأنه غضب منى :
— بأه ده اسمه كلام .. انتى مامتك مدلعاكى .. افرضى
انك زهقت .. هى طاوعتك ليه .. زهقت هى كمان ؟ !
قلت وأنا أتهد :

— ماما كل اللى يههما انى أتعد جنبها ..
قال :

— انتى كنتى فى سنه كام ..
قلت :

— فى الثانويه العامه .. وكنته شاطره والله العظيم ..
قال :

— خلاص .. ترجعى شاطره تانى .. وتبندى تذاكرى تانى
من الزهارده ..
قلت :
— وامتحان ت ..
قال :

— طبعاً .. وتخشى الجامعه .. ما هو يا تتجوزى السنه
دى ، يا تخدى الشهاده .. واللا عايزه تتجوزى ..
ورفعت اليه عينى ، وخيل الى انى أهم بالبكاء .. انه لا يدري
شيئا .. بل أنه لم يلحظ التغيير الذى حدث فى حياتنا .. لم يلحظ
أننا انتقلنا من شقتنا الصغيرة فى الجيزة ، الى هذه الفيلا
فى شارع الهرم .. ولم يلحظ ان كل اثاث البيت قد تغير ..
ولم يلحظ غرفة النوم الفخمة التى أنام فيها ... ولم يلحظ انه
أصبح عندنا طباطخ وسفرجى وسائق .. ان براءته ونظافته ضميره ،
تبعده عن محاولة تفسير كل هذا التغيير .. وقد كانت أمى فى
مناسبات كثيرة تكذب عليه وتدعى أمامه أنها باعت أرضنا من

وهاشم سعيد بى ..
انى أحس بسعادته بى ..
أحس انى لست مجرد مريض من مرضاه ..
هناك أشياء كثيرة أصبحت تجمعنا .. ربما كان بينها الاقتناع
... انى أحس انه مقتنع بى ، كما انى مقتنعة به .. حتى لو لم
يكن يعلم شيئاً عن حياتى .. شيئاً مما حدث لى بعد أن قابلته
عندما مرضت فى الفترة الأولى .
وسألنى هاشم بعد أيام كثيرة وبعد أن بدأت دقات قلبى
تنظم :

— انتى عامله ايه فى المدرسه ..
وفوجئت بهذا السؤال ..

نسيت انى كنت تلميذة .. خيل الى أنه مضت سنين طويلة
منذ تركت المدرسة .. وخيل الى انى كبرت وعجزت الى حد انى
لم أعد أنتظر أن يسألنى أحد عن حالى فى المدرسة .. وكذت
أضحك لسؤاله .. ولكنى كتبت ضحكى .. ومسحت احساسى
بالمفاجأة بابتسامة هزيلة ضعيفة .. انه لا يعلم انى تغيرت ..
لا يزال يعتقد انى الفتاة البريئة الصغيرة التى التقى بها أول مرة
وهى مصابة بحالة عصبية نتيجة صدمتها فى حبها الأول ..
وقلت وأنا أرخى عينى عنه :

— ولا حاجه .. السنه اللى فاتت ما دخلتش الامتحان ..
والسنه دى ما رجعتش خالص ..
وارتفع حاجبا هاشم من الدهشة وقال :
— ليه ؟ ..
قلت :
— أبدا .. زهقت ..

قال وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

— لا .. مش معاها .. بس لسه ..

قلت وأنا ألتلف الكلمات من بين شفثيه :

— مش فاهمه ..

ونظر الى كأنه يتساءل عن مدى ثقته بي ، ثم قال كأنه طفل كبير :

— أقول لك ..

قلت وأنا ابتسم له :

— أنا مش قلت لك على عادل !!

قال وابتسامته الحزينة تملأ وجهه :

— هي دلوقتي بتعرف واحد تانى .. انها لسه ما اعترفتش لى ..

قلت وأنا احسد امينة على طيبة قلب هاشم :

— ما دام انت عارف ، ما تقول لها .

قال :

— لو قلت لها حا تنكر .. لازم استنى لما هي اللي تقول لى

.. مش عايز احسسها انى أنا اللي سببتها ، عايزها هي اللي

تحس انها لازم تسيبنى ..

قلت :

— انت هایل .. مش معقول ان فيه رجاله زى كده ..

قال :

— أنا مش هایل .. بس حاسس بمسؤوليتى عنها ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه كأنى ابحث فيه عن مكان لى :

— وبتشوفها ..

وضحك فى براءة قائلا :

عزبتها .. وأنها اشترت قطعة ارض فى مصر الجديدة .. و ..
و .. كانت « تنتش » وتبالغ فى ذكر أبى وثروتها ، كأنها تدافع
عن نفسها .. تدافع عن كل هذه المظاهر التى تحيط بنا .. وكان
يستمتع اليها بلا اهتمام .. انه يفترض أننا قوم شرفاء .. وهذا
يكفيه ..

وأرخت عيني قبل أن تنهمر دموعى .. وقلت :

— لا .. مش عايزه اتجوز ..

قال وهو يبتسم ، ابتسامة تلمع فوق أنفه الكبير :

— خلاص .. تبقى تاخدى الشهاده ..

وسكت قليلا ، ثم قال فى تردد وهو يتلهى بالتقليب فى

بعض التقارير الطبية الموضوعه بجانب فراشى :

— وعملى ايه مع عادل ..

ومرة ثانية أحسست كأنى فوجئت .. انه لا يزال يذكر

عادل .. بل انه يذكرنى بشيء نسيته ..

وقلت وأنا أنظر اليه كأنى أذوب فيه :

— خلاص .. سبته من زمان ..

وابتسم ..

ومرت بيننا برهة صمت ، ثم قلت وأنا اشعر بدمائى تصهر

وجنتى :

— وانت عامل ايه مع امينه ..

وأحنى وجهه قليلا ، ومرت على وجهه سحابة داكنة ،

وقال :

— لسه ..

قلت وقلبي الضعيف يرتجف :

— لسه معاها ..

قلت وأنا لا انظر اليها خوفا من أن تكتشف سرى :
— متهيأ لك ايه ..

قالت :

— متهيأ لي ان الدكتور هاشم يبحبك ..
قلت :

— والنسى بلاش تخريف يا ماما .. حايجبتي على ايه ..
على كده كل ما يعالج واحده يحبها ..
قالت :

— صدقيني .. ده يبحبك .. وببحبك من يوم ما شافك
أول مره ..
قلت :

— انتى فاكروه ما فيش حد فى الدنيا الا بنتك .. لو كان الكلام
اللى بتقوليه صحيح ، كان تعد سنه ونص ما يسألش فينا ليه ..
قالت :

— أهو أنا حاسته بكده وخلص .. ده ما بي فوتش يوم من
أغير ما يبجى يزورك .. ويرفض ياخذ منى فزيتته .. يبقى دم اسمه
ايه .. مش حب ده ؟

وأدرت رأسى عنها كأنى لا أريد أن أسمع مزيدا من كلامها
.. وخيالى منساق وراء كلماتها يحاول أن يصدقها ..
وسكتت أوى ، وعيناها سارحتان الى بعيد ، كأنها تحاول
أن تضع خطة جديدة ..

ولم يكن هاشم حتى هذه الأيام يسبب أى مشكلة لنا ..
كنت مريضة ..

وكان الطبيب ..

هذا هو كل شيء .. حتى لو كان يخيل الى أوى أنه يحبنى !!

— مش كثير .. حتى لو حبيت أشوفها .. ما اقدرش ..
مشغول .. مشغول بقلبك ..
وسكتت ضحكته ..

ونظر فى وجهى نظرة جادة ثابتة .. استقرت برهة ..
ثم أزاحها كأنه يطرد خاطرا مر برأسه .. وقام واقفا ، وقال
وهو يبتسم :

— تعرفى العلاج الجديد بتاعك ايه ؟
ورفعت اليه عينين متسائلتين ..
واستطرد قائلا :

— اناك تذاكرى .. تبتدى من النهارده تذاكرى .. وتدخلى
الإمتحان السنه دى .. وتنجى .. فين كتبك ؟

قلت وأنا أحس بأنه يعيدنى الى عهد الطفولة :
— ما اعرفش .. ماما شايلاهم ..

ونادى هاشم على أوى ، وقال لها :

— يا عزيزه هانم .. تجوى حا تبتدى تذاكر من النهارده ..
هاتى لها الكتب بتاعتها ، وخليها تذاكر فى السرير ..
وقالت أوى كأنها صعقت :

— ولازمته ايه المذاكرة بأه .. ما سبنا الحاجات دى سن
زمان ..

وقال هاشم ضاحكا :

— ده علاج ..

وخرج .. وأوى تنظر خلفه كأنها تحاول أن تكتشف حقيقته
بذكائها .. ثم التفتت الى قائلة :

— تعرفى أنا متهيألى ايه ..

واستطعت الى حد كبير أن أنسى . أو على الأقل استطعت أن
أؤجل التفكير فى أزمى .. خصوصا وان عبد الفتاح لم يكن
يطالبنى بشيء وأنا مريضة .. كان يخاف على قلبى من جشعه ..
وكان كل ما يفعله عندما يأتى هو أن يجلس معى قليلا .. ثم
يخرج ليشرّب فنجال القهوة مع أمى .. وربما لاحظ فى الفترات
التي يجلس فيها معى أنى بدأت أنفّر منه .. ربما لاحظ أنى لم
أعد أتدلل عليه كما عودته .. لم أعد أطلب منه شيئا .. ولكنه
نسب كل ذلك الى مرضى ..

وبدأت أذاكر ..

وكنّت أذاكر فى نهم .. كأتى استرد عمرى .. كأتى أغسل
عقلى من السخافات التي علقت به .. وساعدتني المذاكرة أكثر
على الانتقال الى عالم أنظف من العالم الذى أعيش فيه .. انطلق
خيالى بعيدا عن دنيا زيزى .. والسهرات .. والأوبرج ..
وكازينو الشجرة .. ولسعات عيون الرجال .. وأصبحت أتخيل
نفسى كأتى بين زميلاتي فى المدرسة .. اللعب لعبهن .. أضحك
ضحكاتهن .. وأهمس همساتهن .. وأحب بقلب كقلوبهن .. قلب
نظيف ساذج فى أول تفتحه للحياة .. وبدات أحس كأتى أستعيد
شيئا كان قد فقد منى .. أستعيد شخصيتى المتميزة .. شخصيتى
القوية التي استطعت بها يوما ما أن أكون شيئا له قيمته .. أن
أكون أولى طالبات المدرسة .. ورئيسة فريق التمثيل .. ومندوبة
فصلى فى النشاط الاجتماعى .. ومندوبة المدرسة كلها فى لجنة
اتحاد المدارس الثانوية .

وكانت تمر بى لحظات أفيق فيها من خيالى .. وأصدم
بواقعى .. ويغلب اليأس خيالى .. وأدير عيني فى أنحاء غرفتى
.. هذه ليست غرفة طالبة .. هذه غرفة غانية .. أنا غانية ..

وكان عبد الفتاح يتردد علينا فى مواعيده الجديدة مرتين فى
الأسبوع أو ثلاثا . وهو الذى غير مواعيده حتى لا يلتقى بالدكتور
هاشم .. فلم يكن يحب أن يعرف أحد علاقته بى .. حتى لو عرفه
على أنه « أونكل » ..

وكانت قوة احتمالى لعبد الفتاح قد بدأت تنهار .. لم أكن أفكر
فيه عندما داهمنى المرض ، كان كل تفكيرى فى مرضى .. ولكن
بعد أن جاءنى هاشم .. وبعد أن بدأت أثق فى الشفاء .. بدأت
حقيقة علاقتى بعبد الفتاح تتكشف لى بصورة جديدة .. لم
أعد لا مبالية كما كنت .. ولم أعد فى داخلى مستسلمة ..
ولم يعد كل ما يحيطنى بعبد الفتاح من ترف ، يهمنى فى شيء
.. لقد اكتشفت أن هناك أشياء كثيرة أهم واجمل .. أهم من
الفيللا التى نساكنها فى شارع الهرم .. وأهم من سيارتى الأوبل
البيضاء .. وأهم من فساتينى الكثيرة .. هناك أشياء أهم ..
صحتى .. قلبى الذى اختلت دقاته .. ثم .. هاشم ..

ولكن ..

هل أستطيع أن أعود .. هل أستطيع أن أراجع ؟

وكيف ؟ ..

ان أمى واقفة أمامى بوجهها المكرمش القاسى ، كخفير الدرك
.. فهل يمكن أن أقنعها ببساطة انى لم أعد أريد عبد الفتاح ..
وأسألها أن تطلق سراحي !! ..

مستحيل ..

وكنّت أعلم أن مجرد التفكير فى هذا الموضوع يتعب قلبى
.. فقررت أن أبذل جهدى فى أن أنساه ، بدلا من أن أجد له
حلا .. حاولت أن أنساه فى الأمل الجديد الذى أطلقه هاشم فى
حياتى .. وفى اندفاعى فى حبة .. واستسلمى لشخصيته ..

— دى حاجه علشانك ..

وابتسمت كانى اقبل انفه الكبير ، وقلت :

— كتاب ..

قال :

— لا .. خفت أجيب كتاب تعيبى تانى ..

قلت :

— دوا ..

قال :

— بأه فيه دوا يتلف حلو كده .. ثم ان من هنا ورايح ما فيش أدويه ..

وأبى واقفة عند رأس السرير تنظر الى اللفافة التى يحملها هاشم ، بلهفة أكثر من لهفتى ..

وقام هاشم واقفا ، وخطف الغطاء من فوق جسدى ، وقال ضاحكا :

— قومى أوقفى .. واو قدرتى تمشى من هنا للكرسى اللى هناك ده .. حا اقول لك أنا جايب لك ايه ..

ونظرت اليه فى تردد ..

كانت المرة الأولى التى يسمح لى فيها هاشم بمفادرة الفراش ، بعد أن قضيت فيه خمسة وثلاثين يوما .. راقدة .. لا اتحرك .. ونظر الى هاشم نظرة جادة .. نظرة طبيب .. ثم قال فى حنان :

— قومى ما تخافيش ..

ثم مد ذراعه وساعدنى على أن أعتدل جالسة .. ثم تركنى .. وعاد بقول لى فى لهجة حازمة كأنه سُلط على ارادته :

— قومى لوحدك ..

أنا عشيقة رجل غنى .. عجوز .. وأشعر بدقات قلبى تعود الى الارتباك .. وحلقى يفتح .. وأخاف .. أخاف على قلبى .. فأتاوم احساسى باليأس .. واتعلق بطيف هاشم ، كانى اتعلق بطوق النجاة .. واستمد منه الأمل .. لابد أن هناك طريقا للوصول الى الشاطيء .. شاطيء الحب .. انى لا أدرى ما هو الطريق .. ولكنى واثقة أنه موجود ، وان هاشم سيدلنى عليه ، ويأخذ بيدى فيه ..

وأعود أذاكر ..

فى نهم ..

يومى كله مذاكرة ، وانتظار للقاء هاشم ..

والروماتزم بيتعد عن قلبى .. وينحسر عن جسدى .. ووجهى يسترد لونه .. وأنظر فى مرآتى الصغيرة ، فيخيل الى أنى ولدت من جديد .. وأنى أجمل .. جمال بلا زواق وبلا أصباغ .. عيناى المشروطتان الضاحكتان كلوزتين مقشرتين شهيتين .. وشفتاى المفتحتان كورقتى الورد .. وعنقى المفرد كأنه يتباهى برأسى .. ولكن .. هناك شىء ينقصنى .. ينقص جمالى .. جمالى الذى أراه بعينى هاشم .. ربما كان ضعفى .. وربما كان شىء فى داخلى لم أتخلص منه بعد ..

الى أن جاء هاشم يوما وفى يده صندوق صغير ملفوف فى ورقة أنيقة ، وجلس على حافة الفراش ، وقال لى وعيناى تلمعان بابتسامته :

— تفكرى أنا معايا ايه ؟

قلت :

— جزمه ..

ضحك ضحكة كبيرة ، وقال :

وقالت أمى :

— قومي يا حبيبتي .. يا ألف نهار أبيض ..

قلت فى صوت متردد :

— متهيألى انى حادوخ ..

وقال هاشم مبتسما :

— أنتى حاتدوخى فعلا .. انما لازم تقومى .. زى ما دوختينا
بقالك شهر ، لازم تدوخى انتى كمان .

ووضعت قدمى على الأرض .. فى تردد .. كأنى أهم بأن
أضعهما فى ماء ساخن أو فى ماء بارد .. لقد مضى علىّ عمر
طويل لم تلمس فيه قدمى الأرض .. وخيل الى أن الأرض أصلب
مما تعودتها .. ووقفت .. وشعرت فعلا بالدوار .. كل شىء
يهتز أمامى .. واهتزت أنا الأخرى ، وكدت أقع .. وسندنى
هاشم .. ووقعت فى حضنه ..

وقالت أمى فى جزع :

— اسم الله عليكى يا بنتى ..

ورفعت وجهى الى وجه هاشم .. وشفتاى قريبتان جدا
من شفثنيه .. والضعف يسرى فى عروقى ويمتص لونى .

والتقت عيوننا ..

وفى عينيه حنان جاد .. ولهفة .. كأنه عالم ينتظر نتيجة
تجربته ..

وفى عينى استغاثة ..

وأبعد هاشم وجهه عن وجهى ، وسند رأسى على كتفه ،
وهمس فى حنان :

— أنا متأكد أنك تقدر تمشى .. ده بس من الضعف ..

ثم أراحنى عن صدره فى رفق ، وتركنى واقفة ، واستطرد
قائلا :

— ورينى كده ..

وبدأت أمشى .. وكل شىء يهتز ، والأرض صلبة جافة تحت
قدمى العاريتين . ولكن الاهتزاز يقل فى كل خطوة ، والأرض
تلين .. وعيناي تستقران .. وأفيق من الدوار .. الى أن وصلت
الى المقعد الموضوع أمام مرأتى ، فألقيت نفسى عليه ، وقلت
وأنا أتفسر ضعفى :

— دم أنا حاسه زى ما يكون باتعلم المشى ..

وقال هاشم وابتسامة كبيرة تملأ وجهه :

— أصلك اتعودت على الكسل ..

وقالت أمى :

— ألف حمد الله على السلامة يا نوجا .

والتفت لفتة سريعة الى مرأتى .. ان لونى اصفر فى لون
الكريم .. وكرهت أن أبدو أمام هاشم ووجهى ممتقع الى هذا
الحد .. وابتسمت .. افتعلت ابتسامة كبيرة .. لعل الابتسامة
تشد عضلات وجهى فتحرك فيه الدماء .. وترد اليه بعض
لونه ..

وقدم لى هاشم الصندوق الذى جاء به قائلا :

— خدى شوفى بأه أنا جبت لك ايه ..

وفتحت الصندوق بأصابع ترتعش باللهفة ، وأمى فوق رأسى

تظل بعينين لإمعتين ..

وضحكت ..

زغردت الدماء فوق وجنتى ..

كلن فى الصندوق عروسه صغيرة .. شعرها فى لون

نفسك .. وتقدرى دلوقتى تجرى وتتنطلى .. انتى فى النادى
الاهلى ؟ ..

قلت وانتسامتى تذوب على شفتى :

— الأ ..

قال :

— يعنى ما بتلعبيش كوره ؟

قلت وأنا أحاول أن أضحك :

— الأ ..

— خلاص .. تبقى تقدرى تعملى كل حاجة ، من غير ما تخافى
على قلبك ..

ولم أستطع أن أضحك ..

كان الاحساس بأنه يودعنى ، يكاد يمزقنى ..

وعاد يقول كأنه يمنحنى لحظة أخرى قبل الوداع :

— انتى خفيتى من زمان .. وكان ممكن تسيبى السرير
من أسبوع .. انما حبيت أريحك زياده شويه .. كل اللى لازم
تعمليه دلوقتى انك تتقوى .. عايز أشوف خدودك فى لون
الورد .. تاكلى كويس .. وتنامى كويس .. وتاخدى أدويه
مقويه .. وتضحكى ..

ويدى لا تزال فى يده ..

لا أريد أن يتركها ..

لا تتركها ..

خيل الى أنه لو ترك يدي فسأسقط .. سأضيع ..

وقام هاشم واقفا ، وقال :

— مبروك ..

وقلت فى لهفة :

شعرى .. وترتدى فستانا لونه احمر ..

وصحت :

— الله .. جنان .. تجنن ..

ورفعت عينى الى وجهه وبى رغبة ملحة فى أن أقبله فى
وجنته .. فى عينيه .. فوق أنفه الكبير ..

ثم رفعت العروسة فى مواجهة أمى ، وعدت أصيح :

— شوفى يا ماما ..

وقالت أبى فى برود :

— حلوه ..

ربما كانت تنتظر أن تجد فى الصندوق شيئا آخر .. ان أول
هدية أهداها لى عبد الفتاح لم تكن عروسة لا تساوى أكثر من
ثلثمائة جنيه ..

وضممت العروسة الى صدرى .. وضغطتها الى .. بكل
عواطفى .. بكل فرحتى .. كأنى أضم قطعة من هاشم ..
وقال هاشم وابتسامته ملؤها الحنان :

— أصلك اتولدت من جديد . قلت أجيب لك عروسه تلعبى
بيها لياية ما تكبرى ..

وأحسست فعلا أنى ولدت من جديد .. أحسست كأنى
طفلة .. وفر قلبى فرحة الطفلة .. وفى عيني طهارة الطفلة ..
وجذب هاشم مقعدا وجلس أمامى ، وأمسك بيدي ، وعروسته
فى يدي الأخرى أضغطها الى صدرى ، وقال فى صوت خافت
كأنه يودعنى :

— انتى خفيتى خلاص يا نجوى .. قلبك بأه بمب ..
والروماتزم راح ومش حايرجع طول ما انتى واخذه بالك من

— حاشوفك امتى ت!

قال :

— انتى خفيتى خلاص ..

قلت :

— انت مش بتزعل لما ما بسألش عنك الا وأنا عيانه ..
انت مش قلت لى كده .. أهو أنا دلوقتى مش عيانه ..

ونظر اللى وفى عينيه شىء أكثر من الحنان .. شىء يربطنى
به .. وقال فى تردد :

— اضربلى تلفون بكره .. علشان تطميننى عليكى .. بكره
الصبح .. انتى عندك نمره تلفونى الخصوصى ..

قلت :

— لا .. ما اعرفهاش ..

وأعطانى نمره تليفونه الخاصة ..

حفظتها دون أن أكتبها .. ودون أن يكررها ..

وقلت :

— وحا اشوفك ؟

— بكره أقول لك ..

وأمى واقفة بيننا تلتقط كلماته .. وتدير عينها بينى وبينه ..
ووجهها المكش جاهد كلوح الصفيح لا يعبر عما يدور فى
راسها ..

ونمت ليلتها وعروسة هاشم فى حضنى ..

من يومها .. وعروسة هاشم تنام معى ..

واتصلت بهاشم فى اليوم التالى ..

انه لا يستطيع أن يتحدث طويلا وهو فى عيادته .. كلماته

سريعة متعجلة .. ولكنها رقيقة حلوة .. كلمات برقية تحمل
أحلى ما يستطيع رجل أن يعبر عنه ..

وجاء فى اليوم التالى .. وجلس معى فى الصالون لأول مرة
.. وهو لبس غريبا .. لقد كان يتجول فى أنحاء البيت طول مدة
مرضى .. ببساطة .. كأنه فى بيته ولكنه صمم فى هذه المرة
أن يجلس فى الصالون .. لقد كنت أنتظره فى حجرتى كما هى
العادة .. مرتدية قميص النوم وفوقه الروب ديشامبر .. وكان
وجهى لا يزال ممتقعا .. فكرت أن ألون خدى بالأحمر .. ولكنى
عدلت عن فكرتى .. قررت أن يرانى كما أنا .. خيل اللى كانى
أخذه لو وضعت الأحمر على خدى .. واكتفيت بأن الروب
ديشامبر لونه أحمر .. وشريطة حمراء فوق شعرى .. واللون
الأحمر يعكس ظلاله على خدى فيبدد بعض ما فيها من صفرة ..
ودخل هاشم الى حجرتى ، وجذبنى من يدي الى الصالون ، وقال
ضاحكا وهو يشمدنى وراءه :

— انتى خلاص ما بقتيش عيانه .. وأنا اتضايقت من الأوده
دى .. باتضايق من كل أود النوم .. كل ما اخش أودة نوم
أحس انى دكتور .. متهيالى انى لو اتجوزت ، حانام أنا ومراتى
فى الصالون ..

وجلست بجانبه فى حجرة الصالون . وكلماته تتردد فى
خىالى وتثيره .. خيل اللى وأنا بجانبه مرتدية قميص النوم
والروب ، انى ممكن أن أكون زوجته .. وننام فى الصالون ..
وأمى معنا ..

وأمى معنا ..

تدير عينها بينى وبينه ..

وتحاول أن تجره فى حديث معها .. ولكن هاشم ، ليس
كعبد الفتاح ، انه يفضل أن يتحدث معى أكثر مما يحب أن يتحدث

حاجة الى ان تتمشى .. وتركتنا وحدنا ..
ورحت انا وهاشم فى حديث طويل ؛
لم يقل انه يحبنى ..
ولا قلت له انى احبه ..
لم يلمسنى ..
ولم المسه ..

ولكن كان بيننا شىء كبير .. شىء كنت معترفة به .. الحب ..
.. ولكن هاشم كان يبدو كأنه لا يستطيع ان يصدق انه يحبنى ،
وانى احبه .. كانت عيناه لا تكادان تلتقيان بعينى ، حتى يبعدهما
عنى .. وكانت كلماته لا تكاد تهتم بأن تعبر عن عواطفه ، حتى
يقطعها .. يمزقها .. ويحيلها الى شىء آخر .. كنت احس به
يعانى من التردد .. التردد امام نفسه .. امام عواطفه .. كأنه
يروض شيئاً فى صدره يريد ان ينطلق ..

لاحظت كل ذلك باحساسى .. بذكائى .. بحواسى المتفتحة
التي تلتقط كل لفتة من لفتاته .. كل هزة رمش .. كل تهيدة
تنطلق مع انفاسه ..

وعندما همت من جلستى وسرنا نحو السيارة ، وجد كل منا
يده فى يد الآخر .. لم يتعمد ان يلتقط يدي فى يده .. بل اننا
لم ننتبه الى ان يد كل منا فى يد الآخر الا عندما اقتربنا من
السيارة .. تنبهنا الى ضغطة سرت فى يدي ويده .. لم أفر
هل هو الذى ضغط على يدي ، أم أنا التى ضغطت على يده ..
وتوقفنا عن السير .. وأطل على بعينيه .. وعيناي مرفوعتان
اليه .. متهلتان .. والتقت نظرانا فى حديث صامت .. ثم
همس فى صوت محشرج ويده تضغط على يدي :

— أنا عايزك تستحملينى يا نجوى ..

الى امى .. وحديثه منطلق بسيط ، رائع .. ليس فيه هذا
الذكاء الخبيث الذى يتميز به عبد الفتاح والذى يتعامل به مع
امى ..

واتصلت بهاشم فى اليوم التالى فى التليفون ..
واصبحت اتصل به كل يوم .. وأحياناً مرتين فى اليوم ..
واتسع أفق أحاديثنا .. ورغم انه دائماً حديث سريع
متعجل ..

وجاء لزيارتنا مرة ثانية .. وكان قد قال لى أنه سيأتى فى
الساعة الثانية بعد الظهر بعد موعد عيادته .. فأرسلت السائق
واشترى مجموعة من الساندويتشات .. وما كاد هاشم يصل
ويجلس فى الصالون حتى وضعت قطع الساندويتش أمامه ..
ونظر اليها هاشم وقال ضاحكاً :

— ايه ده ؟

قلت وأنا ابتسم له :

— علشان الوقت اللي حاضيه عند بتاع الساندويتشات
تقعده معاً ..

وكنت أعرف أن هاشم لا يتناول طعام الغداء ، ولكنه يستعير
عنه بقطع الساندويتش ، حتى لا يثقل فى معدته ، ولا يضيع وقتاً ،
ويستطيع أن يعود الى عيادته نشيطاً ..

وفى المرة الثالثة التى زارنا فيها هاشم ، صحبنى انا وامى
فى سيارته .. وصعدنا الى الهرم ..

كانت المرة الأولى التى أخرج فيها من البيت .. ونزلنا نحن
الثلاثة من السيارة .. وتمشينا قليلاً ، ثم اجلسنى هاشم على
احدى الصخور الملقاة تحت سفح الهرم .. وفعلت امى نفس
ما فعلته ، عندما خرجنا مع هاشم أول مرة .. ادمت أنها فى

وبيننا صمت .. حاولت أمي مرارا أن تقطعه .. ولكننا .. هو
وأنا .. صامتان .. نستمتع الى دقائق قلبينا ..
جلست أمي في حجرتي وأنا أبدل ثيابي ، وقالت :

— ايه رايك باه .. بيحبك ولا لا ؟

قلت :

— يمكن ..

قالت :

— يا ست بلاش كهن .. انتي عارفه ومؤكداه أكثر مني انه
بيحبك ..

قلت وأنا ساهمة :

— يا ريت ..

قالت :

— انما تفكري بيجي منه ؟

قلت :

— بيجي منه ايه ؟

قالت :

— يعني بتجوزك ..

قلت :

— يتجوزني ازاي .. انتي مش مجوزاني لعبد الفتاح ..

وقالت في بساطة وذكاؤها الخبيث يطل من عينيها :

— وده بمنع ..

ونظرت اليها وكرهتها .. كرهتها من أجل هاشم .. لا يمكن

أن أتركها تفعل بهاشم ما يمكن أن تفعله بأى رجل آخر .. انه

ليس مجرد رجل آخر .. انه حبيبي ..

قلت وانفاسي تلهث :

— أستحمل ايه ؟

قال :

— حاجات كثير .. بس لازم تستحميني ..

قلت :

— أنا طول ما انت جنبى ما باحسش انى باستحمل حاجه ..

وابتسم كأنه يشفق على من نفسه .. وقال :

— انتى حاجة تانيه .. انتى اصغر منى بكثير .. و ..

قلت اقاطعه في عجلة :

— أبدا .. أنا عندي عشرين سنه دلوقتي .. واحد

وعشرين ..

قال في اشفاق :

— وأنا واحد وأربعين ..

انه لا يدري ..

لا يدري أن عمرى أكبر من سنواته ..

لا يدري ماذا صنعت هذه الفتاة بعمرها ..

قلت وأنا ابتسم له :

— أنا حاسنه دلوقتي انى أكبر منك .. تعرف العروسه اللى

جبتهاالى .. بيتهيالى انك ادها .. وساعات بيتهيالى انها انت ..

وضحك ..

وأى تقترب منا ..

وعدنا .. وأنا جالسة بجانبه .. وأى فى المقعد الخلفى ..

وبيننا صمت .. حاولت أمي مرارا أن تقطعه .. ولكننا .. هو

وفى هذه اللحظة جاء عبد الفتاح .. سمعت صوته خارج
غرفتى .. فأسرعت بارتداء قميص النوم .. والقيت نفسى فى
غراشى ، وأنا أقول لأمى :

— أنا عيانه .. عيانه خالص .. أوعى تسيبىنى معاه لحظة
واحدة .. لو قرب منى حا أموت نفسى فاهمه ..

وقالت ووجهها المكرمش يعود صامتا كلوح الصفيح ..
— طيب اسكتى .. فهمت ..

وسوت غطاء السرير حولى .. ودخل عبد الفتاح ، ونظر فى
وجهى ، ثم نظر فى وجه أمى ، كأنه يشك فى كلتىنا وقال :

— مالها نوجا ..
وقالت أمى :

— أنا عارفه .. الدكتور سمح لها تخرج من البيت .. خدنا
العريبه واتمشينا بيها ربع ساعه .. بصيت لقيت وشها أصفر
.. وزى ما يكون حا يغمى عليها .. رحت راجعه بيها على
طول ..

قال عبد الفتاح وكأنه نكب فى أعز أمانيه :

— مش كانت كويسه أول امبارح ..

وقالت أمى :

— أنا عارفه جرى لها ايه ؟

وصرخ عبد الفتاح :

— ده دكتور حمار .. ازاي يقول لها تخرج ..

وتأوهت ..

تأوهت لاكم اعصابى قبل ان تثور لهائشم وأنا اسمع عبد

الفتاح يهينه ..

واقترب منى عبد الفتاح ، وأخرج من جيبه علبة صغيرة ،

ورغم ذلك سكت ..

انى فى حاجة اليها .. انى لا استطيع الآن ان أتحداها ..

انى لا أزال ضعيفة .. ثم انى لو تحديتها فان أول ما تفعله ان
تبعد هاشم عنى ..

وقالت :

— انما ده باين عليه مش سهل ..

قلت :

— والنبي يا ماما بلاش تخريف ..

وقالت فى حدة :

— تخريف ليه بأه .. انتى فاكراه انه كبير علينا ولا ايه ..

ولا علشان راجل مشهور .. ولا يهملك .. اذا كنتى عايزه انا
أجوزه لك ..

لم أرد ..

وقالت وهى تبتسم ابتسامة تنضح بذكائها الخبيث :

— سكتى ليه .. انتى فاكراه يا بت انى مش فاهماكى .. ده

أنا أمك اللى مربياكى .. وفاهماكى من جوه ومن بره .. وعارفه
انك بتحبيه .. كده ولا لا ؟ !

وترددت قليلا .. ثم أقيت نفسى فوق صدرها وأخذت أقبأها

من وجنتيها .. وقلت :

— باحبه يا ماما .. باحبه ..

وكان يجب أن أفعل ذلك .. كان يجب أن أعترف لها بحبى ..

حتى لا تحرمنى منه .. وحتى لا أشعرها بأنى أخفى عنها
شيئا ..

وربتت على كتفى ، وهى فرحة بقبأتى .. وقالت :

— خلاص .. سيبى الموضوع ده على أنا ..

فتحتها أمام عيني .. وفيها قرط في كل فردة منه حبة من اللؤلؤ
.. وقال :

— أنا جيت لك الحلق ده هدية الشفاء .. لو ما خفتيش
مش حاديه لك ..

وتنهدت ، كأني لا أستطيع أن أتكلم ..

وقال عبد الفتاح :

— احنا لازم نجيب دكتور تانى ..

وقلت في عجلة :

— لا .. أنا كويسه يا أونكل .. بس تعبت من الهواء ..
أصلها أول مره أخرج فيها ..

ووضع عبد الفتاح القرط في أذني بأصابعه القصيرة الغليظة
.. ثم انحنى فوق وجهي ليقبلني ، وأدرت وجهي ، فسقطت
قبلته فوق شعري .. وقلت :

— نفسي .. مش قادره أخذ نفسي .

وقالت أمي :

— معلش يا نوجا .. دلوقتي تهدي يا حبيبتى ..

وجلس عبد الفتاح بجانبى ، وخيبة الأمل تكسو وجهه ..
لقد جاء اليوم ومعه هدية اللؤلؤ على أمل أن يعوض حرمانه
الطويل منى خلال فترة مرضى .

ثم حمل خيبة أمه ، وخرج ليشرب فنجال القهوة مع أمي ..

— ٥ —

و ... وأتحدث مع هاشم في التليفون مرتين في اليوم .. ثم
أصبحت أحدثه في بيته بعد أن يعود اليه .. حديثا طويلا لا ينتهى
.. ساعة .. ساعتين .. ونجد دائما كلاما لا ينتهى ..

ويأتى لزيارتنا ..

وأمي تنظم مواعيد الزيارة بينه وبين عبد الفتاح .

وكلما جاء عبد الفتاح ادعيت المرض ..

وعندما يأتى هاشم لزيارتنا لا تتركنا أمي أو تغيب عنا بل
تجلس معنا ، ثم تتركني له المدة التي تقررها بينها وبين نفسها ..
.. أحيانا عشر دقائق ، وأحيانا ربع ساعة .. ولكن هاشم
لا يحاول شيئا في غيبة أمي .. كل ما يفعله أن تحضن يده يدي
.. ونستغرق في حديثنا .. حديثنا حلو يكاد يغنيننا عن القبلات
.. وعندما تعلم أمي أنه لم يقبلني ، تطيل مدة غيابها عنا في
الزيارة التالية .. لتترك له فرصة أكثر .. ولكنه لا يقبلني ..
وانا لا أحاول أن أدفعه الى تقبلي .. اننا لا نحاول شيئا مفتعلا
.. ولا شيئا مسروقا .. انى أعلم أنه سيأتى يوم تلتقى فيه شفاها
.. ولكن ليس هنا .. ليس لأن أمي تركتنا وذهبت الى الحجرة
الأخرى ..

وفى إحدى زيارات هاشم قالت له أمي :

— ايه رايك يا دكتور .. نجوى جاى لها عريس .. ابن

محمود بية حلمي ، بتوع البحيره .. مش تمتكر انها لازم تتجوز ..

ربما أكثر مما احترمتها أى رجل من الذين عبروا فى حياتى ..
وأحيانا يبدو انه يحبها .. وقال لى مرة :

— انا عمرى ما شفت أم بتحب بنتها زى مامتك ما بتحبك ..
وقلت له وأنا أنتهد فى ضيق :
— يمكن علشان مش أمى ..

— يجوز .. انما ده فى مصلحتك .. انا باحترمتها علشان
بتحبك الحب ده كله ..

وكان هذا الاحترام هو الذى يمنعه من أن ينتهز الفرص
التي تمنحها لى أمى ليقبلنى .. ليأخذ منى شيئا ..

انه انسان طيب .. يعيش فى عالم نظيف .. ويتخيل
الناس كلهم طبيين مثله .. نظفاء مثله .. ونيته سليمة ..
لا يفترض السوء فى أحد .. ولا يحاول أن يبحث ورائى أو وراء
أى .. انه يصدق ما يراه بعينه ويصدق ما يسمعه منى ومن
أى ..

ولم يحاول هاشم فى هذه الأيام أن يطلب منى أن أخرج
معه وحدى .. كان يبدو كأنه سيكتفى طول عمره بأن تبقى هكذا
.. نتحدث فى التليفون ، وتلتقى تحت عيني أمى .. بل انه حتى
هذه الأيام .. لم يكن قد صرح لى بحبه .. كنت المح الحب يطل
من تحت جفنيه المنتفختين .. وكنت أحسه فى لمسات أصابعه
السريعة المترددة .. وفى شفثيه عندما تتطلعان فى حيرة الى
شفثى .. وكنا نتحدث أحيانا عن الحب .. نتحدث عنه كأننا نراجع
موضوعا علميا .. كأنه ليس شيئا قائما بينى وبينه .. وأتلقف
الكلمات من شفثيه لعله يصرح لى بحبه .. ولكن لا .. انه
لا يحدثنى عن حبه .. ولا عن الزواج .

ونوبات من الحيرة تقتلع قلبى .. لعل هناك فعلا صداقة

لقد بدأت أمى تنفذ خطتها ..

ونظر لى هاشم مبتسما .. ثم التفت الى أمى وقال ضاحكا :

— بجوى ما تستاهلش تتجوز ..

وقالت أمى فى دهشة :

— ليه بأه ..

وقال هاشم :

— لأنها لسه ما خدتش الشهاده .. أما تنجح فى الامتحان

.. نبقى نجوزها ..

وأخذت الشهادة ..

نجحت فى الثانوية العامة ..

وكان مجموعى ثمانية وستين فى المائة .

أصبحت مشكلتى هى أن أقنع أمى بأن تسمح لى بالخروج
مع هاشم وحدى .. وقد كنت أخرج مع هاشم كثيرا ، ودائما
مع أمى .. كان يأخذنا فى نزهة بسيارته .. ومرة أو مرتين
دعانا الى الشاي فى مينا هاوس .. ولم يكن منظرنا حلوا وأمى
معنا .. خصوصا وان هناك شيئا ينقص أمى لتبدو كأنها أم ..
ولتبدو كأنها أم مودرن تخرج مع ابنتها وحبيبها لتناول الشاي
فى مينا هاوس .. لا أدري ما هو هذا الشيء .. ربما الثياب التي
ترتديها .. المعطف الأسود والعمامة السوداء .. وربما تصرفاتها
.. وربما نظرات عينيها الخبيثة .. وربما قلة احترامى لها ..
لا أدري .. ولكنى كنت أتضايق منها وأنا مع هاشم أكثر مما
أتضايق منها فى أى وقت آخر .. وأخجل منها .. أحس كأنها
فضيحة لى .. وكنت أنظر فى وجه هاشم كأنى أبحث عن آثار
فضيحتى .. ولكن هاشم لم يكن يبدو عليه انه يتضايق من أمى ..
ولا يحس نحوها احساسى بها .. بالعكس .. انه يحترمها ..

كنت لا أزال أناديه بلقب « دكتور » ..

وكان هاشم يصدق أمي .. بل يصدقها أكثر مما يصدقني .. ويهتم بالمشاكل المفتعلة التي تعرضها عليه ، اهتمامه بمرضى من مرضاه .. وكان يقول لى عندما يخلو بى :

— اسمعى يا نجوى .. انتى لازم تريحي مامتك .. دى بتحبك ومالهاش فى الدنيا غيرك .. وانتى ذكيه وتعرفى ازاي تريحيها .. وأسكت .. انه لا يعرف أمي .. والحقيقة تشرح حلقى ولا أستطيع أن أنطق بها ..

وفى يوم قال لأمي وهى تشكو له :

— اسمعى يا عزيزه هانم .. أرجوكى تعتبرى انك مش لوحده فى الدنيا .. انتم عشتوا طول عمركم تلاته .. انتى .. وطاهر بيه جوزك .. ونجوى بنتك .. ودلوقتى بقيتو أربعة انا الرابع ..

وابتسمت ابتسامة كبيرة ..

خيل اليها أن خطتها نجحت ..

اعتبرت هذا الكلام ، كأن هاشم يخطبنى منها .. يطلبنى للزواج ... بل أنها بدأت ترتب فعلا حياتنا بعد أن يتزوجنى هاشم ، كأنه لم يكن هناك شىء يمكن أن يفسد ترتيبها .. لا شىء .. لا حقيقتى كامرأة .. ولا علاقتى بعبد الفتاح .. ولا المال الحرام الذى نعيش عليه .. لا شىء أبداً يمكن أن يقف فى طريقها .. فى طريق خيالها .. ان خيالها يتسع لكل أنواع الزيف .

ولكن هاشم لم يتقدم خطوة أخرى .

لا يصرح لى بحبه ..

ولا يظابنى للزواج ..

يمكن أن تقوم بين الرجل والمرأة وهو يؤمن بهذه الصداقة .. لعنه يكتفى منى بالصداقة .. ويمنح حبه لأمينة .. والحيرة تكاد تخنقنى ..

وأى أشد حيرة منى .. انها لا تستطيع ان تصدق ان رجلا — حتى لو كان الدكتور هاشم — يمكن ان يعرفنى ، ويهتم بى ، وتمنحه كل هذه الفرص ، ثم لا يحاول أن يطلب منى شيئاً .. لا يحاول حتى أن يقبلنى .. وحيرتها تجعلها تشك فى نيات هاشم .. بدأت تشعر به كأنه أقوى منها .. أقوى من ذكائها .. وأقوى من خطتها .. وكانت تسلط عليه نفس الخطط التى تسلطها على كل الرجال .. تحشره فى حياتنا ، وتعرض عليه مشاكلها .. معظمها مشاكل مفتعلة .. بل كانت تفتعل مشاكل وخناقات بينى وبينها حتى تدخل هاشم ليصلح بيننا .. وتبدو أمامه دائماً فى صورة المرأة العجوز الوحيدة الضعيفة التى أصيب زوجها بالشلل ، واضطرت أن تواجه الحياة وحدها ، وحملت مسؤوليه تربيته وحمائتي وحدها .. وتقول له والدموع تكاد تقفز من عينيها :

— الناس طمعانه فى وفى نوجا لأنهم عارفين ان معاناش راجل .. وأنا تعبت خلاص يا دكتور .. تعبت من الناس ومن نوجا .. ما بقتش قادره أستحمل .. واحده فى سننى مش ممكن تستحمل ده كله ..

ولم أكن أحاول أن أحذر هاشم من هذه الخطط .. كنت أخاف أن أشعر أمي بأنى أفق بجانبه عليها .. أخاف أن تحرمنى منه .. وأخاف على حبي من حقيقتى .. كنت أكتفى بأن أقول له فى ضعف وأنا لا أنظر اليه :

— ما تصدقهاش يا دكتور .. ماما داياها تبالح ..

وكل ما يهيمه من مستقبلي هو الحاقى بالجامعة ..

ولم اعد اطيع .. انتى احبه .. لا يهمنى اذا دخلت الجامعة
 ام لم ادخلها .. لا يهمنى اذا تزوجنى ام لا .. كل ما يهمنى انى
 احبه .. واريد منه حق الحب .. اريده .. اريد ذراعيه ..
 اريد شفقتيه .. اريد همساته .. اريد ان ننطلق وحدنا فى دنيا
 نملكها وحدنا .. دنيا ليست فيها امى ، ولا ابنى ، ولا عبد الفتاح
 .. وبدأت اغناظ من هاشم .. كيف يطيق هذا الحرمان الطويل
 .. واذا استطاع ان يحرم نفسه منى ، ما ذنبى حتى يحرمنى
 منه .

ثم كان يوم .. وجاء هاشم لزيارتنا فى الساعة التاسعة
 مساء بعد انتهاء عيادته .. واستعددت له فى هذا اليوم اكثر
 من اى يوم آخر .. لا ادرى لماذا .. فلم يكن قد جد شىء ، ولكن
 احسست بنفسى فى حاجة لأن استعد له .. كاهرة .. ارتديت
 ثوبا من الشيفون ، ازرق سماوى .. يكتشف عن ذراعى «
 ومساحة كبيرة من صدرى .. وله ايشارب من نفس اللون يلتفت
 فى اهمال حول عنقى .. وحذاء اسود .. فرنيه .. سبعة سنتى
 .. وتعطرت بعطر « فام » .. واثقلت من العطر اكثر من عادتى
 .. وتحليت بخاتمى الماس ، والدبوس ، والقرط .. هدايا عبد
 الفتاح .. وصبغت شفتى باحمر فاتح .. ووضعت ظلالا من
 « الأومبر » فوق جفونى .. وكحل .. وروميل .. وخصلة من
 شعرى ملقاة فوق خدى .. كنت امرأة .. كائى متجهة الى
 حفلة من حفلات زيزى ..

واستقبلته فى الصالون .. حيث يحب دائما ان يستقبله ،
 حتى لا اذكره بأنه طبيب اذا استقبلته فى حجرة النوم .. ونظر

الى فى بهرة .. ارتفعت كل جفونه المنتفخة ، لتكشف عن كل
 عينيه .. وقال وهو ينظر الى كأنه لا يصدق :

— ايه ده كله .. رايعه فين ؟

قلت وأنا اتخايل امامه ، واحاول ان ارى نفسى فى عينيه
 كائى احاول ان ارى نفسى فى مرآتى :

— ولا حنة .. ليه .. باين على انى رايعه حته ؟

قال :

— باين عليكى انك رايعه حفله كبيره قوى ..

قلت وأنا انظر اليه بعينين جريئتين :

— أبدا انت حفلتى !

وابتسم ابتسامة قوية كأنه يجمع بها ارادته حتى لا يندفع
 الى ويأخذنى بين ذراعيه .. ثم اتجه يصانح امى فى حرارة ..

وجلست امى معنا قليلا ، وهى تنظر فى عينى هاشم وهما
 يطلان على ، كأنها ترصد النجوم لتتنبأ بمستقبلى .. ثم قامت
 واحتجت ببعض مشاغلها ..

وتركتنا وحدنا .

وهاشم جالس على الأريكة .. يدخن سيجارته .. وخيل
 الى أنه يدخنها بعصبية ..

وانا جالسة على المقعد الفوتيل .. ظهرى مشدود .. عنقى
 مفروود .. كائى عروسة فى الكوشة ..
 وقلت له :

— تحب تتفرج على صورى وأنا صغيره ..

ونظر الى وقال مبتسما فى حنان :

— أنا متهيالى انى شفتك من يوم ما تولدت .. انها ورينى
 الصور علشان أفكر أيام زمان ..

ركبته .. وثقل واقفا كأنه ينجو بنفسه .. كأنه يفر من النار ..
وقال :

— انا لازم أنزل .. عندي ميعاد مع جماعه أصحابي في
سميراميس ..

وصرخت عيناي ..

وقلت بصوت محشرج :

— لسه بدرى ..

وابتسم هاشم كأنه يمدني ببعض قوته ، وقال :

— ما اقدرش .. لازم أنزل .

ثم مد يده والتقط يدي ، وجذبني لأقف بجانبه ، وقال في
حنان وهو لا يزال ممسكا بيدي :

— أحسن انى أنزل دلوقت ..

واحنيت رأسي كأنى أهم بالبكاء :

— زى ما يعجبك ..

ووضّح يده الأخرى تحت ذقني ورفع وجهي إليه ، وقال
وابتسامته الحلوة الحانية معلقة بين شفثيه المنفرجتين :

— على فكره .. نسيت أقول لك .. أختي عازماكى عندها
على العشا يوم الخميس ..

وخيل اللى أنى لم أسمعه تماما .. أو انى لم أستطع أن
اسدقه .. وطارت منى فجأة احساسيس المرأة ، وقلت :

— بتقول ايه ؟

قال فى هدوء :

— أختي عازماكى يوم الخميس ..

قلت :

— بس أنا ما اعرفهاش ..

وجريت الى غرفتي .. وعدت باليوم كبير احتفظ فيه بصوري
الفوتوغرافية .. صور وأنا طفلة .. وصور وأنا فى المدرسة
.. وصور وأنا أمثل عندما كنت فى فرقة التمثيل .. وهناك
صور أخرى .. صور لى وأنا فى الأوبرج والأريزونا مع شلة
زببى .. ولكن هذه الصور لا احتفظ بها فى الألبوم ..

والفيت نفسى جالسة بجانبه على الأريكة .. وفردت الألبوم
فوق ركبتي وركبتيه .. وبدأنا نقلب فى الصور .. وانحنى فيكاد
خدى يلامس خده .. وأنفه الكبير وهو يتنفس يكاد يشفط خصلة
شعري .. وركبتي تصطدم بركبته من تحت الألبوم .. وحاولت أن
أبعد ركبتي ، وحاول أن يبعد ركبته .. ولكن ركبتينا تعودان
وتصطدمان .. وعطري يختلط بهذه الرائحة النظيفة التى تفوح
منه كأنها الهواء النقي .. وأنفاسى تسخن وتلتقى بأنفاسه ..
أنفاسه أسخن .. كل شىء حولنا وفيها يسخن .. وأنا أحس
بشعور جديد .. ليس الحب وحده .. شعور مثير يسرى فى
أعصابى كلها ، ولا أدري هل يخدرها أم ينبهها .. انى أشعر
بأنى امرأة .. انى لم أشعر من قبل بأنى امرأة .. لم يستطع عادل
ولا عبد الفتاح أن يشعرانى بأنى امرأة .. ولكنى أشعر بنفسى
الآن بأنى امرأة .. انى لا أستطيع أن احب كفتاة .. لأنى امرأة ..
وخفت صوتانا ، ثم لم نعد نتكلم ، ولم نعد نرى الصور ..
نقلب صفحات الألبوم دون أن نرى شيئا .. وأنا فى انتظار شىء
.. أى شىء .. أن ترتفع ذراعه وتضمينى إليه .. أن يلتفت بوجهه
ليلتقى بشفتى .. أن يشدنى من شعري .. أن يضربنى ..
أى شىء .. أى شىء ..

وفجأة نظر هاشم فى ساعته ، وأزاح البوم الصور من فوق

— من الستات طول ما انا مش متجوزة .. وهى خايفة على
 .. متهيا لها انى حاندب .. واقع على دماغى ..
 وبلعت ريقى ، وقلت فى صوت منهار وأنا أدير عينى عنه :
 — لها حق ..
 وقال هاشم :
 — ماما راحت فين ؟ ..
 ثم رفع صوته قبل أن أجيبه ، وملا البيت كله هاتفا :
 — يا عزيزه هانم .. عزيزه هانم ..
 وقلت وأنا أنظر الية فى تردد :
 — وماما معزومه ..
 قال ننى طلاقة :
 — لو جت حاضايق .. لأن كل المعازيم ستات صغيرين ..
 انما طبعا معزومه ..
 وجاءت أمى على صوته ، وقال لها هاشم فى بساطة :
 — أختى عازمه نجوى عندها يوم الخميس .. وارجو انك
 تسمحى لها تيجى ..
 ونظرت الية أمى بعينها الخبيثتين ، ووجهها المكرمش ،
 وقالت :
 — وماله يا بنى .. نتشرف ..
 وقال هاشم :
 — مرسى يا افندم ..
 ثم التفت الى وأنا مذهولة وقال :
 — مديحه حاتضرب تليفون بكره ، تعزمك بنفسها .. تصبحوا
 على خير ..
 وصافحنى .. وضغط على يدي .. كأنه يدفع الأمل فى

قال :
 — لازم تعرفيها .. مش ممكن حاتقدرى تعرفينى ، الا اذا
 عرفتيها ..
 قلت :
 — وهى ما تعرفنيش ..
 قال :
 — هى عارفك من يوم انا ما عرفتك ..
 قلت وفرحة غامرة تملا قلبى :
 — كلمتها عنى ؟ ..
 قال :
 — كبير ..
 وسكت برهة لالاتقاط انفاسى البهورة ..
 .. ثم قلت كأنى تائهة :
 — أنا خايفه ..
 قال وهو يضغط على يدي :
 — خايفه من ايه ؟
 قلت :
 — من أختك ..
 وضحك ضحكة كبيرة وقال :
 — ما حدش فى الدنيا يخاف من أختى مديحه أبدا .. هى
 اللى دايمها تخاف .. تخاف على جوزها .. وتخاف على ولادها ..
 وتخاف على ..
 قلت :
 — تخاف عليك من ايه ت ..
 قال :

بعيلته .. أول رجل يحترمني .. ما فيش راجل من اللي كنا
بنخرج معاهم عرض على انه يعرفني بأمه ولا أخته ..

وقالت وهي لا تشعر بشيء مما أحس به :

— وماله فيها ايه يعنى دى .. هو انتى حبيبى تتعرفى بعيلة
حد وما تعرفتيش ..

ولم أرد عليها .. انها لن تفهمنى أبدا ..

وعادت تقول :

— انتى عارفه معنى العزومه دى ايه .. معناها جواز

.. ما هو لو ما كانش ناوى على جواز كان عرفك بأخته ليه ..

المسألة بالعقل .. بس برضه لازم ناخذ بالناس ..

ورن فى أذنى صوت هاشم وهو يقول : « طول ما أنا مش

متجاوز أختى خايفه على انى أندب ، واقع على دماغى » .

هل اتركه يندب ..

يندب فى ..

لا .. مستحيل .. انى احبه الى حد انى لن اتركه يندب ..

ولكن ..

لماذا لا أصرح له بالحقيقة .. كل الحقيقة .. انى لا ذنب لى

فى حياتى .. وهو لا يستطيع أن يفهم .. ويعذرنى .. ويتزوجنى

بعد أن يفهمنى ويعذرنى ..

لا .. اذا كان قد أحببى ، فقد أحببى كما يتصورنى .. فتاة

بريئة ، طاهرة عذراء .. لم يحببى على انى امرأة .. عشيقه

رجل غنى ..

لن اصرح له بحقيقتى ..

حتى لا أفقد حبه ..

انى أريد حبه .. ولا أريد الزواج منه ..

عزوقى .. ثم صافح أمى .. وخرج .. وقبل أن يصل الى
الباب ، أفقت من ذهولى ، وجريت وراءه لالحق به عند الباب ،
وقلت له فى صوت متهور :

— تفنكر البس ايه ؟ ..

وعاد هاشم يضحك ، وقال :

— اى حاجه ..

ثم نظر الى ثوبى الذى ارتديه وقال :

— بس بلاش الفستان ده .. لانه عاملك زى ما تكونى
واحدة مست .. ~~ميش ممكن يكون فستان بنت رايحه الجامعه~~ ..

وقلت وابتسامه باهتة على شفتى وريقى يتجمد فى زورى :

— لك حق ..

وابتسم كأنه يقبلنى بعينيه ..

وخرج ..

وجريت الى غرفتى ، والقيت نفسى على فراشى ، ودغنت

وجهى فى وسادتى .. وبكيت .. دموعى كالسيل تزيح امامها

الكحل والروج والعطر ، وتلطح بها الوسادة .. وكلى ارتعش ..

وجاءت فى ورائى ، وقالت فى جزع :

— بتعيطى ليه .. هو قالك حاجه .

وصرخت وأنا أضرب الفراش بيدى وقدمى :

— سيبنى .. ابعدى عنى .. سيبنى اعلمى معروف ..

وقالت وهى تجلس على الفراش :

— ايه يا أختى الدلع ده .. ما تقولى بتعيطى ليه ..

وأخذت أبكى .. وأبكى .. وهى جالسة فى انتظار أن انتهى

من البكاء .. ثم قلت من خلال دموعى كائى أحداث نفسى :

— ده أول راجل من اللي عرفتهم ، بعد عادل ، يعرفنى

ولكن الحب أهم من الزواج .. ان الزواج يمكن فسخه ببساطة .. ولكن الحب .. لا يمكن . ان فسخ الحب شيء كالذبح .. كالقتل .. وسأذبح .. سأموت .. اذا أقمت حبي على خديعة ، ثم فسخه هاشم بعد ان يكتشف حقيقتى .

ودموعى تجف .. كل شيء فىّ يجف .. وقلت وأنا ساهمة :
— أنا مثل رايحه عزومة أخته ..

وقالت أمى وهى تنظر الىّ فى استنكار :

— ايه العبط ده .. ليه بأه ..

قلت :

— ومشر عايزه أشوفه تانى ..

قالت :

— ليه ده كله يا بنتى .. هو حصل منه حاجه ..

قلت :

— لا .. بس أنا حاسنه ان حياتى كلها حا تتلخبط .. وأنا

مشر مستعده الخبط حياتى ..

قالت :

— ولا تتلخبط ولا حاجه .. احنا نفضل معاه لغاية ما نشوف

آخرته ايه .. والله اذا طلع راجل كويس ، كان بها .. ما طلعتش ،

ما خسرناش حاجه .. وما تخافيش ، ما يقدرش يلعب بيكى ..

أنا حاسه انه راجل كويس .. بس خواف ..

قلت :

— خَوَاف من ايه ؟

قالت :

— من الستات .. ومن الجواز ..

وظلت أمى تتحدث .. وتتحدث .. وأنا ساهمة .. أسمع

نصف كلامها ، والنصف الآخر لا يصل الىّ .. وافكار كثيرة تتجاذبنى .. احيانا أقرر ان اذهب .. ثم أعود وأقرر الا اذهب .. و احيانا أقرر ان أصرح لهاشم بحقيقتى ثم أعود وأقرر الا أصرح له بشيء .. ويمتلئ خيالى بصورة أخته .. وبصورة بيته .. وأتصور نفسى كأنها أحببتى .. وأتصورها كأنها كرهتنى واكتشفت سرى .. وأسمع صوتها يرتفع ويملأ السموات والأرض وهى تصرخ فى أخيها .. أوعى تندب .. أوعى تندب ..

وامى لا زالت تتحدث ، وقلت لها كانى أرد على نفسى :

— اعلى حسابك لو رححت العزومه دى .. مش حاتيجى

معايا ..

وقالت أمى كأنها فوجئت :

— الا دى .. رجلى على رجلك ..

واعتدلت فى فراشى جالسة ، وقلت لها فى حدة وحرّم كانى

تزدت بقوة جديدة :

— اسمعى يا ماما .. هاشم مش زى بقية الرجاله ..

وادى انتى شفتى .. بقالك ست أشهر تسيبيني معاه لوحدى

.. ما حاولش يبوسنى .. ودول ناس مودرن ، ما عندهمش

مانع ان الأخ يعزم صاحبتة فى البيت عنده .. و ..

وقالت أمى تقاطعنى :

— أنا ما اعرفش مودرن ومشر مودرن .. هم المودرن مش

رجاله ، ولا ايه .. أنا ايه عرفنى حايلدك فى بيتهم يعمل فيكى

ايه ..

قلت فى حدة وسخّط :

— يعنى حايعمل فىّ ايه .. ايه اللى فاضل علشان يعمله

فى !

— لا .. لا ثقة ولا مش ثقة .. أنا ما فهمش الكلام ده ..
رجلى على رجلك ..
قلت فى حدة :

— يبقى مش رايحه .. ومن فضلك تسيبيني أنا بأه .. أنا
تعبت ..

وقمت وخلعت ثوبى كائى أمزقه عن جسدى .. وأطحت
بفردتى حذائى من قدمى فى فراغ الغرفة .. وعدت الى فراشى ..
وصممت أم على أن تنام بجانبى .. وأعطيتها ظهري ..
.. وتركتها تتكلم .. لم أرد عليها .. وأنا مغمضة العينين ..
وكلى متيقظة .. عقلى .. وقلبي .. وأعصابى ..
وسكنت أمى ..

خيل الى أنها نامت ..

وأنا لم أنم ..

لا أستطيع أن أنام ..

وقمت من فراشى .. ومشيت حافية على اطراف أصابعى
.. وسمعت فجأة صوت أمى ورائى ، كأنها ذئبة لا تنام الا بعين
واحدة :

— رايحه فين ؟

قلت دون أن التفت اليها :

— رايحه أنام جنب بابا ..

وكنت أريد فعلا أن أنام بجانبه .. ان أبى هو القطعة
الوحيدة النظيفة المغلوبة على أمرها فى هذا البيت .. أريد أن
الجا إليها .. الجأ الى شىء نظيف ..

وفتح أبى عينيه .. ونظر الى كأنه يستطيع أن يفهم كل
مشاكلى دون أن أرويه .. وتدللت ابتسامة حانية فوق شفثيه

قالت كأنها تهتم بالصراخ :

— لا .. بأه اسمعى .. اذا كنتى فاكركه انك حره .. تبقى
غلطانه .. كل حاجه عندى لها حساب ..

قلت أقاطعها :

— الا أنا ..

قالت كأنها جزعت :

— ازاي بأه .. أمال كل اللى عملته ده علشان مين ..
هو أنا اللى سلكته فى الفيلا دي لوحدى .. والعربييه اللى
حضرتك رايحة جايه بيها طول النهار .. والفساتين .. والصيفه
والمجوهرات .. كل ده بتاع مين وعلشان مين ولو ما كنتش
أنا .. مش كان زمانك مرميه زى الكلبه مع الواد اللى اسمه
عادل .

قلت :

— ما فيش لازمه للكلام ده .. وبا اقولك من دلوقتى .. اذا
رحت العزومه حاروح لوحدى ..

ونظرت فى وجهى كأنها تبحث فيه عن شىء ، وعادت تقول :

— تكوينش بتستعري منى يا بت .. ولا فاكركه انى مش من
مقام الدكتور بتاعك والست أخته ..

قلت ولمسة من الشفقة تمر على قلبى :

— أبدا يا ماما .. بس هو قال لى ان كل المعزومين ستات

صغيرين .. وحاتبقى أنتى فى وسطهم نشاز .. وكمان ..

لازم تفهميه أنك بتثقى فيه .. وهاشم حساس يقدر معنى الثقة
دى معى .

وسكنت أمى قليلا كأنها تحاول أن تثقن نفسها ، ثم هزت
رأسها بعنف كأنها لا تستطيع أن تثقن ، وقالت فى عناد :

المشلولتين كأنه يواسينى بها .. وخرجت من تحت لسانه المشلول
أصوات هادئة ، كأنها حب الأخرس .. وتركى أنام على ذراعه
المشلول ..

ان حياتى أيضا مشلولة ..

وبعد مدة .. جاءت أمى وهزتنى فى رفق معتقدة انى نائمة ،
وقالت هامسة حتى لا توظأ أبى :

— خلاص .. اتفضلى روحى العزومه لوحدك .. قومى

بأه نامى فى سريرك ..

وابتسمت مشفقة عليها من حبها لى ..

وعدت الى سريرى ..

ونامت بجانبى ..

نمنا فى الخامسة صباحا ..

وفى صباح اليوم التالى ، اتصلت بهاشم فى التليفون

وقلت له %

— أنا مش رايحه ..

وقال فى دهشة :

— ليه ؟

قلت :

— خائفة ..

قال :

— ما تبقيش مجنونه .. أنا قلت لأختى انك قبلت العزومه

.. وزمانها حاتكلمك فى التليفون دلوقت .. وبكره حافوت عليكى

الساعة تسعه ونروح سنواء ..

قلت %

— مش حاتدر يا دكتور ..

قال :

— اعللى معروف يا نجوى .. أنا عندى شغل .. واذا كنتى

مش عايزه تيجى لوحدك تعالى مع ماما .. خلاص .

قلت :

— حا افكر ..

قال :

— لا .. ما تفكريش .. حا افوت عليكى بكره ..

وأنهى المحادثة ..

واتصلت بى أخته .. كنت أنتظرها .. كنت جالسة بجانب

التليفون طول الوقت ، متخشبة ، فى انتظارها .. وسمعت صوتا

رائقا .. متزنا .. فى اترانه طيبة ومرح .. وقالت كأنها تعرفنى

من زمان طويل :

— نجوى ..

قلت :

— أيوه يا افندم .. مين ؟

وكنت أعرف من هى .. ولكن كان يجب أن أقول « مين » .

وقالت فى طلاقة :

— أنا مديحه أخت الدكتور هاشم .. أنا اتحايلت على أخويا

انه يعزملك بكرم عندنا على العشا .. نفسى أشوفك من كتر

ما كلمنى عنك .. وباذن الله تقدرى تيجى .

قلت :

— مرمى قوى يا افندم .. متشكره .. بس .. أصل ..

قلت تقاطعنى وبنفس لهجة أخيها كأنها هى أيضا دكتورة :

— ده أنا نفسى أشوفك قوى .. وهى عزومه صغيره ..

وأعدت تسريحة شعري .. اخترت تسريحة بسيطة ، وثوبا بسيطا .. وروح بسيط كأني بنت على وشك أن تلتحق بالجامعة ..

وقد جعلت البيت كله طول اليوم في حالة عصبية .. وامي تنظر اليّ وتتعجب ، ثم تقول :

— اللي يشوفك بتعملي كده .. بيتهيأله أنك عمرك ما رححت حفله .. يابت اثبتى ..

ثم تنظر اليّ كأنها تطل في قلبي لتقيس مدى حبي .. وفي عينيها شيء كالندم يشوبه الخوف .. كأنها نادمة لأنها تركتني لهاشم .. وخائفة أن يأخذني منها .. انها على الأقل واثقة أنه أخذ قلبي .. وهذا وحده يخيفها .

وجاء هاشم ..

ونظرت الي نفسي في عينيه ..

عيناه مبهورتان ..

وقال والبهرة تخنق صوته :

— انتى هايه .. مدهشه .. أحلى يوم شفك فيه .. النهارده ..

وقلت وقلبي يرتجف ، أريد ان أصدقك :

— صحيح والنبي يا دكتور ..

قال وهو لا يزال مبهورا :

— أختى مش حاتصدق أنك حلوه للدرجة دي ..

وجاءت أُمي ، وارتاحت قسما هاشم عندما وجدها بثياب البيت ، ولكنه قال :

— أنتى مش جايه معانا يا عزيزه هانم ..

قالت في جفاف :

عشرة أنفاس بس .. وحايعجبوكى لما تتعرفى بيهم . خلاص .. حاستناكى يا نجوى ..

وقبلت دعوتها .. كانت بساطتها وانطلاقتها أقوى من محاولتي التذلل .. أحسست أنها تعلم أنى أريد أن أقبل دعوتها .. وخجلت من أن أستمر في الرفض .. أو حتى في اطالة الحديث ..

وقالت :

— أنا حاسنه اننا حانبقى أصحاب .. وانتى عاجبانى من كتر ما هاشم أخويا كلمنى عنك .. ويمكن أعجبك أنا كمان .. وعلشان أعجبك ما تسمعيش كلام أخويا عنى .. لأنه دائما يشنع على ..

قلت :

— ده بيدحك قوى ..

قالت :

— بس برضه بيشنع على ..

وأحسست أنها أقرب الناس الى قلبي .. صوتها .. وبساطتها .. وأسلوبها .. شيء آخر غير زيزى والنساء اللاتي عرفتهن وصادفتهن عن طريق زيزى ..

وارتديت يومها ثيابى خمس مرات ..

من الساعة الحادية عشرة صباحا وأنا ارتدى ثيابى .. البس ثوبا وحذاء .. وأمشط شعري .. وأجرب الكحل ، والأومبر .. ثم أخلع الثوب والحذاء .. والبس ثوبا آخر وحذاء آخر .. وألصق الشعرى .. وأمسخ الكحل والأومبر .. و .. و .. وفى الساعة الخامسة ذهبت الى الحلاق بقيت عنده حتى الساعة .. ثم عدت الى البيت ولخطبت كل ما صنعة الحلاق ..

— لا .. تعبانه شويه .. انها حتى لو كنت تعبانه ما كنتش ممكن اسمح لنجوى تخرج لوحدها الا لانها خارجه معاك ..
والانى باثق فيك ..

فقال :

— متشكر قوى ..

قالت :

— بس نجوى لازم ترجع الساعه اتناشر .. اتناشر بالضبط ..
انا مش حانام الا لما ترجع .. لا انا ولا ابوها ..

قال :

— خلاص .. امرك .. اتناشر بالضبط حاتكون هنا .. زى
سندريلا ..

وقبلت امى ..

وصافحها هاشم قاتلا :

— اطمنى ..

وخرجت معه ..

كأنى عروسته ..

وامى تنظر خلفنا وطبقة من الدموع تلمع فى عينيه .

وكانت المرة الأولى التى أخرج فيها مع هاشم وحدى .

شئ آخر أحس به وأنا معه وحدى .. أحس كأنى فى عمرى

.. عمر العشرين .. وأحس بعواطفى كلها نشطة منطلقة ..

أحس بالحياء .. والخوف .. والرهبة .. والتردد .. والترقب

.. كل حركة من هاشم تثير شيئاً فى .. كأنى لا أزال فتاة ..

عذراء .. ساذجة .. بريئة .. وأحس بحبى نظيفاً .. طاهراً

.. لا يلطخه خبث أمى ، وخططها .. ان الحب يكون أكثر براءة

وظاهراً بعيداً عن الإمهات .

وبقيتاً صتامتين فى السيارة ..

كانتاً فعلاً عروس وعريس فى أول لقاء لهما ، كل منا يعيش
فى عواطفه ، ويعجز عن التعبير عنها ..

وقبل أن نصل الى المعادى ، أوقف هاشم السيارة فجأة
على الرصيف المحاذى للثيل .. وتطلعت اليه فى دهشة ..
والثفت الى .. وما كدت ألتقى بعينه ، حتى غلبنى الخفر ،
فأرخت عنه عيني ..

وقال هاشم وهو يستدير فى جلسته نحوى :

— أنا عايز أقول لك حاجة قبل ما نوصل البيت ..

وقلت فى صوت خفيض يرتعش بعواطفى :

— خير ..

قال وهو يطلق عينيه الى صفحة النيل :

— أنا سبت أمينه .. خلاص ..

وفوجئت .. لقد كانت أمينة آخر ما يخطر على بالى فى
هذه اللحظة .. ولكن .. لعله أذاقنى هذا الحرمان الطويل حتى
ينتهى من أمينة .. لم يكن يريد أن يجمع بينى وبين أى فتاة أخرى
فى حياته .. ولعله لم يدعنى الى بيته الا بعد أن تخلص من
أمينة .. لعله منذ اليوم سينطلق الى بكل حبه ، وكل حياته ..
ما أروعه .. لم أكن أصدق انه لا يزال فى الدنيا مثل هذا
الرجل ..

وقلت وأنا أقبله بابتسامتى :

— من امتى ؟ ..

قال :

— من أسبوع .. وكان لازم أقول لك .. علشان تعرفى
كل حاجة عنى .. زى ما انا عارفة كل حاجة عنك ..

والتقط يدي ، ورفعها الى شفتيه ، وقبلني في راحة كفي
 .. أول لمسة من شفتيه .. سرت حتى أصبع قدمي .. ودفعت
 الدماء في وجنتي .. ثم أدار موتور السيارة ، ودخل الى
 المعادي .
 وقلبي واجف ...

وأبذل مجهوداً عنيفاً ، حتى احتفظ بشخصيتي كاملة في
 مواجهة أخته .. وعندما وصلنا الى البيت كنت قد استطعت أن
 أسيطر على كل أعصابي .. سيطرت على مشيتي .. على
 ابتسامتي .. على لساني .. على عقلي .. ولكن بقي شيء في
 يرتعش ..

واستقبلتني مديحة أخته في ترحيب مرح .. ونظرت اليّ
 نظرة واحدة شملتني كلي .. وقالت في بساطة كأننا صديقان
 من زمان :

— أهلا نجوى .. انتي حلوه قوى .. تعالى أعرفك
 بأصحابي ..

وأخذتني الى الصالون وهاشم يسير حولي .. كل انتباهي
 موجه الى السيطرة على أعصابي ..

ووقف الرجال في استقبالي .. واتجهت كل عبون السيدات
 اليّ .. خيل اليّ أن كل سيدة لها ألف عين .. ودارت بي مديحة
 تتدبني لهم ، وتقدمهم لي .. ومع كل منهم عين كأنها المنظار
 المعظم ..
 وأنا متماسكة ..

كان كل احساسى متجها الى أنني يجب أن أشرف هاشم
 بي ، أمام عائلته وأصدقاء عائلته .. وأجلستني مديحة بجانبها
 على الأريكة .. كنت أفضل أن اجلس على مقعد .. ان جلستني

وأحسست كأن سكيناً شق قلبي .

انه لا يعرف شيئاً عنى .. لا يعرف .. لا يعرف انى لست
 الفتاة البريئة التى يحبها .. لا يعرف انى عشيقته رجل عجوزا
 اغنى ..

وبلعت ريقى وانا انظر فى الخاتم الماسى الذى فى اصبعى ..
 خاتم عبد الفتاح :

— انا كنت عارفه انك حاتسيبها ..

وكتمت الجرح الذى انفتح فى قلبي ، وتحاملت على نفسى
 حتى ابتسمت ابتسامة كبيرة وقلت وانا ارفع عيني اليه :

— ورينى عينيك ..

قال مبتسماً :

— ليه ؟ ..

قلت :

— علشان أشوف عينيك اذا كان فاضل منها حاجه فيك ،

ولا لا ...

قال ضاحكاً :

— اطمنى .. مش فاضل منها حاجه أبدا ..

قلت :

— كل الرجاله كده .. ينسوا بسرعه ..

قال :

— أصلى بافكر فى حاجه ثانيه ..

قلت :

— ايه ؟

قال :

— بعدين أقول لك ...

على مقعد تساعدنى أكثر على التماسك .. ولكنى جلست على حافة الأريكة .. مشدودة الظهر .. مفردة العنق .. أحاول أن أحتفظ فى عيني بنظرة هادئة ، وبين شفتى ابتسامة ثابتة .. والعيون كلها تلتقى عندى ، ثم تنتقل الى هاشم .. وأحس أنهم يجمعون بينى وبينه فى خيالهم .. ربما اعتقدوا أننا على وشك أن نعلن خطوبتنا ...

وأصدقاء مديحة كانوا مرحين .. مرح هادىء مهذب .. وبسطاء .. بساطة ناس لم تتعقد حياتهم .. وبسرعة أدمجونى معهم فى أحاديثهم .. وبسرعة أحسست أننى منهم .. وبدأت أجد القدرة لأطوف فى البيت فى أنحاء البيت .. الذوق هادىء مريح ، أنيق .. شىء آخر غير الذوق الصارخ الذى أحسست به فى بيت زيزى .. وقد يكون فى بيت زيزى قطع من الأثاث أو من السجاد أغلى مما رأيت فى بيت هاشم .. ولكن هنا تحس بأن كل قطعة مستريحة .. هادئة .. تحس بالجلال .. واسترحت ...

استرحت فى هذا البيت .. أحسست انى كنت واقفة طول حياتى ثم جلست .. أحسست كأن أعصابى كانت متيقظة العمر كله ، ولم تنم الا الآن .. وأنية كبيرة أنيقة ممثلة بالزهور أمامى ، أرى طريقى من خلالها ، كأنه مفروش بالورد .. وهاشم يجلس بعيدا عنى يبادلنى نظرات حلوة أحس من خلالها كأنه يتباهى بى .. كأنه فخور بى .

وقمنا الى مائدة العشاء .. وكنت أخاف لحظة العشاء .. ان عملية الأكل عملية مربكة ، أخاف خلالها أن أفقد سيطرتى على أعصابى .. ولكن كل شىء تم فى بساطة .. اجلستنى مديحة فى مكان الشرف ، على يمين زوجها .. باعتبارى ضيفة جديدة

.. وساعدنى زوجها بمرحة وطيبته على أن أكون على طبيعتى .. وهاشم جالس بعيدا عنى .. يسأل عنى بعينيه فى كل لحظة .. ولا نظرة جرحتنى .. ولا كلمة مستنى .. الجو نظيف .. نظيف . الرجال هنا يشربون كثيرا من الويسكى .. ولكنهم لا يسكرون ولا يتبدلون ، ليسوا كأصدقاء زيزى .. ربما لأن أصدقاء زيزى يشربون ليبتدلوا ، أما هؤلاء الرجال فيشربون ليرتاحوا بن عفاء يومهم .. وفى الساعة الثانية عشرة الا ربعا وقف هاشم .. وقال لى ضاحكا :

— الأوامر اننا نكون فى البيت الساعة انناشر ..

وقمت ..

والسيدات صافحننى جالسات ، وكل منهن تسألنى وعدا أن ترانى مرة ثانية .. والرجال قاموا واقفين فى وداعى . وخرجت مديحة معى حتى الباب الخارجى ، والتفتت الى هاشم قائلة :

— اسمع يا اخويا .. نجوى من هنا ورايح صاحبتى أنا .. مالكنش دعوه بيها .. فاهم ..

وقال هاشم ضاحكا :

— صاحبتك آه .. انما ماليش دعوه بيها ، لا .. وهمست مديحة فى اذنى قائلة :

— اذا عمل حاجه ، قوللى .. اصلى أنا عارفه اخويا عميله تجنن ..

قلت وأنا أضحك :

— لغاية دلوقتى كويس ..

وقبلتنى مديحة فوق كلنا وجنتى ..

كيف استطاع أن يحرمنى من كل هذا الكلام هذه الشهور ...
ولم أتكلم ..
لم استطع أن أتكلم ..
عيناي معلقتان فى وجهه ، كأنى عبيطة .. لا أدرى كيف
أتكلم ، ولا أدرى ماذا أفعل ..
وسكت هاشم ..

وعيناه تحثان فى عيني عن شىء يسأل عنه ..

ثم اقترب منى بوجهه .. وقبل أن يصل .. ألقيت بوجهى
إليه .. ولف ذراعه حولى .. وضغطني الى صدره .. وخده
يشغط خدى .. وانفاسه تمسح على عنقى .. أريد أن أنام على
هذا الصدر .. على هذا الخد .. أريد أن أنام فى هذه الأنفاس ..

وشفتاه قريبتان جدا من أذنى .. ثم أحس بهما على خدى
.. ثم فوق شفتى .. وأنا مغمضة عيني .. اتلقى قبلة الأولى
.. هادئة .. ناعمة .. كأنه يقبلنى بقلبه .. لا أريد أن أفتح
عيني .. انى أراه بشفتى .. أرى قلبه .. أرى حنانه .. أرى
طيبته .. أرى رجولته العارمة .. أرى دنيا آمنة .. حلوة ..

وفتح عينيه ..

وفتحت عيني ..

وشفتاى لا تزالان فى شفثيه ..

كاننا لا نصدق ..

كاننا نريد أن نتأكد ..

نتأكد أنى أنا .. وأنه هو .. وأن هذا هو الحب ..

وخبأت وجهى فى صدره ، وهمست :

— احنا تأخرنا يا هاشم ..

واعتدل أمام عجلة القيادة صامتا .. وقاد السيارة بيد

وركبت بجانب هاشم فى سيارته ، وقلبى مغمم بالفرحة
.. لقد تجحت .. ربما نجحت هذه المرة بمجموع تسعة وتسعين
فى المائة .. أخته أحببتى .. وصديقاتها أحببني .. والرجال
نلت اعجابهم واحترامهم .. لم أفكر لحظتها فى هاشم ، قدر
ما فكرت فى نجاحى .. ولكن فجأة ، ففز الى رأسى خاطر أسود ..
والتفت الى هاشم وسألته فى لهفة :

— هاشم .. قول لى .. انت عرفت أمينه باختك ؟ .

ولم أنتبه الى انها كانت المرة الأولى التى أناديه فيها باسمه
مجردا ، بلا لقب « دكتور » ..

وابتسم هاشم ، وقال :

— لا .. انما هى اللى عرفت نفسها بأختى .. كانت بتكلمها
فى التليفون ..

واسترحت ..

ثم أوقف السيارة على جانب الطريق والتفت الى بكل جسمه
واستطرد قائلا :

— ما كانش ممكن اعرف حد بأختى الا انتى .. انتى حاجة
تانيه .. واللى بينى وبينك مش ممكن يكون كان بينى وبين حد
تانى .. انتى مش بنت حلوه انتى أكثر من كده .. شخصيتك
.. عقلك .. أنا متهيالى ان ما فيش حد كان ممكن يفهمنى

الا انتى .. وكلام كثير بتقوليه ، بيتهيالى انى أنا اللى باقوله ..
لدرجة انى ساعات وأنا باكتشف على عيان واحترار فيه ، أسأل
نفسى .. يا ترى نجوى رأيها ايه .. وساعات يتهيالى انك أكبر
منى .. عمرى ما حسيت بالاحساس ده قبل كده .. حتى وأنا
صغير كان بيتهيالى انى أكبر من ابويا ..

وأنا أنظر اليه مبهورة ..

واحدة .. ويده الأخرى ممسكة بيدي .. تضغط عليها طول الطريق ونحن صامتان .. يدى ويده فى حديث طويل .

وصلنا الى بيتنا فى شارع الهرم .. وأفتت من حلى الجميل على منظر أمى وهى واقفة فى الشارع أمام باب البيت ، وشعرها منكش ، كالمجنونة ..

وما كادت السيارة تقف بجانبها حتى صرخت فىنا :

— أتأخرتم ليه .. أنا كنت رايحه أبلغ البوليس دلوقت ..

ونظرت إليها وتمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعنى .. مستحيل .. مستحيل أن أطيق هذه الأم .. انها فضيحة .. فضيحتى ..

ونزل هاشم من السيارة بسرعة ، وقال لها فى رقة :

— آسف يا عزيزه هانم .. أتأخرنا نص ساعة بس .. على بال الستات ما وقفوا يسلموا على بعض ..

ونظرت اليه نظرة مجنونة سريعة ، ثم التفتت الى ، وقالت :

— اتفضلى يا ست هانم ..

ونزلت من السيارة وأنا أدعى اللامبالاة ، وهمس هاشم :

— بكره الصبح .. أول ما تصحى من النوم .. اضربىلى

تليفون ..

وقلت وأنا اتطلع اليه كائى أثرب من وجهه :

— حاضر ..

ورفع صوته قائلا :

— تصبى على خير يا عزيزه هانم .

وردت عليه وهى تدير ظهرها له .

وجاءت ورائى وهى تصيح فى :

— أوعى تعملى كده تانى مره .. فاهمه .. كنتى حاتجنينى

.. انا ما استحملش كده .. ودى آخر نوبه تخرجى فيها اوحذك ..

ولم اكن أريد أن اناقشها .. لم تكن لى طاقة لأن أتحداهها .. أريد أن أخلو بنفسى لأستعيد قبلة هاشم الأولى .. لأعيش فى احساسى بها ..

والفتت إليها وقبلتها حتى أسكتها وقلت :

— ربنا يخليكى لى يا ماما ..

وجلست أمى على سريرى ، ووضعت رأسها فوق كنفها وقالت :

— احكىلى ..

وحكىتها لها .. بسرعة .. أريد أن أخلو بنفسى .. ولكنها لا تكفى .. تسأل عن مزيد من التفاصيل .. وأتعذب وأنا أرد على أسئلتها الكثيرة .. حرام .. حرام والله .. حتى حقى فى أن أخلو بنفسى فى غرفتى ، تأخذه منى ..

وأخيرا .. نمت ..

وعيناي متفتحتان .. أستعيد قبلته .. وكلماته .. انى حفظت كل كلمة خاطرت بيننا .. وجمعت فى خيالى كل لحظة .. وأخته .. وأصدقائه .. وبيتته .. وآنية الزهر .. و .. وفجأة هجم على خاطر كالكابوس ..

انه لا يحبنى أنا ..

انه يحب فتاة أخرى .. فتاة عذراء .. طالبة فى الجامعة .. لبست أنا .. أنا لست عذراء .. أنا عشيقته رجل عجوز .. وأهرب من هذا خاطر فى ذكرى قبلته ..

انه لا يستطيع أن يحرمنى من قبلته .. لا يستطيع .. انى فى حاجة إليها .. يستطيع دائما أن يعطيها لى ..

— زى ما يعجبك ..

قلت :

— بس يا دكتور .. و ..

وقاطعنى قائلًا :

— وفيه محل فى شارع ابراهيم بيبيع مسدسات .. فوتى

عليه واشترى لى مسدس ..

وقلت فى دهشة :

— انت عايز مسدس ؟

قال :

— أيوه ..

قلت :

— ليه ت ..

قال :

— علشان اضرب نفسى بيه لو سمعتك تانى مره تقوليلى

يا دكتور ..

قلت ضاحكة :

— طيب خلاص .. مش حا اقول لك ..

قال :

— حاتقوليلى ايه ..

قلت :

— مش حاقول لك دكتور ..

قال :

— قولى ..

قلت :

— اقول ايه ..

وقمت فى الصباح منهكة .. أنهكتنى الفرحة .. وأنهكتنى
الحب .. وأنهكتنى الخوف ..

وحادثته فى التليفون .. وقلت وقلبي يقفز فى داخل سماعة
التليفون :

— صباح الخير يا دكتور ..

قال فى عجلة كعادته عندما يتكلم وهو فى العيادة :

— صباح النور .. حاتعملى ايه دلوقتى ..

قلت :

— يمكن انزل البلد ..

قال :

— طيب اسمعى .. تعرفى الترزى كاربوشيان اللى فى

شارع عدلى ..

قلت :

— لا ..

قال :

— تلاقيه جنب محل ريفولى .. فوتى عليه ، ونقى بدله

صيفى ، وست قمصان ، وخليه يفصلهم .. هو عنده مقاسى ..

كان يتكلم ببساطة .. كأنى .. كأنى زوجه ..

قلت فى تردد :

— بس ده ما يعرفنيش ..

قال :

— أنا حاكلمه فى التليفون ..

قلت :

— وعايز البدله لونها ايه ..

قال :

قال :

— تولى هاشم ..

وترددت .. أحسست أنى فى حاجة لأن يقبلنى مرة ثانية
حتى أنطق باسمه دون لقب دكتور .. وقلت فى حياء وكأن كل
حرف من اسمه يحمل قطعة من قلبى ..

— ها .. شم ..

وقال :

— طيب سييبنى بأه أحسن العيان اللى فى أودة الكشف
زمانه قلع هدومه ..

وقبلت سماعة التليفون ، قبل أن أعيدها الى مكانها ..

ونزلت الى البلد .. ومعى أمى .. فى سيارتى الأوبل البيضاء
.. وأمى تعود وتسالنى الأسئلة التى سألتها ليلة أمس .. ثم
تعود وتضغط على سؤال بالذات :

— تفكرى حا يتقدم لك امتى ؟

وقلت :

— ما اعرفش يا ماما .. ده لسه معرفنى بأخته امبارح ..

قالت :

— ما انا عايزه أظمن يا نوجا .. عايزين نعرف رايعين معاه

على فين ..

ولم أرد عليها ..

وكل نشاط ذهنى موجه الى البدلة والقمصان التى سأختارها
لهاشم .. وقد قضيت فى محل كربوشيان الترزى أكثر من نصف
ساعة .. أسأله عن ذوق هاشم .. وعن البدل التى سبق أن
فصلها .. ولم أشعر بالحيرة قدر ما شعرت بها وأنا أختار له
بدلته .. خيل الى أن حبى كله معلق على هذا الاختيار ..

ثم اخترت له القمصان ..

ثم قررت فجأة أن أشتري له كرافت هدية .. قررت أن
أشتري له كرافت واحدة .. ولكن كان هناك أكثر من كرافت
جميلة .. كلها أريدها لهاشم .. فاشترت له عشر كرافتات ..
وأمى واقفة مذهولة ..

تحاول أن تمنعنى عن الشراء .. ولكننى صممت ..

وعدنا الى البيت ، وقالت أمى وهى تخلع عمامتها السوداء
من فوق رأسها .

— عبد الفتاح بيه جاى النهارده الساعة تلاته ..

والنفخت اليها مذعورة كأنها أطلقت على ثعبانا .. وقلت فى
حدة :

— وما قلتيش ليه من الصبح ..

قالت :

— ودى فيها ايه دى .. غريبه ان عبد الفتاح بييجى ..

قلت وأنا أخلع حذائى والقيه كأتى أضرب به الدنيا :

— أنا عيانه ..

قالت فى هدوء :

— لا .. ما بقاش يصدق حكاية العيا .. امبارح تعد يكلمنى

ساعه فى التليفون .. الراجل شامم فيه حاجة فى الجو ..

وده راجل نبيه وبيفهمها وهى طايره .. مش حانقدر أنا وانتى

عليه ..

قلت فى حدة :

— نقدر ولا ما نقدرش ، مش ممكن يقرب لى ..

وقالت :

— بأه اسمعى يا نوجا .. عصفور فى اليد خير من عشره

انه مش جوزى .. «انتى بعينى له بالفلوس .. انتى بتاجرى
بى .. انتى عايشه من جسمى ..

وتظرت اللى كَانها صدمت فى ، ثم قالت فى صوت محشرج :
— الله يسامحك يا توجا يا بنتى .. هو أنا كنت غصبتك على
حاجه .. ما انتى مع الراجل بقالك سنة .. وستاكته وحامده
ربنا ..

وجريت من أمامها الى غرفتى ، وصوتها يجرى خلفى وهى
تصيح :

— اعملى حسابك انه جاى الساعة تلاته .. ومش عايزه
دلح ... فاهمه .

وانكفات على سريرى أبكى .. ووجدت نفسى أهمس خلال
نشيجى .. هاشم .. هاشم .. كانى أستغيث به ..
وهذا بكائى ..

وهذا صوت أمى ..
هدأ البيت كله ..

وقمت ، وخرجت من غرفتى .. أسير على أطراف أصابعى ..
وأتلقت حولى .. لعل أمى فى المطبخ .. أو فى حجرة أبى ..
وخرجت من البيت ..

وجريت فى الشارع ..

وركبت سيارة تاكسى ، وذهبت الى الوايلية .. الى بيت
أمى .. أمى الحقيقية ..

طول الطريق الى الوايلية وأنا أحس بأنى أهرب من لحظة
لقائى مع عبد الفتاح .. اللحظة التى تغلق فيها أمى حجرة النوم
علينا .. أنا وهو .. وتقف خلف الباب كخفير الدرك ، لتطمئن
الى أن عبد الفتاح أخذ حقه منى .. الحق الذى اشتراه بماله

على الشجرة .. وأنا ما أطيرش عبد الفتاح من ايدينا علشان خاطر
سى الدكتور بتاعك .. يوم ما نعرف هو عايز ايه بالضبط ، نبقى
نتصرف .

قلت :

— لا عصفور ولا عشره .. أنا ما بقتش أقدر أطيق عبد
الفتاح .. ما اقدرش .. ما اقدرش ..
قالت فى هدوء :

— أمال طايقه فلوسه ازاي ..
قلت وأنا أصرخ :

— مش عايزه فلوسه .. ياخدهم ويغور من وشى ..
قالت كأنها تسخر منى :

— وتشتري للدكتور هاشم كرافتات مئين .. تسمحي
تقوليلى ..

وكانت لفافة الكرافتات لا تزال فى يدي .. فنظرت اليها فى
فزع كأنها تضم ثعابين لا كرافتات .. وفتحت راحة يدي ..
فسقطت على الأرض ..
وعادت أمى تقول :

— ولما يرجع هاشم ويلاقينا ساكنين فى شقه بخمسه جنبه
حاتقولى له ايه .. وحا تيجيبى مئين فساتين تروحي بيهم لاخته ..
وأنا أنظر فى وجهها المكرمش القاسى .. كأن تجاعيده حبال
لتنف حول عنقى ..

— ما تبقيش مجنونه .. وما تنسيش نفسك .. وما تنسيش
ان عبد الفتاح جوزك ..
وصرخت :

— ما تقوليش جوزى .. ده مش جوزى .. واننى عارفه

ان اهل الحى هنا يعرفون قصتى .. يعرفون ان امى تنازلت
عنى لخالتي الغنية .. ورغم انى لم اكن ازور امى الا نادرا كل
سنة شهور أو سبعة .. الا أنهم كانوا يعتبروننى دائما بنت
حيهم ، رغم سبارتى الاوبل ، وثوبى الأنيق ، وابتسامتى المتعالية
التي تعودت ان ألقياها اليهم ..
وصعدت الى بيت امى ..

وفتحت لى الباب أختى الصغيرة ، هناء .. وما كادت ترانى
حتى هلت ، وفرحة كبيرة تزغرد على وجهها ، وصاحت :

— أبله نجوى جت ..

ثم جرت الى داخل البيت قبل ان تصافحنى ، وهى تنظ
وتصيح :

— أبله نجوى جت .. أبله نجوى جت ..

وفى لحظة انطلق البيت كله الى .. امى .. واخوانى البنات
الأربع .. وأخى اسماعيل .. وأخى الصغير سمير .
وكلمهم يقبلوننى ويضموننى الى قلبهم .. وفرحتهم الكبيرة
تطوف بى ، وتتسلل الى قلبى .. وكان من عادتى كلما زرت بيت
امى ان أحمل لهم معى شيئا .. صندوق شيكولاتة .. بعض
الثياب القديمة .. أصنافا من البقالة .. أى شىء .. وكانوا
يفرحون بهذه الهدايا .. ولكنى فى هذه المرة ذهبت اليهم وأنا
لا أحمل لهم شيئا .. ورغم ذلك لم تقل فرحتهم بى ..
وأنت امى خلفى .. وقالت :

— أمال مين مامتك عزيزه ..

وقلت بلا مبالاة :

— مش جايه .. أنا جيت لوحدى .

وكانت هذه أيضا أول مرة أذهب اليهم وحدى .. وليست،

.. وقد كنت أستطيع حتى بعد ان تغلق امى الباب علينا ان أصد
عبد الفتاح عنى .. أدعى المرض .. أقاومه .. أبكى .. أفعل أى
شئ حتى لا يصل الى جسدى .. ولكن مجرد التفكير فى هذه
المحاولات أصبح يقززنى من نفسى .. وكانت تتمكننى رغبة أكيدة
جارفة فى أن أهرب من هذا الجو كله .. ان أغير حياتى ..
أغير نفسى .. أن أكون فعلا الفتاة التى يتصورها هاشم ويحبها
.. ولكنى لم أكن أدرى كيف أهرب من هذا الجو .. ولا أدرى
كيف أغير نفسى .. وكنت ذاهبة الى « الوائلية » عند امى
الحقيقية ، وأنا لا أدرى ماذا سأقول لها .. ولم أكن قد اتخذت
قرارا لأقيم معها .. لم أكن أفكر فى شئ من هذا .. كان كل
ما أفكر فيه هو ان أهرب من لحظة لقائى مع عبد الفتاح ، وأن
أحاول ان أكون الفتاة التى يحبها هاشم ..

و « الوائلية » حى شعبي من أحياء العباسية .. كنت أحس
دائما كلما زرته وأنا فى سيارتى الأوبل ، كأتى سائحة تتفرج
على حى أترى من أحياء القاهرة القديمة .. ولكن فى هذه المرة
لم أكن فى سيارتى الأوبل البيضاء .. ولم أحس بأنى سائحة ..
أحسست أنى أعود الى بيتى .. الى أصلى .. أحسست كأتى
غسلت حياتى من الزيف البراق ، وعدت كما أنا .. بنت هذا
الشارع الضيق المزدحم بالضجيج ولم أبتسم لعم حسنين البقال
الذى يفتح دكانه تحت بيت امى .. وهو يمد عنقه خارج دكانه
ويصبح مرحبا بى :

— يا صلاة الزين على الزين ..

ولم التفت الى سلامة العجلاتى وهو يدق لى جرس احدى
عجلاته ويصيح :

— وسع للجمل ..

معى « ماما عزيزه » .. وكان هذا حدثا هاما ؛ فان « ماما عزيزه » كانت تحرص على أن تكون معى كلها ذهبت الى امى الحقيقية التى أنادىها بلقب خالتى .. كانت تحرص على أن تكون معى ، أكثر من حرصها على أى شىء آخر .. فقد كانت تغار من أمى الحقيقية .. وكان أكثر ما تخافه هو اليوم الذى أتذكر فيه أن لى أما أخرى .. أما حقيقية .

ونظرت أمى الى وجهى كأنها تحاول أن تكتشف سرى .. ولكنها لم تسألنى شيئا .. وجذبتنى أختى سميرة من يدى ، قائلة :

— تعالى معى أوريكى فستانى الجديد ..

ودخلت معها الى حجرة اخواتى البنات ، والجميع معى .. شفاههم المبتسمة ، وعيونهم المبتسمة ، تكاد تحملنى من على الأرض ..

والبيت كله ثلاث غرف صغيرة .. كل غرفة أصغر من حمام الفيلا التى أسكنها فى شارع الهرم .. أمى وأخى الصغير ينامان فى غرفة .. وأخى الكبير فى الغرفة الأخرى .. واخواتى البنات فى الغرفة الثالثة .. ومائدة طعام فى الصالة .. وتطلعت حولى وتساءلت هل أستطيع أن أقيم فى هذا البيت .. هل أجد لنفسى مكانا فيه .. أين .. هل أنام مع أمى .. أم مع اخواتى الأربع .. أم مع أخى .. وأحسست ساعتها أنى لو أقيمت فى هذا البيت فسأكون عنئا على الجميع ..

وصاحت أختى الصغيرة هناء :

— انتى شفتى رقصى يا أبله نجوى .

قلت :

— لا .. وربنى كده يا هانو ..

وبسرعة ، شدت هناء الطبله من تحت السرير الحديدى الصغير ، وأعطتها لأختى فوزية .. والتقطت سميرة ايشارب حرمت به هناء .. وارتفعت نقرات الطبله .. حلوة .. مرحة .. على واحدة ونصف .. وبدأنا نصفق على دقات الطبله .. وهنأ ترقص .. وأمى تصيح فى مرح ضاحك :

— يا بت هزى وسطك .. ده رقص ده ...

ثم صاحت :

— قومى انتى يا سميره ورى أختك نجوى رقصنا .

وقامت سميرة ترقص .. انها ترقص أحسن من نجوى فؤاد .. وأخذت أمى الطبله تنقر عليها بنفسها .. وقامت فوزية أيضا ترقص .. وأنا أضحك .. وأصفق بيدي .. وغنابى يرقص على « واحدة ونص » .. ومشكلتى تبتعد عن رأسى ... وتبتعد ..

ان فى هذا البيت شيئا أقوى من كل المشاكل .. فيه حب .. وكل قرش فى هذا البيت مشكلة .. مشكلة صعبة .. ولكن الحب يحلها .. أما فى بيتنا .. البيت الذى أقيم فيه فالقروش فيه ليست مشكلة .. مشكلته أن ليس فيه حب .. فيه أم قاسية .. وأب مشلول .. وبنات مغلوبة على أمرها ..

وصاحت أختى هناء :

— قومى انتى بأه يا أبله نجوى ..

وقلت :

— لا .. بلاش أنا ..

وقالت أمى :

— دى تلاقوها خيبة .. جسمها وقف من ركبة العربيه ..

قلت ضاحكة كأني أتحداهما :

— كده .. طيب والله لأوريكم ..

وقدفت بفردتى حذائى فى الهواء .. ووقفت .. حزمتمنى
أختى سميرة .. ورقصت .. رقصت بكل قطعة من جسدى ..
.. رقصت كأنى أشكو .. كأنى أناجى هاشم .. كأنى أتمرّد
.. كأنى أستغيث ...

وبهرتهم برقصى ..

رقصت أحسن مما رقصت أختى سميره ..

وصاحت أمى :

— ايه ده كله يا نوجا .. والله عزيزه عرفت تربى ..

وقالت أختى سميرة :

— هم بتوع شارع الهرم بيعرفوا يرقصوا كده ..

وصاحت أختى هناء :

— رقصك حلو قوى يا أبله .. يا ريتنى أعرف أرقص زيك

كده ..

وأنا أرقص .. وأرقص .. لا أريد ان أكف عن الرقص ..
ودقات الطبله تملأ قلبى .. وتملأ رأسى .. وتملأ جسدى ..
وضجيجها الخلو أعلى من ضجيج همومى وعذابى .. الى أن
تعبت .. أحسست بخفقات قلبى ترتبك .. كأنى سأمرض من
جديد ..

والقيت نفسى على السرير الحديدى الصغير ..

وسكنت نقرات الطبله ..

والجميع يهللون ..

قالت أمى :

— قومى تسطحى على سريرى شويه ..

ثم جذبتنى من يدى ، والتفتت الى اخواتى قائلة :

— سييونا لوحدنا شويه يا بنات خلونى أتهنى ببنتى .. دى
وحشائى .. وانتى يا سميحه خشى المطبخ وحطى حلة الخضار
على الوابور .. انتى مش حا تتغدى معانا يا نوجا ؟
قلت وأنا ألتقط أنفاسى من الرقص :

— أيوه ..

وأخذتنى الى حجرتها .. وأرقدتنى على فراشها .. ورقدت

بجانبى .. وابتسامة كبيرة حلوة بين شفثيها :

— ايه بأه حكايتك يا ست نوجا .. زعلانه ليه ؟

ونظرت اليها ، واحترت ماذا أقول لها ..

انى لا أدرى اذا كانت تعلم حقيقة علاقتى بعبد الفتاح ،
أم لا .. انها تعرف عبد الفتاح ، وتعرف انه صديق العائلة ..
وسبق أن وظف أخى فى احدى شركاته .. ولكن هل تعلم حكاية
الورقة التى وقعنها والتى تربطنى به .. وهل تعلم انى عشيقته
.. وهل تعلم أنه ينفق على وعلى البيت كله .. لا أدرى .. فلم
يسبق لى أو لها أن تحدثنا فى هذا الموضوع ..

ولم ارد عليها ..

علقت عينى فى سقف الغرفة ، وسكت ..

وعادت أبى تسألنى :

— عزيزه أختى عامله فيكى ايه .. ما انا عارفاها .. جباره ،

طول عمرها ..

وانطلقت دموعى فجأة ، وقلت :

— خلاص .. مش قادره أطيقها .. مش قادره أستحملها ..

ده حبسانى زى ما اكون مجرمه .. بتعاملنى زى ما اكون لسه

قلت :

— أهو أنا عايزه أم زيك كده ..

قالت ضاحكة :

— ما انا أمك يا بت .. بس مسلفاكي لاختي تلعب بيكي

شويه ..

واستمر حوارنا .. كلامنا لا ينتهى .. ولكن لم أجرؤ على أن أصرح لها بعلاقتى بعبد الفتاح .. ولا هى بدا عليها أنها تعرف شيئاً عن هذه العلاقة .

وطيف هاشم يطوف بى ..

انى فى حاجة اليه حتى يمنحنى الأمل والقوة .. لقد منحنى القوة حتى يشفى قلبى .. وانا فى حاجة اليه الآن ليشفى حياتى ..

وأحسست أنه أوحشنى .. أحسست أنى بعدت عنه كثيراً ، منذ وصلت الى الوايلية .. وتمنيت أن أتصل به فى التليفون .. ولكن ، ليس فى هذا البيت تليفون .. ترى هل أستطيع أن أعيش فى بيت ليس به تليفون أتصل به بهاشم .

وأنا وأهى لا نزال نتحدث ..

وفجأة سألتنى :

— انها ما قلتايش .. مين اللى شاغل بالك اليومين دول ؟

وابتسمت .. وربما احمر وجهى ..

وعادت أمى تقول فى مرح :

— اظن حاتقولى لى ما فيش حد ..

قلت :

— لا .. فيه ..

عندى اناشتر سنه .. تصورى انى عمرى ما خطيت الشارع لوحدى .. عمرى ..

ثم استدرت ودفنت وجهى فى صدرها واستطردت وأنا أجهش بالبكاء :

— أنا مش عايزه أقعد عندها .. مش عايزه .. الموت أرحم .. عايزه أقعد معاكى انتى .. انتى ماما .. مش ممكن يكون لى أمين .. ما ليش الا أم واحده بس .. انتى .. وضعتنى أمى الى صدرها فى حنان ، وقالت ودموعها تنهمر هى الأخرى :

— طبعا يا حبيبتى .. أنا أمك .. وما فى يوم مر على نسيت فيه أنك بنتى .. هو الضنا يتنسى يا حبيبتى .. وبيتى بينك .. واهى اللقمه اللى تكفى سبعة تكفى تمانيه ..

قلت :

— أنا حاقعد هنا من النهارده .. من دلوقتى ..

وقالت وهى تربت على ظهرى فى حنان :

— وماله .. بس والنبي لو جيتى للحق عزيزه اختى بتحبك ما تقدرش تستغنى عنك .. غيرش انها صعب شويه .. واذا كانت مضايكاكى فى الخروج فلأنها خايفه عليكى و ... وقاطعتها قائلة :

— يعنى ما بتخافيش على سميره أختى .. أمال بتسمحي لاهها بالخروج ازاي ؟ ..

قالت وهى تبتسم :

— أنا حاجه تانيه .. أنا مرييه بناتى على الحريه .. ومفهامهم وموعياهم .. وبعد كده اللى تغلظ أهى غلظتها تيجى على دماغها ..

واعتمدت جالسة فى الفراش وقالت وفى عينيها نظرة حلوة
تتطلعة كأنها صديقتى الحميمية :

— مين •• قوليلى ••
قلت :

— الدكتور هاشم •• اللى كان بيعالجنى ••

وسرحت أمى بعينيها برهة كأنها تتذكر ، ثم قالت :

— افكرته •• شفته نوبه لما كنت عندكم وانتى عيانه ••
ده راجل أبه •• ومحترم •• وشكله يهوس •• أصل أنا احب
الرجاله اللى شكلهم حلو •• انما قوليلى عملتى معاه ايه ؟ ••
قلت :

— ولا حاجه •• تصورى بقاله ست أشهر داخل خارج فى
البيت •• وعمره ما لمسنى ، ولا قال لى كلمه كده ولا كده ••
قالت :

— انما نهمنى منه ايه •• بيحبك ••
قلت فى دلال :

— موت ••
قالت :

— وناوى على جواز •• ولا ايه ؟
قلت :

— لسه ما كلمنيش فى جواز •• أصله مش ممكن يتجوز
الا ما يتأكد من الحب الاول •• انما عرفنى باخته ••
قالت :

— خلاص •• يبقى ناوى •• وعزيزه أختى عارفه الحكايه
دى ؟
قلت :

— عارفه •• ومطلعه دينى •• خانقانى •• تصورى انها
مش راضيه تسيبنى أروح أقباله ولا مره لغاية دلوقتى •• قال
ايه •• رجليها على رجلي •• تصورى بأه لما أروح أقبال هاشم
وهى معايا •• بيتقى شكلنا يكسف ••
قالت :

— اذا كانت هى دى مشكلتك •• سيببها علىّ أنا •• أنا
حاكلمها ••

وحديثنا لا ينتهى ••

وحديث أمى •• أمى الحقيقية •• فيه حلاوة لسانها ••
وخفة روحها •• وطيبة قلبها •• وايمانها بالحب •• انها هى
نفسها حملت كل مآسى الحياة لأنها تزوجت الرجل الذى أحبته ••
وفجأة ••

سمعنا طرقا على الباب ••

ودخلت أمى الثانية •• وجهها المكرمش الصامت كلوح من
الصفيح الصدى •• ودون أن تحيى أحدا ممن فى البيت ، نظرت
الىّ بعينين غاضبتين قاسيتين ، وقالت :

— اتفضلى قومى معايا ••

قلت وأنا أنزوى فى جانب من السرير كأنى أتشبت بمكانى :

— مش قايمه •• ومش خارج بيتك تانى ••

وقالت فى لهجة آمرة لا تخلو من تهكم كأنها تعرف دائما كيف
تصل الىّ •• وكيف تعيدنى اليها :

— قومى •• الدكتور هاشم مستنى تحت فى عربيته ••

وقفزت من فوق الفراش وأنا أصرخ :

— هاشم •• ايه اللى جابه ••

قالت فى غرور كأنها تتباهى بذكائها :

— أنا .. .

أنها هذه السيدة .. لقد عرفت أنه لن يعيدنى إليها إلا هاشم
فجاءت به ..

وقالت أمى الحقيقية :

— بس أنا عايزه أقعد أنكلم معاكى يا عزيزه يا اختى ..
وقاطعتها أمى الثانية قائلة :

— مش وقته ..

ثم التفتت الى قائلة :

— احنا حانسيب الراجل مستنى وسط القرف اللى فى
الشارع ده ، ولا ايه ..

وقلت وأنا انظر فى تحد :

— أنا نازله ..

ولبست حدائى ، ونزلت معها .. وكلانا صامت ..

واستقبلنى هاشم بابتسامة صغيرة ، وفتح لى باب سيارته
.. وجلست بجانبه .. وجلست أمى فى المقعد الخلفى ..

وأنا ثائرة .. ثورة داخلية .. وتائهة فى ثورتى .. لا
أستطيع حتى أن أبتسم لهاشم .. وأحس بموجة من الكراهية
لهذه الأم التى تجلس فى المقعد الخلفى .. أكرهها لأنها أقوى
منى .. وأذكى منى .. ولانى لا أستطيع أن أهرب منها .. ولأنها
تستغل ضعفى لحبيبى .. وتستغل براءة حبيبى وجهله بحقيقتها ..
وحقيقتى ..

وقال هاشم وهو يقود سيارته فى شارع رمسيس :

— أنا زعلان منك .. مش لأنك خرجتى .. انما لأنك خرجتى
من غير ما تقولى لى أنا .. نفرض أنك زعلانه من ماما .. وأنا
.. زعلانه منى أنا كمان ؟

قلت وأنا لا انظر اليه :

— لا ..

قال :

— آمال ما كلمتنيش ليه قبل ما تخرجى ..

قلت :

— كنت متضايقه .. ما كنتش عارفه باعمل ايه ..

ومرت بقلبي لمسة من الفرحه وهاشم يحاسبنى .. أنه

يعتبر نفسه رجلى .. أنه رجلى ..

وسكت هاشم ..

ووجدت نفسى انتقل بخيالى الى بيت أمى انحقيقية فى الوايلية

.. أرقص على نقرات الطبله .. وأنام على مرتبة ملقاة على

الأرض بين اخواتى .. وأطبخ على وابلور الجاز .. وأستحم بماء

فى صفيحة الغلية ، بدلا من البانيو .. وأضحك .. وأمرح ..

وأحب .. ترى هل كان هاشم يحبنى فى هذا البيت .. هل كنت

التقيت به أصلا لو أنى أعيش فى هذه الحياة ..

وصلنا الى البيت فى شارع الهرم ..

وانتفت هاشم الى أمى وقال :

— تسمى لى يا عزيزه هانم اكلم نجوى كلمتين ؟

وقالت أمى وهى تنزل من السيارة :

— كلمها يا بنى .. أما اشوف أخرة البننت دى ايه ؟

ودخلت الى البيت .. ولكنى كنت واثقة أنها تطل علينا من

خلف باب أو من خلف شباك ..

وقال هاشم بعد برهة صمت كأنه يستجمع فيها أفكاره :

— أنا عايز أسألك يا نجوى وتجاوبينى بصراحه .. انتى

لسه فيه بينك وبين عادل حاجة ؟

وفوجئت ..

لقد نسيت عادل من زمان .. انه ذكرى من ذكريات الطفولة
لا اذكرها الا كلما ذكرت طفولتى .. وقلت والدهشة تملأ وجهى :

— عادل .. ايه اللى فكرت بيه .. انت عارف انى نسيتيه
من زمان ..

قال :

— أمال مامتك افتكرت انك هربتى علشان تروحي له ليه ؟

قلت :

— هى تالت كده ؟

قال :

— أيوه .. وأخذتنى لغاية بيته فى حلوان علشان تسأل
عليكى هناك ..

قلت كأنى أخاطب نفسى :

— عجيبه ..

ثم تنبهت من دهشتى وقلت :

— انت عارف ماما .. مش ممكن تصدق انى أهرب الا علشان

عادل .. خدت على كده ..

قال :

— أمال هربتى منها ليه ؟

قلت وأنا أرخى عينى :

— علشانك ..

قال :

— ازاي ؟

قلت :

— لأنها مش عايزه تسملى أقابلك لوحدى ..

وابتسم هاشم كأنه استراح .. ثم قال فى هدوء :

— احنا لازم نستحمل مامتك يا نجوى .. من حقها انها
تخاف عليكى .. ومن حقها انها تفكر بعقليتها .. وضرورى حانلاقى
طريقه نشوف بعض بيها من غير ما نزعها .. وانتى أقوى منها
.. أقوى بشبابك وجمالك ، وحبها لك .. وفى أى وقت تقدرى
تعلمى اللى انتى عايزاه ..

انه لا يعرف أمى ..

وهممت سماعتها أن أحدثه عنها .. أن أقول له كل شىء ..
ولكن هل أستطيع .. لا .. لا أستطيع .

وتركت هاشم على أن أحدثه فى المساء ..

ودخلت البيت .. ووقفت أمام أمى ، وصرخت فيها بتحد :

— انتى ازاي تاخدى هاشم لغاية بيت عادل .. وتفهميه
انى يمكن أكون هربت هناك ..

وقالت فى برود :

— أنا كنت فاهمه كده ..

قلت :

— انتى عارفه كويس انى سبت عادل من زمان ..

قالت :

— ايش عرفنى .. يمكن تكونى اتجننتى .. وكان لازم
الدكتور يفهم ان فيه واحد تانى علشان يتحرر شويه ..
وقلت وقد فهمت ما تقصده :

— من فضلك ما لكيش دعوه بالدكتور .. ارحميه وارحمينى
من خططك ..

ونظرت الى وعيناها الضيقتان كأنهما ثقبان فى لوح الصفيح ،

وقالت :

ورفعت أمي إلى عينيها كأنها تتعجب لوقاحتى ، ثم قالت :

— طيب عايزه تقابليه لوحدهك ..

قلت :

— آه ..

قالت :

— وانتي عارفه انك مش ممكن تقابليه لوحدهك الا اذا وافقت

أنا .. انشالله تهربي لآخر الدنيا حتلاقيني وراكى .. مش

حا اهنيكى بدقيقه واحده لا مع هاشم ولا مع غيره .. الا اذا

اتفقنا ..

قلت وأنا اتحداها فى تهكم :

— وايه الاتفاق ؟

قالت :

— أنا حاسم لك تخرجى تقابلى الدكتور ..

قلت وأنا لا زلت أتهكم :

— متشكره قوى .. نعمه ..

قالت :

— بس على شرط ..

قلت :

— عارفه ان فيه شرط .. اتفضللى اتكلمى ..

قالت :

— على شرط تكونى لطيفه مع عبد الفتاح .. واوعدهك

يوم ما الدكتور يتجوزك .. مش حاشوفى عبد الفتاح .. وانتى

عارفه ان عبد الفتاح ما عندوش مانع انك تتجوزى .. ولسه

من شهرين وعدنى انك يوم ما تتجوزى حاجهزك بنفسه جهاز

أحسن من جهاء بنته ..

— خلبنا فى الجد .. أنا دلوقتى عايزه اعرف اننى عايزه

ايه بالضبط ؟

قلت :

— عايزه تعرفى انى ما بقتش بنت صغيره .. أنا عندى

عشرين سنه .. ومن حقى وأخرج وأدخل زى ما أنا عايزه ..

قالت :

— علشان تقابلى الدكتور هاشم .. مش كده ؟

قلت :

— آه ..

وتنهدت كأنها تستعين بالصبر .. وقالت :

— وعبد الفتاح ؟

قلت فى حدة :

— مش عايزه أشوفه ..

وعادت تنهد كأنها تشد جبال الصبر ، وقالت :

— ونعيش مينين ؟

قلت :

— ما اعرفش .. انشأ الله حتى نعيش فى الوايليه وناكل

عيش بدقه . وفيها ايه لما نرجع نسكن فى شقتنا اللى فى الجيزه

.. ونعيش زى ما كنا عايشين قبل ما نعرف عبد الفتاح ..

قالت فى هدوء :

— ده كلام عيال .. انتى ما تقدريش تعيشى زى ما كنتى

عايشه فى الجيزه . أنا حا اقول لك على اللى يتعمل .. انتى

عايزه تتجوزى الدكتور هاشم .. مش كده ؟

قلت وأنا لا زلت محتدة :

— أنا باحبه .. مش مهم انى أتجوزه ..

— بس ده عبد الفتاح النهارده كان حايجنن ، لما ضربت له
تليفون وقلت له انك خرجتى تزورى خالتك ، علشان عيانه ..

قلت :

— أحسن .. خليه يتجنن كمان وكمان ..

قالت فى كمد :

— أمرك يا ست نوجا .. أما أشوف آخرتها معاكى ايه ..
ودخلت غرفتى ..

وجاءت ورائى ..

ونظرت اليها فى تحد وصرخت فى وجهها :

— من فضلك سيبينى أنام لوحدى .. أنا مش طايقه حد

ينام جنبى ..

واتسعت عيناها فى هلع ، كأنى طعنتها بخنجر فى قلبها ..

ثم ابتلعت الطعنة .. وأحنت ظهرها فى يأس .. وخرجت من

غرفتى تسير فى خطوات مترنحة ..

وألقيت نفسى فى فراشى ..

أبكى ..

والأيام تمر ..

التقى بهاشم ..

واستقبل عبد الفتاح ..

وأحياناً تلتوى أكثر .. وتتعمد أكثر .. وقطرات العذاب

تنزف فى داخل صدرى .. وتنقر فى عقلى ..

وكان هاشم يلقانى فى سيارته .. ونذهب الى ترعة المنصورية

.. أو الى طريق المطار .. وأحياناً نتناول الشاي فى مينا هاوس

قلت :

— بس له شرط ..

قالت :

— شرط ايه ؟ الراجل ما اشتراطش حاجة ..

قلت :

— شرط ضمنى .. انى أفضل لطيفه معاه حتى بعد

ما اتجوز !

قالت وهى تنظر الى فى غيظ :

— ساعتها يبقى يحلها ربنا .. ومش ممكن أشوئك متجوزه

واحد زى الدكتور هاشم ، وحد يبقى لو عين عليكى .. المهم ..

خلينا فى الموضوع .. رايك ايه فى اتفاقنا ..

وقلت بلا مبالاة :

— موافقه ..

ونظرت الى كأنها لا تصدق أذنيها .. كأنها لم تكن تنتظر أن

تأتى موافقتى بهذه السرعة والبساطة .. وقالت وهى تحددى

فى وجهى :

— يعنى اتفق مع عبد الفتاح بيجى بكره ؟

قلت :

— لا .. بعده ..

قالت :

— ليه مش بكره ..

قلت :

— لأنى بكره عايز أقابل هاشم ..

قالت :

ونظرت اليه بعينين مذعورتين .. ماذا يقصد .. هل يشك
عني .. هل سمع شيئاً عنى .. وقتلت وحلقتى جافاً :
— أنت عارف عنى كل حاجة ... ما فيش حاجة ما قلتش
لك عنها ..

قال وهو يبتسم :
— طبعا .. بس انا باكلكم عن احساسى .. دايمًا حاسس
انى منتظر انك حاتقوللى حاجه جديده ..
قلت :

— زى ايه ؟ ..
قال وهو يهزأ كئيفيه %
— ما اعرفش ..
قلت :

— اسألنى عن أى حاجه ، وأنا أقول لك ..
قال وابتسامته تتسع :

— برضه مش فاهمانى .. انا باكلكم عن احساسى ..
مجرد احساس .
ثم رفع يدي الى شفتيه وقبلها .. وانحنى يقبلنى بجانب
اذنى ..

ان احساسه صادق .. أشياء كثيرة لم يعرفها عنى ..
اشياء هائلة .. آه لو عرفها .. وربما كان هذا الاحساس
الصادق الذى يحيره هو الذى يجعله يتردد حتى اليوم فى تحديد
نوع علاقته بى .. وهو لا يدري انى اتعذب .. ولا يدري انى
ارضى بأى علاقة يختارها بيننا .. أى علاقة .. الا أن يستمر
فى تعذيبى برقته .. وحنانه .. يعذبنى أكثر مما يعذبنى عيد
الفتاح ..

أو فى استراحة الهرم .. ومرات كثيرة كان يصحبنى الى مطعم
« الستريو » عند أول طريق الفيوم ، ساعة الغداء ، ثم يدخل
وحده ويشترى قطعة من الساندويتش نأكلها فى السيارة وأحياناً
تدعونى أخته الى جلسة عائلية ، وهو دائماً رقيق معى ..
طيب حنون .. يعاملنى كأنى عذراء .. كأنى ملاك .. كأنى
مصنوعة من زجاج رقيق معرض للكسر .. ويخاف على أن
تكسرنى كلمة أو لمسة .. وليس بينى وبينه سوى هذه القبلات
التي تأخذ قلبى وتنقله الى عالمه النظيف ، النقى ، الطاهر ..
وأحياناً كثيرة كانت قبلاته تسرى فى دمي وتحرك أنوثتى ..
تشعرنى انى امرأة .. انه لا يزال الرجل الوحيد الذى يستطيع
ان يشعرنى بأنى امرأة .. وأكاد أصيح فيه .. خذنى .. خذنى
كأمرأة .. أكاد أعترف له بكل قصتى .. ولكنى لا أستطيع ..
أخاف أن أفقده .. فأستسلم لعذابى .. وأحياناً كثيرة كنت
أشعر به هو الآخر ورجولته تزار بين شفتى .. شغفاد تفقدان
رقتهما وتنطلقان فى صخب .. وذراعه القويتان يفقدان حنانهما
ويلتفان حولى فى قسوة .. وأغمض عيني وأتمنى أن يزداد فى
قسوته .. وفى انطلاقه .. ولكن لا .. ان ارادته أقوى من
غرائزه .. ويسيطر على نفسه بسرعة ، ثم ينظر الى وفى عينيه
اعتذار .. ويعود رقيقاً ، حنوناً .. ورقته تعذبنى .. تشعرنى
أكثر بمصيبتى ..

الى أن قال لى مرة :

— تعرفى يا نجوى انا كل ما بعرفك أكثر ، باتوه فيكى
أكثر .. كل ما اعرف عنك حاجة يتهيألى ان فيه حاجات كثير
عايز أعرفها ..

— لا ..

وقالت أمي :

— ده مهندس معروف .. عنده ثلاثين سنه .. وعماريتين ..
ومتقدم لنجوى .. وامه راичه جايه .. وما بتبطلش كلام فى
التليفون .. ومش عارفة أقول لها ايه ..

وقال لها :

— اللي تقوله نجوى ..

وقالت :

— نجوى بتدلع .. انما أنا شايفه ان كفايه دلع باه ..
ولازم نقتعها بالجواز ..

وقال هاشم :

— فعلا .. نجوى لازم تتجوز .. انما مين وامتى ، ده هى
اللى تقرر له لوحدها ..

وقالت أمي :

— بوحدها ازاي باه .. واحنا مالناش رأى ..

وقال هاشم وابتسامته الهادئة بين شفثيه :

— لا .. مش احنا اللي حانتجوز ..

وسكتت أمي وهى تنظر اليه فى غيظ ..

وبعد ان خرج هاشم ، صرخت فى وجهها :

— اوعى تاتى مره تتكلمى قدام هاشم عن الجواز .. دى

طريقه بلدى .. مكشوفه .. واللى زى هاشم مش عبيط ..

هاهيك أكثر ما انتى فاهماه ..

وقالت فى حدة :

— ولما هو فاهمتى ، ستاكت ليه ، لغاية دلوقتى .. ما يقول

أيوه ، ولا لا ..

وعبد الفتاح يشعر بانى تغيرت .. تغيرت كثيرا .. انى
لم أعد أستطيع ان امثل له دور المرأة .. دور الغانية .. لم أعد
أستطيع وأنا معه ان افتعل أحاسيس المرأة .. لم أعد أستطيع
ان أستقبله بأحاسيس اللامبالاة ، كأن الجسد الذى اعطيه له
ليس جسدى .. لقد أصبح يؤلمنى .. كل شىء فيه يؤلمنى ..
الما حقيقيا .. شفثاه تؤلمانى .. لمساته تؤلمنى .. جسده يؤلمنى
.. ولم يكن عبد الفتاح يطلب منى الحب .. كان كل ما يطالبه
منى ، هو ساعة ممتعة .. ولكن هذه الساعة لم أعد أستطيع
ان اعطيها له .. انى اعطيه ساعة عذاب .. انى اشعره بعجزه
.. بالفرق الكبير بين سنى وسنه .. وقد أصبح يشك فى ..
أصبح يعتقد ان هناك شيئاً حدث لى .. رجل آخر فى حياتى ..
وقد صرح بشكوكه لأمى .. وأجابت أمى :

— أبدا والنبى يا ابنى .. ما فيش حد .. انما هى من يوم
ما قامت من العيا وهى متغيره ، وزى ما تكون بقت واحده تانيه
.. اسألنى أنا ، دى موريانى الغلب ..

ولكن عبد الفتاح لم يصدق ان السر فى تغيرى هو مرضى
.. بدأ يبحث ورائى .. ويحاسبنى .. ويحاسب أمى ..

وأى تنفث النار من انفها ومن عينيها فى انتظار نتيجة علاقتى
بهاشم .. وتحاول ان تصل الى معرفة نيته عن طريق اثاره
زواجى .. فى كل مرة يزورنا تدعى امامه ان خطيبيا قد تقدم
لى .. وكان هناك خطاب يتقدمون لى فعلا ، ولكن أمى لم تكن
تعنى ان تستشير هاشم فيهم .. كان كل همها ان تدفعه ليحدد
موقفه .. وقالت له :

— ايه رايك يا دكتور فى عبد العزيز رجمى .. تعرفه ! ؟

وقال هاشم فى هدوء :

وعدت أصرخ فى وجهها :

— والكيش دعوه بيه .. با اقول لك ما لكيش دعوه بيه ..
وسكنت أمى وهى تنظر الى كأنها تتريص بى ..

ويوما يعد يوم ، لم يعد موضوع الزواج هو ما يشغل بال
أمى .. لقد أحسنت أنها بدأت تفقدنى .. تفقد ارتباطى بها ..
وتفقد سيطرتها وتأثيرها على .. وأحسنت أنى حتى لو تزوجت
هاشم ، فلن يردنى هذا اليها .. بل ستفقدنى أكثر .. سيأخذنى
هاشم الى عالم بعيد عنها .. بعيد عن نفوذها .. وعن عقليتها
وكانت الساعات التى تسمح لى فيها بالخروج للقاء هاشم
تفقدتها عقلها .. وكنت أعود لأجدها شبه مجنونة ، ولم يكن يهملها
ماذا فعل هاشم بى .. ولكن كان كل ما تحس به انى تحررت
من سيطرتها ساعة أو ساعتين .. انها تغار .. تغار من هاشم
تغار أكثر مما يغار عيد الفتح .. كأنها تعشقنى كما يعشقنى
رجل .. انها تملكنى ، لا كما تملك أم ابنتها .. ولكن شىء آخر
.. ملكية شاذة .. وتحس بهاشم كأنه يعتدى على أملكها ..
انها لا تريد أن أكون سعيدة إلا فى حدود السعادة التى تهبها
لى .. السعادة التى تأتى الى عن طريقها .. أما ان أكون سعيدة
بعيدا عنها .. سعادة استمدها من رجل يأخذنى ولا يأخذها معى
.. مستحيل .. وزاد من جنونها انى أصبحت الح عليها كثيرا
أن تذهب لزيارة أمى الحقيقية .. أصبحت أذهب اليها كل أسبوع
على الأقل .. وترانى هناك سعيدة أضحك وأرقص ، ولا أتأفف
من الفقر الذى يحيط بى .. كأتى أفكر فى كل لحظة أن أقيم فى
هذا البيت وسط هذا الفقر ..

وكل ذلك من تأثير هاشم ..

وهى تعلم انى أحب هاشم .. وتعلم أنها لن تستطيع

أن تنزع هذا الحب من قلبى بكلمة منها .. ولقد حاولت كثيرا أن
تمنعنى من الذهاب للقائه .. أصبحت تثير مشكلة فى كل مرة
أكون على وعد معه .. وأصرخ فى وجهها .. وتصرخ فى
وجهى .. ثم أهددها .. أهددها بأن أقطع علاقتى بعبد الفتح .
وأن أصرح له بحبى لهاشم .. وأهددها بأن أذهب وأقيم مع أمى
الحقيقية .. وأخيرا تضطر أن تسمح لى بالخروج وحدى ، وتتسدر
الى حتى لا يعلم عبد الفتح شيئا ..

وفى يوم رجعت رجعت بجائى وعلى شفيتها ابتسامه
تشرق وجهها المكرمش كأنها فتحة علبة من الصفيح الصدى
.. وضمتنى الى صدرها فى حنان .. وقالت لى أنها استطاعت
أن تدخر ثلاثة آلاف جنيه .. من ثغور عبد الفتح طبعاً .. وأنها
قررت أن تدفع هذا المبلغ كمقدم لعقارة تشتريها وتكتبها باسمى ..
وقلت لها :

— مرمى ..

واغتصبت قبلة ، طرقتها فوق خدها ..

وسكنت أمى قليلاً ثم قالت :

— اسمعى يا نوجا .. تعالى نتكلم بالعقل بأه فى الموضوع

أياه ..

قلت :

— موضوع ايه ؟ ..

قالت :

— موضوع الدكتور بتاعك ..

قلت وقد اكتشفت سر العقارة التى قررت أن تشتريها لى :

— اتكلى ..

قالت وهى ترشونى بابتسامه :

قلت وأنا أنظر إليها فى قرصاً :

— يعنى ايه ؟ ..

قلت :

— يعنى بيحى يشوفك فى البيت هنا .. بدل ما تهرطى

بفسك فى الشارع .. خصوصاً ان الناس ابتدت تتكلم عنك

وعنه .. واننى مهما قلتى ، لغاية النهارده ما حدثش قدر يتكلم

عنك .. سمعتك زى البرانتى ، والخطاب رايعين جاين ..

قلت وأنا أدعى الغباء :

— ما هاشم بيحى يزورنا فى البيت .

قلت وقد ظننت أنها على وشك أن تقنعنى :

— لا .. تصدى انكم تقعدوا هنا لوحدهم .. انشأ الله حتى

يحبى كل يوم .. وأنا ما ليش دعوه بيكم .. اللى تعملوه اعملوه ..

قلت فى تهكم مر :

— يعنى زى عبد الفتاح .. مش كده ؟ ..

قلت :

— وهو هاشم مش راجل وبعد الفتاح راجل .. كل الرجاله

زى بعض .. واللى عايزينه من السنه ما بيتغيرش .. والشاطره

هى اللى تعرف تستفيد ..

وسلطت كل ارادتى على اعصابى حتى لا تثور ، وقلت فى

هدوء اكنم به نارى :

— انتى وحشه يا ماما .. وحشه قوى .. أنا حبيت هاشم

لانه اقنعنى بانى أقدر اكون بنت كويسه .. انما انتى مصممه

على انك تخلىنى بنت وحشه .. وانفضل طول عمرى بنت

وحشه ..

وقالت :

— بأه أنا شايفه ان الدكتور ده مش بتاع جواز .. ده راجل

عنده اتنين وربيعين سنه ولسه ما تجوزش لغاية دلوقت ..

يبقى ايه اللى حايليه يتجوز بعد العمر الطويل ده كله ..

صدقينى ده مش بتاع جواز ..

قلت :

— أمال بتاع ايه ؟

قلت :

— بتاع سنات ..

قلت :

— ولما هو بتاع سنات ما طلبش منى حاجه لغاية دلوقتى

ليه .. ده بيبوسنى بالتيله ..

قلت :

— طيب .. بتاع حب .. ما هو فيه رجاله كده ، غاويين

حب .. وبعد ما الواحده تقع فى الحب ما يرحموش .

قلت فى ضيق :

— عايزه تقولى ايه .. قصدك ايه .

قلت :

— قصدى ان احنا نشيل حكاية الجواز دى من دماغنا .

قلت وأنا أنظر فى وجهها أحاول أن أزيح عنه سحب الخبث

لاكتشف سرها :

— نليب افرضى اننا شيلنا حكاية الجواز .. ايه اللى

حايرصل ..

قلت :

— بيتقى خلاص .. نعرفه من غير ما نلف ولا ندور .. والشرط

بيننا نور ..

— سيبك من الكلام ده اللي لا يودى ولا يجيب .. احنا
بنتكلم بالعقل .. و ..

وصرخت .. انطلقت النار :

— سعييني .. اخرجى من اودتى .. مش عايزه اسمع
ولا كلمه منك .. اخرجى .. اخرجى ..

ورفعت الوسادة ووضعتها فوق راسى ، وسددت بها اذنى
حتى لا اسمع كلامها .

وخرجت امى ..

وتركتنى ابكى ..

ولم تحاول ان تعود الى فى تلك الليلة .. وفى الصباح
كانت هادئة ، ووجهها جامد .. ولم تحاول ان تعيد على حديث
الأمس .. لم يبد عليها اننا اختلفنا على شىء ..

ثم

اتصلت بهاشم فى التليفون كعادتى كل صباح .. وقال لى
وصوته ينبض بالحيرة :

— اسمعى يا نجوى .. فيه حاجه محيرانى ، تعدت طول
الليل أفكر أقولها لك ولا لا .. ولغاية دلوقت محتار .. انما يظهر
انى لازم أقولها لك .. لانك احق بيها منى ..

قلت :

— خير ..

قال :

— ماما اتصلت بى امبارح بالليل .. وطلبت انها تشوفنى
لوحدها .. برة البيت .. ووصتنى انى ما قلش لك ..

وشهقت .. انى اعرفك ماذا تريد امى منه .. وكتمت
شهقتى ، وقلت وكل عقلى ستارح وراء امى ووجهها المكرمش :

— وقلت لها ايه ؟ ..

قال وهو يضحك :

— اذيتها ميعاد النهارده الساعة اربعه ونص ، قدام نفق

الجيزه .. زى الحبايب ..

وقلت له فى توتل .. اكاذ ابكى ؟

— ما ترحش .. اوعى تروح تقابلها .. علشان خاطرى

يا هاشم .. وحياتى عندك ..

قال فى دهشة :

— ليه ؟ ..

قلت :

— بعدين أقول لك .. انت اصلك ما تعرفش ماما ..

قال ودهشته تستبد به :

— بس انا وعدتها ..

قلت :

— اعتذر لها .. وحياتى .. وحياتى .. ورحمة مامتك ..

قال :

— بس مش اعرفك ليه ..

قلت :

— حاقول لك بعدين ، انا حاقابلك النهارده بدل ماما ..

بلاش اربعه ونص .. خليها اتنين ونص .. بعد العياده على

طول ..

قال :

— واعمل ليه فى مامتك ..

قلت :

— اعتذر لها .. انا حاقفل السنكه دلوقتى .. وانت اضرب

لها تليفون .. قول لها ان جاتلك حاله مستعجله ..

وقال هاشم كأنه ليس مقتنعا تماما :

— حاضر ..

وضع السماعه فى بطء كأنه لا يفهم شيئا ..

وكنت أعلم ما تريده منه أمى ..

انها تريد أن تعقد معه اتفاقا كالذى عقدته مع عبد الفتاح

.. ورقة مكتوبة .. ويدفع الفى جنيه .. وتبغنى له ..

ولا مانع أن تبقى ورقة عبد الفتاح أيضا .. لا مانع من أن تبغنى

لاثنين بدلا من واحد ..

وبعد قليل دق جرس التليفون ..

وردت أمى .. تركتها ترد .. انه الدكتور هاشم .. ورايت

وجه أمى يتغير .. وسمعتها تقول كأنها ساهمة :

— متشكره قوى يا دكتور .. كويسه والحمد لله .. عايز

تكلم نجوى .. طيب .. مع السلامه ..

ثم أعادت السماعه ..

ونظرت الى نظرة واحدة .. ثم أرخت عنى عينيها بسرعة

.. ولم تتكلم .. انها لا تستطيع أن تقول لى انها حاولت أن

تتفق مع هاشم على ، من وراء ظهري ..

وسألتها وأنا أظاها بالسذاجة :

— مين ؟ ..

قالت :

— ده الدكتور هاشم .. مستعجل .. ماقدرش يكلمك ..

وتركتنى ودخلت الى المطبخ ، كأنها تفر منى ..

ولم أقل لها انى على موعد معه ..

لم استأذنها قبل أن أخرج ..

ذهبت اليه ..

ونظر الى هاشم وأنا بجانبه فى السيارة ، وقال وهو يقبلنى

بابتسامته :

— مالك .. مبوزه ليه ؟ ..

قلت وأنا لا انظر اليه :

— ماما مزهقانى فى عيشتى ..

قال وهو يمسح عذابى بابتسامته :

— احنا اتفقنا أن احنا الاتنين نستحملها ..

ولم أرد ..

بقيت ساهمة فترة .. وهاشم يقود السيارة فى طريق شارع

الهرم .. ثم قال :

— تحبى نروح سقاره ؟ ..

قلت وأنا لا زلت ساهمة :

— انت كنت بتقابل أمينه فىين ؟

وبوغت هاشم ، ونظر فى وجهى كأنه يحاول أن يكتشف

ما بى ، وقال :

— ايه لازمة السؤال ده دلوقتى .. احنا ما نسينا أمينه من

زمان ..

قلت كانى أكاد أصرخ :

— لازم اعرف .. كنت بتقابلها فىين ؟

— فىي الشمقه ..

قلت :

— انت عندك شمقه ؟ ..

قال :

— أيوه ..

فيها .. قررت أن أضئ النور الأبدى أمام حبيبي على حقيقتي ..
 .. مهما كانت حقيقتي .. مهما جازفت بجبي .. مهما كان مصيري ..
 .. لم أعد أطيق هذا الخداع .. هذا الغش .. هذا الكذب ..
 أسبح أرحم على أعصابي أن أفقد حبيبي ، من أن أستمر في
 خداعه ..

ودخلت شقة هاشم وأنا لا أكاد أرى منها شيئا .. كنت
 أتظاهر بأنى أتلفت حولي ، ولكنى لم أر لون الجدران ، ولا شكل
 قطع الأثاث .. كان كل ما أراه هو اللحظات القادمة التي أعد
 نفسي لها ..

وطاف بي هاشم على جميع الحجرات .. اتف على باب كل
 حجرة ، وأطل فيها بعينين ساهمتين .. والمطبخ .. والحمام
 .. ثم عدنا الى الصالة الخارجية .. وهميت أن أجلس على
 المقعد ، ولكنى تنبهت الى خطتي ، فاخترت أن أجلس على الأريكة
 .. وجلس هاشم بجانبى .. قريبا جدا منى ، ولكنه ليس ملتصقا
 بى .. وقال وعلى شفثيه ابتسامة تنبض بطيبته :
 — استريحتى .. أدى الشقه يا ستى .

قلت وأنا أبتسم كأنى أنفست عن نفسى شرودها ، وأسترد
 نشاطى :

— أنا شايمه ماضيك كله ..

قال ضاحكا :

— لا .. مش كله .. نصه بس ..

قلت :

— والنص التانى فين ؟ ..

قال وهو لا يزال يضحك :

— فى شقه تانية .. كنت واخدها قبل دى ..

قلت :

— وما تلتليش ليه ؟ ..

قال :

— كان حايجى يوم اتوكلك ..

قلت :

— عايزه أشوفها ..

قال فى دهشة وقد عاد ينظر فى وجهى :

— ايه هى ؟

قلت :

— الشقه ..

قال :

— باذن الله نروح نشوفها يوم ..

قلت :

— عايزه أشوفها دلوقتى .. دلوقتى حالا ..

قال :

— بس مش اعرف ليه ؟

— لأنى لازم اعرف كل حاجه عنك .

ونظر فى وجهى كأنه يفحص مريضة من مرضاه .. مريضة

بعقلها .. مجنونة .. وقال :

— حاضر ..

وأدار عجلة القيادة ..

واتجه فى الطريق الى الزمالك ..

كنت أعرف، بالضبط ماذا أريد من هاشم ، فى هذا اليوم ..

كنت قد قررت أن أضع حدا لهذه المهزلة التى أعيش

قلت وأنا أبتسم ابتسامة كبيرة :

— أصل ماضيك ما تساعوش شقه واحده ..

وضحك .. وترددت ضحكته فى أنحاء الشقة كأن كل قطعة فيها تضحك معه .. ثم اقترب بوجهه منى ، وقال فى صوت جاد حنون ، وصدى ضحكته بين شفثيه ، وفى عينيه حب كبير :

— أنا خلاص ما بقاليش ماضى .. شطبتيه .. نسيته .. أنا دلوقتى ماليش الا مستقبل .. أنتى مستقبلى ..

وأحبيت رأسى أنظر فى أظافر يدى .. كأن رأسى لا يستطيع أن يحمل كل هذا الحب ويظل مرفوعا .. لا يستطيع أن يحمل مستقبله ..

ومرت بيننا فترة صمت ..

ووجهه قريب جدا من وجهى .. أحس بنفسى كأنى أغرق فى عينيه .. أغرق فى أنفاسه .. وأكد أهم بأن التى نفسى بين شفثيه ..

وقلت فى صوت خافت وأنفاسى مبهورة :

— تعرف انى ساعات ما بصدقش .. باشك فيك ..

بيتهيالى انك بتعرف بنات كثير ..

قال وذراعه ترتفع ويلقى بها فوق حافة الأريكة خلف ظهرى :

— لو كان فيه واحده تانيه ، كنتى عرفتى ..

قلت :

— ازاي ؟ ..

قال :

— كان بان على .. اصلى ما بعرفش أخبى .. من كتر

ما أنا مشغول بانسى انى أخبى .. وبانكش فى الحاجات دى

بشغره ..

قلت :

— مال لسه عندك شقه ليه ؟

قال :

— علشان اعمل فيها قهوه .. على فكره .. تحبى اعمل لك

قهوه ..

قلت :

— لا .. مرسى ..

وهم أن يقوم من جانبى وهو يقول :

— ده أنا أحسن واحد يعمل قهوه .

وجذبته من يده حتى لا يقوم من جانبى ، وقلت وعيناي

معلقتان بعينيه :

— صحيح مشى عاززه يا هاشم ..

وعيناه تطلان فى عينى .. وشفثاه تطلان على شفثى ..

وقال وصوته بدأ يخفت ، ولمسة حمراء تطوف على خديه :

— أنا آسف .. ما عنديش حاجة اقدمها لك الا القهوه ..

قلت وصوتى مبهور :

— بس ؟ !

قال :

— وأنا ..

ثم سقط على شفثى ..

ان قلبته هنا ، تختلف عن قلبته فى السيارة .. قبلة مرتاحة

.. لا تخاف .. ولا تتردد .. ولا تحسب حساب أحد قد يمر فى

الطريق ..

وأغمضت عينى .. وكل أعصابى ترتاح بين شفثيه ..

أريد أن أبقى هكذا العمر كله ..

وظالت قبلتنا ..
أطول مما تعودنا ..
وتطورت ..

أحس بها تنطلق .. وأنطلق معها .. وذراعاه تضغطني
اليه ، وأضغط نفسي اليه أكثر .. ووجهه يستخن ، ووجهي ..
وأصابعه تتحسس ظهري ثم تكاد تنفرز فيه .. وكل شيء يطير
من عقلي .. كل ما كنت أفكر فيه .. كل ما قررتة .. فقط أريد
أن يقبلني .. ويقبلني أكثر .. بلا حساب .. بلا حدود ..

وفجأة نزع شفتيه من شفتي ..
وابتعد عنى قليلا ..

وفتحت عيني كأنى أفقت من حلم ..

وجمعنا الصمت .. وهو يتشاغل عنى محاولا أن يشعل
سيجاره .. وأنا أنظر اليه كأنى ألومه لأنه يشعل سيجارته ..
انه يستطيع أن يشعلنى أنا .. وقال وهو لا ينظر الى :

— متأكد انك مش عايزه تشربى قهوه ..
قلت :

— لا ..

ثم بدأ يقلع سترته فى هدوء .. لم يبد عليه انه يخلعها متعمدا
.. انما يخلعها لان الجو حار .. وكل شيء حولنا كان حارا ..
نار ..

وقال وأنفاسه مبهورة ، والصهد يفح من وجهه ، وعيناه
مرخيتان لا يريد أن ينظر بهما الى :

— ما قتلتيش .. ما رضيتيش انى اروح أقابل مامتك ليه ..
وأنا أنظر اليه بكل عيني .. لم أعد أستطيع أن أمثل دور

الفتاة العذراء .. دور الملاك .. انى امرأة .. ويجب أن يعرفنا
انى امرأة .. ويرحمنى ..

وقلت وأنا أعود بوجهي اليه الأتدفاً بصهده :
— ولا حاجة .. ما حبيتش انها تشوفك لوحدها ..
وابتسم ابتسامة ترتعش بانفعاله ، وقال :

— ليه ؟

قلت :

— كده .. باغير عليك ، حتى من أمى ..
ووضعت خدى على خده ..

وبقى صامتا برهة كأنه يقاوم .. ثم التفت الى كأنه لم يعد
يستطيع أن يقاوم .. وأخذنى بين ذراعيه ..
واستسلمت ..

استسلمت لاحتساى بأنى امرأة .. الاحساس الذى لم
أشعر به أبدا الا معه .. وقبلتى تقنعه بأنى امرأة ... كل
حركة من حركاتى تقنعه بأنى امرأة .. وهو يفتح عينيه كأنه
لا يصدق ما يحس به .. ثم يغمضهما ، ويعود يستجيب لندائى
.. نداء كل قطعة منى ..

وفجأة .. عاد ونزع شفتيه من شفتي .. وكله مبهور ..
عيناه .. شفاته .. أنفاسه .. وحاجباه معقدان ، كأنه يعانى
الك :

وتعلقت به ، وهمست .. همسة كالصراخ :

— بوسنى يا هاشم .. بوسنى .. ما تسينيش ..

ونظر الى كأنه يسألنى شيئا .. كأنه يستأذنى ..

وربما تلقى الجواب من عيني ..

وعاد الى ..

أخذنى بين ذراعيه ، ومال بى فوق الأريكة ..
ولم يعد يحاول أن يقاوم ..
استسلم لرجولته ..

وحاول أن يأخذنى كفتاة .. عذراء ولكنى مكنته من نفسى
كامرأة ..

أنا التى مكنته من نفسى ..
تعمدت ..

وفتح عينيه ملؤهما الدهشة .. ثم عاد وأغمضهما بسرعة ،
كأنه اكتشف أن هذه ليست لحظة السؤال .. ولا الدهشة ..

وأنا لا أشعر بالخطيئة ..
ولا أشعر بأنى أتحدى ..
ولا أشعر بأنى أعطى ..
ولا أشعر بأنه يأخذ ..

لا أشعر بشيء مما شعرت به مع عادل .. أو مع عبد الفتاح
.. ولا شيء مما كنت أتصور أن أشعر به لو كان رجلا آخر غير
هاشم .

أنى أشعر بالحب فى قمته .. أعلى قممه .. والحب يسرى
فى أعصابى .. هادئا .. جميلا .. كالطفل الوديع .. فى كل
قطرة من دمي طفل يبتسم ..

وانهمرت دموعى .. دموع صامتة .. لعلها دموع السعادة
.. سعادة لم أكن أعلم بها ..

وشفتاه لا تزالان بين شفتى ..
وأنا هائمة فى أنفاسه ..
ثم ارتخت أعصابنا ..

وسحب هاشم شفتيه من بين شفتى ، ودفن وجهه فى
طبقات شعرى ..

وبقينا صامتين ..

دقات قلبينا يختلط بعضهما ببعض .

وأنفاس كل منا تستريح فى أنفاس الآخر ..

ثم اعتدل هاشم جالسا على حافة الأريكة ، بجانب جسدى
المهدد .. انه يعرف الآن أنى لست عذراء .. وانكفأت على
وجهى .. وأغمضت عيني ، فى انتظار أن أسمع كلمته .. كأنى
فى انتظار أن أسمع حكم القدر ..

ووضع هاشم رأسه بين يديه .. وطال سكوته .. ثم قال
فى صوت خافت كأنه يتنهد :

— أنا مش عايزك تقولى حاجة مش عايزه تقوليها ..

ولم أرد ..

لم أعرف ماذا أقول ، وقلبي يرتجف بين ضلوعى .. ودموعى
عادت تسيل على خدى .. دموع أخرى غير التى سألت من قبل
.. تحمل احساسا آخر .. معنى آخر .. تحمل مصيبتى ..

ومرت فترة صمت أخرى ..

ثم عاد هاشم يقول فى صمت خافت كأنه اتخذ قرارا بينه
وبين نفسه :

— احنا حا نتجوز ..

وصعقت .. انى لا أستطيع أن أصدق ما سمعته ..

واستدرت .. رفعت وجهى المبلل بالدموع اليه .. ورايته
محنى الرأس ينظر الى بوز حدائه كأنه أصيب بمصيبة .. كأنه
فقد شيئا غاليا عليه .. وعلى شفتيه ابتسامة مسكينة يواسى
بها نفسه ..

وانطلقت دموعى كلها ..

— استنى . . . ما تتكلميش . . .

ثم قام من جاتبي ، والقي بنفسه على المقعد العريض الموضوع بجانب الأريكة . . ووضع يده على قلبه . . . وأخذ يلتقط أنفاسه من الهواء . . ثم شد نفسا عميقا ، كأنه يقاوم به الاختناق . . واعتدلت جالسة ، والتقطت حقيبتى . . وأخرجت منديلا اجفف به دمي . . ونظرت إليه . . انه يبدو كأنه يعانى ألما حادا . . يبدو كأنه كبير فى لحظة عشرة أعوام . .
والتهف قلبى عليه . .

خفت عليه . .

لم أكن أعتقد انه سيصدم الى هذا الحد . .
لم أكن أعتقد انه يحبنى الى هذا الحد . .
ولم أدر ماذا أفعل . .
ولا ماذا أقول . .

ولكنى أحسست ساعتها أنى كنت قاسية عليه أكثر مما تصورت . . فسوت عليه عندما أخفيت عنه حقيقتى . . وقسوت عليه عندما صرحت له بها . . أحسست أنى مجرمة . . كأنى ذبحت حبيبى . . ذبحت ابنى . . ابنى المسكين . . الصغير . . الذى لا يعرف أن فى الدنيا كل هذه الدناءة . . لا يعرف ، ولم يكن يتصور ، أن أمة . . حبيبته . . هى هذه المرأة الخاطئة . .

وتمنيت ساعتها أن أضع وجهه فوق صدرى ، وأبكى فوق رأسه ، لعل دموعى تغسل عنه الألم ، وتخفف عنه الصدمة . . ولكن هاشم رفع رأسه ، وأثار الجهد الذى بذله ليضبط أعصابه بادية تحت عينيه ، وقال وبين شفثيه ابتسامة مهزوزة يحاول أن يستعين بها ليبدد صدمته ، وقال فى صوت يحاول أن يكون مرحا :

— أظن من حقى أشرب قهوه دلوقتى .

وارتفع صوت نشيجى . .

وعدت انكفىء على وجهى . . واضرب الأريكة التى أرقد عليها ، بيديّ وقدمى . .

واستدار هاشم الى بوجهه ، وقال وهو يضع يده على ظهرى فى حنان حزين :

— أنتى بتعيطى علشان حانتجوزة . .

ورفعت وجهى إليه ، وصرخت من خلال دموعى :

— ما نقدرش . . ما نقدرش . .

وقال والدهشة تكسو وجهه :

— ما نقدرش ليه ؟ . .

قلت :

— ما نقدرش نتجوزة . .

قال وهو غارق فى الدهشة :

— ليه ؟

قلت :

— لأنى متجوزة . .

واتسعت عيناه كأن يدا امتدت الى عنقه وخنفته . . وقال :

— بتقولى ايه ؟ . .

وعدت أصرخ وسط نشيجى كائى طفلة صغيرة ، وأنا أضرب الهواء بقدمى :

— متجوزة . . متجوزة . .

وسكت . .

ونظرت إليه ، وقلت :

— كان لازم أقول لك قبل كده ، انما . . و . .

وقاطعنى قائلا :

— أمال ما شفتش جوزك ليه ؟

قلت نى صوت ثابت :

— لأننا متجوزين فى السر ..

وارتفع حاجباه فوق أنفه الكبير ، وقال والدهشة تملأ صوته :

— ليه .. ايه اللى يخللى واحده زيك تتجوز فى السر ؟

قلت :

— لأنه متجوز واحد تانيه ..

قال فى لهجة أشبه بالتهكم :

— وحبتيه .. ضرورى تكونى حبتيه ..

قلت :

— لا .. ما حبتوش ..

وقال فى صوت محتد كأنه يصرخ :

— أمال اتجوزت ليه ؟

قلت فى بساطة :

— علشان فلوسه ..

وصرخ :

— مش معقول .. مش معقول .. ما تقوليش عن نفسك

كده ..

قلت ودموعى المتحجرة تحرق جفونى :

— أنا كده .. احنا مش اغنيا يا هاشم زى ما انت شايفنا

دلوقتى .. وانت ما خدتش بالك من الفرق بين عيشتنا لما كنا

ساكنين فى الجيزه ، وعيشتنا دلوقت واحنا ساكنين فى شارع

الهرم .. ما حاولتش تاخد بالك .. ما شفتش أن بقى عندى

عربيه .. وفساتين .. وصيفه .. وفيللا .. وسفرجيه ..

كل ده جابه عبد الفتاح .. ؟

ثم قام قبل أن يسمع اجابتي ودخل المطبخ ، وغاب فيه ،
وتركنى أحاول أن أعد فى ذهنى الكلام الذى سأقوله له .. ولم
أكن أنوى أن أخفى عنه شيئا .. ولكنى كنت أختار الكلمات التى
لا تجرحه .. التى تخفف عنه مصيبتى ..

وعاد هاشم يحمل فنجالا كبيرا من القهوة ، وجلس على المقعد
العريض ، وأشعل سيجارة ، ثم قال وهو يبتسم لى كأنه يخفف
عنى بقدر ما أحاول أن أخفف عنه :

— نبتدى من الأول .. انتى بتقولى انك متجوزه ..

وقلت ودموعى متحجرة فى عيني كحبات الحصى :

— أيوه ..

قال وابتسامته تتسع %

— قولى كمان مره ..

قلت وأنا أتمنى أن يعذبنى .. أن قسوته فى هذه اللحظة
أرحم من شهامته :

— أنا متجوزه ..

قال %

— من امتى ؟

قلت وأنا أخفى عنه عيني :

— من سنته ونص تقريبا ..

قال :

— يعنى من قبل ما تعيبى ..

قلت فى صوت خافت :

— أيوه ..

قال :

— ما تقوليش ماما .. انتى مش عيله صغيره .. انتى أقوى
من ماما .. أقوى منها بشبابك ، وجمالك ، وذكاكك ، وارادتك
. . . اذا كنتى عملتى حاجه تبقى عملتها لأنك عايزه تعملها ..
مش لأن ماما أقوى منك .. مش لأنها خلقتك تعملها ..
قلت وأنا أتمنى أن أبكى :

— أنا كنت أياها مصدومه فى حبي لعادل .. ما كنتش
عارفة أنا باعمل ايه .. وماما هى اللى اتفتت مع عبد الفتاح
.. وكتبوا الورقه دى علشان ما يبقاش لى الحق أتجوز من
وراها ..

وانهمرت دموعى ..
دموع صامته حزينة .. أبكى بها على نفسى ..
وادار لى هاشم ظهره ، وأخذ ينفث دخان سيجارته فى
غلى ^(ع)
وطالت فترة صمتنا ..

وبدأ هاشم كأنه استعاد سيطرته على أعصابه ، والتفت
الى وعلى شفثيه ابتسامه حزينة وقال فى صوت خافت بحشرجة
حنانه :

— أنا آسف .. اعذرينى .. أصلك فاجأتينى ..
ثم ضحك قائلا :

— احمدى رينا انى ما قمتش ضربتك علقه ..
قلت :

— لو كنت ضربتني كان يبقى لك حق ..
قال :

— أنا مقدر ظروفك .. وعارف ان كل انسان له ظروفه
.. ما فيش انسان بيعمل حاجه غلط الا لأن الغلط أقوى منه

قال وعيناه جاحظتان فوق أنفه الكبير :
— عبد الفتاح مين ؟ ..
قلت :

— عبد الفتاح رفعت .. تعرفه ؟
قال :

— ده اللى انتى متجوزاه .. متجوزاه جواز يعنى ؟ ..
قلت :

— ماما بتقول انى متجوزاه ..
قال :

— يعنى ايه ماما بتقول انك متجوزاه ؟ !
قلت :

— خلتنى أمضى على ورقه .. وقالت ده يبقى جواز ..
جواز عرفى ..

وقلب شفثيه وقال فى امتعاض قاس :

— ما فيش حاجه اسمها جواز عرفى ، وجواز شرعى .. فيه
حاجه اسمها جواز وحاجه اسمها حب ، وحاجه اسمها رفق ..
واللى بتتكلمى عنه ده ما اسموش جواز ولا حب ..
وابتلعت قسوته صامته .. ان من حقه ان يقسو .. من
حقه ان يضربنى بالسياط ، ولا أشكو ..

وسكت هاشم .. أعطانى ظهره .. ورفع فنجال القهوة
بعصبية ، وارثشف رشفة ، كأنه يسكر بالقهوة .. يسكر لينسى
.. ثم شد نفسا عميقا من سيجارته ، كأنه ينفث عذابه ..
وقلت بعد فترة صمت كأنى أستجديه الرحمة :

— ماما هى اللى خلتنى اعلم كده ..
والتفت الى وصرخ وعيناه غاضبتان :

قال :

— تأكدي انها ما تقدرش تعمل حاجه اذا انتى صممتى على اللى
واراد .

قلت وانا أشعر بعروقى تملىء بارادتى .. وعيناي تتسعان
وتتعلق منهما بريق الحزم :

— أنا حاسييه .. حا اقطع الورقه اللى بينه وبينى ..
والروح أعيش مع أمى فى الوايليه ..

وسكت هاشم قليلا ، ثم قام واقفا يتمشى أمامى ، وقال :

— بس فى حاجه لازم أقولها لك ..

قلت وانا أرفع وجهى اليه :

— ايه ؟

قال :

— اذا كنت حاتسييه ، مش عايزك تسيبيه علشانى ..

قلت :

— يعنى ايه ؟

قال :

— يعنى لو سبتيه علشانى تبقى ما عملتيش حاجه .. تبقى
مش قويه ولا حاجه .. انما لازم تسيبيه علشان نفسك ..
لازم تسيبيه وانت مقتنعة انك كان لازم تسيبيه حتى لو ما كنتش
انا فى حياتك .. تسيبيه علشان شخصيتك .. علشان تحسى
ان ما فيش فى حياتك حاجه غلط .. علشان تثبتى لنفسك انك
اقوى من ظروفك .. ولازم تعرفى ان مش مهم الناس تعرف
نتى بتعملى ايه ولا ما تعرفش .. انتى مهما خبيتى على الناس
مش ممكن تخبى على نفسك .. ومهما كذبتى على الناس مش
ممكن تكذبى على نفسك ، حتى لو الناس ما اقتنعوش بيكى ..

.. لان ظروفه بتدفعه غصب عنه للقلط .. وانتى كويسه ..
وحا افضل طول عمرى مقتنع انك كويسه .. ويمكن لو كانت
اختى ولا أمى فى مكانك كانت عملت زى ما عملتى .. انا
أسف .

والتقط منديلى من يدى ، واخذ يجفف به دمعى من فوق
وجنتى ، وقال وهو يبتسم فى وجهى ابتسامه كبيرة :

— فىن ابتسامه شمايفك ؟

ولم استطع ان ابتسم .. وقلت ورأسى ملقى على صدرى
كان رقبتى قد قطعت ، فلم أعد أستطيع ان أرفعها لأتياهى بها :

— أنا مش عارفه اعمل ايه يا هاشم ؟

قال وهو يضغط على يدى كأنه يمدنى بقوته :

— أنتى تقدرى تعملى كل حاجه ..

قلت :

— أعمل ايه يعنى ؟

قال فى لهجة حازمة كأنه يثير ارادتى :

— تقدرى تفضلى مع الراجل ده زى ما انتى معاد ..
وتقدرى تتجوزيه جواز حقيقى .. وتقدرى تسيبيه وقت ما تخبى ..

قلت :

— وأسى ؟

قال :

— انتى اقوى منها .. ما حدش فى الدنيا يقدر يفرض ارادته
عليكى ..

قلت :

— انت ما تعرفش ماما .. ده مستعده تعمل اى حاجه ..

ونظرت اليه بعينين مبهورتين أحاول أن الأحق بهما كلماته
السريعة .. ثم قلت :

— أنا من يوم ما عرفته وأنا أحاول أسيبه ..

وقال وهو لا يزال يروح ويجيء أمامي ، كأنه يخاطب نفسه .
وكانه لم يسمع كلمتي :

— أنا مش حا اساعدك على انك تسيبه .. ده قرار لازم
تاخديه بنفسك ، وتنفذه لوحدك .. لو ساعدتك حا احس كأنى
بانافس الرجل الثانى عليكى .. وأنا عمري ما نافست حد على
بنت .. مش لأنى مغرور .. أبدا .. إنما لأنى باحترم ارادة
البنت لدرجة انى باسيبها تختار بارادتها من غير تأثير منى و ..
وقلت أقاطعه !:

— أنا ما طلبتتش منك حاجه يا هاشم .

وتوقف عن المشى ، ووقف أمامى وخط من الألم يشق جبينه ،
وعيناه مكدرتان مهمومتان ، وشفتاه مطوطتان كأنه طفل غاضب
.. وقال :

— أنا ما قلتتش انك طلبتى منى حاجه .. ولازم تعرفى انى
باحبك .. ما حبتش حد فى حياتى اد ما حبيتك ، وكنت مقرر
انى أتجوزك .. حتى بعدما عرفت النهارده انك مش بنت ..
كنت مقرر انى أتجوزك برضه .. ما غيرتتش رأيى .. كنت
عارف انك حبيتى واحد قبلى ، وفضلتى مخطوبه له خمس سنين
.. وكان ممكن فى الخمس سنين دول يحصل أى حاجه .. ورغم
كده فضلت محترم حبك .. ومحترمك .. لأنك مخبتيش عنى
حاجه .. إنما دلوقتى .. دلوقتى حاجه تانيه .. متهيالى انى لازم
أعرفك من جديد .. لازم أبتدى أحبك من أول وجديد .. مش
عارف .. مش عارفاً ..

قلت وأنا أعود وألقى براسى على صدرى :

— أنا كمان مش عارفه .. مش عارفه اذا كنت حاتفضل

سببى والا لا .. كل اللى أنا عارفاه انى أنا باحبك .. وانى بقيت
واحد تانيه من يوم ما حبيتك ..

قال وهو يتنهد :

— ازاي قدرتى تخبى على المدة دى كلها .

قلت :

— كنت خايفه .. مش خايفه منك .. إنما خايفه على

حبك .. وكان ممكن أقدر أخبى على طول .. إنما ما اقدرتتش
.. لأنى باحبك ..

وألقى بنفسه جالسا بجانبى على الأريكة .. والنقظ من

صدره نفسا عميقا كأنه عاد من مشوار بعيد منهكا ، وقال وهو
يبتسم ابتسامة حزينة %

— أما حته حكاية .. إنما انا قلبى كان حاسس .. كنت

دايما حاسس ان فيه حاجه عنك لسه ما عرفتهاش .. وقتلك ..

— كان لك حق .. إنما تأكد ان كل يوم كنت عاوزه أقول لك ..

وألقى رأسه على صدره كأنه طفل غلبه النعاس ، وقال :

— أنا عمري ما انصدمت زى النهارده .. تعرفى انى

لاول مره احس انك أقوى منى ..

وقلت :

— أنا قويه بيك يا هاشم .

ورفع رأسه .. ورفع الي عينيه .. وشفتاه قريبتان من

شفتى .. وقال وهو ينظر الى كأنه يثير حماسى :

— أنتى مش محتاجة لحد .. لا لى .. ولا لغيرى .. أنتى

تقدرى تخشى الجامعة وتنجى وتشتغلى .. وتقدرى تتجوزى

فى اى وقت .. اوعى تقولى انك قويه بى .. انتى قويه بذكائك
وشبابك وارادتك .. قويه بنفسك .. بشخصيتك ..

قلت وأنا غارقة فى عينيه :

— أنا أوعدك انى حاكون بنت كويسه ..

قال :

— وأنا أوعدك انى مش حاسييك .. انا قلت لك انى
مش حاساعدك فى انك تحددى موقفك .. انها مش معنى كده
اننا نسيب بعض .. وكل اللى انا عايزم انك تسحلمينى .. لغاية
ما اخرج بن حيرتى ..
قلت وأنا ابتسم :

— عمرى ما حسيت انى باستحملك .. ولا فى يوم حا احس
انى باستحملك .. كل اللى باحس بيه انى باحبك .

وانحبت أقل شفتيه المهمومتين بحيرته .. وأقبل خط الألم
الذى يخط جبينه .. وأقبل عينيه المكدودتين المعذبتين ..

ثم قمت واقفة وأنا أنظر فى ساعة يدى ، وقلت :

— ياه .. الساعه خمسه ونص .. ميعاد العياده يا هاشم ..

قال :

— ما اظنش انى حاروح العياده النهارده .. مش حا اقدر

اشتغل ..

قلت :

— لا .. لازم تشتغل .. علشان انا كمان أروح أشتغل ..

انا عندى شغل كثير مع امى ..

قال :

— حاضر ..

قلت :

— أوعدننى ..

قال :

— حاحاول ..

ثم وقف الى جانبى ، وأخذنى بين ذراعيه .. وضمينى الى صدره
فى رفق ، وقال وصوته محشرج :

— ما تنسيش انك قويه ..

قلت :

— اطمئن .. انا عمرى ما حسيت انى قويه اد النهارده ..
ثم قبلته فى شفثيه ..

وشفتاه حزيفتان ، متعبتان ، نائمتان ..

وقلت :

— مش نازل ..

قال وهو يوصلنى حتى الباب :

— حاقتعد شويه ..

وفتح لى الباب .. وهممت بالخروج .. ولكنى عدت اليه
وقد لظننى خاطر جديد ، وقلت له :

— حا تقول لديحه اختك ؟

قال وهو يبتسم ابتسامه حزينة :

— مش حاقول لها الا اذا سمحتى لى ..

قلت ورأسى مرفوع :

— قول لها ..

وخرجت ..

ورأسى لا يزال مرفوعا .. واحس بنفسى قويه .. قويه .
انى لم أكن أبدا قويه كما أنا قويه فى هذا اليوم .. احس
بشخصيتى كاملة . احس كأتى تحررت .. كأتى انطلقت فى عالم

— أنا قلت له على كل حاجه .. خلاص ، ما بقتش أقدر
أحمل مسؤوليتك لوحدى ..

ونظرت الى عبد الفتاح وأنا لا زلت واقفة عند الباب وقلت
فى استخفاف :

— أيوه .. كنت مع الدكتور هاشم .

وعاد وحاجباه يرتفعان فوق عينيه .. وازرد وجهه ..
وقال وهو يحاول أن يضبط أعصابه :

— انتى عارفه هاشم ده كويس .. عارفه انه عرف ميت
بنت قبلك .. وعارفه انه كان ماشى مع واحده اسمها أمينه ..
ومرطها وخللى سمعتها فى التراب .. وبعدين سابها زى الكلبه
.. و ..

قلت وأنا أقاطعه ساخرة :

— وانت حاتيسبنى زى ايه ؟

وفلتت منه أعصابه وصرخ :

— أنا عايز أفهم ، انتى بتكلمينى بالشكل ده ازاي ..

وقلت وأنا أنظر اليه فى تحد :

— أنا اللي عايزه أفهم ، انت بتحاسبنى بصفتك ايه ؟

وتردد قليلا .. ثم نظر الى أمى كأنه يستشيرها ، ثم عاد
الى بوجهه الكريه ، وقال :

— أنا جوزك يا زوجا ..

قلت :

— ده مش جواز ده .. الجواز يعنى بيت وأولاد وناس
.. اذا كنت عايز تعتبر نفسك جوزى اتفضل اتجوزنى قدام
الناس .. زى ما اتجوزت مراتك .. وزى ما جوزت بنتك ..
أنا مش أقل من مراتك ، ولا من بنتك ..

جديد ، أسيطر عليه ، وأمرض عليه ارادتى وأنا وحدى سيدته
.. عالم داخل نفسى ..

ولم أفكر طوال الطريق فيما قلته لهاشم ، ولكنى كنت أفكر
فيما سأقوله لأمى .. والكلمات تزدحم فى خيالى .. كلمات
قوية حازمة .. كأنها كلمات القدر .. قدرى ..

وقد وجدت أمى جالسة فى الصالون ورأسها على كفها ..
وبجانبها عبد الفتاح ..

ودخلت اليهما .. قوية .. ونظرت فى وجه كل منهما دون أن
ترتعش عيناي ..

ورفعت أمى وجهها المكرمش الى .. وصرخت :

— أنا خلاص .. ما ليش دعوه بيكى .. انتى حاتجينى
.. حاتموتينى .. واهوه عبد الفتاح بيه يعرف شغله معاكى ..

وابتسمت ابتسامة ساخرة تدلت على جانب شفتى ..

وتنحنج عبد الفتاح ، وقال فى هدوء مفتعل ، ولهجة وقوره
أكثر افتعالا :

— انتى كنتى فنين ؟

قلت :

— مالكش دعوه ..

وارتفع حاجباه فوق عينيه كأنه دهش لجرأتى .. لم أكن
من قبل أجرؤ على محادثته بهذه اللهجة الصريحة ..
وضاقت عيناه وهو ينظر الى وجهى كأنه يحاول أن يكتشف
سرى ، وقال :

— أنا عارفت كنتى فنين .. كنتى مع الدكتور هاشم .. مش

كده ..

ونظرت أمى الى فى جراءة ساخرة .. وقالت كأنها تولول :

انى مجرمة ..

لم يكن عبد الفتاح جادا عندما وعدنى بالزواج زواجا كاملا
شرعيا يعلنه للناس .. انما كان يعتقد انه يستطيع بخبثه ان
يجرئى وراء هذا الوعد الى ان اهدا ، وأستسلم ، وأعون اليه
لما كنت ..

وانا ايضا لم اكن أعنى ما أقول عندما طالبتنه بأن يتزوجنى
زواجا شرعيا .. كنت فقط ، أتحداه .. وأتحدى أمى .. كنت
اثير فى وجههما مشكلتى .. كنت أحاول أن أفتح ثغرة فى الجدار
الذى يسجنانى وراءه .. الأهرب منها .. ولكنى لم أتصور نفسى
لحظة زوجة له .. لم اكن أريد .. لا أريد شيئا من ماله ، ولا من
اسمه العريض .. كانت شخصيتى الكاملة القوية التى أعادها
الى هاشم ، ترفض عبد الفتاح .. حتى لو أصبح زوجا لى ..
انى أريد أن أكون شيئا آخر .. شيئا نظيفا ، بريئا .. ينطلق فى
الحياة بلا خجل ، وبلا عقد ، وبلا خطيئة .. شيئا يستحق هذا
الحب الكبير الذى أحاطنى به هاشم .. وأنا قوية .. هاشم
يحنى القوة .. وأستطيع أن أكون هذا الشيء النظيف ..

ولكن ..

الطريق الى الحياة النظيفة صعب ..

خضت معركة ..

معركة هائلة ..

عبد الفتاح وأمى فى جانب ... وأنا وحدى فى الجانب
الآخر .. وحدى .. حتى هاشم يرفض أن يقف بجانبى ..
يرفض ان يتدخل .. يرفض أن يقوم بأى عمل يخفف عنى عبء
المعركة .. انه لا يزال مصرا على أنها معركة وحدى .. وقد
رودنى بالقوة لأخوضها .. وعلى أن أنتصر .. أو أياس ..

قال فى تحد :

— وإذا ما اتجوزت كيش ..

قلت :

— تبقى تاخذ فلوسك وما تورنيش وشك ..

وصرخت أمى ..

— اخرسى ..

وقال عبد الفتاح فى خبث :

— ده اللى انت عايزاه .. ولا ده اللى قاله لك هاشم ..

قلت :

— ده اللى كان لازم يحصل ..

قال :

— حاضر يا ست نوجا .. تتجوز ، زى ما انت عايزه ..

قلت كأنى أبصق فى وجهه :

— طيب لما تحدد انت وماما يوم الجواز .. ابقى تعالى

كلمنى وحاسبتنى ..

وتركتهما مبهوتين ..

وأخذت التليفون من أمدهما .. ودخلت به الى حجرئى

وأغلقت بابها ورأى بالفتاح ..

وهما صامتان ..

واتصلت بهاشم ..

كنت أريد أن أطمئن عليه .. بعد أن تركته مصدوما ..

ولم أجده ، وقالت لى ممرضة العيادة انه اتصل بها واعتذر

عن عدم استطاعته الحضور لأنه مريض ..

لعلها المرة الأولى التى يتخلف فيها هاشم عن عيادته ..

بسببى ..

لا .. لن أئس ..

وأى وعبد الفتاح ، لا يكفان عنى .. أصبح عبد الفتاح يأتى الى البيت كل صباح قبل أن يذهب الى المصنع ، وكل مساء قبل أن يعود الى بيته .. وأى تصرخ .. وعبد الفتاح يصرخ .. وأنا أصرخ .. والصراخ ينطلق فى راسى كأنه السنة النار .. ولكنى أحتل .. أقاوم .. وأصر على ما أطلبه .. ولم أكن أطلب الا شيئا واحدا ، هو أن يخرج عبد الفتاح من حياتى .. وأن تمزق الورقة التى وقعتها .. وأن يتركنى حرة ..

وقال عبد الفتاح وهو يفتعل الهدوء :

— اسمعى يا نوجا .. اسمعى كلامى كويس .. أنا حاشترليك الفيلا اللى أنتو ساكنين فيها دى .. وتستننى على شهر ولا شهرين ، لغاية يومين التأميم دول ينتهوا ، وبعدىها اتجوزك .. انتى عارفه انى كاتب كل حاجه باسم مراتى ، ولو اتجوزتك دلوقتى ، وعرفت انى اتجوزت ، حا ابص الاقوى نفسى من غير ولا مليم .. ايه رأيك بأه .

وقلت وأنا أنظر اليه فى قرف وتحد :

— رأى ان ما فيش فايده ..

وصرخت أوى ..

— يا اخواتى .. الراجل أكل عقل البنات .. الله يقطع سنين هاشم ويوم ما شغنا هاشم ..

وقلت ساخرة :

— لو ما كناش شغنا هاشم كان زمانى مت ..

وعادت أوى تولول :

— يا ريتنى يا شيخه كنت شغتك مئته .. ولا انى أشوفك مجزونه .. يا بنت اعلى .. شوفى عبد الفتاح بيه بيقول لك ايه

.. حاشترليك الفيلا .. والله ما تستاهلى ولا أوده .. ولا حتة خرابة .. انتى فاكركه نفسك ايه .. حلوه .. الحلوين على تقنا من يشيل .. فاكركه نفسك امبراطورة الانجليز .. يا بنت حلى عقلك فى دماغك ..

وقاطعها عبد الفتاح قائلا : كأنه اكتشف طريقا حديدا الى قلبى :

— مش مهم الفيلا يا عزيزه هانم .

ثم التفت الى وهو يمسك بيدي وشفتاه الغامقتان ترتعشان على وجهه الأزرق :

— المهم انى باحبك يا نوجا .. باحبك لدرجة انى ما اقدرش أتصور نفسى من غيرك .. ما فيش حاجه حلوه فى حياتى الا انتى ..

ونظرت اليه .. ربما كان صادقا بل انه فعلا صادق .. انه يحبنى .. وربما كنت مسئولة عن هذا الحب .. لقد تركته حتى احببى .. وهو لم يخذعنى .. ان كل ما أعطيته له ، أعطيته بارادتى .. وليس ذنبه انى كنت أيامها ضعيفة .. أو كنت مقلوبة على امرى .. أو كنت يائسة .. ليس ذنبه وحده أنه احببى .. وربما ليس من حقى حتى الآن أن ادبح حبه .. ليس هذا من حقى ..

ومرت على قلبى لمسة من الضعف .. كدت أشفق عليه .. وارتعشت رموشى فوق عيني .. وربما لاحظ ارتعاشها ، فقد ابتسم ابتسامة مسكينة ، وتهدأ كأنه يستترد أنفاسه .. ولكنى استعدت تونى بسرعة .. قوة تصميمى .. حتى لو كان يحببى ، فهو ليس حبا نظيفا .. لو كان يحببى حبا نظيفا لما رضى لى

على نفسى بسرعة .. ونظرت فى عينيه الجاحظتين باستحفاف ..
 وشعرت ساعتها انى اكرهه اكثر مما كرهته مى اى لحظة
 مضت .. اكرهه بقرعة .. وقتت واقفة ، وقلت ورأسى مرفوع :
 — اعمل الللى انت عايزه ..

ثم أدت له ظهرى .. ومشيت بخطوات ثابتة الى غرفتى .
 وأغلقت الباب بالمفتاح ..

وكنت أستطيع أن أبقي فى غرفتى يوما كاملا .. لا يهمنى
 أن اكل ولا أن أشرب .. كنت أجتز غذائى من قوتى .. قسوة
 نصميمى على موقفى .. وكانت أمى تقف خلف الباب تتوسل
 اللى أن أفتح لها فأرفض ، وأصر على الرفض .. لم أكن أفتح
 لها إلا عندما تجر أبى المشلول فى عربته ، وأسمعه ينقر على
 باب غرفتى بذراعه السلیم ، وأسمع صوته الأخرس ينطق
 متحشرجا فى زوره ، ينادينى فى توسل .. فأفتح له .. وألقى
 بنفسى على صدره .. وأبكى .. أستريح برهة من قوتى ..

وسلطت على أمى صديقاتها سيدات جمعية نور الهدى ..
 فكن فى الأوقات التى يغيب فيها عبد الفتاح وتتشاغل فيها أمى .
 يلتفنن حولى برهة وهن منشحات بطرحهن البيضاء كالعفاريت ..
 ويتبادلن « الزن » فوق رأسى .. يحاولن اقناعى بأن علاقتى بعبد
 الفتاح ، حلال .. وان الورقة التى وقعتها تتيح له أن يطلبنى
 فى بيت الطاعة .. و .. و .. و .. كلام كثير يحاولن أن يخفننى
 به حيناً .. ويغريننى به حيناً .. انى أعرفهن .. سيدات نور
 الهدى .. ان عبد الفتاح دفع لهن باسم البر والتقوى .. كثير
 من الرجال يدفعن لهن ، ليسحبن اليهم بنات الناس ..
 وكل هذا كنت أستطيع احتماله ..

ولكن ما لم أحتمله انى لم أعد أستطيع أن أرى هاشم :

بالحياة التى وضعنى فيها حتى لو رضيت أنا بها .. لانها حياة
 لا يرضاها لابنته ..

وسحبت يدي من يده ، واستقرت رموشى حول عيني .
 وقلت فى هدوء :
 — أسفه يا عمى ..

ولاول مرة أحس بأنى أقتسو عليه وأنا أناديه بيا عمى .
 ونظر اللى فى حدة كأن كرامته ثارت وقال :
 — أسفه يعنى ايه ؟
 قلت :

— يعنى ما فيش فايده .. لازم حكايتنا تخلص ..
 وصراخ :

— اذا كنتى فاكراه ان الدكتور بتاعك حايتجوزك ، يتفضل
 يتجوزك .. أنا موافق .. بس يتجوزك ..
 ثارت ذماتى وصراخت :

— انت مش من حقاك انك توافق .. ولا من حقاك انك ترفض
 .. انت فاكرنى جاريه عندك .. فاكراك انك اشتريتنى بفلوسك ..
 ووقف عبد الفتاح بجسده القصير السمين ، ورفع يده الغليظة
 وهوى بها على صدغى .. وهو يصيح :

— انت بتكلمينى كده ليه .. من امتى قلة الأدب دى ..
 من امتى بتقدرى تحطى عينك فى عيني .. اسمعى .. انا
 باقولك أهو .. اذا كنتى فاكراه انك حاتقدرى تخلصى منى
 ببساطه .. تبقى غلطانه .. مش ممكن أسيب بنت مفعوصه زيك
 تلعب بى .. فاهمه ..

وارتججت تحت وقع صفعته .. ولكنى لم أصرخ .. ولم
 أبك .. ولا وضعت يدي على خدى مكان الصفة .. وسيطرت

وترد ، وهى تقبض على التليفون بيد قوية ، كأنها تخنق صوتى ، وصوت هاشم :

— مش حاسالك .. لانى عارفه كنت بتتكلمى مين ..

ثم تأخذ التليفون وتخفى به ...

وكانت تمنعنى من الخروج .. حتى لزيارة أمى الحقيقية .. سيجنتى ، وسجنتى نفسها معى .. وسلطت كل خدم البيت ليتجسسوا على .. دائها ورائى عين تراقبى .. كلما نمت وصحوت وكلما دخلت غرفة أو خرجت من غرفة .. وانقضت أيام طويلة وأنا لا أرى أحدا الا وجه أمى المكرمى ، ووجه عبد الفتاح الأزرق ، ووجوه سيدات نور الهدى ، الباردة كالثلج .. وأثير فى كل يوم خناقة لأقل استفزازا .. ثم ادخل حجرى وأغلق بابها على .. واتعذب ..

وكنت فى عذابى أستغيث بهاشم .. وأحيانا كنت ألومه الى حد السخط عليه .. لماذا يتركنى وحدى .. لماذا لا يفعل شيئا لينقذنى من مصيبتى .. انه لا يحدثنى فى التليفون .. ولا حاول أن يتصل بى .. ولكنى كنت أعود وأهدأ .. أعود الى دفاء الحب .. حب هاشم .. ان هاشم لا يستطيع شيئا .. لا يستطيع أن يتصل بى فى التليفون .. أمى ستلقى السماعه فى وجهه ، وقد تلغنه وتسلط عليه لسانها الطويل ، وهو أكثر اعتزازا بكرامته من أن يعرضها لهذا الموقف .. ثم انه لا يستطيع أن يأتى اى البيت بلا دعوة ، لينقذنى ، أو ليطلبنى للزواج .. انه يعلم الآن أنى متزوجة .. هذا النوع من الزواج .. ولا يمكن لرجل أن يتقدم للزواج من امرأة متزوجة .. انه لا يستطيع شيئا .. وقد كان على حق عندما قال لى انها معركتى وحدى .. نعم ، انها معركتى وحدى .. ولعله يتعذب الآن قدر عذابى ..

ولا حتى أحادته فى التليفون حديثا يشجعنى .. يصبرنى .. يمدنى بمزيد من القوة ..

وكانت أمى منذ رفض هاشم أن يقابلها على انفراد قد اقتنعت بأنه يريد أن يأخذنى منها .. وأنه لا يعترف بملكيتها لى .. وأنه يريد أن يصل الى عن غير طريقها .. ثم بعد ذلك عندما رفضت أن أروى لها تفاصيل ما دار بينى وبينه يوم ذهبت للقاءه فى شققته وأصررت على الرفض .. اقتنعت أن هاشم أصبح أقوى منها على .. أقوى تأثيرا .. أقوى فى سيطرته .. وانى أصبحت أحبه الى حد أن أضحى بها .. الى حد أن أخفى عنها التفاصيل .. وجنت .. وأعلنت الحرب الصريحة عليه .. قررت ألا يدخل هاشم بيتنا .. ولم يكن هاشم يأتى الى البيت الا بعد أن ادعوه وألح عليه .. وقد أحس بالقرار الذى أصدرته أمى ، لانى لم أعد أدعوه ..

ثم أصبحت أمى تمنعنى من التحدث فى التليفون .. كانت تضع التليفون دائما بجانبها ، وتحمله فى يدها وهى تنتقل من غرفة لأخرى .. فاذا ألححت عليها أن يحدث احدى صديقاتى ، أصرت على أن تدير الرقم بنفسها .. وفى المرات القليلة التى استطعت أن أسرق فيها لحظة أحدث فيها هاشم فى التليفون ، لم أكن أستطيع أن أقول له شيئا . كان كل شيء يختلط ويرتبك فوق لسانى ، ربما لأنى كنت أحاول أن أقول له كل شيء فى لحظة .. ثم انفاجاً بأمى واقفة أمامى كالصيبة .. وأنظر إليها فى سخط وتحد .. وأقول لهاشم :

— بعدين حابى أكلك .. لو قدرت ..

وأضع السماعه فى هدوء .. والتفت الى أمى قائلة :

— ما تسألينى أنا كنت بالكلم مين .. لانى مش حاتقوك ..

ربما أكثر .. يتعذب بحيرته .. ويتعذب بالصدمة .. ويتعذب
بحرمانه منى ..

وأجد نفسي خلال سحب العذاب التي تحيط بى ، أبتسم
له .. لهاشم .. كائى أواسية فى عذابه .. كائى أعتذر له عما
سببته له .. ثم أتخيل نظرتة الطيبة الحنون التي تطل من عينيه
.. وأتخيل لمسة شفنيه فوق شفتى .. وأتذكر كلماته القوية
النظيفة .. وأستمد من كل ذلك قوة أكبر على المقاومة .. وعلى
التصميم .. والطريق يتضح أمامى .. الطريق النظيف .. انى
أنفعل كل ذلك الأكون زوجة لهاشم .. لا .. لا يهم الزواج ..
ولكن المهم أن أكون فتاة تستحق حب هاشم .. ومن السهل أن
أصور نفسي هذه الفتاة .. فتاة كاملة الشخصية .. تدخل
الجامعة وتنجح .. وتعمل .. وبعدها يستطيع أن يتزوجها أى
رجل وهو مرفوع الرأس ، فخور بها .. وأستطيع أن أحب
زوجى ، حبا كاملا ، بلا عقد وبلا شروط ..

وأى عادت تستعين بالسحر .. والشعوذة ، كما فعلت
أيام حطمت حبنى لعادل .. ولكنى فى هذه المرة لم أستسلم
لها .. اتى أرفض أن أسلم نفسي للسحرة والمشعوذين .. فكانت
تسرق المشط الذى أمشظ به شعرى .. وتعطيه للسيدات فيكتوريا
لتنقش عابية طلاسها السحرية .. وكانت توقد شمعة فى الحمام
عقب أن أستحم ، فى يوم من أيام النصف الأخير من الشهر
العربى ، وتركها موقدة طول الليل .. و .. و .. أشياء كثيرة
فعلتها اعتقادا منها ان السحر يستطيع أن يمحو حب هاشم من
قلبى .. وكنت ألاحظ ما تفعله دون أن أعلق بشيء .. أنظر
إليها باستخفاف وأعطيتها ظهري ، وأبتعد وأنا واثقة ان حبنى
أقوى من السحر .. بل انها وصلت الى أكثر من ذلك .. أتأمت

لى « زارا » .. زارا صامتا .. أوصتها به الشبيخة زهرة ..
فأعطتها حجابا وضعته دون ان أدري تحت وسادتى قبل ان أنام
.. وفى الصباح التالى ، جاءت أمى الى ، تسألنى فى رقة وحنان
على الحلم الذى حلمته وأنا نائمة .. وقلت لها انى حلمت بأتى
أجرى نازلة على السلم .. ووقعت ، ثم حاولت أن أقوم فلم
أستطع .. اكتشفت أن رجلى قد كسرت .. وكنت فعلا قد حطبت
هذا الحلم .. وعادت أمى تسألنى باهتمام ، اذا كنت قد رايت
فى الحلم دما ينزف منى .. فأجبتها بالإيجاب .. دون أن ألاحظ
ساعاتها ، اهتمامها .. وحملت أمى الحلم الى الشبيخة زهرة ،
وفسرتة الشبيخة بأنه يجب ان يذبح لى جدى أسود .. وبعدها
بأيام نادتنى أمى الى حجرة بجانب المطبخ ، كنا نستعملها كمخزن
.. فذهبت إليها .. وما كدت أخطو داخل الغرفة ، حتى ذبحوا
تحت قدمى الجدى الأسود .. وصرخت من المفاجأة .. وتلفت
حولى فرأيت الشبيخة زهرة .. وثلاث سيدات من جمعية نور
الهدى .. وأمى .. وكلهن متشحات بالطرح البيضاء ، حتى أمى
.. وعدت أصرخ فيهن :

— ايه العبط اللى بتعملوه ده .. انتم فاكرين انكم تقدرين
توصلوا لحاجه بالطريقة دى .. اعقلى بأه يا ماما .. وبلاش
جنان ..

وعدت الى غرفتى وأنا مصممة ألا أبقي فى هذا البيت ..
وبقيت الشبيخة زهرة وسيدات نور الهدى فى البيت ثلاثة
أيام بلياليها ، يتلون التعاويذ فوق دماء الجدى الأسود ..
وقررت أن أهرب ..
صحوت من النوم ذات يوم ، وأنا مصممة على الهرب .
لم تعد تجدى المقاومة ..

ان صبر أمى وصبر عبد الفتاح أطول من صبرى ..

وبدوت هادئة فى هذا اليوم ، حتى اكتسب ثقتها .. ثم انتهزت فرصة انشغالها ، ودخلت حجرتها .. وفتحت الدرج الذى أعلم أنها تحتفظ فيه بالنقود التى تصرف منها على المطالب اليوميه .. ولم أجد فيه سوى ثلاثة جنيهات .. أخذتها .. وأبى راقد فى الفراش ينظر الى بعينين مبتسمتين ملؤهما الحب .. دون أن يبدو عليه أنه فهم شيئاً ، أو ارتاب فى شىء .. والقيت نفسى على صدره ، وقبلته .. قبلات كثيرة ، ودموعى حبيسة خلف جفونى .. كنت أودعه .. كنت مصممة يومها على ألا أعود الى هذا البيت أبداً .. وكان أبى هو الشىء الوحيد الذى أحبه فى هذا البيت ..

وخرجت من غرفة أمى ، وصحت بأعلى صوتى فى الخادمة :

— روى املى البانيو .. عايزه اخذ حمام ..

وسمعتنى أمى ..

ودخلت حجرتى برهة ، الى أن سمعت صوت الماء يملأ البانيو ، وتأكدت أن الخادمة فى الحمام .. وخرجت .. تسللت على أطراف أصابعى الى خارج البيت .. وجريت فى الشارع .. جريت حتى وجدت سيارة تاكسى ركبته .. وقلت للنسائق :

— اطلع على الزمالك يا أسطى ..

ونزلت قريبا من شقة هاشم .. ثم اتصلت به فى التليفون من دكان بقال هناك .. والساعة الثانية بعد الظهر . موعد انتهائه من عيادته .. وقلت فى لهفة بمجرد أن سمعت صوته :

— اتقدر أشوفك دلوقتى يا هاشم ..

وقال وصوته ينتبه كأنه يفيق من يأسه :

— انتى فبن ؟ ..

قلت :

— أنا باكلكم من الشارع .. جنب الشقه بتاعتك ..

قال :

— حاكون عندك بعد عشر دقائق ..

قلت :

— نتقابل فى الشقه ؟

قال :

— أيوه ..

قلت :

— هى نهره كام .. نسيت ؟

قال :

— الدور الثالث .. شقه واحد وتلاتين ..

قلت :

— ما تتأخرش يا هاشم .. أنا فى الشارع ..

قال :

— مسافة السكه ..

ووضعت سماعة التليفون .. وأخذت أسير على مهل حول العمارة التى فيها الشقة ، الى أن مر أكثر من ربع ساعة .. ثم سعدت اليه ..

وفتح لى ..

ووقفت انظر اليه ، كأنى أشرب من ملامحه بعد عطش طويل .. إن خط الألم لا يزال يشق جبينه .. والحيرة تركت بصمات غامقة تحت عينيه .. وابتسامته حزينة وخيل الى أن وجهه نحيل أكثر مما عرفته .. وانفه أكبر . ونظرته منرددة لا يستطيع أن يستقر بها على مكان معين من وجهى .. وخيل

الى ان شعراته البيض قد ازدادت فوق رأسه كأنه ينسج منها
كفنا الأفكار تعذبه ..

وحاولت ن أبقى عيني فوق وجهه . ولكنى لم أستطع ..
شعرت بكل قوتي .. قوة شخصيتى .. تنسلت منى .. على
قدر ما كنت أشعر بقوتي أمام أمى وعبد الفتاح ، أشعر الآن
بضعفى أمام هاشم .. وأرخيت عيني عنه ، ووقفت أمامه
صامته ..

وظلت نظرته الحائرة تطوف بوجهى برهة ، ثم جذبني إليه ،
واحتوانى بين ذراعيه ، وأسند وجهه فوق رأسى .. وبقى
صامتا ..

كل منا يستريح فوق صدر الآخر .

كل منا يسترد أنفاسه ..

كل منا عاد الى الآخر ..

وأبعدنى عنه فى رفق .. ونظر الى ، وابتسامته اكبر ، وحزنه
أكبر .. ثم أخذنى من يدي ، وأجلسنى على الأريكة .. وقال
كأنه يهمس :

— وحشتينى ..

قلت وأنا أرخى عيني :

— وانت كمان ..

قال :

— انتى خسيتى ..

ورفعت عيني الى وجهه ، وقلت :

— وانت كمان ..

قال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، كأنه يسخر بها من نفسه :

— انا كان لازم اخس أكثر من كده .. انما علشان خاطر ك
قررت انى أبطل خسسان ..

قلت وأنا لا انظر اليه :

— انا تعبت قوى يا هاشم ..

قال :

— وعملتى ايه ؟

قلت :

— هربت ..

وارتفع حاجبام دهشة ، وقال :

— هربتى ورحتى فين ؟

قلت :

— جيتلك ..

وترك يدي من يده ، وقال وهو ينظر الى بوز حدائه :

— بس ده مش حل ..

قلت كأنى أهم بالبكاء :

— ما لقيتتش حل غير كده .. انت ما تعرفش بيعملوا فى

ايه ..

وأخذت أروى له ما حدث لى .. وهو يسألنى ، ويستزيدنى

من التفاصيل .. ثم قال بعد أن قلت له انى قررت أن أهرب من

البيت :

— وناويه تعملى ايه ؟

قلت :

— ناويه أقعد هنا على طول ..

ونظر فى وجهى ، وقال فى هدوء :

— ده مش حل ..

قلت رأنا أنظر إليه كأنى أتهمه بأنه لا يحسن بمشكلتى :

— أمال الحل اليه ؟
قال :

— الحل انك ترجعى البيت ، وتفضلى فيه لغاية ما توصلى للى انتى عايزاه ..
قلت :

— ولا أشوفكش .. مش كده ؟

قال فى هدوء وهو يضغط أصابعه بعضها ببعض :

— المشكلة مش انك تشوفينى ، ولا ما تشوفينيش ..
مشكلتك دلوقتى انك تختارى الحياه اللى انتى عايزاها ..
ونظرت اليه كأنى أحاول أن أرى شيئاً خلف عينيه ، ثم قلت ،
وقلبى يرتجف :

— هاشم .. قول لى بصراحه .. انت لسه بتحبنى ؟

ونظر اللى نظرة سريعة ، ثم عاد ينظر الى أصابعه ، وقال :

— مش عارف ..

وارتعش قلبى كعصفور مذعور ، وقلت بصوت مجوح :

— مش عارف ازاي .

وقام واقفا وأخذ يتمشى أمامى ، قائلاً فى عصبية :

— مش عارف حاجه .. مش عارف اذا كنت باحبك ، ولا

ما بحبكيش .. أنا مش حيران فيكى ، أنا حيران فى نفسى ..
وحيران فى كل يوم فات على من ساعة ما عرفتك .. أنا حبيبك
وأنا متصورك بنت صغيره ، بريئه ، قويه ، طيبه .. كانت
دى البنات اللى باحبها .. ومره واحده بصصيت لقيت قدامى
بنت تانيه .. لقيت قدامى ست لها راجل بيصرف عليها ، وفاتح

لها بيت .. ست قدرت تخبى على سنه بحالها .. وابتديت أشك
فى كل يوم من أيامنا .. وأشك فى كل كلمه حنوه قلتها لى ..
مش قادر أصدق انى لما كنت بانزل من بيتكم كان راجل تانى
بيخس بعدى .. مش قادر أصدق ان كان فيه راجل تانى
بيبوسك بعد ما ابوسك .. مش قادر أصدق ان أمك بالشكل ده
.. مش قادر أصدق انى كنت مغفل للدرجه دى .. وانك انتى
اللى استغفلتيني .. مش قادر .. يمكن لو كنتى قلتلى على
حكايتك من أول يوم ، كنت حبيتك برضه .. حبيتك من غير
ما يبجى يوم أكتشف فيه انى كنت مغفل .. انما دلوقتى .. مش
قادر أعرف أنا باحب مين .. باحب البنات البريئه ولا باحب
الست اللى لها راجل تانى .. حيران .. حيران .. عمرى
ما احترت أد اليومين دول .. الحيره حاتجننى .. مش عارف
أشتغل .. لأول مره باسرح وأنا باكشف على عيان .. لأول
مره ما بعرفش أنام الا وأنا سكران .

وانهمرت دموى .

دموع صامته ..

كان يضربنى بالسياط .. ولا أستطيع بن أشكو ، ولا ان
أعترض .. فقط أبكى فى صمت .. وتوقف عن المشى ، وجاء
الى ورع بجانبى ، وأمسك ببدي ، وقال فى لوعة وهو ينظر
الى دموى :

— انهينى يا نجوى .. أرجوكى تفهمنى .. أنا محتاج
لمساعدتك أكثر ما انتى محتاجه لمساعدتى .. وأنا عارف انك
كويسه .. مش ممكن تكونى وحشه .. مش ممكن تكونى قصدتى
انك تخدعنى ، ولا تخبى عنى .. انما لازم تعذرينى يا نجوى ..
لازم تعرفى ان المشكله مش مشكلتك .. انتى مالكيش مشكله ،

قال في صوت خافت كأنه يحدث نفسه :

— لا ..

قلت :

— لا .. ايه ؟

قال :

— ما تعديش هنا .. البنت اللي حاتقعد هنا مش هي البنت
اللي حبيتها .. وتبقى ما عملتيش حاجة .. تبقى ما تغيرتيش ..
زي ما كنتي قاعده مع عبد الفتاح ، حاتقعدى معايا .. لو كنتي
بتحبينى ما تعمليش معايا اللي عملتیه مع راجل تانى .. اذا
كنت بتحبينى لازم حبك يخلق منك واحده تانيه .. واحده تانيه
خالص ..

قلت ودموعى تزحف على خدى كأنها تسعى اليه لتغسل
قدميه :

— انا مش ممكن. حا اكون معاك زي ما كنت مع عبد الفتاح ،

انا ..

وقاطعنى :

— مش حاصدق .. ما تنسيتش انى باشك فيكى .. مش
حا أحس انك بتضحى بحاجه يوم ما تسيبى أهلك وتيجى تقعدى
معايا .. كل اللي حا أحس بيه انك متعوده على كده .

وأحسست كأنه طعننى بسكين باردة فى قلبى ، وترنحت
فى جلستى ، وأسندت ظهري على مسند الأريكة ، حتى لا أقع ، ثم
تنهدت كأنى أبتلع دمي المنزوق ، وقلت وأنا أستسلم لليأس :

— انت مش عايزنى يا هاشم ..

وقام من مكانه وجاء بجانبى ووضع ذراعه على كتفى وقال
وهو ينظر فى عيني :

لانك تقدرى تختارى .. تقدرى تقولى أيوه .. وتقدرى تقولى
الآ .. انما المشكله مشكلتى أنا .. لانى مش قادر أختار ..
مش قادر أقول أيوه ولا أقول لا .. مشاكل الواحد مع الناس
لها حل ، انما مشكلته مع نفسه هي اللي مالهائش حل .. وانتي
مشكلتك مع أمك ومع الراجل اللي انتى عايشه معاه .. مالكيش
مشكله مع نفسك ، لانك عارفه انتى عايزه ايه .. وعارفه انك
بتحبينى .. انما أنا مشكلتى مع نفسى .. مش عارف باحبك
ولا ما بحبكيش .. واذا كنت باحبك استسلم لحبك ولا أقاومه ..
واذا استسلمت ، أتجوزك ، ولا أعيش معاكى من غير جواز
... و ..

ورفعت اليه عيني المبللتين بالدموع ، وقاطعته قائلة :

— أنا ما طلبتتش انك تتجوزنى يا هاشم ..

وصرخ وهو يقفز من ركعته ويلقى بنفسه على المقعد
العريض :

— انما أنا كنت عايزا أتجوزك .. كنت باحبك حب مالوش
نهايه إلا الجواز ..
قلت :

— ودلوقتى ؟

قال وهو يلهث :

— ما اعرفش ..

قلت :

— أنا حائضل قاعده هنا لغاية ما تعرف .. اتعد يوم ..
شهر .. سنه .. أنا باحبك يا هاشم .. باحبك .. ما اقدرش
استغنى عنك .. ومش عيزه منك حاجة إلا انك تحبينى ..

قسوة .. وأنا مستسلمة لعصبيته ، وعنفه ، وقسوته .. أريد
أن أنسى نفسى .. أريد أن أنسى عمرى كله ..
وفجأة تركنى ..

قام من جانبي .. ووجهه محتقن .. وأنفاسه لاهثة .. ثم
أسند رأسه على حائط الغرفة .. ثم استدار وأخذ يضرب الحائط
بقبضة يده ، وهو يردد :
— لا .. لا .. لا ..

واعتمدت فى جلستى .. وساويت ثوبى .. وساويت شعرى
.. ثم وضعت رأسى بين كفى ، واستسلمت لليأس ..
وقال هاشم وقد هدأت أنفاسه ، واستدار الى ووقف مستندا
بظهره الى الحائط :

— ده مش حل ..

ورفعت إليه عيني اليائستين ، وقلت :

— هو فيه حل ؟ !

قال :

— لازم يكون فيه حل ..

قلت :

— تفنكر ايه الحل ..

قال :

— اننا نبتدى نعرف بعض من أول وجديد ..

قلت :

— ازاي ؟ !

قال :

— ما نتقابلش هنا فى الشقه .. نتقابل فى أى حته بره ..

— يا ريت .. يا ريت أحس انى مش عايزك .. ما فيش
يوم فات على حسبت فيه انى مش عايزك .. ما اقدرتش اكرهك
.. ما اقدرتش أحتد عليكى .. ما اقدرتش أقنع نفسى انى أقدر
أستغنى عنك ..

قلت وأنا أسند رأسى على صدره :

— وما اقدرتش تسامحنى ..

قال وهو يضغطني اليه فى رفق :

— ما اقدرتش أنسى .. ما فكرتش انى أسامحك ، انما حاولت
انى أنسى .. ما قدرتش ..

ورفعت اليه وجهى وهمست وعيناه تتوسلان اليه :

— انس يا هاشم .. انس ..

وشفتاى قريبتان من شفتيه ..

وانحنى يلمس شفتى .. لمسها لمسة خفيفة .. ثم ضمى
اليه بعنف وقبلنى بكل شفتيه .. ثم عادت شفثاه ورقنا .. امتلأنا
بالحنان .. قبلنى .. كأنه يمسخ فوق جرحى برفق .. وأنا محتارة
فى قبلته .. وأريد بن أهيم فى عنفه ، فيفاجئنى برقته ..

وسحب شفتيه من بين شفتى ، وقال وأنفه الكبير يصطدم
بأنفى ، وابتسامه حزينة مسكينة بين شفتيه :

— تعرفى انى حيران أبوسك ازاي ..

قلت وصدرى يمتلىء بالبكاء :

— ما تعذبينى يا هاشم .. أنا اتعذبت كفايه ..

ونظر الى بكل عينيه .. ثم سقط على شفتى بكل شفتيه
.. يقبلنى فى عنف .. كأنه ينتقم منى .. كأنه ينفث فى كل عذابه
.. وشفثاه عصبيتان .. وذراعاها عصبيتان .. وأصابعه عصبية
ترحف على ظهرى وتندس بين طيات شعرى ، ثم تجذبه فى

— اطمئن .. أنا مصممه ..
قال :

— وأنا أوعدك ، انى حا احاول انى أرجع زى ما كنت ..
قلت :

— اوعدنى انك مش حا تكرهنى حتى لو ما قدرتش ترجع
زى ما كنت ..
قال :

— انتى عبيطه .. أنا باحبك يا مجنونه .. اكرهك ازاي ..
وابتسمت له ابتسامة تقطر دموعا ..
ثم تمتم واقفة واتجهت الى الباب ..
وقال وهو يقوم معى :

— حا تروحي فين دلوقتى ؟
قلت :

— مش عارفه ..
قال :

— حا ترجعى البيت ؟ !
قلت :

— مش عارفه .. حا ابقى اتصل بيك ، وقول لك انا فين ..
قال :

— علشان خاطرى ترجعى البيت ..

قلت وانا أحس بكل قوتى .. بكل شخصيتى :

— سيبينى أتصرف يا هاشم .. أنا عارفه ظروفى كويس
.. واطمئن ..

قال :

— زى ما انتى عايزه ..

وفدى لنفسنا وقت لغاية ما احبك زى ما انتى ، مش زى ما كنت
متصورك ..

وسكت ..

لم أتكلم ..

واقترب هاشم منى .. عاد وجلس بجانبى .. وقال وهو
يمسك بيدى ويبتسم لى :

— كل ده علشان باحبك يا نجوى .. لو ما كنتش باحبك
ما كانش بقى فيه مشكله خالص ..

قلت له وانا أبتسم من خلال يأسى :

— عارفه ..

قال :

— كل اللى حصل ان حبى انهزأ .. اتصدم .. استنى عليه
لغاية ما يفوق من الصدمه ، ويرجع زى ما كان ..
قلت :

— انا مش حا أحس انى باستننى ، لانى باحبك حتى وانت
مهزوز ..

وابتسم قائلا :

— وتوعدينى ؟

قلت :

— بايه ؟

قال :

— بانك تساعدينى .. ومش حاتقدرى تساعدينى الا اذا
اقتنعتينى بانك بنت قوية .. حياتك كلها قوية .. أقوى من
ظروفك .. وأقوى من أمك ..

قلت :

ونظرت فى وجهه .. ان خط الالم لا يزال يشق جبينه ..
وبصمات الحيرة تحت عينيه .. ووجهه النحيل ينضح بالعذاب ..
وفتح لى الباب ..
والتفت اليه قائلة :

— قلت لأختك على حكايتى ؟

قال وهو يحنى رأسه فى أسى :
— لا ..

قلت :

— ليه ؟

قال :

— ما أقدرتش ..

ونظرت اليه فى اشفاق كائى أمده ببعض قوتى ، ثم لمست
خذه بشفتى .. وخرجت ..

ولم أفكر طويلا ، الى أين اذهب ..

كنت أعرف أين اذهب ..

ذهبت الى أمى الحقيقية فى الوايلية . واستقبلنى اخواتى
والفرحة تزغرد على وجوههن الضاحكة .. والتفنن حولى يهللن
لكعادتهن .. ويصرخن :

— ابله نجوى جت .. ابله نجوى جت ..

لكنى ابتسمت لهن ابتسامة حزينة ، وتطلعت بعينى أبحث

عن أمى ..

وجاءت أمى بزججها السمح البشوش ، وهى ترحب بى
بابتسامة كبيرة حلوة ، كأن كل قطعة منها تضحك :

— أهلا ببنتى حبيبتى .. أهلا بسك الكل ..

وقلت وأنا أرد ضحكتها بابتسامتى المهمومة :

— عايزه أقعد معاكى شوية يا ماما ..

واختفت ابتسامتها ، وقالت فى جزع :

— تعالى يا حبيبتى ..

ثم التفتت الى اخواتى قائلة :

— باللا يا بنات .. خشوا أودتكم .. سييونى أنا ونوجا
لوحدنا شويه ..

ثم أخذتنى من يدى ودخلت بى الى حجرتها .. وقلت وأنا
أجلس على حافة السرير :

— اسمعى يا ماما .. أنا جايه النهارده علشان أقعد هذا
على طول .. عندك مانع ..
قالت :

— مانع !! مانع ايه يا بنتى .. ده بيتك يا حبيبتى .. وأنا
أمك .. بس مش أعرف السبب .. أصل ما فيش حد يسبب
فيلا فى شارع الهرم وييجى يتعد فى الوايلية الا بسبب .. سبب
مهم ..

وسكت .. ابتلع ريقى ..

وعادت أمى تقول :

— برضه أختى عزيزه مضيقه عليكى وكاتمه نفسك ؟

قلت :

— أكثر من كده ..

قالت :

— ايه بس يا حبيبتى طمنينى ..

قلت :

— تعرضى عمى عبد الفتاح ..

قالت :

— طبعنا يا بنتى .. فيه حد ما يعرفوش ..
قلت :

— تعرفى ان هو اللى بيصرف على ..
قالت وهى تخبط على صدرها :

— يصرف عليكى ليه باه يا بنتى .. دى أختى عزيزه غنبيه ..
عندها معاش جوزها ، وعشر فدادين .. وبيت فى السبتيه ..
مش محتاجه ..
قلت :

— بيتى عبد الفتاح هو اللى بيصرف .. هو اللى بيدفع
ايجار البيت .. وهو اللى اشترالى العربيه .. وهو اللى بلبسنى
.. هو كل حاجه ..

قالت وعيناها تتسعان :

— غريبه .. وليه باه الضرفه ده كله ..
قلت وأنا أرخى عيني عنها :

— لأنه متجوزنى ..

وصرخت وهى تخبط على صدرها :

— بتقولى ايه .. متجوزك .. متجوزك ده ايه .. ده راجل
أد أبوكى .. دى بنته أكبر منك .. قولى كلام غير ده يا نجوى
يا بنتى ..
قلت :

— متجوزنى .. و ..

قالت تقاطعنى وهى تصرخ وعيناها تنطلقان بالغضب :

— ويتجوزك ازاي من غير ما اعرف .. هو انا مش أمك ..
هو انا مت .. ولا كنت مت ..

قلت :

— ويارينه متجوزنى .. ده مرافقنى .. يعنى عايش معايا
من غير جواز ..

وقفزت واقفة ، وكل خلجة من وجهها تصرخ كأنها جنت ..
وأمسكتنى من كتفى وأخذت تهزنى بعنف وهى تصيح :

— ايه اللى بتقوليه ده يا بنت .. ما كتبتوش عقد ..
ما جيتوش مأذون ..

قلت وأنا مستسلمة لهزاتها العنيفة :

— لا ..

قالت :

— ورايح جاى من غير جواز ..

قلت :

— أيوه ..

قالت :

— يعنى انتى مش بنت ..

قلت :

— لا ..

وصرخت :

— يا خرابى .. يا مصيبتى فى بنتى ..

واندفع أخوتى الى الغرمة على صوت صراخ أمى .. فنظرت
اليهن كالجنونة وعادت تصرخ :

— اطلعوا بره .. امشوا من هنا ..

ثم أغلقت الباب علينا ، وهى تقول كأنها تخاطب أختها :

— والله عال يا عزيزه يا أختى .. باه اديكى البنت تقومى
تاخديها تشغيلها على الرجاله ، وتكسبى من شرفها .. اشحال

إذا ما كانش عندك عشر فدادين .. اخص عليكى يا عزيزه ..
 اخص عليكى .. طيب لما اشوف .. والنبي لوريكى ..
 ثم فتحت دولابها الفقير .. وأخرجت معطفها وجلست على
 حافة السرير تلبس الجورب والحذاء .. وقلت لها :
 — رايحه فين ..

قالت :

— رايحه لست عزيزه .. رايحه للست المحترمه الكباره ..
 ثم التفتت الى بعينها المجنونتين وقالت كأنها تصرخ :
 — الراجل ده لازم يتجوزك على سنة الله ورسوله ..
 قلت :

— مئس عايزم اتجوزه ..

قالت :

— نتجزيه غصب عنك .. ويتجوزك ورجله على رقبتة ،
 والا والله وسيدنا الحسين أعمل له فضيحة بجلاجل .. هو فاكرا
 ايه .. اكمننا فقرا .. فقرا انما شرفا .. و ..
 وفجأة .. سمعنا خبطا على باب الشقة ..
 ودخلت أمى ،
 أمى الثانية ..

كان على وجه أمى عزيزة صرخة غضب .. كل خط فى وجهها
 المكرمش يصرخ بالغضب .. غضب ينضح بالغيظ .. وركزت
 عينيهما المحتدتين المنطقتين بالشرر ، فوق وجهى .. وصرخت :
 — انتى فاكراه انى حافضل طول عمرى أجرى وراكى ،
 والمملك من كل حته شويه .. اتفضلى قدامى .. قومى انجرى
 .. و ..

وتقاطعها أمى الحقيقية ، وقد وقفت بينى وبينها منتصبه ،

تنظر اليها فى تحد قوى كأنها مستعدة أن تذبحها لو وضعت يدها
 على ، وصرخت هى اخرى :

— حيلك يا ست عزيزه هانم .. حيلك يا ست يا تقيه ياللى
 بتعرفى ربنا .. حيلك شويه .. فهمينى .. ايه حكاية سى عبد
 الفتاح بيه ..

وارتجت أمى فى وقفها كأن حجرا ثقيلا سقط فوق رأسها
 وارتعشت نظرتها الغاضبة ونظرت الى كأنها لا تصدق انى أفشيت
 سرى لأمى الحقيقية ، ثم قالت وقد بدأ صوتها يتخاذل
 وينكمش :

— ماله عبد الفتاح بيه ..

وعادت أمى الحقيقية تصرخ :

— ماله يعنى ايه .. باه أديكى بنتى علشان تملأ عليكى
 بيتك ، تقومى تاخديها تتاجرى بيها .. تبيعها للرجاله ..
 اشحال اذا ما كنتيش غنيه وعندك عشر فدادين ..
 وجلست أمى عزيزة على حافة السرير كأنها سقطت من
 طولها ، وقالت وصدرها يلهث بأنفاسها :

— توجا هى اللى قالت لك كده ! ؟

وقالت أمى الحقيقية :

— ايوه هى اللى قالت لى .. وكان لازم تقوللى من زمان
 لولا تربيتك المهيبه ..

وقالت أمى عزيزة وهى تتنهذ ورأسها منكس :

— هو الجواز بيقى اسمه بيع يا خديجه يا ختى ..

وقالت أمى خديجة :

— وده جواز ده ..

ورفعت أمى عزيزة عينيها كأنها قررت أن تخوض المعركة
 الى آخرها وقالت :

— ايوه اسمه جواز .. جواز محلله ربنا .. جواز عرفى ..
 ونص ستات البلد واللى احسن من نوجا متجوزين جواز عرفى ..
 وصرخت امى خديجة :
 — وانا بنتى تتجوز جواز عرفى ليه .. ناقصها ايه علشان
 تتجوز جواز عرفى ..
 وردت امى عزيزة :
 — الراجل ظروفه كده .. ماكنش ممكن يتجوز الا جواز
 عرفى ..
 وصرخت امى خديجة :
 — يعنى ايه ظروفه كده .. واحنا مالنا ومال ظروفه .. ذنب
 بنتى ايه فى الظروف دى ..
 وقالت امى عزيزة :
 — راجل متجوز وله مركزه .. حايعمل ايه يعنى ..
 وقالت امى خديجة :
 — يتلم ويرحم بنات الناس .. ولا يعنى يدور يشتريهم
 بفلوسه .. دى عمله تعملها يا عزيزه يا ختى .. يا عزيزه
 يا كباره ..
 وقالت امى عزيزة وهى تحاول ان تتغلب على احساسها
 بغضبتها :
 — وانا عملت ايه يعنى .. عملت ايه غير انى حبيت اعيش
 بنتى زى احسن بنت فى البلد .. جوزتها راجل غنى .. فاتح
 لها سرايه .. ومركبها عربيه .. وملبسها اشكال والوان ..
 انتى فاكده العشر فدادين يكفوا العيشه اللي عايشاها نوجا ..
 ده ايرادهم ما يكفيس حساب الخياطة ..
 وقالت امى خديجة :

— ولما انتى ما عملتيش حاجه .. خبيتى عنى ليه ؟ ..
 وقالت امى عزيزة :
 — كان الشرط كده .. ان ما حدش يعرف ..
 وقالت امى خديجة :
 — ولا انا ! ؟
 وقالت امى عزيزة :
 — ولا انتى ..
 وقالت امى خديجة وهى تصرخ :
 — ده انا امها يا عزيزة ..
 وقالت امى عزيزة فى تحد كأنها تدافع عن حياتها :
 — انا امها .. انتى شيلتيها تسعة اشهر .. وانا شيلتها
 عشرين سنه .. ابقى انا امها ..
 وقالت امى خديجة وهى تنظر الى امى عزيزة فى قرف
 واحتقار :
 — لو كنتى امها ما كنتيش عملتى فيها كده ..
 وقالت امى عزيزة :
 — لو كنتى امها كان زمانها عايشه فى الفقر اللي انتى
 عايشه فيه ..
 وقالت امى خديجة :
 — انتى اللي فقيره .. الفقير هو اللي ناقصه حاجه .. وانا
 مش ناقصنى حاجه والحمد لله .. بناتى ما فيهمش واحده متجوزه
 فى السر .. واللقمة بتكفينا .. الدور والبقية على اللى عيئهم
 فارغه .. انما الحق على انا .. ورينى الورقه ..
 وقالت امى عزيزة كأنها دهشت :
 — ورقة ايه ؟
 وصرخت امى خديجة :

وقالت أمى خديجة فى اصرار :

— ما سيبهاش .. بنتى لازم تتجوز جواز ربنا .. هى
مش أقل من حد .. لو كان الملك حتى لازم يتجوزها قدام الناس
.. والا والله العظيم أعمن له فضيحة من هنا لرب السما ..
دلوقتى ما بقتيش انتى لوحدك .. لازم تعرفى كده ..

وقالت أمى عزيزة كأنها تسخر من جهل أمى خديجة :

— ونوجا ترضى تتجوز قدام الناس !

وقالت أمى خديجة :

— تتجوزه غصب عنها ..

وقالت أمى عزيزة :

— ما فيش حاجه بالغصب .. يوم ما اجوزت عبد الفتاح
جواز عرفى .. ما غصبتش عليها .. مضت على الورقه بخط
ايدها ..

وصرخت وأنا واقفة فى ركن الغرفة ، أدافع عن نفسى :

— انتى عارفه أنا كنت حالتى شكلها ايه ..

وقالت أمى عزيزة :

— حالتك .. المهم ان ما حدش غصب عليكى ..

وقالت أمى خديجة :

— وافرضى ان الراجل غواها .. ولا ضحك عليها .. دى

بنت صغيرة ، وما تعرفش .. المهم انتى يا ست عزيزه ..
سبتيها للراجل ليه ..

وقالت أمى عزيزة وهى تنظر الى والى أمى الثانية كأنها
تسخر منا :

— والنبنى بلاش كلام فاضى .. المهم ان الست نوجا دلوقتى

عايزه تتجوز واحد تانى ..

وقالت أمى بسرعة :

— ورقة الجواز .. أمال احنا بنتكلم فى ايه من الصبح ..
وقالت أمى عزيزة وهى تخطب على فخذها بيدها وتنهى كأنها
تشد حبال الصبر :

— مش معايا ..

وصرخت أمى :

— يعنى ايه مش معاكى .. لازم أشوفها ..

وانتفضت أمى عزيزة واقفة وصرخت وهى تشوح بيدها :

— انتى فاكركه حامشى وأنا شايله ورقة جواز بنتى فى
شنطتى .. ده أنا نسيت أشيل شنطه .. خرجت من البيت زى
المجنونه ..

وأنا واقفه فى ركن الغرفة وراء ظهر أمى خديجة ، وأحس
بنوع من الشماتة فى أمى ، كأتى انتصرت عليها ، كأتى أقف وراء
مدفع يدمرها ..

وعادت أمى خديجة تقول :

— اسمعى يا عزيزه يا اختى .. نوجا لازم تتجوز الراجل
ده جواز شرعى .. تتجوزه قدام الناس .. افرضى انه سابها ،
يبقى اللى حايبجى يتجوزها بعد كده ، مش لازم يعرف حكايتها ..
ولا حاتقول له ايه .. حاتقول ايه لما يلاقى البنت مش بنت ..

وابتستت أمى عزيزة ابتسامه مرة ساخرة ، وقالت :

— والله عبد الفتاح ماله ذنب فى الحكاية دى ..

وصرخت أمى خديجة :

— يعنى ايه مالوش ذنب ..

وقالت عزيزة وهى تنظر الى كأنها تعابرنى :

— هو أنا عملت كده الا من غلبى منها .. على كل حال

سببى الحكاية دى على أنا ..

— زماله .. ما دام بتحبه .. مش قصدك الدكتور هاشم ،
قالت أمى عزيزة :

— هى حكت لك كمان عن الدكتور هاشم ..
وقالت أمى كأنها تتباهى بأنها تعرف كل شيء :

— طبعاً .. حكت لى .. حكت لى من زمان ..

وقالت أمى عزيزة ساخرة ووجهها المكرمش ينضح بالغيظ
والقسوة :

— **يس المهم** ان البيه الدكتور مش عايز يتجوز .. بقاله
سنه داخل خارج .. وياخد البت فى العرييه ويغيب بالساعتين
والثلاثه .. ولغاية دلوقتى ما جنبش سيرة الجواز على لسانه .
وصرخت وأنا أنظر اليها فى غيظ :

— أنا ما قلتش انى عايزه أتجوز هاشم ، ولا انه عايز يتجوزنى
.. انتى اللى بتتعدى تدبرى فى خطط .. ومن فضلك ما تغيريش
الموضوع .. احنا دلوقتى بنتكلم عن عبد الفتاح .. خلصونى
الأول من عبد الفتاح ، وبعدين ابقوا اتكلموا عن هاشم ..
وقالت أمى عزيزة :

— سمعتى يا خديجه .. باه ده اسمه كلام .. نسيب راجل
قبل ما نعرف حانعمل ايه مع التانى .. مش الواحد قبل ما يخطب
يشوف حاجط رجله فين ؟

واهتزت رموش أمى خديجة كأنها بدأت تحتار ، ثم قالت
فى عناد :

— ايه اللى يحط رجله وما يحطش رجله .. هى بيع واشترى
.. نوجا لها حق .. المهم وقبل كل شيء ، اننا نشوف حل لسى
عبد الفتاح بتاعك ..
وقالت أمى عزيزة :

— حاضر .. نشوف حل .. بس لو تعمدنا نتكلم كده للصبح ،
مش حائلاقى لا حل ولا ربط ..

ونظرت الى من فوق رأس أمى الثانية .. واستطردت قائلة :

— ياللا يا نوجا .. تروح دلوقتى .. وبكره الصبح يحلها
حلال ..

وقلت وأنا أنظر اليها فى تحد :

— أنا مش حاروح معاكى .. أنا مش حادخل بيتك تانى ..
خلاص ، ما بقتش بنتك .. أنا رجعت الأمى ..

ونظرت الى وسحابة صفراء تتخلل تجاعيد وجهها المكرمش ،
ثم عادت تجلس على حافة السرير وقالت وهى تتنهد فى تعب
حقيقى :

— باه اسمعى يا نوجا .. أنا ما بقاش فى .. قومى خليبا
نروح بأمن الله .. واللى انتى عايزاه يتعمل ..
قلت فى اصرار تتجمع فيه كل ارادتى :

— يعنى لا .. أنا حاقعد هنا .

وأحست برنة الاصرار فى صوتى ، ونظرت الى وعيناها
تشهقان .. ثم عادت ونظرت الى أمى خديجة ، وقالت كأنها
تتوسل اليها :

— عقليها يا خديجه يا اختى ..

وقالت أمى وهى تنظر الى اختها فى عطف :

— ده بيتها يا عزيزه .. عايزانى أعقلها أقول لها ايه ..
أقول لها امشى اطلعى من بيتك ..

وانطلقت نظرات مجنونة من عيني أمى عزيزة ، وصرخت :

— انتم حا تجننوني .. بتعذبوني ليه .. بتعملوا فى كده ليه
.. أنا ما سبتش بنتى لحد ..

واستمر صراخها ..

وأنا مصرة على موقفي .. لن أذهب معها .. وكلما ارتفع صراخها ، ازدادت تشبثا ، وامتلأت بقوة أكبر على الاصرار .
وأُمى خديجة تعطف على أختها حيناً .. وتكاد تهم بأن تطلب منى أن أذهب معها .. ثم تعود وتعطف على وتؤيدنى فى موقفى .. وأخيرا انتفضت أمى واقفة .. ووجهها ممتقع ، كائى صفيت كل دمائها .. وانطلقت خارجة ، وهى تصرخ :

— طيب خليكى .. أما أشوف آخرتها معاكى ايه ...

ثم عادت والتفتت الىّ واستطردت فى صراخها :

— أما أشوف آخرتها معاكى ايه انتى وسى هاشم بتاعك .. وأزاحت اخوتى الذين كانوا متجمعين خلف الباب ، واندفعت خارجة من البيت وهى ترتعش فى مشيتها .. وفى هذه اللحظة تأكدت انى أقوى منها .. أقوى منها بحاجتها الىّ .. بحبها لى ..

وقد تجمع اخواتى حولى بعد أن خرجت أمى عزيزة .. وحاولن أن يرفهن عنى بضحكاتهن .. وجئن بالطبلة وأخذن يرقصن لى .. وحاولت أن اندمج فى مرحهن ورقصهن .. ولكن أفكارى كانت تغلبنى .. فأسرح .. وأمى أيضا كانت تسرح معى .. وتعشينا .. أكلنا سمك مقلى أرسلت أمى فى شرائه من سوق الواليلية ، احتفاء بى .. واجتمعنا كلنا حول المائدة الموضوعة فى الصالة .. نتخاطف السمك بأيدينا ، وندب أصابعنا فى طبق الطحينة .. وأكلت كثيرا .. وضحكت كثيرا .. ولكنى كنت أعود فى لحظات وأسرح .. وتنقطع ضحكتى .. ويتوقف فكى عن المضح .. وتصرخ أختى الكبيرة :

— مهبوع السرحان .. الليلة سمك .. لبن .. تمر هندى .. وأعود أضحك ..

ثم نام اخوتى .. وجلست أنا وأمى فوق سريرها .. وأخى الصغير نائم بجانبنا .. ثم جاءت أختى الكبيرة وجلست معنا .. نتحدث فى حكاينى ، ونعيد ما نقوله .. وأسرح .. ثم بدأت أشعر بالضيق .. انها الليلة الأولى فى حياتى التى أقضيها فى بيت أمى .. الليلة الأولى التى أقضيها خارج بيتى .. وشعرت ليلتها أن بيت أمى ليس بيتى .. بيتى هناك فى شارع الهرم .. وبدأت أفتقد أشياء كثيرة .. سريرى .. مخدتى .. مرأتى .. تميص نومى .. زجاجات العطر المصفوفة بجانب المرآة .. فرشاة أسنانتى .. الحمام .. و .. و .. انى أحس انى فى العراء .. لا لأن بيت أمى فقير .. ولكنى لم أعود على الفقر .. وكان يجب أن أقاوم هذا الاحساس .. احساسى بالغربة .. احساسى بانى لست مرتاحة .. وساعدتنى طيبة قلب أمى ، وخفة دمها على المقاومة ..

ونمنا ..

أمى ، وأخى الصغير ، وأنا ، فى سرير واحد ..

وارقت ..

كنت أحس طول الليل كائى ممددة على خيط أدق من الشعرة ، أخاف أن أغمض عيني فأتحرك ، وأقع من فوقه .. ولكنى نمت فى الساعات الأولى من الصباح .. نمت من التعب ..

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ، فوجئنا بأُمى تدخل ومعها عبد الفتاح .. كنا جميعا لا زلنا بقميصان النوم .. ووجرت اخواتى البنات وهن يتصاحكن ودخلن حجرتهن .. ووقفن

— أخرجى يا نوجا .. عايزيك ..
قلت :

— مش حاخرج الا لما الضيوف ينزلوا ..
قالت :

— ما نبقيش كده يا نوجا .. بلاش عند .. افتحى ..
قلت فى اصرار :

— مش حافتح ..
قالت :

— غلشان خاطرى .. افتحى بس .. نتفاهم يا حبيبتي ..
وصرخت :

— مش حافتح .. مش حافتح .. اتفضلوا اكسروا الباب ..
وسمعت صوت عبد الفتاح هادئا خبيثا :

— مش ضرورى يا خديجه هانم .. ابقى افوت عليكم مره
..
وقالت أمى خديجة :

— والنبي أنا مكسوفه قوى يا سى عبد الفتاح بيه .. انما
اعذرها يا اخويا اصلها واخده على خاطرها شويه ..
وصرخت من داخل الغرفة :

— وماما عزيزه كمان تنزل قبل ما افتح الباب ..
وصرخت امى عزيزة بعلو حسها :

— انتنى بتطردينا يا بت .. والا فاكركه انى عايزه اشوف
خلقتك .. الحق على أنا .. ده انا لو كنت ربيت تعبان كان
..

ولم أرد ..

ولكنى أحس بقلبي ينقبض .. انى لا أستطيع أن أقسو

امى تستقبل عبد الفتاح وهى بجلباب النوم ، وفوق كتفها شال
وعيناها مرتبكتان مبهورتان كأنها لا تصدق أن رجلا عظيما مثل
عبد الفتاح يمكن أن يتنازل ويدخل بيتها ..

وقالت وهى تنظر الى أمى عزيزة فى لوم :

— مش كنتى تدينا خبريا عزيزه يا اختى ..

ووقفت بجانبها وأنا بقميص النوم .. انظر فى وجه عبد
الفتاح وقد ازداد زرقة .. وفى وجه امى ، وقد ازداد كرمشة
وصفرة .. ولم الق اليهما بتحية الصباح .. بقيت انظر اليهما
فى صمت .. وعبد الفتاح ينظر الى نظرة مرتعشة كأنه يعاتبنى ،
وامى تنظر الى نظرات فيها غيظ مجنون .. ثم خطوات أمامها
صامتة ، ودخلت حجرة أخى الكبير ، وأغلقت بابها ورائى
بالمفتاح ..

وامى عزيزة تصيح خلى :

— عجايب .. شوفوا البنات قليلة الأدب .. مش هالين عليها
تقول صباح الخير ..

ومضت أكثر من ساعة وأنا جالسة وحدى فى غرفة أخى
انخيل ما يمكن أن يقوله عبد الفتاح لأمى خديجة .. انه قادر
بخبثه وهدهوء أعصابه أن يقنع السيدات العجائز .. قادر على أن
يثير أطماعهن الساذجة .. ويحركهن فى طريق أغراضه ..
فهل يستطيع أيضا أن يثير أطماع أمى خديجة ، كما أثار أطماع
أمى عزيزة .. هل لأمى خديجة هى أخرى أطماع ولو كانت
على حساب سعادتى .. هل تختلف الأم الحقيقية عن الأم
بالتبنى ..

وبعد أكثر من ساعة طرقت أمى خديجة على باب غرفتى ،

وسمعت صوتها الحنون :

عليها الى هذا الحد .. ولكنى يجب ان اقاوم .. يجب ان اقاوم
الى حد القسوة ..

وسمعت صوت اقدام عبد الفتاح وأمى عزيزة ، وهما يخرجان
من البيت .

وفتحت الباب ..

واخذتنى أمى الى حجرتها ، وقلت لها وعيناي ملؤهما الشك :
— خير ..

وقالت أمى وهى تنظر الى كأنها تحاول أن تمسح عنادى :

— والنبي الراجل بيتكلم كلام معقول ..

ونظرت اليها والفيظ يكاد يخفنى .. الفيظ من عبد الفتاح ،
وقلت فى حدة :

— طبعا قالك انه كان مضطر يتجوزنى فى السر علشان
شغله ، ولانه كانت كل أملاكه باسم مراته .. وانه مستعد يضمن
مستقبلى .. ومستعد يعلن جوازنا بعد شهرين تلاته .. وعرض
عبيكى انه يديكى شقه فى العماره بتاعته .. مش كده ..

ونظرت الى أمى فى دهشة وقالت :

— ايش عرفك انه قال ده كله ؟

قلت وأنا لا زلت محتدة :

— أنا عارفاه .. واحب أقول لك انه مش حايعلن جوازنا ..
ده بس بيقول كده علشان أرجع له .. مش مستعد يعمل أى
حاجه الا انه يدفع فلوس .. فلوس بس .. وأقول لك أكثر
من كده .. أنا متأكده انه مش متجوزنى خالص حتى ولا فى السر
.. الورقه اللى مضيتها مش ممكن تكون ورقة جواز .. انتى
قرتها .. ماما عزيزه جابتها لك ! ؟

وقالت أمى خديجة ووجهها يمتقع :

— لا .. ما شفتهاش ..

قلت :

— ولا انا شفتها .. انا مضيت من غير ما اقراها ..
ما اعرفش فيها ايه .. يمكن تكون ورقة فاضية ضحكوا بيها على
.. وكل ما أقول لماما عزيزه توريهالى .. ما ترشاش ..

وقالت أمى خديجة ووجهها يمتقع :

— طيب بس يا بنتى .. اتعدى ..

وأجسمنى بجانبها على السرير ، وقالت :

— تفكرى ايه العمل دلوقتى ..

قلت ودموعى تنطلق من عينى :

— مش ممكن أرجع له يا ماما .. مش ممكن .. حتى لو حط
تحت رجليه مال قارون .. ده حرام .. حرام ..

قالت :

— خلاص يا بنتى .. ما فيش حاجه غصب عنك .. بس
حاتعملى ايه بعد كده ؟

قلت :

— حاقعد عندك هنا على طول ..

قالت :

— بس صعبان على تتمرطى معانا بعد ما أخذتى على العر
.. ده كل اخواتك بيحسدوك على اللى انتى فيه ..

قلت :

— انا باتمرط هناك أكثر .. وأنا باحسد اخواتى أكثر

ما بيحسدونى ..

قالت :

— وهاشم ؟ ..

قلت كائى فوجئت :

— ماله هاشم ..

قالت وهى تبتسم لى :

— ما أنا اللى فهمته ان هو اللى غير مخك ..

قلت وأنا ألتقط دموعى بأصابعى :

— هو اللى فتح عينه .. هو اللى حسسنى بأنى كنت

عائشه زى الحيوانه .. حيوان جميل بيلبسوا فيه ويزوقوه ..

انما برضه حيوان .. ما اقدرش دلوقت أرجع حيوانه تانى ..

قالت :

— يعنى موقفه ايه ؟

قلت :

— ما اعرفش ..

قالت :

— ما نعرفيش ازاي .. لازم تعرفى ..

قلت :

— كل اللى اعرفه انى باحبه ..

قالت :

— رهو ؟

قلت :

— بيحبنى .. أنا متأكده انه بيحبنى ..

قالت :

— وعارف حكايتك ؟

قلت :

— كلها ..

قالت :

— ومستعد يتجوزك ..

قلت :

— ما اعرفش .. اصله ما عرفش حكايتى الا اليومين دول ..

وسكتت اوى .. ثم قالت بعد برهة :

— والنبى أنا خايفه يا نوجا .. الحكايه ملعبكه قوى ..

قلت :

— ما تخافيش .. المهم انى ابقى بنت كويسه .. وحالبقى ..

قالت :

— ربنا يستر ..

ثم أخذتني بين ذراعيها وضمتني الى صدرها فى حنان كبير ،

وقالت بعد برهة ، وهى تضحك :

— أنا ما كنتش يا بت فاكهه انى باحبك للدرجه دى ..

ده اتارى البعيد عن العين ، قريب من القلب .. قومي ياللا

اغسلى وشك والسي فسنامك ، وورينى حلاوة بنتى ..

قلت :

— بس بعد ما اساوى اودتك ..

قالت ضاحكة :

— ابدأ .. لا يمكن .. احنا حانفضل محترمينك ثلاث ايام ..

لعاية ما تاخذى على الجو ، ونبتدى نشغلك ..

وفى المساء ..

عادت اوى عزيزة ..

عادت كما يعود العاشق المهجور .. عيناها مجنونتان ..

ووجهها أكثر من كرمشة وأكثر صفرة .. وحاولت أن تعيدنى الى

البيت .. ولكنى رفضت .. وأصررت على الرفض .. ووضعت

شروطى .. أن تمزق الورقة التى تحمل توقيعى .. وأن يخرج

حتى هذا اليوم قد خرجت من البيت .. أكثر من عشرة أيام لم أخرج فيها من الغرف الثلاث ..

وقالت أمى خديجة فى دنان وابتسامه كبيرة على شفيتها :

— وحشك ..

قلت :

— موت ..

قالت :

— خدى معاكى حد من اخواتك ..

وفرحت ..

وفرحت أكثر لانى سأصحب معى واحدة من اخواتى ..

خيل الى انى سأتباهى بأختى أمام هاشم .. ان احساسى بانى

أعيش فى عائلة كبيرة وان لى اخوة واخوات ، احساس جديد على

.. يفرحنى ..

واتصلت بهاشم فى التليفون ، وطلبت منه أن يلتانى فى

سيارته عند أول شارع الملك فى الساعة الثالثة بعد الظهر ..

ووقفت اخواتى البنات يستاعدننى فى زينتى قبل أن أخرج ..

كلهن يعلمن انى ذاهبة للقاء هاشم .. وكلهن يعلمن ان هاشم

حبيبى ..

وفوجئ هاشم عندما رأى معى أختى الصغيرة سهيرة ..

لمحت المفاجأة فى عينيه وهو ينحنى ليفتح لى باب السيارة .. ثم

انقلبت نظرة المفاجأة الى نظرة شك .. لعله اعتقد انى جئت معى

بأختى بناء على خطة موضوعة .. انه يشك فى ، وقد سبق أن

صرح لى بأنه يشك فى منذ صرحت له بقصتى ..

وخط الألم يشق جبينه .. وبصمت الحيرة تحت عينيه ..

وابتسامه باهتة فوق شفيتها ..

عبد الفتاح من حياتى .. وان تتركى حرة ، وتعاملنى على انى فتاة فى الحادية والعشرين لا على انى فتاة قاصر .. وان ادخل الجامعة . والا تتدخل بينى وبين هاشم ..

ورفضت أمى جميع الشروط .. كبرياؤها ، وعنادها ، رفضا الخضوع .. وكانت تعتمد فى رفضها على انى لن اطيق حياة الفقر فى الوايليه .. وانى قد احتمل يوما أو يومين ولكنى لن احتمل أكثر من ذلك بعد أن عودتنى على الحياة المرفهة ..

وقد بدأت أعانى فعلا من حياة الفقر .. أشياء كثيرة تنقصنى .. والزحام فى البيت يكاد يخنقنى .. وكل شىء فوضى .. الثياب

ملقاة فى الأرض .. والمقشاة فوق السرير .. وحذائى كل فردة

منه فى غرفة .. وأخى الصغير يأخذ قلم الكحل ويرسم به على

الحائط .. ان الفقر لا يحتمل النظام .. النظام يكلف غالبا ..

وأنا قد تعودت على النظام .. ومضت أيام لا أستطيع أن ارتدى

ثيابى .. ولا أن اتجمل .. ولا أعرف كيف أستحم فى ماء

صفحة الغلية بعد أن كنت أستحم فى البانيو .. ولكنى أقاوم ..

كل دقيقة فى يومى أحس انى أقاوم شيئا .. وأحس انى فى

حاجة لكل ارادتى حتى أقاوم ..

وليس فى البيت تليفون ..

لا أستطيع أن أتصل بهاشم ، الا اذا حادثته من تليفون الصيدلية التى تقع فى أول شارع الوايلية ..

وحادثته مرة بعد أن مضت خمسة أيام لم أسمع فيها صوته .. وكان حديثا عاجلا لم أستطع أن أقول له خلاله شيئا .

وبعد خمسة أيام طلبت من ماما خديجة أن تسمح لى بالخروج للقاته .. لم أكن أريد أن أخدعها أو أكذب عليها .. ولم أكن

وهاشم يستمع صامتا . . . ويقطع صمته أحيانا بكلمة أو كلمتين
تعليقا على كلامي . . . ثم قال بعد أن قلت له كل شيء :

— أنا مش عارف أعمل ايه يا نجوى ؟
قلت وأنا ابتسم له لعلى أبدو ارتباكاه :
— ما تعملش حاجه . . . أنا حا أعمل كل حاجه . . .
قلت :

— بس أنا حاسس اننا بنبعد عن بعض قوى . . . ما بتقدريش
تشوفينى . . . وما بتقدريش تكلمينى فى التليفون . . . وأنا ما بقدرش
اتصل بيكى . . .
قلت :

— معلش . . . استحمل اليومين دول يا هاشم . . .
قال :

— أنا باقعد اتخيل حاجات كتير . . . خيالى بيودينى وبيجيبنى
. . . وبتوحشيني . . .
قلت :

— وانت بتوحشنى أكثر . . . وأعمل معروف ما تتخيلش حاجه
. . . أنا ماباخبيش عنك حاجه . . . كل حاجه انت اعرفها . . .

وابتسم ابتسامه مسكينة ، وقال :
— حاضر . . . مش حاتخيل . . .
وأدار محرك السيارة ، وعاد بنا . . .

وقالت سميرة فجأة ونحن نقتررب من مدخل شارع الوايلية :
— انت مش حاتجوز أبلاه نجوى يا دكتور . . .
وقال هاشم وقد فوجيء :
— يا ريت يا سميره . . .
والتفت اليها وقلت وأنا افعل الغضب :

وقاد سيارته ، وأنا بجانبه ، وأختى سميرة فى المقعد الخلفى
. . . ونظر الى كأنه لا يدري ماذا يقول أمام أختى . . .

والتفت الى سميرة ، وقلت لها حتى يعلم انها تعرف كل شيء . . .
— اهو ده الدكتور هاشم يا ستى . . . عجبك . . .
وقالت، سميرة :

— ده هائل . . . أحلى من وصفك . . .
واتسعت ابتسامه هاشم قليلا . . .
وانطلقت سميرة تقول :

— دى ابله نجوى بتحبك قوى يا دكتور . . . طول النهار والليل
بتكلمنا عنك . . .

وقال هاشم وهو ينظر الى نظرة سريعة :

— وأنا كمان باحبها قوى . . . بس مش لاقى حداكلمه عنها . . .
ونظرت اليه ودمائى تتصاعد الى وجهتى . . .

ومرت بيننا فترة صمت طويلة . . . وأنا مرتبكة ، لا أدري لماذا
. . . ولكنى أحس بشيء كالضباب يتجمع بينى وبين هاشم . . .
وسميرة أختى مرتبكة . . . تنطق بكلمات لا معنى لها كلما ضايقها
ارتباكها . . . وهاشم مرتبك يخفى ارتباكاه تحت صمته . . .

ووصلنا الى مصر الجديدة ، وأوقف هاشم السيارة فى
طريق المطار ، واستدار نحوى ونظر الى من خلال صمته ، ينتظر
منى أن أتكلم . . .
وتكلمت . . .

قلت له ما جرى لى منذ رأيتة آخر مرة . . . انطلقت أروى له
كل التفاصيل دون أن أخشى وجود سميرة معنا . . . فسميرة تعرف
كل شيء . . . لا يمكن إخفاء شيء فى بيت أمى خديجة . . . ان الغرف
الثلاث أضيق من أن تضم سرا . . .

والنف حولى اخواتى البنات يسألننى فى مرح عما جرى
بينى وبين هاشم .. وسميرة تحكى لهن .. وتصرخ .. ده هائل
.. مدهش .. نفسى لما أكبر أحب واحد زيه .. وضحكاتها
ونكاتهن تجعلنى أرتفع فوق مشاكلى .. وأضحك معهن .. وأحس
بنفسى كأنى أميرة .. كأنى عروس .. ان الحياة أجمل وأسهل
عندما نعيش مع أخواتنا ..

وامى عزيزة تأتى لزيارتنا كل صباح .. وأحيانا تأتى فى
الصباح والمساء .. وتتوسل الىّ أن أعود الى بيتها .. وتحاول
حيناً أن تذكرنى بأبى المشلول وتشدنى من قلبى الملهوف عليه ،
لأعود .. وحيناً تهددنى .. ولكنى أصر .. ولا أتزحزح .. يجب
أن تنفذ شروطى أولاً .. والملح الهزال يدب فى عودها .. ووجهها
يزداد كرمشة .. أحس كأنى ثقبت ثقباً فى قلبها تنزف منه ..
وتجف .. صبحت كعود الخشب .. انها تحبنى .. لن تستطيع
أن تعيش بدونى .. ولكنها تقاوم .. لا تريد أن تتنازل عن عفاها
.. لا تريد أن تبدو ضعيفة أمامى ..

وعيد الفتح أيضاً جاء الى البيت أربع مرات .. ولا أكاد
أراه حتى ادخل غرفة أختى وأغلق على نفسى بالفتح .. وامى
خديجة تستمع الى كلامه فتقتنع .. ثم تستمع الى كلامى فتقتنع
أيضاً .. ولا تدفعنى الى شىء .. انها واقعة فى حيرة .. حيرة
كبيرة ..

ومضى أكثر من خمسة عشر يوماً ، لم أستطع خلالها أن أحادث
هاشم فى التليفون الا مرتين .. هذه الكلمات السريعة المرتبكة ،
التي لا تشبع ..

ثم كان يوم ..

واتفقت مع أختى الكبيرة على أن أمر عليها فى مقر الشركة التي

— اسكتى يا بت ..

وعادت سميرة تقول فى تحد :

— أنتم مش بتحبوا بعض .. خلاص .. اتجوزوا ؟

وضحك هاشم ، ضحكة كبيرة عصبية ..

وعدت أقول لها :

— اسكتى باقول لك .. أحسن والله أوريكى شغلك فى

البيت ..

وضحكت سميرة ، ضحكة القلب الخالى السعيد بصباه ..

ونزلنا فى شارع رمسيس ، والتفت الى هاشم قبل ان أنزل ،

وقال وهو ينظر الى بعينين حانيتين :

— مش عايزه حاجه ..

وقلت وأنا أنظر فى حنان .. حنان كبير .. كأنى أمه :

— لا .. مرسى ..

قال :

— وحاشوفك ازاي ؟

قلت :

— حابقى أتصل ببيك ..

واحتفظ بيدي فى يده برهة ، ثم قال بصوت خافت :

— مع السلامة ..

وانطلق بسيارته .. بعيداً ..

كان لقاء فاتراً .. مرتبكاً .. أحسست خلاله بأن هاشم ابتعد

عنى أكثر .. ورغم ذلك فقد شعرت بهدوء نفسى .. أشعر

بالمسكينة .. وأشعر بقوتى بل أشعر انى أصبحت أقوى من هاشم

.. أقوى بوضوح الطريق أمامى .. أقوى بارادتى .. وعدت الى

البيت .. وأنا أشد تصميمي على موقفى ..

تعمل بها فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .. لنذهب سويا ونطوف بالدكاكين .

ونزلت من البيت فى الواحدة والنصف .. واتصلت بهاشم فى عيادته فلم أجده .. ربما عاد الى بيته .. واتصلت به فى البيت ، فلم أجده .. ربما ذهب لعيادة أحد مرضاه .. ووجدت نفسى أتجه الى الزمالك .. الى شقته .. لم أتعهد أن أذهب الى هناك لأبحث عنه ، ولكنى ذهبت فقط لأمر من أمام الشقة التى شهدت مأساة حبي ..

وفوجئت عندما رايت سيارته امام باب العمارة ..

— ولا أدرى كيف أفسر شعورى ساعتها ..

لقد ابتسمت أولا ابتسامة هادئة .. كائى أشاهد ابنى وهى يلعب .. ثم أحسست بنفسى ابتسم ابتسامة ساخرة .. كائى أسخر من الرجل الذى أحبه .. ثم بدأ قلبى ينبض شيئا فشيئا . ثم بدأت أشعر بصاروخ من النار يندلع فى صدرى .. وهممت أن أصعد الى الشقة .. ولكنى لم أصعد .. ربما كان جالسا فى الشقة وحده ، يشرب فنجال القهوة كعادته .. ورغم ذلك لم أجرو على أن أصعد الى الشقة .. ولكنى صممت أن أنتظر الى ان أتأكد من أنه فى الشقة وحده .. وأخذت أمشى حول العمارة بحيث لا يغيب بابها عنى .. وأتلكأ حول فوانيس النور .. واتظاهر بأنى أبحث عن عنوان .. وطول الوقت وأنا أحاول أن أقتنع نفسى بأنى مجنونة .. وأنى يجب أن أعود .. ولكنى لا أستطيع .. ونظرات البوابين تلاحقنى .. ونظرات المارة تلقى على وجهى كأنها قطع الطوب .. ثم وجدت دموعى تنهمر على خدى .. صامته .. غزيرة ..

وحاولت أن أوقف دموعى ..

فلم أستطع ..

ثم انتظرت ..

ساعة .. ساعتين .. ثلاثا .. لا أدرى .. ولكنى انتظرت الى أن رأيت من خلال دموعى فتاة تخرج من العمارة ، لم أر ملامح وجهها .. بل لم أر لون شعرها ، ولا لون ثوبها .. ولكنى أحسست ان هذه الفتاة بالذات هى التى كانت مع هاشم .. وتتبعتها بعينى الى أن رأيتها تركب تاكسى من عند موقف التاكسيات فى أول الطريق ..

وبعد خمس دقائق خرج هاشم من العمارة .. وركب سيارته ، ومر من أمامى دون أن يرانى .. لم تكن تبدو عليه السعادة .. ولكن كأن يبدو عليه الاتهاك .. وجهه ممصوص .. وشعره أكثر بياضا ..

وسمرت أنتثر فى دموعى ، وركبت تاكسى الى بيتنا فى الوايلية .. كان موعدى مع أختى قد ضاع ..

واستقبلتنى أختى فى البيت غاضبة نائرة ، لانى أهملت موعدها .. ولم أرد عليها ..

واستقبلتنى أمى جزعة لانى تأخرت .. ولم أرد عليها ايضا .. وجلست بجانبى تنظر فى لوعة الى آثار دموعى فوق خدى ، ثم قالت :

— أنتى شفتى الدكتور هاشم ..

وقلت كائى أخاطب نفسى :

— أيوه شفته مع واحده تانيه ..

ومصمصت أمى شفتيها ، وأسندت رأسها على يدها ، وصممت برهة ، ثم قالت فجأة كأنها قررت أن تزيح شيئا عن صدرها :

— وأنا كمان شفته ..

— أنا أمك يا نوجا .. ولازم اطمئن .. ماقدرش أشوفك
بتعملى ده كله ، من غير ما اعرف أخرة ده كله ايه ..
وتملكنتى نوبة عنيفة من العناد ، وقتت لها فى صوت
كالصراخ :

— اسمعى .. اذا كان هاشم مش حاي تجوزنى ، فمش معنى
كده انى أرجع لعبد الفتاح .. ولا أرجع شارع الهرم .. واذا
كنتى مش مستحلاانى فى بيتك أنا مستعده أخرج منه دلوقتى ،
وانشا الله اعيش فى الشارع ..
وصرخت أمى :

— ده بيتك يا نوجا .. ده مش بيتى يا حبيبتى .. ده بيت
ولادى .. لولا انتم ما كانش بقى لى بيت ..
وحاولت أن تخفف عنى .. وقالت لى انها أخفت خبر مقابلتها
لهاشم عنى حتى لا تصدمنى .. والتف حولى أخواتى .. كل منهن
تحاول أن تضع شيئاً حلوا فى قلبى .. ولكن كنت قد انقلبت الى
كتلة جامدة من العناد .. لم أعد أفكر .. لم أعد احس بشيء
الا بعنادى .. عنادى فى أن ابدل حياتى كلها ..
ومرت عشرة أيام أخرى ..

وجاءت أمى عزيزة ، ووقفت امامى كعود الخشب الذى
نخره السوس ، وقالت وكلها ترتعش ونظراتها منهارة :
— اتفضلى قومى أرجعى بيتك .. واللى عايزاه حاي نعمل
.. بس علشان خاطر أبوكى .. ومش حاتشوفى عبد الفتاح بعد
كده .. هو كمان مش عايز يشوفك .. وادى الورقه المهبه .
وأخرجت من صدرها ورقة ، نزعت طرفها الأخير بسرعة ،
واعطته لى قائلة :
— مش دى امضتك .. اتفضلى كليها .. ولا بليها واشربى
مينها ..

قلت :

— امتى .. النهارده ! ؟

قالت :

— لا .. أول ايمارح ..

قلت :

— فمين ؟ ..

قالت :

— فى عيادته .. رحى له بنفسى ..

قلت صارخة :

— رحى له ليه ؟

قالت :

— علشان اطمئن يا بنتى .. كلمته بصراحة .. قلت له ان
بنتى متعلقه بك قوى .. ومن حتى انى اعرف اذا كان ناوى
على جواز ولا مش ناوى ..

وشعرت بدمائى تغلى ، وقتت وأنا اكم بخار الدم المظلى :

— وقال لك ايه ؟

قالت وهى تخفى عينيها عنى :

— قال انه بيحبك .. انما ما يقدرش يفكر فى الجواز
دلوقتى ..

وصرحت :

— اننى مجنونه .. انتى زى ماما عزيزه .. كلكم مجانين ..
ما حدش فيكم فاهمنى .. ما حدش فيكم بيرحمنى .. انتم مالكم
ومالى .. ومالكم وماله .. مين قال لكم انى عايزه اتجوز ..
وقالت أمى :

وضمى بذراعه السليمة ، وأخذ يمسح على شعري بيده .
وشفتاه الذابلتان راقدتان على خدي ..

وبقيت بجانبه طول النهار .. أروى له حكايات مرحة عن
الحياة فى بيت أمى الحقيقية ، وهو ينظر الىّ بعينين مبتسمتين
فاهمتين ، كأنه فاهم كل شيء ، ولكنه لا يستطيع أن ينطق ..

وأوى تررح وتجىء فى انبيت تتظاهر بالنشاط .. نشاط مفتعل
.. ان خطواتها ليست قوية كما تعودتها .. ونظراتها ليست
حازمة أمرية كما كانت .. وصوتها مهزوز كأنها لم تعد تدرى
ما تقول .. والهزال والتعب يبدوان عليها ..

.. ولم تستطع أن تستمر طويلا فى التظاهر بالنشاط فجاءت
وجلست على الأريكة فى حجرة أبى ، وتنهدت تنهيدة حارة كأنها
قررت أن تستريح بعد كل هذا العمر الطويل .. ونظرت الى
نظره طويلة فيها ظل فرحتها بعودتى اليها ، وفيها بعض اللوم
كأنها تلومنى على قسوتى عليها فى حين انى أعلم أن لا حياة لنا
بدونى ..

ولم تنكلم ..

ظلت صامته ، كأنه لم يحدث شيء بيننا يستحق الكلام ..
كأنها تريد أن تتجاهل كل ما حدث بيننا .. كل قصتى ..

وفى المساء ، بعد أن نام أبى ، جاءت الى حجرتى ، ولم تجلس
فى فراشى كعادتها ، بل جلست على المقعد الموضوع بجانب
المرأة ، ونظرت الىّ وبين شففتيها ابتسامة مرتعشة ، وقالت :

— اسمعى يا نوجا .. أنا تعبت خلاص .. ما بقاش فى ..
كبرت يا بنتى واتهديت .. ومن هنا ورايح انتى ست البيت ..
انتى اللى تمسكى كل حاجه .. و ..

وقاطعتها فى لهفة حقيقية :

ثم بسرعة .. أخذت تمزق باقى الورقة فى عصبية قطعاً
صغيرة .

مزقتها قبل أن يقرأها احد ..

ربما كانت ورقة بيضاء ..

من يدري ..

وأنا أنظر اليها فى دهشة .. وشك .. أخاف أن أصدقها ..

وهى واقفة منتصبه كعود الخشب الذى نخره السوس ،
وعيناها تطلان من خلال وجهها المكرمش وفيهما نظرات ضعيفة
مستسلمة ..

وقمت وألقيت نفسى بين ذراعيها ..

وبقيت ..

وأحسست بها تبكى معى ..

انى أحس عندما أرى ماما عزيزة تبكى ، كأنى أرى جبلا من
الصخر يذوب ! ..

عدت الى البيت ..

انى غريبة فى كل بيت الا فى هذا البيت .. انى غريبة حتى

فى بيت أمى الحقيقية وبين أخواتى .. اما هنا .. فانى فى بيتى

.. سربرى .. دولابى .. مرأتى .. شبشبى .. لقد أحسست

عندما وضعت قدمى داخل شبشبى ، انى وضعتيها فى مكانها ..

واستقبلنى أبى كأن الحياة ردت اليه .. التمعت عيناه المطفأتان

.. وانتعشت وجنتاه الذابلتان .. ومد ذراعه السليمة الىّ ،

وخيل الىّ أن ذراعه المشلولة كاد تتحرك .. وانطلقت همهمات

فرحة من نحت لسانه المتحجر ، كأنها زغاريد مخنوقة ..

والقيت نفسى على صدره ، وأنا أردد :

— أنا آسفه يا بابا .. آسفه .. سامحنى ..

قلت وأنا أقترب منها وأحيطها بذراعى :

— علشان خاطرى يا ماما .. اخص عليكى ..
ما وحشتكيش! ...

وَضَمْتِى إِلَى صَدْرَهَا فِى حَنَانٍ ، وَدُمُوعَهَا تَطَلُّ مِنْ عَيْنَيْهَا ،
وَقَالَتْ فِى صَوْتٍ مَبْهُورٍ :

— رَمَسْتِنِىَ يَا حَبِيبَتِى .. وَحَشْتِنِىَ قَوَى ..

وَخِيلَ إِلَى لِحْظَتِهَا أَنَّ وَجْهَهَا الْمَكْرَمِش .. قَدْ انْفَرَدَ .. وَاشْتَع
بُورَ الْحَنَانِ .. نُورَ الْأُومَةِ ..

وَنِمْتَ لَيْلَتَهَا بَيْنَ ذُرَاعَيْهَا ..

نَمْتَ مَلءَ جَفُونِى ..

كَأَنِّى لَمْ أَنْمِ طَوَالَ الْخَمْسَةِ وَالْعِشْرِينَ يَوْمًا الَّتِى مَضَتْ .

وَخَطَرْتُ عَلَى خِيَالِى صُورَةَ هَاشِمٍ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ ، وَلَكِنِّى لَمْ أَكْذِبْ
أَهْمُ بِأَنَّ أَفْكَرَ فِيهِ حَتَّى غَلَبَنِى النَّوْمُ .. كَأَنِّى غَبِثْتُ تَحْتَ تَأْتِيرِ الْبَحْجِ
.. كُنْتُ مَتَعِبَةٌ .. أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ مِنَ التَّعَبِ مَرَّتْ بِى ..

وَاسْتَيْقَظْتُ فِى الصَّبَاحِ ، وَاسْتَيْقَظْتُ مَعِى صُورَةَ هَاشِمِ
الرَّاقِدَةَ فِى خِيَالِى ..

وَدَخَلْتُ الْحَمَامَ وَاسْتَلْقَيْتُ فِى الْبَانِيو .. وَحَاوَلْتُ أَنْ أَرْخِى
أَعْصَابِى فِى الْمَاءِ الْفَاتِرِ ، وَأَنَّ أَمْتَعُ بِحَمَامِى ، بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الْأَيَّامِ
الَّتِى كُنْتُ فِيهَا أَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ صَفِيحَةِ الْغَلِيَّةِ .. وَلَكِنِّى لَمْ أَسْتَطِعْ ..
لَمْ أَحْسِ بِحَلَاوَةِ الْمَاءِ الْفَاتِرِ .. كَانَ كُلُّ فِكْرِى مُنْطَلِقًا وَرَاءَ هَاشِمِ
.. وَكُلُّ أَعْصَابِى مُشْدُودَةٌ إِلَيْهِ ..

أَنَّ هَاشِمَ لَا يَعْلَمُ حَتَّى الْآنَ أَنِّى عَدْتُ إِلَى بَيْتِ شَارِعِ الْهَرَمِ ..
لَمْ أَتَّصِلْ بِهِ لِأَقُولَ لَهُ مَا حَدَثَ ؟

لَمْ أَتَّصِلْ بِهِ بَعْدَمَا رَأَيْتَهُ يَخْرُجُ مِنَ الشُّقَّةِ وَرَاءَ فُتَاةٍ أُخْرَى !؟ ..

— مَا تَقُولِيشْ كَدَه يَا مَامَا .. أَنْتِ الْخَيْرُ وَالْبِرْكَةُ .. وَ ..
وَقَاطِعْنِى هِىَ الْآخِرَى :

— سَبِيبِنِى أَكْمَلْ يَا حَبِيبَتِى .. شَتُوفِى .. أَنَا مُحُوشِنَه تَلَاتِ
الْأَفْ جَنِيَه .. وَأَدَى أَنْتِ عَارِفَه إِيرَادِ الْأَرْضِ وَإِيرَادِ الْبَيْتِ ..
وَمَعَاشِ أَبُوْكَى .. وَالصَّيْفَه بِقَاعَتِكَ وَبِتَاعَتِى .. وَاتَّصِرْفِى أَنْتِ
بِأَهْ .. أَنْتِ حَاتِمَسْكَى الْمَصْرُوفِ .. مَا لَيْشْ دَعُوَه بِحَاجَه ..
عَيْشِينَا زَى مَا أَنْتِ عَايِزَه .. أَنْتِ كِبْرَتِى وَمَابْقَتِيْشْ صَغِيرَه ..
قَلْتُ :

— أَنْتِ لَسَه زَعْلَانَه مَنِى يَا مَامَا ؟

قَالَتْ وَهَى تَخْفَى عَيْنَيْهَا عَنِى :

— أَدَايَا نُوْجَا .. بَسْ أَنَا كُنْتُ بِاتَّصِرْفِ عَلَى أَنَّكَ لَسَه صَغِيرَه
.. الْبِنْتُ يَا نُوْجَا عَمْرَهَا مَا بَتَكْبَرُ فِى عَيْنِ أُمِّهَا .. مَا كُنْتُشْ قَادِرَه
أَحْسِ أَنْ بَاهُ عِنْدَكَ وَاحِدَ وَعِشْرِينَ سَنَه .. أَنَا الَّتِى كُنْتُ غَلْطَانَه ..
قَلْتُ وَأَنَا أَقْتَرِبُ مِنْهَا :

— لَا يَا مَامَا .. مَا حَدَثْ فِينَا كَانَ غَلْطَانِ .. الَّتِى حَصَلَ
حَصَلَ .. وَأَنَا أَسْفَهَ الَّتِى زَعْلَتِكَ .. وَمِنْ هُنَا وَرَايْحُ نَبْتَدَى مِنْ
أَوَّلِ وَجْدِيدِ .. وَكُلُّ حَاجَه حَاتِبَقَى حَلُوَه ..
قَالَتْ :

— بِإِذْنِ اللَّهِ يَا بِنْتِى ..

ثُمَّ تَنَهَّدَتْ وَاسْتَطْرَدَتْ قَائِلَةً وَهَى تَقُومُ مِنْ عَلَى مَقْعَدِهَا :

— أَمَا أَقُومُ أَنَا بِأَهْ ..

قَلْتُ فِى جَزَعٍ :

— مِشْ حَاتِنَامِى جَنِبِى ؟

قَالَتْ كَأَنَّهَا عَاشِقٌ يَتَدَلَّلُ :

— لَا .. حَا أَنَامُ جَنْبَ أَبُوْكَى ..

قالت وهى لا تنظر الى :

— عبد الفتاح بيه بقاله مده بيضرب تليفون .. و ..

قلت أقاطعها :

— وما قتلش ليه ؟

قالت وهى تجلس على المقعد من ضعفها :

— خفت منك ..

قلت :

— وعايز ايه ؟

قالت :

— عايز يشوفك . وحلف لى مش عايز حاجه الا انه يشوفك ،

ويتكلم معاكى كلمتين ..

قلت :

— ورايك ايه ؟

قالت وهى ننظر الى نظرة سريعة ثم تعود وتخبىء عينيها

عنى :

— راين رأيك .. انا قلت له انى دلوقتى سايبالك كل حاجه ..

قلت وأنا ازم شفتى كانى استجمع بينهما كل قوتى :

— لما يتكلم تانى ابقى قولى له ينفصل ..

وجاء عبد الفتاح فى اليوم التالى ..

واستقبلته فى الصالون كاي ضيف .

وجهه الأزرق الصلد ، قد لان وخفت زرقته .. وعيناه

الحازمتان الجشعتان تبدو فيهما الطيبة وقد غلبت الجشع ..

وابتسامته الذكية الخبيثة تبدو مستسلمة مسكينة .. وقام واقفا

يصفحنى وبنظر فى وجهى يعينين تلفتين .. لم يضغط على يدي

وهو يصفحنى .. بل لم يبق يدي فى يده اكثر من اللازم ..

ونظرت اليه بكل عينى .. قوية .. عنقى مفروود يتباهى

رأسى ..

وقال زهو ينظر بين يديه وكأنه لا يدري من أين يبدأ الكلام :

— عزيزه هانم قالت لى انك قدمتى فى الجامعه ..

قلت :

— ايوه .. كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ..

قال :

— ما كنتى دخلتى كلية التجارة .. مستقبلها اضمن واوسع ..

قلت كانى اتحداه :

— لا .. انا فضلت كلية الاقتصاد .

وضحك ضحكة صغيرة وقال :

— انا كنت عايز آخذك معايا فى الشركة .. تبقى مديره

حسابات ..

قلت :

— مرسى ..

ونظر الى كأنه دهش من شخصيتى الجديدة .. واستمر

حديثا عن الجامعة .. وأمى تشترك معنا .. الى أن أصبح

حديثا فارغا ، نعيد فيه وفكر .. وكل منا يحس بالحرج ،

والسخافة .. كل منا يحس أن هناك شيئا آخر يجب أن نتحدث

فيه ..

الى أن نظر عبد الفتاح الى أمى وقال لها فى رقة مفتعلة :

— تسمحنى تسيبىنى أنا ونجوى شويه يا عزيزه هانم ..

ونظرت الى أمى كأنها تسألنى رأى .

وقلت وأنا اعتدل فى جلستى كانى أستعد لمعركة :

دلها .. أنا عرفت ستات كثير ، انما ما حببش الا انتى .. أنا كنت
ساحبك يا نوجا .. ولسه باحبك ..

ونظرت اليه كأنى حائرة فيه ، ثم قلت وأنا استجمع ارادتى
بشى لا أشفق عليه :

— أظن كل ده انتهى .. والكلام ده ما بقالوش لازمه دلوقتى ..
وعاد ينظر الىّ فى لوم ، وقال فى صوت محشرج :

— اللى فاضل بيننا هو انى أشوفك سعيده .. واشوفك
تاجحه .. تأكدى ان الحاجه الوحيده اللى ممكن تخفف عنى انى
أشوفك سعيده ..
وصدقته ..

لا ادرى لماذا .. ولكنى صدقته ..
وقلت وقد خفت حدنى :

— باذن الله حاكون سعيده .. وانجح ..
قال وهو بيتسم بتسامة صغيرة طيبة :

— انتى كنتى بتنادينى يا عمى .. وكل اللى أنا عايزه منك انك
تعتبرينى عمك فعلا .. عمك بصحيح .. وانتى عارفه ان
بإياك عيان .. ومامتك كبرت وتعبت .. ولازم يبقى جنبكم راجل
تعتمدوا عليه .. وكل اللى أنا عوزه انى أبقى أنا الراجل ده ..
أبقى عمك .. ومسئول عنكم ..
قلت ؟

— مرمى يا عمى .. على كل حال أنا اشنعت ماما بأننا نعيش
على قدنا .. وايرادنا يكفى اننا نعيش كويس ..
قال ؟

— أنا ما بتكلمش عن الفلوس بس .. أنا باتكلم عن كل
حاجه .. بشن كثير عليكى انك تعتبرينى عمك ..

— انت عارف انى ما بخبيش حاجه على ماما يا عمى ..
وضغطت على لفظ « عمى » كأنى أعتيه وأصر عليه ..
وقال عبد الفتاح :

— عارف .. بس .. أصلى ..
وسكت دون ن يتم ..

واحسست كأنى أشفق عليه .. وقلت لأمى :
— طيب سيبينا شويه يا ماما .

ونظرت الىّ أمى فى دهشة ، ثم نظرت الى عبد الفتاح ، ثم
قالت تلتمس لنفسها عذرا :

— أما أقوم أشوف أبوكى ، يمكن عايز حاجه ..
وقامت تجر قدميها .. وتمشى فى تعب ..
وخرجت ..

وقال عبد الفتاح وراسه مدلى فوق صدره ، وعيناه معلقتان
فوق سجادة حجرة الصالون ، ويفرك احدى يديه بالأخرى :

— أنا عارف ان كل اللى بيننا انتهى ..
قلت وأنا جالسة متحفزة :
— فعلا ..
قال :

— بس فاضل حاجات كثير لازم تفضل بينا ..
قلت فى قسوة :
— زى ايه ؟

ونظر الىّ كأنه يلومنى على قسوتى ، وقال :

— انتى ما كنتيش اى واحده بالنسبة لى يا نجوى .. لو كنتى
اى واحده ما كنتش عملت لك كل ده ، ولا فضلت معاكى المده دى

قلت :

— أبدا .. مش كثير .. أنا حا اعتبرك عمى فعلا ..

قال فى حماس وابتناسمته تتسع :

— ما هو لازم تعرفنى انى كرجل أعمال يهمنى ان كل حاجه ادخل فيها تنجح .. وأنا دخلت عيلتكم ولازم اطمئن انها عيله ناجحه .. وعيلتكم يعنى انتى . انتى لازم تنجحى يا نوجا .. لازم تنجحى فى أى حاجه تعملها .. اذا انجوزتى لازم تنجحى .. اذا دخلتى الجامعه لازم تنجحى .. مش معنى ان علاقتنا اتغيرت انى مش عايذك تنجحى .. أبدا .. زى المصنع بتاعى بعد ما اتأمم ، لسه باتمنى له النجاح .. والحكومہ شغلتنى فيه علشان أنجحه .. انتى كمان بافتراض انك اتأمتى .. انها برضه لازم أكون مسئول عن نجاحك .

قلت زانا اضحك :

— بأه أنا زى المصنع يا عمى ؟ ! ..

قال فى صوت ينبض بالصدق :

— المصنع وانتى ، الحاجتين اللى حبيتهم فى حياتى ..

ثم استترد كأنه نسى شيئا :

— واولادى ..

ولم أدر ماذا أقول .. ولكنى قلت وأنا لا انظر اليه :

— اطمئن يا عمى .. حاجج ..

وقال وهو ينظر الى كأنه يتوسل :

— اذا كنتى اعتبرتى اللى فات غلط ، فعذرى انى كنت

فاهم الحياه كده .. وكنت فاهم ان الحب كده .. واذا اختلفنا فى

الفهم فمش معنى كده انى وحش .. أنا مش وحش يا نوجا .

تأكدى انى مش راجل وحش ..

٣٥٢

قلت فى صوت خفيض :

— اذا كان اللى فات غلط ، فهى غلطتنا كلنا ..

ونظر الى بعينين حائنين نطلان من خلال وجهه الأزرق :

— خلاص حا تعبيرينى عمك ؟

قلت :

— خلاص ..

قال :

— وحاتقوليلى لو عرفتى حاجه ؟

قلت :

— باذن الله ..

وقام واقفا وقال وهو يتنهد كأنه أزاح عن صدره عبئا :

— أقوم أنا بأه ..

ثم اتترب منى ، ومد يده يصافحنى ..

وأبقى يدي فى يده ..

وخيل الى أنه يحاول أن يقترب أكثر ..

لخيل الى أنه يهم أن يقبلنى ..

وابتعدت خطوة الى الوراء .. ووقفت أمامه منتصبه القامة

ورأسى مرفوع .. نظراتى ثابتة .. وسحبت يدي من يده ..

وطافت لمسة حمراء على وجنتيه .. وقال كأنه يدارى ارتباكاه :

— هى مين عزيزه هانم ؟ !

وجاءت أمى ..

وودعناه حتى الباب ..

وقد صدقت عبد الفتاح .. صدقت أنه يجبى .. صدقت

أنه مخلص فى عرض صداقته على .. ولكن داهمنى احساس

جارف بالخوف .. خفت اليوم الذى أحتاج فيه اليه .. الى نقوده

٣٥٢

(أنف وثلاث عيون — ج ٢)

وبدأنا فعلا نبحث عن شقة صغيرة ، قريبة من الجامعة .
 وفى يوم .. خرجت من البيت لزيارة صديقة لى ، تسكن أيضا
 فى شارع الهرم .. قريبة من بيتنا .. كنت ذاهبة اليها على
 تدمى لا فى السيارة .. وما كدت أخطو فى شارع الهرم حتى
 لمحت هاشم يقود سيارته فى بطء .. وبجانبه فتاة .. وتحولت
 عيناي بسرعة الى وجه الفتاة .. انها جميلة جمالا لم أر مثله
 من قبل .. لعلها ليست مصرية .. وصغيرة .. تبدو أصغر منى
 .. بيضاء وشعرها أسود .. أسود جدا .. تنعكس أشعة
 الشمس عليه فيبرق فيه شعاع أزرق .. وهاشم ملتفت ليها ،
 ويتحدث .. يتحدث فى حماس .. ويشرح بيديه .. وأصابه
 الطويلة الرفيعة تتحرك كأنه يعزف على الهواء لحنا عاطفيا ..
 وغلت دمائي ..

سرت النار حتى أطراف أصابعى ..

وقد كنت طوال هذه الأيام التى امتنعت فيها عن الاتصال
 بهاشم ، أتصوره مع بنات .. وكنت أخفف عن نفسى بمحاولة
 الاقتناع بأنه ليس من حقى أن أغار عليه .. ويكفينى منه أنه
 اعطانى حبا أنقذ حياتى .. ولكن الخيال أرحم من الحقيقة ..
 أستطيع أن أحتمل أن أراه بخيالى مع فتاة أخرى ، ولكنى
 لا أستطيع أن أراه مع فتاة أخرى بعينى .

وحاولت أن أستمر فى طريقي الى بيت صديقتى ..

ولكنى لم أصل أبدا الى بيت صديقتى .. مشيت ..
 ومشيت .. ساهمة ، احترق بنارى فى صمت .. واحاول أن
 أقتنع نفسى .. أن أصبر نفسى .. ولكن النار أقوى من عقلى ..
 تكاد تحرق عقلى .. وأجن ..
 وعدت الى البيت بعد ساعات ..

.. انى أستطيع أن أكون دائما أقوى منه لو ضمنت انى لن أحتاج
 اليه ، يجب ن أقتصد فى نفقات معيشتنا .. يجب أن أهجر هذه
 الفيلا التى نقيم فيها .. وأعود الى ست عزيزة الخياطة ..
 وأستغنى عن السفرجى والسائق .. وأستغنى عن كل هذه
 المظاهر الفارغة .. وأن أعيش فى حدود دخل أبى وامى ..
 وهو دخل يكفينى كى نعيش مستورين .. كأحسن ما تعيش أسرة
 متوسطة ..
 ولكن ..

ماذا يقول الناس .. وماذا تقول صديقتى .. عندما يرينا
 نجاة ، وقد انتقلنا من فيلا فى شارع الهرم ومن حياة باذخة ،
 الى شقة كالثقة التى كنا نقيم فيها فى الجيزة .. ان كلام الناس
 لا يهمنى عندما انتقلت الى شارع الهرم ، ولن يهمنى كلام الناس
 عندما أعود الى الجيزة ..

وبدأت أقتنع أمى بأن ننقل الى شقة متواضعة .. وأن نقتصد
 فى حياتنا .. ولم يكن اقتناعها سهلا .. لقد عاشت طول حياتها
 متعلقة بالمظاهر .. تدعى صلتها بالعائلات الكبيرة .. وتدعى
 انها غنية . وتكذب وتحال حتى تتمكن من أن تطل برأسها على
 الطبقة العليا .. ولم يكن ضعفها أمام عبد الفتاح ، الا ضعفها
 أمام حبا للمظاهر وتطلعائه الطبقي .. ولكنها كانت قد ضعفت
 أمامى .. وكان خوفها من أن تفقدنى مرة ثانية قد جعلها تستسلم
 لى .. ان حياتها معى فى أى مستوى ، أرحم من أن تعيش
 وحيدة فى قصر لست فيه .. أنا حياتها .. أنا ضحكها .. أنا
 كل اهتمامها .. أنا المحور الذى تدور حوله دنياها ودنيا أبى ..
 أنا كل ما بقى لها من معالم الحياة ..
 واقتنعت ..

ووجدت نفسى أرفع سماعه التليفون وأنا ساهمة ، كأن هناك
قوة أكبر منى تحركنى .. وأدرت رقم العيادة ..
وسمعت صوته ..

وقلت فى صوت منهار ..

— أزيك يا هاشم ..

وصرخ بمجرد أن سمع صوتى :

— ايه ده يا نجوى .. الناس قبل ما تسبب بعض مش تقول
مع السلامه .. ولا أورفوار .. تسيبى كده من غير ولا كلمه ..

قلت والنار تنطفىء رويدا رويدا :

— أنا مسبتكش يا هاشم ..

قال فى حدة :

— أمال بقالك أكثر من عشرين يوم ما سالتيش عنى ليه ؟ !
قلت فى هدوء :

— أرسعه وتلاتين يوم ..

قال وهو لا يزال محتدا :

— ولما انتى عداهم ما اتصلتيش بى ليه ؟
قلت :

— ظروفى .. مش عارف كان حاصل لى ايه ؟ !
قال :

— المفروض انك كنت تقولى على اللى بيحصل اول بأول ..
قلت :

— ما قدرتش ..

قال :

— وبتكلمى مئين دلوقتى ؟
قلت :

— أنا رجعت بيتنا .. انما اطمن كل حاجه اتغيرت ..

ومرت برهة صمت .. كأنه يفكر .

ثم عدت أقول له وأنا أحاول الا تبدو فى صوتى ، رعشة
قلبى :

— أنا شففتك النهارده ..

قال فى دهشة :

— فمين ؟

قلت وأنا ابتسم لنفسى ابتسامه مسكينة :

— فى شارع الهرم .

وشحك ضحكة صغيرة ساخرة ، وقال :

— علشان كده بتكلمينى ..

قلت :

— لا .. كان لازم أكلبك من زمان .. كان لازم أعرف ان

مش من حتى انى آخذ قرار لوحدى ..

قال وهو لا يزال ساخرا :

— انتى خدتى قرار ..

قلت وأنا أحاول أن أبدو قوية :

— أيوه ..

قال :

— قررتى ايه ؟

قلت :

— أما أشوفك أقول لك .. أشوفك امتى ؟

وسكت برهة .. ثم قال فى تردد :

— بكره الساعة أربعه ..

قلت :

الرائحة .. الذكريات التي جعلت منى هذه الفتاة القويه ،
وحررتني من العقد .. ومن يدري .. لعل جرح قلبي يندمل يوما ما ..
ان كل الجروح تندمل حتى الجروح العاطفية .. ان من طبيعة
الانسان ان يجدد نفسه .. ويجدد عواطفه .. كل خلايا الانسان
تتجدد بعد ان تذبل .. تولد من جديد .. وسأنتظر الى ان يولد
قلبي من جديد ، وأحب من جديد ، ولن يكون هذه المرة حبا
معقدا ..

وكانت كل هذه الخواطر تطوف براسي وانا أقاوم الانهيار ..
أقاوم لهفتي الى هاشم ، وحاجتي اليه .. وكنت أعلم ان هذه
المقاومة ستستمر طويلا .. وتكلفني جهدا كبيرا .. ولكني كنت
مصممة على الا اضعف .. وكنت واثقة من قوتي .. يجب ان
ابقى قوية ، من أجل نفسي ، ومن أجل هاشم ..
وخرجت اليه في اليوم التالي ..
قلقة عصبية ..

وكانت أمي تعلم اني خارجة للقاء هاشم .. وكانت تنظر
الىّ بعينين منزعجتين فيهما توصل .. كان هاشم في نظرها
غول ، تخشى ان يفترسني !

وهاشم في سيارته .. ينظر الىّ وبين شفثيه ابتسامة صغيرة ..
ويحاول جهده الا تهتز نظرتة ، او ابتسامته .. ووجهه ازداد
نحولا فبدا أكثر نبلا .. كأنه فارس من فرسان الأساطير ..
أنفه أكبر .. وجفونه أكثر انتفاخا .. وشفثاه ابتعدت احدهما
عن الأخرى أكثر .. بل انه يبدو كأنه صغر في سنه منذ تركته
آخر مرة .. لعل الأزمة العاطفية التي مر بها قد أذابت الشحم
عن وجهه فبدا في هذه الصورة النبيلة .. فقط شعره .. أكثر
بياضا ..

— فبين ؟

قال :

— في الشقه ..

قلت :

— لا .. بلاش الشقه .. فوت على قدام البيت .. نقتعد
في العربيه ..

وعاد يسكت برهة ثم قال ساخرا :

— هو ده القرار اللي اتخذيته ؟

قلت :

— أرجوك يا هاشم .. و ..

وقاطعني :

— حاضر .. حا افوت عليكى قدام البيت .. زى زمان !
وقضيت الليل وانا أقاوم الانهيار . كنت أعلم انه لم يعد
لى نصيب في هاشم ..

أو على الأصح .. لم يعد لى مستقبل معه ..

ان أى علاقة يمكن ان تربطني بهاشم اليوم ، لا يمكن الا ان
تكون مغامرة .. انى أحبه .. ولعله لا يزال يحبنى .. ولكن
هذا الحب لم يعد يصلح للحياة .. انه حب غيرنى الى فتاة
أفضل ، ولكنه جعل من هاشم رجلا حائرا ، يشك فيّ ..
ولا يستطيع ان ينسى انى كذبت عليه عاما كاملا .. لا يستطيع
ان يعيش معى .. لا يستطيع ان يفخر ويزهو بى كما كان يفعل .
وانا لا أستطيع ان أقدم على مغامرة جديدة .. لا أستطيع
ان أقلب هذا الحب الكبير الى مجرد مغامرة .. لا أستطيع ..
ولا أستطيع ان ألوم هاشم .. وخير لى ان أحمل هذا الحب
الكبير في صدري .. واجتر ذكرياته في صمت .. ذكرياته الحلوة

ونامت يدي في يده ، لا تريد أن تصحو .. وكل منا ينظر
الى الآخر في صمت .. وخدى وخده يرتعشان بخفقات قلبينا ..
ثم قال وصوته يحشرجه انفجالة :

— يعنى دلوقتى لما احب اشوفك اروح اجيب بنت تانيه
واتمشى بيها قدام بيتكم ، تروحي مكلمانى فى التليفون على
طول ..

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

— ومين اللي اتمشيت بيها امبارح ..

قال وهو ينظر من خلال زجاج السيارة :

— صديقه من لبنان ..

قلت وقلبي بتلوى :

— صديقه بسر ؟ !

قال وهو لا ينظر الى :

— لغاية دلوقتى ..

وسكت برهة ، ثم قلت ورموشى ترتعش فوق عيني :

— اسمها ايه ؟

والتفت الى وهو يضحك ، قائلاً :

— ما اظنك بتغيرى على ..

قلت وأنا أنظر اليه فى لوم :

— ما اغرش عليك ليه ؟

قال :

— لو كنتى بتغيرى على .. ولا بتخافى على .. ما كنتيش
سبتينى لوحدى المده دى كلها .. مهما كانت ظروفك .. ومهما
حصل لك ..

قلت وأنا أنظر فى يدي :

— أنا كنت فاكراه ان الاحسن اننا ما نكلمش بعض ..

قال فى دهشة حقيقية :

— ليه ؟

قلت :

— لانى شفتك قبل كده فى الشقه نازل مع واحده ..

وأرتعشت نظرتة رعشة خفيفة ، وقال :

— امتى .

قلت :

— زمان ومش بس علشان كده ..

قال :

— أمال علشان ايه كمان ..

قلت :

— لانك مره قلت لى ان الحل الوحيد لنا اننا نبتدى نعرف

بعض من جديد .. ولما فكرت ، لقيت ان مش ممكن نعرف بعض

من جديد .. ما نقدرش ننسى اللي فات .. ولكن اللي حا يحصل

انك حا تبتدى تعاملدى بشكل جديد .. وخايفه يبجى يوم تفقد

احترامك لى .. زى ما فقدت احترامك الامينه .. وانت قلت

لى ان مافيش حب كامل من غير احترام ..

وقال هاشم كأنه يعتذر :

— انتى حاجه تانيه.يا نجوى ..

قلت وأنا أنظر اليه بكل عيني :

— أنا عارفه اننا مش حانتجوز يا هاشم .. حتى لو حبيت

انك تتجوزنى ، أنا مش حارضى .. لأن جوازى حايعذبك .. مهما

حبيتنى حاتفضل طول عمرك حاسس بالندم .. حاتفضل طول

عمرک تتمنى لو كنت حبيبت واحده ثانيه ، واحده ما عملتتش اللي عملته ..

قال فى صوت خفيض :

— انا اجلت التفكير فى الجواز .. و ..

قلت اقاطعه :

— بشر معنى كده انى ما استاهلش انى اتجوزك .. انا

بقيت كويسه .. وحافضل كويسه ..

قال وهو ينظر الى حنان :

— انا عارف انك كويسه .. واحسن من بنات كتير

ما عملوش اللي انتى عملنيه .. انها انا اتصدمت .. وباحاول

افوق من الصدمه ، مش قادر .. لغاية دلوقت مش قادر ..

مش قادر اقول لك حاجه .. ومش قادر اوعدك بحاجه .. انها

مهما حصل لازم تفضل حاجه بيننا ..

قلت :

— ايه ؟

قال :

— نفضل اصدقاء ..

قلت :

— يا ترى نقدر نبقى اصدقاء .. متهيالى ان اسهل نحاول

ننسى ..

قال :

— لا .. لازم افضل فى حياتك ، ولازم تفضلنى فى حياتى

.. مش ضرورى نشوف بعض .. انها لازم كل واحد فينا يبقى

مطمئن على التانى ..

ولم ارد ..

سرحت احوال ان اتصور كيف يمكن ان نكون اصدقاء ..
وجرد اصدقاء بعد كل هذا الحب الكبير ..

وقلت وانا لازلت سارحة :

— ما قتلتيش .. اسم اللي كانت معاك امبارح ايه ؟

قال ضاحكا :

— ليه .. عايزه تعرفى اسمها ليه ؟

قلت :

— احنا مش اصدقاء !!

وقال وآثار ضحكته بين شفقيه :

— اسمها رحاب ..

قلت وانا اکتّم شيئاً يكاد ينفجر فى صدرى :

— اسم غريب .. انها حلو .. وهى حلوه .. وصيفه

شعرها جنان .. لازم صبغاه فى لبنان ..

قال فى دهشة :

— شعرها مصبوغ ؟

قلت :

— طبعا .. باه فيه لون اسود طبيعى بالشكل ده .. وتبقى

دكتور قد الدنيا وما تعرفش الشعر المصبوغ من الشعر

الطبيعى ..

قال فى ثقة :

— لا .. شعرها مش مصبوغ .. لسه ما لحقتش تصبغه ..

اغتظت من هذه الثقة التى يتحدث بها .. لقد أصبح يصدقها

اكثر مما يصدقنى .. وقلت فى حدة انطلقت رغم انفى :

— ابقى اسألها ..

قال :

— حاضر .. حاسألها ..

ونظرت الى وجهه كائى اودع كل قطعة منه .. اودع انفه الكبير .. واودع عينيه المنتفختين .. واودع شفثيه المنفرجتين .. ثم قلت فى همس :

— بتحبها ؟

قال :

— ما اعرفش .. انا مش عارف حاجه ابدا اليومين دول .. مش عارف باتصرف ازاي .. وياتصرف كده ليه .. مش مستقر .. ما فيش حاجه فى حياتى مستقرة .. حتى شغلى .. مش قادر ارجع اأستغل زى ما كنت ..

قلت وقلبي ملهوف عليه .. احس كأنه ابنى :

— انا اتمنى انك تحبها ..

قال :

— ايه ؟

قلت :

— لانك محتاج تحب من جديد .. ولانها حلوه .. ولايقه عليك ..

قال فى دهشة :

— لايقه على ازاي ؟

قلت :

— ما اعرفش .. جاسه انها لايقه عليك .. وضحك قائلا :

— اأختى كانت بتقول انك لايقه على ..

قلت وأنا اأشاركه ضحكته :

— رحاب كمان لايقه عليك ..

.. وسكتنا ..

وعلى شفثى كل منا ابتسامه يحاول أن يضمدها جراحه .. وعاد بى الى البيت .. وانحنى قبل أن أنزل من السيارة ، ولمس خدى بشفثيه .. ونظرت اليه بعينين مبهورتين .. ثم انحدفت على صدره ، وضمته الى صدرى .. ضمته بكل لهفتى ، بكل حاجتى اليه ، بكل حرمانى منه .. ورفعته اليه شفثى .. وغبنا فى قبلة طويلة .. لا تريد أن تنتهى .. شفاهنا لا تعترف بالمنطق الذى حكم علينا بالانراق ..

وكانت قبلتنا الأخيرة ..

وهمس وأنا أنزل من السيارة :

— حاتكلمينى فى التليفون ؟

ونظرت اليه فى تردد ..

وعاد يهمس :

— احنا مش اتفقنا نكون أصدقاء ..

وهزرت رأسى بالايجاب ..

وجريت الى داخل البيت ..

ولم نلتق بعد هذا اليوم ..

ولكنى كنت احادثه فى التليفون ، فى فترات متباعدة .. وكان يحدثنى عن رحاب بلا تفاصيل .. وكنت أخاف أن أسأله عن التفاصيل حتى لا تجرحنى .. وكان هناك دائما شىء يشد أحننا الى الآخر .. وكان كل منا يقاوم هذا الشىء .. كل منا يقاوم حتى لا يجرى نحو الآخر ..

وقال لى مرة :

— اسمعى يا نجوى .. اذا طلبت إنك تقابلينى ابقى ارفضى

.. وانتى اذا طلبتى انك تشوفينى انا حارفض .. موافقه ؟ !

الى أن جاء هاشم فمنحنى هذا الحب .. الحب الذى اقتنعت به .. وعندما اقتنعت بالحب ، استعدت قوتى .. قوة شخصيتى .. واستطعت أن أختار الطريق ..
ان هاشم رائع ..
مدهش ..

انه الرجل فى اكمل صورته ..
وانا طالبة فى الجامعة .. وبظلة فرقة التمثيل فى الكلية .. ومندوبة النشاط الاجتماعى .. وزملاى وزميلاتى يحبونى .. اننا نقضى معا أوقاتا سعيدة .. ضاحكة .. حلوة .. ولكنى أعفيت من التدريب العسكرى .. لأنى لا زلت أخاف على قلبى .. أحيانا كثيرة أهم بأن أستغنى عن قلبى ، وأشترك فى التدريب العسكرى .

وقد بجحت هذا العام بتفوق ..
وابراهيم نجح أيضا ..
من هو ابراهيم ؟!
هذه قصة أخرى ..

قلت :

— موافقه ..

قال :

— طيب حاشوفك امتى ؟

قلت بسرعة :

— تعال دلوقتى ..

وضحكنا نحن الاثنين .. ولم نلتق .. وانا هادئة .. مؤمنة بالحب ..

ان الحب هو الذى أنقذنى .. هو الذى حول حياتى .. هو الذى فتح لى ابواب الجامعة .. هو الذى رفع رأسى ، وأشاع فى عمرى النور ، والاستقرار .. انى أصبحت أؤمن أن كل حياتى كانت حبا . حتى أخطائى كانت أخطاء الحب .. كل ما هنالك أن الذين أحبونى ، أحبنى كل منهم حسب عقليته .. أمى الحقيقية أحبتنى فأعطتنى لأختها حتى تبعدنى عن الفقر الذى نعيش فيه .. وأمى الثانية أحبتنى فجاءت لى بعد الفتح ليوفر لى الحياة التى كانت تتمناها لى .. وعبد الفتح أحبنى . والحب كما يفهمه هو شراء .. وعادل أحبنى وجعل منى امرأة لأنه أراد أن ينزوجنى .. كلهم أحبونى .. حبا صادقا حقيقيا .. لم يتعمد أحد منهم ايدائى .. لم يتعمد أحد منهم أن يتعسنى .. كل ما هنالك أنى كنت ضعيفة .. ضعيفة الشخصية .. فلم أستطع أن أختار نوع الحب الذى أريده .. ان الحياة كلها حب .. كل طريق فيها مفروش بالحب .. والمهم أن أختار الطريق الذى أريده .. الذى اقتنع به .. الذى يؤدى بى الى مكان أستريح فيه .

العين الثالثة

- ١ -

أنا رحاب ..

أصدقائي يدعونني « روللى » .. وأحيانا ، « رو » ..
ولا أدري ما الذى جاء بى الى القاهرة .. قبلها بأسبوع
واحد كنت أستعد للسفر الى لندن .. فصديقتى هند تقيم هناك
وأنا أحب صديقتى هند .. وكنت أعتقد أنى أحبها الى حد أن
أحتفل برد لندن وضبابها .. ولكنى بدأت أحس ، كلما اقترب
موعد سفرى ، ببرد لندن فى عروقي وضبابها يملا عيني ..
انى أكره البرد والضباب ، أكرههما أكثر مما أحب صديقتى
هند .

وكان يجب أن أترك بيروت ..

أصبحت بيروت تقزنى .. كل شيء فيها يقزنى .. بناتها
وأولادها .. وشوارعها .. وبحرها .. والجبال التى تطل
عليها .. ودكاكين سوق الطويلة « والستاركو » .. وضحكاتنا
الغليظة .. وقسوتها .. وسياراتنا .. ودموعنا .. ولبيراتنا ..
أصبحت كلما لمست ليرة أحس كأنى المس شيئا لزجا مقززا كبطن
السحلية .. والملل والزهق يخنقانى .. أحس أنى أدور حول
نفسى .. وأدور .. وأدور .. وينتابنى صداع عنيف .. الف ،
مطرقة تضرب على رأسى .. وأحس سالاختناق .. تنحبس الدماء

قلت :

— سأكتب لها .. اننا لا نختلفَ عندما نتراسل ، ولكننا نختلف كثيرا عندما نلتقى ..

قال :

— ولكننا حجزنا لك هناك .. وحولنا لك الليرات ..

قلت :

— انغ الحجز والتحويل ..

ونظر في رجهى كأنه يبحث عن حقيقتى . ثم قال :

— لماذا القاهرة !

قلت :

— هيكَ بلا سبب ..

قال وهو يضحك :

— أخشى عليك من الشباب هناك .. انهم ملاعين ..

قلت فى عصبية :

— اف .. انك تحدثنى كأنى صرصاره .. بنتك يا حاج عبد

الرحمن لا يخاف عليها من الشباب فى أى مكان ..

وضحك ضحكة كبيرة ..

انه يثق فى .. طول عمره يثق فى رغم كل نزواتى التى

ضجت منها بيروت ..

وقال وكرشه الكبير لا يزال يهتز بضحكته :

— أقصد .. انى أخشى على شباب القاهرة منك .. انهم

عرب منسومون ، وحرام ان نرسل اليهم شيطانه مثلك .

وقلت وأنا اناظهر بالزهق تدللا عليه :

— خلصنى .. ما رأيك ؟

وفكر برهة ، ثم قال :

فى عروق رقبتي .. ويزدرد وجهى .. وأسقط .. كانت تتنابنى فعلا هذه النوبات ..

وكان يجب ان اترك بيروت هربا من الزهق والملل ونوبات الاختناق ..

الى لندن ..

وقد اخترت لندن من أجل صديقتى هند ، ولكن هذا الاحساس بالخوف من البرد والضباب ظل يلزمنى .. الى ان صحوت ذات

صباح ، وقد قررت ان اسافر الى القاهرة بدلا من لندن .. لا أدري لماذا القاهرة .. ربما لأحتمى فيها من برد لندن وضبابها

.. فلم يكن هناك أى شىء يغربنى بالقاهرة .. لم يكون يربطنى بها شىء .. ليس لى فيها اصدقاء .. ولست من هواة الآثار

.. لا أريد ان أرى الاهرام ولا أبو الهول .. ولا أفهم شيئا فى السياسة حتى ادعى انى اخترت القاهرة ايمانا بالوحدة

العربية .. أبدا .. ولكنى اخترت القاهرة والسلام .. كما أختار قماش ثوبى فى لحظة من لحظات الزهق ..

وذهبت الى أبى قبل ان يخرج الى عمله ، وقلت كأنى أنطق بكلمة القدر :

— سأذهب الى القاهرة ..

وكان أبى قد تعود على نزواتى .. لم يعد شىء منى يدهشة

.. فابتسم لى ابتسامته الحلوة الهادئة .. وقال :

— ولندن ؟

قلت :

— ضباب وبرد ..

قال :

— وصديقتك !

— عائلة محيي الدين لا تزال تقبم هناك .. تستطيعين ان
تقيمي عندهم .. انهم انساباؤنا كما تعلمين .. والرجل لا يزال
مدينا لى بعشرة آلاف ليرة ..

وقفرت جالسة على ركبته وقبلته على خده ، وصحت :

— انت أعظم أب يا حاج عبد الرحمن .. بتجنن ..

وارتعشت وجنتاه من فرط سعادته .. ان اللحظات التى أدلله
فيها هى دائها أسعد لحظات عمره .. انه يحبني .. يحبني
أكثر من كل أولاده وبناته .. فأنا أجمل البنات .. واذكاهن ..
وأصغرهن .. لا .. لقد كذبت .. لست أصغر البنات .. لى
أخت أصغر منى ، ولكنى لا أحب ذكرها .. لا أحب أن تكون لى
أخت أصغر منى .. لا أحب أن اكون أبدا فى الوسط .. وسط
أى شىء .. الوسط ليس له لون ، ولا طعم ، ولا شخصية ..
الوسط ليس صفة .. أبدا ليس صفة يستطيع الانسان أن
يتصف بها ويحدد بها شخصيته .. ان الشخصية تجدها فى
القامة .. قمة أى شىء .. قمة الذكاء أو قمة الغباء .. قمة
الفوضى أو قمة التبع .. قمة السعادة أو قمة الشقاء .. بل انى
وجدت أن كل هذه الصفات تلتقى كلها فى قمة واحدة .. ان
الأحاسيس البشرية كالجبل الضخم ، تتباعد جوانبه عند السفح
.. فتجد الاحساس بالسعادة فى جانب والاحساس بالشقاء فى
جانب آخر .. والاحساس بالذكاء فى جانب والاحساس بالغباء
فى جانب آخر .. والجنون فى جانب والهدوء فى جانب .. و ..
وكلما ارتفع الجبل ، اقتربت هذه الأحاسيس بعضها من بعض ،
الى أن تلتقى كلها عند القمة .. ولانى أعيش دائما فى القمة ..
فانى أحس بكل هذه الأحاسيس فى لحظات متتالية سريعة ..
سعيدة فى لحظة ، وشقية فى اللحظة التالية .. مجنونة فى

لحظة ، وهادئة فى لحظة .. ذكية فى لحظة .. وغيبية فى لحظة
.. ان حباتى ليست سنوات ولا شهورا ولا أياما .. انها لحظات
.. حتى مظهرى الخارجى يتغير بين لحظة وأخرى .. ويحترق
فيه أهل بيروت .. فى لحظة أخرج اليهم وأنا البس البنطلون
والبلوز ، وحذاء بلا كعب .. وشعرى الأسود يسيل فوق عيني
.. كأنى صورة من مجلة « ال » .. ثم أذهب الى مقهى
الدوليشيغيتا ، وأجلس بين الشبان ، وأشعل سيجارة أضعها
فى فم أسود طويل ، وأتصرف كأنى فتاة وجودية من فتيات
الحى اللاتينى فى باريس .. ثم فجأة أقفز وأرتدى ثوبا من
الأورجانز المنفوش ، وأضع فى قدمى حذاء عاليا ، وألم شعرى
الأسود الى الخلف ، وأضع فوق رأسى تاجا محلى بفصوص
اللؤلؤ .. فأبدؤ كأنى الملكة اليزابث ، ثم أدعو بعض صديقاتى ،
ونذهب ونجلس فى فندق فينيسيا ، نتناول عصير البرتقال ..
فى هدوء واتزان ..

انى دائما هكذا .. فى القمة .. قمة الاحساس .. والواقع
ان أحاسيسى هى التى تحكمنى .. لا شىء يهكن أن يحكمنى أبدا
الا أحاسيسى .. ولا أحد يستطيع أن يحكمنى .. لا أبى ، ولا أمى ،
ولا أختى .. فقط أحاسيسى .. انى اعتبر ان أى تصرف لا ينبع
من الاحساس ، هو نفاق ، أو جبن .. وأنا لا أوافق حتى الله ..
انما الصلة بينى وبين الله تحكمتها أحاسيسى أنا .. فى لحظة
أضع مصحفى الذهبى على صدرى ، وفى لحظة أخرى أرفعه
بلا سبب الا لانى أحس فى لحظة بالله ، وفى لحظة أخرى
لا أحس به ..

والانى مستسلمة دائما لأحاسيسى ، فانى أعجز أحيانا كثيرة
عن تبرير تصرفاتى .. لانى فى أحيان أعجز عن فهم أحاسيسى

.. وأعجز عن التعبير عنها حتى لو فهمتها .. منذ متى وأنا
مستسلمة لأحاسيسي ؟

ربما منذ ولدت ..

وأذكر وأنا فى السابعة من عمري ، وكنا نقضى شهور
الصيف فى « ضهور الشوير » أن استيقظت من نومى فى
الصباح ، وقلت لأمى انى ذاهبة فى رحلة .. وطلبت منها أن
تعد لى طعاما لآخذه معى فى رحلتى .. ودهشت أمى .. وحاولت
أن تعرف منى الى أين أذهب ، ومع من .. ولكنى لم أستطع أن
أجيبها .. لم أستطع ، لأنى أنا نفسى لم أكن أعلم أين أذهب ولا مع
من .. ولكنى فقط كنت أحس بأنى ذاهبة فى رحلة .. احساسا
قويا عنيما يملكنى كلى .. وعندما عارضتني أمى وأصرت على
الآ أخرج من البيت تملكتنى هذه النوبة اللعينة ، نوبة الاختناق
.. كأن احساسى حاكم مجنون يخفنى اذا لم أخضع له .. ولم
أستطع أن أفيق من النوبة ، الا بعد أن أعدت لى أمى الطعام
الذى طلبته ووضعته لى فى سبت الرحلات ، ثم تركتنى أخرج
بعد أن أوصلت سائق سيارتنا بأن يتبعنى .. ولكنى لم أخرج
الى الشارع .. بل خرجت الى حديقة البيت الواسعة .. لم
أكن أعلم الا لحظتها انى خارجة الى حديقة البيت .. وفى الركن
البعيد من الحديقة .. خلف الأشجار التى تخفى البيت ، جلست
من الساعة التاسعة وسبت الرحلات بجانبى .. جئت من
الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء ..
وحدى !!

ماذا أفعل !!

كنت أتحدث الى النمل الأسود الكبير .. خيل الى يومها
انى ملكة النمل .. وأخذت أحكم رعينى .. أحكم على بعضها

بالموت .. وأمنح البعض الحياة .. كنت أزيح بكفى الصغيرة
فريقا من النمل .. وأصرخ فيه : انت، تموت .. ثم أدفنه تحت
التراب .. وأشير الى فريق آخر ، وأصيح : انت تعيش ..
وأتركه يسعى .. ثم يخيلى الى أن الفريق الذى حكمت عليه
بالموت مظلوم ، فأنبش التراب لأعيده الى الحياة ، ولكنى لا أجد
.. فأبكى .. وتقرب منى نملة كبيرة ، ويخيل الى انى أسمعها
تحدثنى .. فأعود أبتسم .. وأضحك !!

بقيت هكذا حتى الساعة السادسة ، دون أن يحاول أحد
من أهلى أن يقترب منى .. كل منهم يخاف أن تعاودنى النوبة
لو حاول أن يعيدنى الى البيت .. الى أن عدت وحدى ، أحمل
سبت الطعام ، كأنى عائدة فعلا من رحلة .. واستقبلتنى أمى
وهى تبتسم لى قائلة :

— هل تمتعت برحلتك ؟

وأجبتها فى بساطة :

— لماذا تكذبين .. انت تعلمين انى لم أكن فى رحلة .. تعلمين
انى كنت طول الوقت فى حديقة الدار ..
وهربت أمى من لسائى ..

وقد كبرت هذه التصرفات معى .. تصرفات لا تحكها
الا أحاسيسى .. أصر على أن ألتحق بالقسم الداخلى فى المدرسة
.. ولا أكاد ألقى فيه أسابيع ، حتى أصر على أن أعود الى
القسم الخارجى .. وأدخل مدرسة فرنسية ، ثم أصر على أن
أدخل الكلية الأمريكية .. ثم أعود الى المدرسة الفرنسية ..
و .. و .. وخيل الى أمى يوما انى مريضة نفسيا .. ربما خيل
اليها انى جنونة .. فصحبتنى الى طبيب نفسانى .. ولكن
الطبيب النفسانى لم يفهمنى .. لم يفهم انى انسانة طيبة ، كل

قماش .. ودرج فيه وظائف .. ودرج فيه بهارات .. ودرج فيه سياسة .. زديج فيه مختلف أنواع الأديان .. و .. و .. وكل شيء للبيع .. والتاجر قد يكون أبى ، أو عمى ، أو خالى .. أو أنطون .. أو سليم .. أو قسيس .. أو وزير .. ولكنه دائما نفس الرجل .. الرجل الذى يقف فى دكان بيروت .. يبيع !

وقد حاول أبى وامى أن يطبقا على وعلى اخوتى علم الحساب ، الذى نشأ عليه .. أعدا لنا كل شيء .. أرقام محسوبة .. بيت كبير فى « الأشرافية » ، وقد انتقلنا منه منذ سنوات الى « رأس بيروت » .. والقونا بأحسن مدارس .. وسيارات .. وخدم .. ونصائح .. و .. ولكن علم الحساب ام يفلح الا مع أختى الكبيرة .. أنها صورة طبق الأصل من امى .. فى أخلاقها ، وفى اتزانها ، وفى نفاقها .. وأفلح علم الحساب أيضا مع أصغر اخوتى الصبيان .. انه ليس كأبى ، ولا كأمى .. انه غبى .. بليد .. يدخن الأرجيلة ، وبكتفى بأنه ابن التاجر الكبير الحاج عبد الرحمن .. والغباء لا يتعارض مع علم الحساب .. أما أخى الكبير فقد كان مجنوناً ، فى نظر امى على الأقل .. كان يثير بيروت كل ليلة بفضيحة ، ثم فجأة اختفى وعلما انه هاجر الى أمريكا الجنوبية .. وصدم أبى .. انها اول مرة رأيته فيها متهارا .. لقد كان يبكى .. كان يحب ابنه الكبير .. ولم يكن هناك سبب لهجرته .. اننا اغنياء فى بلادنا ، فلماذا نبحث عن الغنى فى بلاد الناس .. كان هذا منطلق أبى يومها .. ثم لم يكد يمر عام آخر ، حتى صدم صدمة ثانية عندما هاجر ابنه الثانى الى بلجيكا .. أيضا بلا سبب الا أنه لم يخضع هو الآخر لعلم الحساب ..

ما هنالك انى لا احاول أبدا أن أقاوم أحاسيسى وأستسلم لها .. ولكنى ولا شك كنت فى طفولتى ، عصبية .. وكانت اعصابى تأكل من جسسى ، فكنت رفيعة ، ضعيفة ، وكانت امى لا ترحمنى من الأدوية المقوية ..

ان امى مسكينة ، انها لا تفهمنى .. ولا تستطيع أن تفهمنى .. ان الحياة عندها خطوات محسوبة .. أرقام .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة .. و .. وتجمع هذه الأرقام ، فتكون النتيجة زوجا غنيا .. لا مكان فى هذه الحياة للأحاسيس .. انها لا تعترف بشيء يمكن أن يسمى باحساس .. الاحساس عندها هو أيضا مجموعة أرقام .. مجموعة فضائل وتقاليد .. فاذا اختل رقم من هذه الأرقام فيجب أن يستدعى الطبيب ..

وهى أم صغيرة .. لا تتجاوز الثامنة والثلاثين .. جميلة .. أنيقة .. من أكثر سيدات بيروت أناقة .. ومن بيت مشهور فى طرابلس .. بيت كمال الدين .. ولأنها من بيت كبير .. وجميلة .. رفاضلة .. ومهذبة .. فقد تزوجت أبى ، لأنه رجل غنى .

مجعتها حسبة ..

وكلاهما يقتنع بعلم الحساب ..

ولكن أبى كان أكثر طيبة ، وأرهف قلبا ، فى معاملته لنا .. ربما لأن عقله كله مشغول بتجارته ، ومشاكل تجارته .. انه واحد من بين خمسة تجار كبار مسلمين فى بيروت .. ولكنى لا أعلم بالضبط فيم يتاجر .. لم احاول أن أعرف .. فانى أحس أن اهل بيروت كلهم مثل بعضهم البعض .. كلهم تجار .. وكلهم يقفون فى دكان واحد .. بيروت كلها دكان واحد .. يقف فيه رجل واحد .. وحوله ادراج وارفف كثيرة .. درج فيه

أصفر .. رعيناها بلونتان .. ووجهه أحمر .. وأذناه مفردتان ..
كنت أضحك كلما نظرت الى أذنيه .. وكنت أقول له ضاحكة :
— اذهب الى أمك ودعها تشد أذنك الى الخلف بشرط
مصمغ ..

وكان يفتاظ ..

ولم يكن بينى وبين أندريه شيء .. لعله لم يكن بينى وبين
أى رجل شيء حتى اليوم .. الا اذا اعتبرنا القبلات شيئا ..
أنا فى لبنان غير البنات والأولاد فى مصر .. فى مصر كل خطوة
تقود الى الأخرى .. واحساس كبير بالجنس .. ربما لأن الجو
فى مصر حار .. ولكننا فى لبنان لانفكر كثيرا فى الجنس ..
ليس فى شلتنا على الأقل .. اننا نمرح .. ونضحك .. ونخرج
الى رحلات .. ونذهب الى السينما .. ودائما فى شلل صغيرة
.. أما الجنس فقد تفكر فيه المتزوجات .. الحياة الجنسية
تبدأ فى لبنان بعد الزواج حتى بعيدا عن الأزواج ..
وقد اعتبرنى أندريه فتاته ..

وأعبرته فتاة ..

وكنا نخرج فى شلة من الأصدقاء والصديقات .. كل ولد
له بنت .. ونذهب الى السينما .. وإلى الجبل .. وإلى البحر
.. وقبلنى أول مرة تحت شجرة من أشجار غابة بولونيا ..
ليست غابة بولونيا فى باريس .. ولكن غابة بولونيا فى ضهور
الشوير ..

قبلنى على شفتى ..

وكرهت قباته ..

لقد أصبت بالدوار بعدها .. لا من النشوة .. ولكن من
شيء يقززنى .. وقد بقيت بعد ذلك سنوات طويلة أكره ان يقبلنى

ولم يبق لأبى الا ابنه الغبى ، وبناته .. أختى الكبيرة ..
وأنا .. وأختى الصغيرة التى لا أتعرف بوجودها ، وساعدنى
على عدم الاعتراف بها انها دائما فى مدرسة داخلية .. كثيرات
من صديقاتى لا يعلمن بوجودها ..

وأنا أجمل البنات .. انى أشبه أودرى هبورن ، وجاكلين
كيندى ، وكريستين كيلر .. ان فى كل واحدة من الثلاث شيئا من
الأخرى .. وأنا أجمع بين الثلاث فى ملامحى .. قوامى كقوام
أودرى هبورن .. وعيناى كعيناى كريستين كيلر .. وابتسامتى
كابتسامته جاكلين كيندى ..

وتنبهت الى انى جميلة وأنا فى الرابعة عشرة من عمري ..
عندما بدأ « أندريه » يبخلق فى وجهى ، فى بلاهة .. وينتظرنى
كل يوم أمام باب البيت حتى أركب سيارة المدرسة ، ثم يلاحقنى
بسيارته .. أيامها وقفت أمام مرأتى ، واكتشفت انى جميلة ..
شعري أسود .. أسود .. ينطلق فيه بريق لامع ، كأنه شعاع
من القمر ينطلق فى الليل .. وملامحى كلها دقيقة .. عيناى
صغيرتان مستديرتان ممتلئتان بالحياة .. وشفتاى رقيقتان
مرهفتان .. وأنفى صغير أنيق طرفه مرفوع .. ووجنتان
ناضجتان .. ولم يكن أحد ممن لا يعرغوننى يعتقد انى لبنانية ..
كانوا يعتقدون انى باريسية .. وغسان كان يشبه وجهى بالتفاحة
وانفى بعنق التفاحة .. كان يقول انه كلما رآنى أحس بأنه يهم
بأن يأكلنى .. ولكن لندع غسان الآن .. انه ليس أول رجل فى
حياتى .. أول واحد فى حياتى كان أندريه الذى قابلته وأنا فى
الرابعة عشرة من عمري ..

وكان أندريه أيامها شابا كبيرا فى الحادية والعشرين من
عمره .. أمه فرنسية .. وأبوه لبنانى أرثوذكسى .. شعره

ثم جاء بعد نزار ، حازم ..
لا شيء .. لا شيء ..

ان كل هؤلاء الأولاد لم يكونوا شيئا .. انى اختارهم فقط
لاكمل بهم مجموعة الشلة .. لنضحك أكثر .. ونجرب بين الشجر
.. ونسبحم فى البحر .. ونترلق على الثلج .. ونخرج الى
نزهات مجنونة بالسيارة .. ولم يستطع واحد منهم أن يغربنى
بأن ابتعد به عن صديقاتى البنات .. كنت أفضل دائما أن أكون
معهن ، وهو معى .. ولم يستطع واحد منهم أن يترك فى
قلبى .. ولا خدشا على جسدى .. أبدا ..

انها صداقة .. مجرد صداقة .. نوع معين من الصداقة ..

وفى هذه الأيام هويت الرقص .. وأجدته الى حد اذهل
بيروت .. كنت أرقص التشاتشا والمارنجى أحسن من أى فتاة
.. وأرشق .. بل انى كنت أبتكر خطوات جديدة يذهل لها
محترفو الرقص الذين يمتنون الستريوهات .. والستريوهات فى
لبنان كانت تبدأ من الساعة الثالثة بعد الظهر خصيصا للبنات
والأولاد فى .. عمرنا .. فكانت كل يوم وفى الساعة الثالثة بالضبط
أذهب الى استريو .. البس البنطلون ، وحذاء بلا كعب ، وشعرى
سائل على عيني ، ويدي قابضة على قلم الكحل وورقة الكلينكس
.. وفى يدي الأخرى ولد .. وكنت فى هذه الفترة أصادق الأولاد
الذين يجبنون الرقص ..

ولم يكن أهلى يعلمون شيئا عن حياتى خارج البيت ..
كانوا يعلمون انى أخرج مع صديقاتى البنات .. وربما اعتقدت
أمى انى أخرج فى شلة من الأولاد والبنات .. ولكن احدا لم يكن
يعلم التفاصيل .. ولا أختى .. وكان بينى وبين أمى خناقات
طويلة حول خروجى من البيت .. وكانت عندما تصر على الا أخرج

أحد على شفتى .. فقط على خدى .. وعندما أكون سعيدة أترك
القبلات تنزلق على عنقى ..

وفى الرابعة عشرة من عمرى ، بدأت أضع الكحل حول
عيني .. وأدمنت الكحل .. انه يجعلنى فتاة كبيرة .. أكبر
مما أنا .. انى الى الآن لا أستعمل من الأصباغ الا الكحل ..
حتى « الروج » لا أستعمله الا نادرا .. وكنت أخرج من البيت
وانا لا أحمل الا قلم الكحل وورقة من أوراق الكلينكس بدلا من
المنديل .. لم أكن أحمل حقيبة أبدا .. اعصابى لا تحتل أن
أحمل فى يدي حقيبة .. النقود أضعها فى جيبى ، واذا لم يكن
فى ثوبى جيب ، أطبق عليها يدي مع قلم الكحل وورقة الكلينكس
.. لكنى أبدا لا أحمل حقيبة ..

وتركت أندريه ..

لقد شعرت فجأة انى أكبر منه .. لم تعد احساسى تطيقه ..
كل كلمة من كلماته النافهة تلوى اعصابى ..

ولاحقنى أندريه طويلا .. انه لا يستطيع أن يستغنى عنى ..
كنت فى هاتين السننتين قد ملأت حياته كلها .. أضع برنامج
يومه .. وانتقل به من مكان لمكان .. وأضحكه ، وأبكيه ..
وأتركه يزهو بى أمام أصدقائه .. لم تعد له شخصية بدونى ..
أنا شخصيته .. أنا كل ما عنده .. ولكن آسفة .. لم أعد
أطيعه .. انى ملك خاص الأحاسيسى ، ولم تعد احساسى
تطيعه .

وجاء بعده نزار ..

لا شيء أيضا ..

سوى هذه القبلات التى ألتقاها على خدى وأتركها أحيانا
لتنزلق على عنقى .

.. كأنهم يرون عروسة جميلة فى فترينة الله .. يضحكون لها ..
ويخافون عليها .. ويلمسونها فى رفق ..

وبسرعة اندمجت فى هذا الوسط الجديد .. وأصبحت
حياتى مبعثرة بين مقاهى فيصل ، وأونكل سام ، والنيجرسكو ،
والدولشفييتا .. والتقطت بسرعة الكلمات التى يتداولونها ..
أصبحت أتكلم مثلهم .. وأصبحت لا أمل حديث الأدب ، رغم انى
لا أفهم معظمه .. ولا حديث السياسة التى لا أفهم فيها شيئا ..
واعتبرت نفسى وجودية .. دون أن أحاول أن أفهم ما هى
الوجودية .. كل ما فهمته أن الوجودية هى أن أتكلم كما أشاء ،
وأصرف كما أشاء .. واحتفظ بشعرى سائلا على عيونى ..

وبدا هذا الوسط ينقل الى عدوى السخط الساخر على كل
شئ .. انهم يسخطون فى سخرية على العالم كله .. على
السياسة .. وعلى الأديان .. وعلى الله .. وكرهت أن أكون
فتاة غنية ، أو على الأصح ابنة رجل غنى ، لأنهم يسخرون من
الأغنياء .. وأصبحت أظهار بالفقر .. والفقر فى بيروت ليس
كالفقر فى مصر .. الفقر فى بيروت هو الا تملك سيارة .. لم أعد
أنتقل فى سيارة العائلة .. أصبحت أركب الأتوبيس .. وترام
بيروت .. وأمشى فراسخ .. وأكل فلافل وحمص بالطحينة ..

ولم أكن البنت الصغيرة الوحيدة فى هذا الوسط .. بنات
كثيرات مدمجات فيه .. جذبتن إليه الثورة المكبوتة الى
الانطلاق .. الانطلاق الى لا شئ .. فقط الانطلاق .. التحرر
من سجن بلا أبواب وبلا سجان .. سجن العقد التراكمية فى
صدورهن ، منذ أعطى الاسلام لكل أربعة منهن رجلا واحدا ،
ومنذ قدمت لهن المسيحية صورة عذراء بلا رجل ..

ولكنى كنت المح كل هؤلاء البنات . والاعجاب الحلو الرقيق

.. أجن .. أجن فعلا .. أحس بنوبة الاختناق .. وأمزق
كتبى .. وأحيانا أهجم على دولاب أمى ، وألقى ما فيه من ثياب
على الأرض .. وهى واقفة أمامى ترتعش .. تخاف أن يقترب
منى حتى لا أبدا فى تمزيق ثيابها .. ثم لا أكف عن جنونى ولا تزايدى
نوبة الاختناق الا بعد أن تسمح لى بالخروج .. تخضع لى ..
ثم استسلمت نهائيا . لم تعد تناقشنى فى خروجى ودخولى ..
وأياما كثيرة كنت أخرج فى الصباح ولا أعود الا فى المساء .. فى
الساعة الثامنة .. لم أكن أتأخر أبدا عن الثامنة .. لا تعمدا
.. ولا خوفا من أهلى .. ولكن لأنى كنت أشعر بالنوم يداهمنى
ابتداء من الساعة الثامنة ..

وفى سن السابعة عشرة وجدت نفسى فى وسط آخر من
أوساط بيروت الاجتماعية .. وسط يضم أدباء وفنانين وصحفيين ،
ومجانين ، وشباننا يتحدثون بحماس فى السياسة ، وفى الأدب
والفلسفة .. ويجتمعون فى المقاهى التى تحيط بالجامعة الأمريكية
.. فى مقهى فيصل ، وأونكل سام ، ويملئون متاعد مقهى
الدولشفييتا فى المساء ..

وبهرت بهذا الوسط ..

كل وجه فيه يبهرنى ..

كل كابة فيه تبهرنى ..

وأحسست أن أبواب عالم جديد فتحت أمام عيني .. آفاق
جديدة فتحت أمام عقلى ..

أحسست أنى كبرت ..

أحسست أنى كبرت ..

ورحب بى سكان هذا العالم الجديد .. ولم أدهش لترحيبهم
.. انى أستطيع أن أجتذب قلوب الناس ببساطة .. شكلى
الرقيق الناعم بشيرفى الناس اعجابا بريئا .. احساسا حلوا ..

النسور .. ودائما نجلس على نفس المائدة .. ونتحدث ..
ويرسمنى .. ولا شئ أكثر .. لا شئ أبدا .. ولا حتى هذه
القبلات التى تعودت أن ائلقاها على خدى ، وأتركها أحيانا تنزلق
على عنقى .. فقد أرسل سامى الى بعد عامين من صداقتنا ،
وبعد أن سافرت الى القاهرة .. خطابا قال لى فيه : « انى
لا أدرى لماذا لم أحاول أن أقبلك .. ولماذا لم أحاول أن أطوقك
بذراعى .. يا رو الشهية » !

وقد كنت أشفق على سامى .. انه أكبر منى بكثير .. وفى
رأسه ثقافة توازى مليون ضعف ما فى رأسى .. ولكنى كنت
أشفق عليه .. لا أدرى لماذا .. ولكنى كنت أشفق عليه ، وكانت
شفقتى تشعرنى بأنى مسئولة عنه .. لم أكن أطيق أن أراه
غاضبا .. أو حائرا .. أو فى إحدى نوبات جنونه .. وكنت
أنا الوحيدة التى أستطيع ، بمجرد ملامح الطفولة فى وجهى ،
أن أمسح غضبه ، وأشدده من حيرته ، وأفيقه من جنونه ..
لقد كنت أحيانا كثيرة أشعر انى أمه ..

ولكن سامى لم يكن الوحيد الذى يثير شفقتى ..

طلال أيضا كان يستحق الشفقة .. انه شاعر .. أعجز
دائما عن فهم شعره .. ولكن لابد انه شاعر رائع ، لأن طلال
مؤمن به الى حد الهوس .. الى حد أن يتضارب بالأيدي كلما
ناقش أحد شعره .. وهو مفلس دائما .. أبوه مهاجر غنى فى
أفريقيا ، ولكنه ترك أباه ، وجاء الى لبنان ليعيش مفلسا .. وهو
لا يريد أن يكون غنيا .. انه يحتقر الغنى .. يحتقر الليرات ..
الليرة تستطيع أن تبنى بها عمارة ، ولكنك لا تستطيع أن تبنى
بها بيتا من الشعر .. وهو انسان معقد .. تغلبه عقده أحيانا

الذى ينطلق جولى من عيون الرجال ، بدأ يتبلور فى اشتهاه ..
وبدا كل رجل من الرجال الفنانين العباقرة يريدنى له وحده ..
أنهم رجال .. مجرد رجال .. سواء جلسوا فى أونكل سام ،
أو تسكعوا فى ساحة البرج ..

وهم رجال كبار .. ليسوا شبابا كالذين تعودت أن أصادقهم
.. بعضهم فى الثلاثين .. فى الخامسة والثلاثين .. فى الثامنة
والثلاثين ..

ورغم ذلك لم أخف ..

بل انى وجدت الرجال أكثر أمنا من الشبان ..

وبدأت أختار من هذا الوسط الجديد أصدقاء لى ..

أخترت أكثرهم جنونا ..

كان أولهم سامى ..

قصير .. عيناه مشروطتان ضبقتان .. يشعان بالطيبة ،
والحيرة .. وينطلقان أحيانا بنظرات شاردة مجنونة .. وهو
رسام .. لا يبيع رسومه .. لأن الذين يريدون شراءها
لا يستحقونها ، والذين يستحقونها ، لا يستطيعون شراءها ..
هكذا كان يقول .. ورسمنى سامى أكثر من مائة صورة ..
رسمنى على علبة كبريت .. وعلى مفروش المائدة .. وعلى لوح
زجاج المقهى الذى تعودنا أن نلتقى فيه .. انه يرسمنى كلما
رأى ..

وكان سامى يخاف من السكاكين .. أى سكين يراها تثير
فيه الرعب .. تتسع عيناه الضيقتان .. ويشهق .. ثم يلتقط
السكين من فوق المائدة بأطراف أصابعه المرتعشة .. ويلقيها
تحتها .. أو يلقيها من النافذة .. ثم يستريح ..

وكنا نلتقى دائما فى ملهى « الأبلجز نست » ، أى ، عرش

فيكي كالطفل .. ثم يخلع حذاءه ويلقيه في الشارع وهو يصيح
« على صرمايتي العالم كله ! » .

وأصبح طلال أيضا صديقي .. التقى به في نفس المقهى
الذي التقى فيه بسامى .. الأيجلز ست !
وغيره ..

غسان في الثلاثين من عمره .. درس علم النفس ..
ويصر على أنه طبيب نفساني .. طبيب بلا عيادة .. وقد أصيب
في حادث سيارة في صغره .. أفاق منه وهو يعرج ويتوكأ على
عصا .. زفى عينه اليمنى رعشة دائمة .. وكان يتردد كل يوم
على مقهى فيصل ليتناول الغداء .. ويجلس على مقعد ويمد
رجله على مقعد آخر .. وفي يوم أشار إلى من بعيد يدعوني إليه
.. وتجاهلته .. فصرخ بأعلى صوته في وسط المقهى .. رحاب
.. من فضلك دقيقة .. ونظرت إليه .. وأشفققت عليه ..
وعندما اقتربت منه قال لي أنه كان يتابعني منذ مدة ، واني في
حاجة الى علاج نفسي قبل أن تستفحل حالتى ..
وابتسمت ..

وأعطيته موعدا في نفس المكان .. الأيجلز نست .. وبعد
أن جلست معه دقائق وجدت نفسي اعالجه .. أنا التي أتولى
علاجه ..
وغيره ..

— أصبح لي خمسة اصدقاء .. التقى بهم واحدا بعد الآخر
في نفس المكان .. بل دائما على نفس المائدة .. وفي نفس
الموعد .. وعرفني الجرسون ، وأبقى لي المائدة محجوزة ..
وكل منهم أشفق عليه ، وأحس بمسؤوليتي عنه ..
ثم بدأت أحس بأن هذا الاحساس بالمسؤولية عن هؤلاء

الخمسة ، أصبح أقوى منى .. وأصبحت لا أستطيع أن اتحرر
منه .. وأصبحت أشعر أن في أعماقي احساسا آخر يريد أن
يطفو على سطح حياتي .. انى لا أستطيع أن أعيش على
الشفقة .. لا أستطيع أن أعيش في عمرى الصغير وأنا أحمل
مسؤوليات هذه الصداقات الغريبة .. كنت في حاجة الى شيء
آخر .. ربما كنت في حاجة الى الحب !

وأصحت كلما واعدت واحدا من هؤلاء الخمسة على اللقاء ،
قررت بينى وبين نفسي أن أخلف موعدى .. أن أهرب .. حتى
إذا اقترب الموعد ، أخذ احساسى بالمسؤولية يغلبنى .. أحسست
بصدري يضيق ، والدموع تتجمع في عيني .. وأبكى .. وأبكى
كثيرا .. ثم أقوم الى مرآتى ، وأمسح دموعى .. وأضع الكحل
حول عيني .. وارتك شعري يسين على وجهى .. وأذهب
أليه .. الى واحد من الخمسة ..

وبدا الملل والزهد يطوفان حول رأسى من جديد ، ويتجمعان
في سحب كثيفة تملأ عيني ، وتجم على صدري ، وتخفق أنفاسى
.. أصبحت أحس أن حياتى واقفة .. لا تتحرك .. لا شيء فيها
يتحرك .. السيارات واقفة .. والناس واقفون كقطع الحجارة
المنتشرة في واد أجرد .. والوجوه جامدة كأنها تماثيل من شمع ..
والنظرات ميتة .. كل شيء ميت .. الأرصنة ميتة والمقاهى
ميتة .. وبيتنا ميت .. والبحر ميت .. والجبل قبر كبير ..
وأنا واقفة فوق فروع شجرة ميتة كالبومة أطل بعينين مفتوحتين
واقفتين على وادى الموت ..

وقد اشتد احساسى أيامها بأتى بومة .. لقد كان كل من
يرانى يشبهنى بالقطعة .. وجهى كوجه القطعة .. ولكنى أصبحت

وقد اشتغلت أياما فى الاذاعة . وایاما فى محل ازياء ..
وایاما فى بنك ..

وفى كل مكان كانوا يحددون لى راتبنا قبل ان أبدا فى العمل
.. راتبنا اكبر بكثير مما استحقته .. وصل الى خمسمائة ليرة فى
الشهر .. لمجرد انى جميلة ، وابنة الحاج عبد الرحمن ..
ويستطيع كل صاحب عمل ان يزهو بانى اعلم عنده ، حتى
لو لم اعلم شيئا .. كل منهم يعلقنى على صدره كالوردة ..
وكل منهم يدعونى ان اذهب معه الى حفلات الكوكتيل التى يدعى
اليها ، لا لشيء الا ليزهو بى أمام زملائه .. كأتى ركلام للشركة !

واختنقت فى جو العمل .. انه يكلفنى احتمال سخافات كثيرة
.. واحتمال هذه النظرات اللزجة اللثيمة التى تلاحقنى من مكتب
الى مكتب .. واحتمال شره رجال عجائز فى الستين وأكثر ..
ووجدت نفسى مضطرة الى النفاق .. ومضطرة الى التغابى
عن معانى الكلمات والنظرات التى تنتثر حولى .. بدأت أكره نفسى
.. أتقزز من نفسى ، وعندما جاء اول الشهر ، وأخذنى زملائى
معهم الى الصراف ، ومددت يدى لأقبض أول مرتب ، ارتعشت
من التقزز .. أحسست كأتى امد يدى الى ثعبان ليلدغنى ..
وازدحمت دمائى فى راسى .. دماء تغلى ، وتحرق وجنتى ..
فسحبت يدى بسرعة .. قبل أن المس الليرات .. وجريت
وزملائى ينضحون ورائى .. وضحكاتهم تصيبنى كقطع الطوب ..
وهربت سريعا من أوساط العمل فى بيروت ..

ان دماء بيروت تستفك على هذه المكاتب وفى هذه الدكاكين
.. كل ما فى الانسان من خير وكرامة ، واحساس ، يعتصر
ليتحول الى ليرات .. الى ورق .. والذين يعملون فى بيروت ،

أحس انى أشبه البومة .. وتملكنى هذا الاحساس الى حد ان
اشترت تمثالا صغيرا ، كنت اضعه أمامى ساعات طويلة وانظر
فيه كأتى انظر فى مرأتى ..

وانكم .. فأحس انى كالأسطوانة المشروخة ، أقول اليوم
نفس ما قلته بالأمس .. وأقول لسامى ما أقوله لطلال ونفس
ما أقوله لغسان .. نفس ما أقوله لكل واحد من الخمسة ..
ولكل من أعرفهم .. ونفس ما قلته فى العام الماضى .. ونفس
ما سأقوله غدا .. وفى العام القادم .. وصوتى لا تتغير رنته ..
لا يرتفع ولا ينخفض .. كصوت البومة ..

وكدت أجن ..

والنوبات العصبية تلاحقنى ..

وأبى وأمى لا يستطيعان شيئا الا ان يستسلما لكل ما أطلبه ،
ولكل ما أفعله .. وأمى تحرص على أن تناولنى حبات زيت
السك ، وحبات فيتامين « ب » ، وتحرص على أن تسقينى
كوبين من اللبن فى اليوم .. اعتقادا منها أن أزمى نتيجة ضعف
صحتى .. ولم أكن أشرب اللبن .. كنت أسكب من نافذة حجرتى
.. وانظر الى خيط اللبن وهو ينسكب فى الفضاء ويخيل الى
انى أسكب الضباب المتجمع فى صدرى .. وأشعر برهة بالراحة
وأنا أسكب اللبن ، أكثر ما أشعر بالراحة وأنا أشربه ..
وقد حاولت أن اتقلب على حالتى هذه ..

قررت ان أشتغل .. ان اعلم ..

وكل مكان ذهبت لأعمل فيه ، استقبلنى صاحبه بترحاب
كبير .. ربما لأنى جميلة ، وربما لأنى ابنة الحاج عبد الرحمن
التاجر الكبير .. وفى بيروت لايسألون عن كفاءتك ، ولكنهم
يسألون عن اسم أبيك !

ناس من رخام .. جف ما فيهم من خير .. ومن كرامة .. وتحولوا
الى رخام .. و ..

وفى هذه الأيام قابلت تيسير ..

كنت المح تيسير دائما فى مقهى فيصل ، وفى الأونكل سام ،
وفى الدولشفيتا .. كان دائما حيث أكون .. وكنت التقى بعينيه
أحيانا وهما يتطلعان الى ، ولكنه لم يحاول أبدا أن يفتعل مناسبة
ليقدم نفسه الى .. حتى عندما كان يرانى جالسة مع بعض
أصدقائه ، لم يكن يحاول أن يقحم نفسه علينا .. وهو شاب
وسيم .. فى حوالى الحادية والعشرين من عمره .. أبوه
سورى ، وأمه لبنانية .. ومات أبوه .. ولم يترك شيئا لعائلته
.. فعادت به أمه الى بيروت ، لتقيم مع عائلتها .. واضطر
تيسير أن يعمل .. عمل فى احدى شركات السياحة ، بهرتب
ضئيل لا يتجاوز المائتين والخمسين ليرة فى الشهر .. وفى نفس
الوقت كان يتم دراسته فى الجامعة الأمريكية ..

عرفت كل ذلك من حديث أصدقائه عنه .. ولم اهتم ..
الى أن قدموه لى فى حفلة من حفلات الجامعة .. ووجدت نفسى
اتساءل وأنا أمد يدي لأصافحه .. هل يمكن أن يكون شيئا جديدا
.. هل يمكن أن يثير فى احساسا جديدا يخلصنى من هذا
الزهد ..

وتيسير يطل على بعينين ثابتتين متعاليتين فيهما كبرياء متحفزة
كأنه يهم بأن يضربنى لو جرحته بكلمة ..

ولم أجرحه ..

ولكنى ارتحت الى حديثه .. انه يتحدث كثيرا فى السياسة
.. وأنا لا أحب السياسة ولكنى أحب حماسة وهو يتحدث فى
السياسة .. حماس ينبض بالسخط ، ويكاد يمزقه ..

وأصبح تيسير صديقى ..

كل يوم نلتقى ..

عرفت به ..

وعرفت بى ..

وليس معنى ذلك أننى تخلت عن أصدقائى الخمسة ..
أو عن مسؤوليتى عنهم .. لا .. ولكن صداقتى لتيسير جعلتنى
أقل ضيقا بهذه المسؤولية .. ولم يكن تيسير يعترض على صداقتى
أغبره .. كانت كبرياؤه نقف فى حلقة وتمنعه من أن يفصح عن
شهرته على ..

وكنت أنا لا أزال اتساءل .. هل يمكن أن يكون تيسير
شيئا آخر فى حياتى .. هل يمكن أن أحبه ..

الى أن كان يوم .. ومشى معى ليعود الى البيت ..
ووقف بى أمام باب بيتى .. وأخذ ينظر الى طويلا بعينيه الثابتتين
المتعاليين ، كأنه يحاول أن يتخذ قرارا .. ثم ، كأنه اتخذ
القرار .. فشدنى اليه ، وضمنى الى صدره ، وأخذ يقبلنى قبلات
كثيرة على وجهى .. وأشحت برأسى حتى تنزلق قبلاته على
عنقى ..

وهمس تيسير ، بصوت مبجوح :

— احبك يا رو .. احبك ..

وانفلت منه وجريت الى داخل البيت .. ووجهى وعنقى
لا يزالان بقبلاته ..

منذ شهر طويل لم يقبلنى احد .. ورغم ذلك فانى لا أحس
بأن فى قبلاته شيئا جديدا .. لا أحس .. هذا الاحساس
الذى يكمن فى أعماقى لم يطف الى السطح .. ولكنى كنت فى
حاجة الى شيء جديد .. فى حاجة الى الاحساس بجديد ..

فامتعلته .. أخذت أقتنع نفسى طول الليل بأن تيسير ليس
كالآخرين ، وأن قبلاته شىء جديد .. لم يكن هذا صحيحا ،
ولكنى افتعلته ..

وأصبح تيسير يقبلنى دائما ..

هو وحده — دون بقية أصدقائى — الذى يقبلنى ..
ثم استسلمت لمحاولة تقبيلى على شفتى .. ولم أحب قبلاته
على شفتى ، ولكنى أصبحت أكثر احتمالا لها ..

انى افتعل ..

افتعل الحب ..

افتعله ، لأنى لا أجده ..

وكنت كلما خرجت مع تيسير وجلسنا فى مقهى ، أو ذهبا
الى السينما ، دفع كل منا ثمن ما طلبه .. أو ثمن تذكرة السينما
.. وكانت هذه هى عادتى مع كل من أخرج معه .. انى أحس
بحيرتى وبشخصينى أكثر عندما لا أكون مدعوة مع أحد .. وفى
أحد الأيام ، طلبت من تيسير أن يصطحبى فى سيارة تاكسى الى
بيتنا .. وقبل أن أنزل من السيارة أعطيته ورقة بخمسة وعشرين
ليرة ليُدفع أجر التاكسى . ويرد لى الباقي فى اليوم التالى ..

لم يكن فى هذا شىء شاذ ، فأنا التى طلبت التاكسى ..
ولكن تيسير لم يرد لى باقى الخمسة والعشرين ليرة ..

ولم أنتبه ..

ولم أهتم ..

وفى مناسبة أخرى ، لم يرد لى الباقي ايضا ..

وايضا لم أهتم ..

ثم اقترض منى مائة ليرة ..

ولم يردها ..

وبدأت أنتبه ..

ولم أغضب منه .. لم ألمه .. لا اهتزت صورته فى عيني
.. أبدا .. انى أقدر حالته .. انه فقير ، مرتبه لا يزيد عن
مائتين وخمسين ليرة ، وهو مسئول عن أمه .. بل انى معجبة به
.. معجبة بكفاحه فى سبيل الحياة وفى سبيل أن يتعلم ..
انا معجبة به فعلا ..

وبدأت اتعمد ان اعطيه ، فى حدود ما أستطيع ان أخذ من

أبى وامى ..

اعطيه دون أن أجرح كرامته ..

ولم تجرح كرامته .. لا تزال فى عينيه هذه النظرة الثابتة
المتعالية التى تنبض بالكبرياء المتحفزة .. ولكنه أصبح أكثر احتمالا
لى .. احتمالا لنزواتى .. ولعصبيتى .. أصبحت أقوى منه ..
شخصيتى أقوى من شخصيته .. لم أعد أخاف أن تمتد يده يوما
ويصفعنى ..

وببيروت كلها تتحدث عنى وعنه ..

وهو سعيد لأن بيروت تتحدث عنى وعنه .. ويخفى سعادته

فى غلالة رقيقة من السخط ..

وانا لا أهتم ..

ثم ..

سألنى أن نتزوج ..

وقلت كأنى أذافع عن نفسى :

— ولكننا لا زلنا صغارا ..

قال وهو ينظر الى بعينين مبتهلتين :

— حبنا أكبر من عمرينا ..

— حرام أن نسجن حبنا بين أربعة جدران ..
قال :

— انى اخاف على حبنا من ان نتركه طليقا بلا زواج ..
قلت :

— انك تؤمن بالحرية .. لا يمكن أن تطالب بالحرية للبلد ..
قال :

— ليس سجننا .. انى اطلب لكننا الاستقرار ..
قلت :

— انى لا احس بانى اريد ان استقر .. لا اريد الزواج ..
قال :

— كأنك لا تحبيننى ..

قلت ونيار الملل يسرى فى اعصابى :

— احبك ولكن الزواج شىء آخر ..
قال :

— الزواج عرش الحب ..
قلت :

— لا اريد ان اجلس على عرشى .. لا اريد ان اجلس اطلاقا ..
.. لا تحدثنى عن الزواج .. احس بك كأنك انسان عادى ..
وانا اكره ان احس بك كأنسان عادى .. مجرد رجل ..
ولكن تيسير لم يكف عن حديث الزواج ..

شهور طويلة مضت .. وحديثه بنطلق فى اذنى كالصرير ..
ويكف عنى اياما .. ثم يعود ويملاً اذنى كالصرير . وتتشاجر ..
ونغضب .. ثم يعود ويعود الصرير ..
وفى يوم أخذ تيسير سيارة أحد اصدقائه ، ودعانى لنذهب

الى الجبل .. ولم احاول أن اتبين الطريق الذى اختاره .. ولكنه
كان صامتا .. وفى عينيه نظرات غريبة .. فيها عناد اقرب الى
اليأس .. ثم وقف بنا عند قرية « حمانا » على طريق صوفر ..
والتفت الى قائلا بصوت مجنون :

— اننا سنذهب لزيارة بعض اصدقائى .. وقد ابلغتهم اننا
جئنا اليهم لننزوج .. وقد اعدوا كل شىء .
وصرخت فيه :

— انت مجنون ..

قال والجنون يطل فعلا من عينيه :

— لست مجنونا .. ولكنى اعلم انك تحبيننى ، وانا احبك .

ويجب ان نتزوج ..

قلت صارخة :

— عدى الى بيروت ..

قال :

— بعد ان نتزوج ..

قلت له وانا ابتمسم له كأنى اذكره بكبريائه :

— انك لا ترضى ان تتزوج فتاة لا تريد ان تتزوجك ..

قال :

— انها تريد .. ولكنها تعاند ..

قلت :

— انتظرها الى ان تشفى من عنادها .

قال :

— انتظرت طويلا ..

قلت :

— انتظر ايضا ، ان كنت رجلا ..

اليوم .. أكثر .. وأنا بعيدة عن التليفون .. وعندما تحمله الى
 ضامى أو اختى أو الخادم ، ارفض أن ارد عليه .
 واهلى فى لهفة على ..
 والأطباء يكتفون بأن يصفوا لى الأدوية المقوية ..
 ثم بدأت اتناول حبات « الليبرم » لتهدأ أعصابى .. وأنام ..
 ثم أفقت ..
 بدأت أسترد كيائى ..
 وخرجت ..
 عدت الى حى « الحمرا » والشوارع المحيطة بالجامعة ،
 واستريوهات بيروت ..
 والزهق والملل يخنقانى ..
 لم يعد أمامى الا أن أترك بيروت .
 كل بيروت ..
 لم يستطع أحد من اهلى أن يثنينى عن عزمى ..
 يجب أن أترك بيروت ..
 وكنت ذاهبة الى لندن ..
 ولكنى فجأة اخترت القاهرة .
 وقالت أمى عندما سمعت بالخبر انجديد :
 — لماذا القاهرة ، كل العائلات الكبيرة تركت القاهرة ، لن
 تجدى فيها الا المفلسين .. بل لن تجدى فيها ثوبا واحدا يفريك
 بالشراء ..
 ولم تكن امى تستطيع أن تجد سببا لسفرى الا البحث عن
 زوج بين العائلات اللبنانية المهاجرة ، أو شراء ثياب جديدة ..
 وصممت على القاهرة ..
 مجرد احساس ..

قال :

— الرجال لا ينتظروني .. ولكنهم يأخذون ..

تلت :

— تقصد للصوص ..

ورفع يده وهم أن يصفنى ، ولكنى تفاديت الصفحة ..
 وفتحت باب السيارة .. وجريت .. جريت .. لا أدرى كم
 جريت .. ولكنى أحس أنى أتدحرج فوق الجبل .. كل شئ فى
 يتدحرج .. قلبى .. رأسى .. معدتى .. ودموع تتدحرج فوق
 خدى ..

ولحق بى بالسيارة ، ووقف بجانبى ، وسمعت صوته كأنه
 أت من بعيد .. من بعيد جدا .. من بطن الوادى ..
 ولكنى أجرى .. لا أستطيع أن أتوقف عن الجرى .. ونوبة
 عصبية عنيفة تملكنى كلى ..

— اركبى .. سنعود ..

ونزل من السيارة ، وجرى ورائى ، وامسك بى من كنفى
 .. واخذ يهزنى وهو يردد :

— سنعود .. لن نتزوج ..

— وأنا أصرخ .. لا أفعل شيئا الا الصراخ ..

وارتعش ..

وحماش بين ذراعيه ..

ووضنى فى السيارة ..

وعاد بى الى بيروت ..

وبقيت أياما فى البيت .. لا أخرج .. راقدة فى فراشى

.. وتيسير يتصل بى فى التليفون مرات .. عشر مرات فى

وخضع الجميع للبننت المجنونة ..

وبدا أبى يعد لى حياتى فى القاهرة .. حول لى النقود .. واتصل بعائلة محى الدين التى سأنزل فى ضيافتها .

وبدا كل افراد العائلة يوصوننى بأشياء من القاهرة ..

وتجمعت لدى أرقام التليفونات لبنات لبنانيات يقمن فى القاهرة ملتحقات باجامة . وأعطانى عمى خطابا لأحمله الى طبيب فى القاهرة اسمه الدكتور هاشم عبد الاظيف .. قال لى انه طبيب مشهور ، ومهذب ، ومن عائلة كبيرة ، وله نفوذ .. وانه يستطيع أن يخدمنى اذا احتجت الى شىء ..

ان عمى طبيب أيضا .. وهو يحاول أن يستغل كل شىء بنفس اللباقة والطيبة والحنو الذى يستغل به مرضاه .. وهو يحاول أن يستغل سفرى الى القاهرة لأكون ساعى بريد ينقل خطاباته الى أصدقائه .. لا .. لست ساعية بريد .. والقيت الخطاب الذى أعطاه لى فى احدى حقائبى ، فى اهمال شديد ..

ولم تعد أذناى تلتقطان شيئا من الترصيات التى تنهال على .. كل أذناى متحفزتان لسماع محرك الطائرة ..

ووقف أبى يودعنى فى المطار ، واحتضننى الى صدره ، وعيناه مغرورتان بالدموع .. وقال فى صوت مختنق :

— لا تتأخرى .. ثلاثة أسابيع فقط ..

انه يخشى الا أعود .. كما فعل انه الذى سافر الى أمريكا . وابنه الثانى الذى سافر الى بلجيكا ..

كانت أيامى فى القاهرة . . كارثة !

عائلة محى الدين التى أقيمت عندها تضم نماذج بشرية عجيبية ...

« طنط نازلى » .. وهى عجوز فى التسعين من عمرها ربما أكثر .. ترقد فى سريرها كالميتة .. لا تقوم منه .. وجهها أصفر كالميتة .. وشعرها متآكل ستط معظمه .. وتصرخ كل خمس دقائق فى صوت مبوح سنوية .. سنوية .. وسنوية فى احدى خادمت البيت .. ضخمة كالسجانة .. ثم « طنط ميمى » ، ابنة نازلى .. فى السبعين من عمرها .. لا تكف عن الحركة فى أنحاء البيت وتسير متوكئة على عصا من الأبنوس لها مقبض ذهبى أثيق ... وفى كل خطوة من خطواتها تصدر أمرا .. ولكن لا أحد يأبه بأوامرها .. حتى ولا الخدم .. انهم يتركونها تتحرك وتصدر الأوامر .. كأنهم يعتبرونها مجنونة ... ثم « طنط لولى » .. ابنة طنط ميمى .. فى الخمسين أو أكثر .. هى حاكمة البيت .. قوية .. شعرها اكله الشيب .. تسير وهى تدب على الأرض فى خطوات حازمة .. وفى عينها قسوة تحاول أن تخفيها وراء استسامة باهتة تقطر نفاقا .. وزوجها هو عميد العائلة .. محمد محى الدين .. فى الخامسة والستين من عمره .. منهار .. كل شىء فيه منهار .. عيناه منهارتان .. شفثاه منهارتان .. أنفه منهار .. كرشه منهار .. ساقاه معوجتان منهارتان .. ثم أخيرا ، عايذة .. ودودى .. ابنة طنط لولى .. فى الثلاثين من عمرها .. تعتبر نفسها أحيانا أدبية ، وتكتب قصصا بالفرنسية .. وأحيانا تعتبر نفسها صانعة تماثيل .. أى مثالة .. ولها غرفة فوق سطح البيت ، تجمع فيها اكواما من الطين ، وتقف بينها مرتدية معطفا أبيض ، وتصنع تماثيل لا معنى لها .. ولكنها كلها بشعة مخيفة ، أشبه بالأشكال التى نراها عندها يدهمنا كابوس .. وزوجها لا أدري ماذا يعمل ..

أصبحت لا أطيق أن أطل من شرفة غرفتي على منظر النيل .. لقد كنت أتصور النيل دائما ، نهرا طيبا صافيا ، تميل عليه أشجار النخيل لتفسل رؤوسها فيه .. نهرا حالما ، فيلسوفا ، عجوزا .. ولكني أراه الآن عرييدا ، مخيفا ، مياهه داكنة سوداء لا تقصح عما في أعماقها .. أراه كالثور المتوحش اللثيم .. ويخبل الى كلما نظرت اليه كأنه يحاول أن يشدني من أقدامى ليبتلعنى ..

وأصبحت كلما سقطت عيناى على وجه طنط نازلى وهى راقدة فى فراشها .. أحس كأنى مثلها .. فى مثل عمرها .. فى صفرة وجهها .. وكلما سمعت صوتها ينادى سنية .. أحس كأنى أسمع نداء الموت يدعونى اليه .. ثم اذا صافحت عيني وجهه طنط ميمى .. خيل الى أيضا أنى مثلها .. وشعرت انى فى حاجة الى عصا أتوكأ عليها فى سيرى .. عصا من الأبنوس لها مقبض مذهب .. ثم التقتى بوجه طنط لولى فأشعر بنفس الاحساس .. أشعر بأنى أنا أيضا قاسية مثلها ، منافقة مثلها .. لقد أصبحت اتقمص شخصيات البيت واحدة بعد أخرى ، وكلها شخصيات نعيسة ، بائسة ، منهارة .. ليس بينها شخصية مرحة شابة ، تشير فى المرح والشباب .. وأحاول أن أخلص نفسى من هذه الشخصيات القاتمة .. أحاول أن احتفظ بشخصيتى .. بشبابى ومرحى وانطلاقى .. ولكن هذه الشخصيات تلاحقنى ، وتتقمصنى كالعفاريت ..

والعائلة لا تزال تبذل كل جهدها لترفه عنى ، وقد كلفوا دودى بهرافقتى .. على اعتبار أنها أصغر من فى البيت سفا .. ولكن دودى لم تخف تدمرها منى .. انها ترافقتنى كأنها مكلمة من مصلحة السياحة بهرافقة سائحة عجوز مملة .. كأنها تقوم

ولكنه يغيب أياما ، ثم يعود .. ولا أرى الدهشة على وجه أحد اذا غاب ، ولا الفرحة اذا عاد .. وأسمه رفيق .

وهذه العائلة التى تضم أربعة أجيال .. تقيم فى بيت واحد فخم ، يطل على النيل ، تزدهم فيه قطع من الأثاث القاتم الغامق .. وأنا أكره الطراز القديم لقطع الأثاث .. انه يقبض قلبى .

وقد بذلت العائلة كل جهدها لترحب بى .. استقبلونى فى المطار .. وخصصوا لى أجمل حجرات البيت .. حجرة تطل على النيل .. وأقاموا لى حفلة عشاء كبيرة دعوا اليها عائلات لبنانية كثيرة .. ودعتنى دودى الى العشاء فى اليوم التالى مع بعض أصدقائها وصديقاتها فى ستريو الهرم ، وحرصت على أن تدع بعض الشبان فى مثل سننى ليراقصونى .. ورغم ذلك فقد كنت أشعر بأن كرمهم ليس كرما طبيعيا .. وأن ترحيبهم ليس من القلب .. لا أدرى لماذا .. ربما ظنوا أن أبى قد أرسلنى اليهم لأذكرهم بأنهم مدينون له بعشرة آلاف ليرة .. وقد بدأ محمد محبى الدين يحدثنى منذ اليوم الأول لوصولى عن سوء أحواله المالية .. لقد كان يملك مصنعا كبيرا أخذته الحكومة .. أخذت كل شىء .. ولم يعد محمد محبى الدين يملك فى مصر سوى عمارة تطل على ميدان التحرير .. والعائلة كلها تعيش على إيراد هذه العمارة .. ولم يكن بى شأن بكل هذا .. ولم أحاول أن أسأله لماذا أخذت الحكومة مصنعه .. فأتانا لم أحضر الى القاهرة لأنهم ماذا يجرى فى مصر .. ولا ماذا يجرى للعائلات اللبنانية المقيمة فى مصر .. وربما أحسست ساعنتها أن محمد محبى الدين كان يقول لى كل هذا الكلام كأنه يعتذر لوالدى عن عدم سداد دينه .. ورغم أن حديثه كان مملا عقيما إلا أنه أثار شفقتى .. وبعد يومين بدأت أختنق فى هذا البيت الكبير ..

يشعرنى بنفسى .. ولكنى هنا .. ووسط هذا الملل الذى اعيش فيه .. كنت فى حاجة الى أى دليل لبشعرنى بأهميتى ..
وعدت الى البيت القاتم ..

الأحاديث كلها تدور حول لبنان .. وعائلات لبنان .. والأطعمة التى تقدم كلها لبنانية .. يارب .. اين مصر .. أين القاهرة .. ان كل ما فعلته بنفسى هو أنى تركت لبنان كله ، وعائلات لبنان كلها ، وسجنت نفسى فى بيت واحد من بيوت لبنان .. وفى وسط عائلة واحدة من عائلات لبنان .. لقد تركت لبنان وأنا أحلم بعالم أوسع .. بحرية أكثر .. ولكنى أفقت لأجد نفسى سجنينة فى أضيق ركن من أركان لبنان .. فقدت حريتى .. لقد كنت حرة بين أبى وأمى ، أكثر مما أنا فى بيت عائلة محيى الدين ..

وبعد أيام اتصل بى عصام .. وهو شاب لبنانى فى جامعة القاهرة ، ويعرف عائلتنا ، وقد أرسل له بعض أصدقائى فى لبنان بخبر وصولى الى القاهرة واقامتى عند عائلة محيى الدين ، فماتصل بى ..

كنا قبل الظهر .. وعرض علىّ أن يمر علىّ بسيارته لنخرج سويا ..

وقبلت عرضه بسرعة ..

وخرجت اليه وأنا البسن البنطلون وحذاء بلا كعب ، وفى يدى قلم الكحل وورقة الكلينكس وبضعة جنيهات مصرية .. وكدت أنسى أن أستاذن طنط لولى قبل أن أخرج .. فانى لم أتعود أن أستاذن أحدا .. لا أبى ولا أمى .. ولكنى وجدت أن من اللياقة أن أستاذن طنط لولى .. فاستأذنتها وقلت لها انى خارجة مع عصام .. وسألتنى عن عائلة عصام .. وعن سنة .. وعن

بمهمة ثقيلة تتقاضى عليها اجرا .. انها انسانة معقدة .. ولا أدرى سر عقدها .. وربما كانت تغار منى .. لا أدرى .. ولكنها فطعا لا تحينى .. وقد أخذتنى فى السيارة الى الهرم .. وأشارت بيدها وهى داخل السيارة وقالت فى ملل :
— هذا هو الهرم ..

ثم تحركت السيارة الى أبى الهول ، وقالت دودى بنفسى الملل :
— هذا هو أبو الهول .

وقد نركتها فى السيارة ، ونزلت أمشى بجانب الهرم وأبو الهول .. وأنظر اليهما فى زهى .. شو بدى ، بهذه القطع الضخمة من الحجارة .. حجارة .. مجرد حجارة .. ما الفرق بين حجر عمره مليون سنة وحجر عمره يومان .. وما الفرق اذا كان تحت الحجر ملك مثل خوفو .. أو كان تحته سحلية .. الناس الذين يأتون الى القاهرة ليشاهدوا الهرم مجانين .. هبل .. وأجمل وأروع الف مرة من الهرم .. البنطلون الذى كنت ارتديه يومها .. بنطلون مخطط « سترتش » .. وشعري السائل على وجهى .. والكحل حول عينى .. نعم ، ان أجمل من كل ما صنعه الانسان ، هو الانسان نفسه .. وقد أثرت اهتمام كثير من السائحين الذين كانوا يتجولون حول الهرم .. كثير منهم أحسوا انى أكثر روعة من الهرم فأداروا نحوى آلات التصوير ، والتقطوا لى كثيرا من الصور .. بعضهم صورنى بعد أن استأذنتنى .. وأحسست بانى لا أثير الانتباه والدهشة فى لبنان وحدها ، بل فى كل مكان أذهب اليه .. وربما لم كنت فى لبنان لما سمحت لأحد ان يلتقط صوتى .. فانا هناك لست فى حاجة الى دليل

الانجليزية تعلم أنه يحب أمريكا .. والذي يتحدث باللهجة المصرية تعلم أنه يحب عبد الناصر ..

ولكنهم فى الواقع لا يتحدثون باللهجة المصرية ، ولكنها لهجة مائة ضائعة ، كمشية الغراب الذى حاول أن يقلد العصفور ، فلا استطاع أن يكون عصفورا ، ولا أن يكون غرابا أبله .. لن اقلد العصفور .. لن اقلد اللهجة المصرية .. لا لاني شعرت بشخصيتى اللبنانية وتحسنت لها .. أبدا .. ولكننى أحسست بالالفاظ المصرية ثقيلة على شفتى .. أحسست كأنى أصبغ شفتى بلون لا يبرر جمالها .. وأنا أعلم أن فى اللهجة اللبنانية كلمات غليظة تملأ الفم كقطع الطوب .. ولكنى لا أستعمل هذه الكلمات .. ان دوتى فى اختيار انفاظى وطريقة نطقى ، لا يقل رقة عن ذوقى فى اختيار ثيابى وتسريحة شعرى .. انى فى لبنان نفسها معروفة باللهجة اللبنانية التى أتحدث بها .. لهجة قد يكون فيها بعض الدلع كما قال لى يوما سامى .. ولكن ليس فيها قطعاً غلاظة اللهجة اللبنانية .. المهم .. لقد قررت بينى وبين نفسى الا التقط بشفتى شيئاً من اللهجة المصرية ، مهما امتلأت أذناى بهذه اللهجة .. احساس .. مجرد احساس دفعنى الى أن أرفض اللهجة المصرية ..

وتغدينا يوماً فى كافيتيريا هيلتون أنا والشبان اللبنانيون ..
دون أن أستأذن طنط لولى ..
وذهبنا بعد الغداء الى السينما ..

وخرجنا من السينما لنتمشى فى شارع قصر النيل ، وشارع سليمان .. انى أحب هذين الشارعين .. لا لأنهما شارعان تجاريان مزدحمان .. لا .. ان معروضات الدكاكين فى القاهرة لا تساوى شيئاً بجانب معروضات دكاكين بيروت .. وكل ميزاتها

.. وعن .. وبدأت أجيبها فى زهق .. وربما خافت من زهقى ، فكفت عن أسئلتها ، وسمحت لى بالخروج ..

وكان مع عصام ، صديق آخر .. هشام .. لبنانى ايضا ..
وقال لى عصام :
— نذهب الى الهرم ؟
وصرخت :

— لا .. اى مكان الا الهرم .. انى لم ار القاهرة بعد ..

وأخذنى عصام الى كافيتيريا هيلتون .. وفى دقائق وجدت نفسى جالسة بين سبعة شبان لبنانيين .. بعضهم من الطلبة الذين يتلقون العلم فى القاهرة .. وبعضهم جاءوا الى القاهرة زائرين .. وفى دقائق أخرى أحسست أن كل الجالسين فى الكافيتيريا من اللبنانيين .. وانى لست فى كافيتيريا هيلتون بالقاهرة ، ولكنى جالسة فى « سناك بار ستاركو » ببيروت .. نفس الشخصيات .. نفس الوجوه .. نفس مواضيع الأحاديث .. كل الذى اختلف هو اللهجة التى يتحدث بها أصدقائى الجدد .. انها ليست لهجة لبنانية صميمة .. ولا لهجة مصرية صميمة .. انها خليط مائع بين اللهجتين .. وأول ما يحاوله اللبناني فى القاهرة هو أن يلتقط اللهجة المصرية .. وكثير من صديقاتى اللاتى جنن الى القاهرة عدن ليتحدثن فى بيروت باللهجة المصرية .. كأنهن يزهنون بثوب جديد استوردنه من هناك .. بل ان اللهجة المصرية فى بيروت علامة من علامات الانتماء السياسى والثقافى .. البعض يتحدث باللغة الفرنسية .. والبعض يتحدث باللغة الانجليزية .. والبعض يتحدث باللهجة المصرية .. والذى يتحدث باللغة الفرنسية تعلم أنه يحب فرنسا .. والذى يتحدث باللغة

والرقصات تصل الى بيروت فى نفس اليوم الذى تظهر فيه فى باريس أو روما أو نيويورك .. وقبل أن تصل الى القاهرة بشهور .. وقد جئت الى القاهرة فلم أجد احدا يعرف شيئا عن رقصة « الباستانوا » فى حين أن بيروت كانت ترقصها منذ شهور ..

ويوم بعد يوم تتسع شلة الأصدقاء حولى .. وكلهم بنات وشبان ابنانيون ، وأرمنيون ، وفلسطينيون ، وسوريون .. وقد اخترت من بين كل هؤلاء هشام ، الذى التقيت به يوم أن التقيت بعصام ، ليكون صديقا لى .. الصديق الذى ينسب لى .. ربما لأنه كان أحوج الجميع الى صداقتى .. ولأنه كان يضحكنى كثيرا بسذاجته ، وان كان كثيرا ما يفعل هذه السذاجة ، ليضحكنى أكثر .. صديق .. مجرد صديق .. هو المكلف بأن يصحبنى من البيت الى حيث تواعدت الشلة على اللقاء .. وهو الذى اختاره ليذهب معى الى السينما ، حتى لو ذهبنا وحدنا .. وهو الذى يحدثنى فى التلفزيون ويعرف برنامجى اليومى .. ولا أكثر .. لا شيء أكثر .. حتى ولا هذه القبلات التى كنت أسمح لأصدقائى فى بيروت بأن يضعوها على خدى ، وأتركها أحيانا لتتزلق على عنقى ..

ثم ..

بدأت من جديد أحس أنى لم أر القاهرة بعد .. انى لم ادخل بيتا مصرية .. ولم أعرف بنتا مصرية .. ولا شابا مصرية .. ولم أر شيئا يمكن أن يميز القاهرة سوى هذا النيل الذى يحاول أن يجرنى من قدمى لبيتلبنى .. وهذه الشمس التى تظل مفتحة طول النهار كأنها تجرى وزائى .. لا تحاول أن تستريح خلف سحابة ولا تحاول أن تكف عن ملاحقتى .. وبعد ذلك .. أحس بأنى لا زلت فى بيروت .. أحس أنى أعيش فى صورة مشوهة

أنها رخيصة .. رخص التراب .. ولكنى احب هذين الشارعين لأنها أكثر شوارع القاهرة حياة .. وضجة .. وأنا احب الحياة والضجيج ..

وعدت الى البيت القاتم ..

واستقبلتنى طنط لولى ، وعلى شفيتها ابتسامة نفاق تحاول أن تخفى بها ، قسوة عينيها ، وقالت فى رقة مفتعلة :

— كنت أرجو أن تبلغينا حتى لا ننتظرك على الغداء ..

قلت .. وأنا أحاول أن أكنم عصبيتى .. ان اعصابى تؤلمنى كلما هم احد ان يحاسبنى :

— آسفة .. لا تنتظرونى مرة ثانية .. انى اكره ان ينتظرونى احد ..

وسكنت طنط لولى ، وهى تزفر أنفاسها ، كأنها تحسب الأيام التى ساقضيها فى بيتها ، حتى تخلص منى .

وأصحت أخرج كل يوم مع شلة عصام .. نتفدى فى الكافتيريا .. ونذهب الى السينما .. وأحيانا أذهب معهم الى حفلات تقيمها الجامعة الأمريكية .. ونسهر فى الاستريو أو فى ملهى شبرد .. ونرقص .. وكنت أضحك على المصريين وهم يرقصون .. انهم يبدون كأنهم يهرولون فى بنطلونات واسعة وفى فساتين تجرجر على الأرض .. المصريون والمصريات لا يعرفون الرقص .. انهم يرقصون كأنهم يرتكبون فضيحة .. بعضهم يرقص فى خجل ، وبعضهم يرقص فى وقاحة .. الرقص يبدو غريبا عليهم كأنهم يقلدون فيه شعبا آخر .. وينسون أحيانا فيخلطون بين رقصة التشاتشا والرقص البلدى .. انهم لا يرقصون مثلما نرقص فى بيروت .. اننا فى بيروت نرقص الرقصات الحديثة كأنها وضعت خصيصا لنا ، لا كأننا نقلد شعبا آخر ..

ثم رقم التليفون ..

وأمسكت الخطاب في يدي .. أفكر .. ولم أفكر في أنني لم أقم بخدمة صغيرة طلبها مني عمي .. ولم يكن يهمني حتى بعد أن وجدت الخطاب وتذكرته أن أوصله لصاحبه .. ولكني كنت أفكر في هذا الدكتور هاشم : أنه مصري .. لقد قال لي عمي أنه مصري .. ولكن لعلة عجوز .. ولعله منافق .. فيه هذا الوقار المتعل والطيبة المتعلة اللذان يتظاهر بهما كل الأطباء .. ولكنه مصري .. يكنى أنه مصري ... ولعلني أحس عن طريقه بشيء من مصر .. ان مجرد رؤية طبيب شيء جديد علي ..

وحملت الخطاب واتجهت الى التليفون وأدرت رقم الدكتور هاشم ، وأنا أحس كأنني أقوم بمغامرة .. وسمعت صوتا مهبذا مؤدبا يرد علي ، وقلت وأنا أحاول أن أخفف من لهجتي اللبنانية كأنني أحسست بها كلهجة أجنبية وأنا أحادث أحد المصريين :

— الدكتور هاشم موجود ؟

وقال الصوت :

— نقول له مين .. يا أفندم ؟

قلت :

— اني من لبنان .. أحمل له رساله خاصه ..

قال :

— دقيقه واحده من فضلك ..

وانتظرت أكثر من دقيقة ، ثم جاء هاشم يرد علي في صوت

مليء ، خيل الي أنه ينبض بالملل :

— مين .. يا أفندم ؟

قلت :

— اني أحمل لك رساله من عمي الدكتور شمس الدين ..

سخيفة من بيروت .. ان المجتمع اللبناني في القاهرة الذي احتواني .. مجتمع منعزل .. يفلق على نفسه بابا لا يفتح على مصر .. ولا يسمح بالدخول فيه الا للأردنيين ، والفلسطينيين ، والسوريين ، حتى يستكمل صورة مجتمع بيروت .. ولا أدري هل المصريون هم الذين عزلوا اللبنانيين في مجتمع خاص بهم .. أم أن اللبنانيين هم الذين عزلوا انفسهم في مجتمع يتنقل بين كافيتيريا هيلتون ، والنادي الشرقي ، وباب الجامعة الأمريكية ، وبيوت الطلبة الغريباء .. واستريو الهرم ..

ولم أدر كيف أجد الطريق الذي يقودني الى القاهرة .. كيف أحس أنني تركت لبنان .. والزهق والملل يعاوداني .. وأحس أحيانا بنوية الاختناق تقترب مني .. وبدأت أفكر بعد أسبوعين فقط في أن أعود الى لبنان .. خير لي أن أعيش في لبنان ، من أن أعيش في صورة مشوهة من لبنان .. ومن هناك لعلني أفكر في السفر الى بلد آخر .. دلد ليس فيه مجتمع لبناني يمتصني ، وبصر علي أن يبقيني في داخله ..

الى أن كان يوم ..

وكنت في حجرتي بالبيت القائم ، أقلب في حقائبي ، عندما عثرت على الخطاب الذي أعطاه لي عمي الدكتور محمود شمس الدين .. كنت قد نسيت هذا الخطاب ونسيت أمره منذ وصلت الى القاهرة ..

وقرأت العنوان ..

الدكتور هاشم عبد اللطيق ..

ثم العنوان :

ميدان سليمان باشا ..

قال وكأنه يبتسم لى :

— أهلا وسهلا .. كيف حال الدكتور شمس الدين ..
قلت :

— منيح .. متى استطيع أن أسلمك الرسالة ؟
قال :

— أى وقت تشائين .. أم تفضلين أن أرسل لك من
يتسلمها ..

قلت بسرعة :

— أفضل أن أحملها لك بنفسى .. فانى لن أبقى فى البيت
طويلا ..

قال :

— شكرا .. انى فى انتظارك ..
قلت :

— بعد نصف ساعة على الأكثر .. العنوان ميدان سليمان
.. مكتوب على الظرف ..

قال :

— نعم .. ميدان سليمان باشا .. الف شكر ..

وأعدت سماعة التليفون .. وجريت ارتدى ثوبى ، ووضعت
على رأسى قبعة صغيرة من الفراء الأسود ، كانت قد جاءتنى هدية
من باريس .. تبرز لون بشرتى البيضاء .. وتجعل وجهى أكثر
استدارة .. وتطل فوق عينى السوداوين .. فأبدو كالقطة ..
ثم حملت فى يدي قلم الكحل وورقة الكبنكس ، وخرجت .. ركبت
سيارة عائلة محبى الدين ، وذهبت الى عيادة الدكتور هاشم ..
واستقبلنى الممرض باهتمام كبير .. ومره بى بين غرف العيادة
المزدحمة بالسيدات والرجال .. وأدخلنى الى غرفة المكتب ..

ثم تركنى وحدى .. وفجأة بحثت عن رسالة عمى فى يدي فلم
أجدها .. نسيتهها .. واحترت .. فكرت أن أعود الى البيت
لأحملها .. ولكنى عدت وهزرت كتنى بلا مبالاة .. سأقول له
انى نسيتهها ..

وفتح باب جانبى ودخل الدكتور هاشم ..

ونظرت اليه .. وكان أول ما رأته فيه شعره الأبيض ..
انه فى لون الدخان .. كأن فى قلبه شىء يحترق وينطلق منه الى
شعر رأسه .. وعيناه طيبتان فيهما انكسار عجيب ، وزهق ..
كأنهما عينتا طفل بتيم .. وشفثاه منفرجتان كأنه يقاوم من الألم
.. وأنفه كبير يحمله فوق وجهه النحيل كأنه ينوء بحمله .. وهو
كبير .. كبير فى السن .. على الأقل بالنسبة لى .. ولكنى
وجدت فيه شيئا أنسانى سريعا كبر سنه .. لعلها هذه النظرة
المنكسرة المليئة بالزهق التى تطل من عينيه .. ووجدت نفسى
اطيل النظر اليه .. وأعود وأدقق فى ملامحه ، بعينين جريئتين ..
كأنى أرى وجه مصر لأول مرة .. وهو واقف أمامى ينظر الى ..
كأنه لا يصق عينيه .. وعلى شفثيه ابتسامة مذهولة .. ثم
تقدم منى مادا يده ليصافحنى .. وتنبهت الى انى أنظر اليه بجرأة
.. فسحبت نظرتى المعلقة فوق وجهه .. ومددت يدي اليه وأنا
أقول :

— رحاب ..

وقال وابتسامته تتسع لتضم وجهى كله :

— أهلا ..

— ثم جلس الى مكتبه .. وعيناه تنظران الى .. ولا تزالان
مذهولتين .. وجرى بيننا الحديث .. وأنا أحس به كأنه يقاوم
حتى يحتفظ بمسافة بينى وبينه .. المسافة التى يفرضها الاحترام

الرسمى .. يقاوم نظرتة حتى لا تصبح أكثر تعبيرا عن اعجابة ..
ويقاوم كلماته حتى لا تصبح أكثر جراءة ... ويقاوم يده حتى
لا تمتد الى يدي .. انى أحس بكل ذلك .. ربما تستطيع كل فتاة
أن تحس بمكانتها عند الرجل بمجرد النظر الى عينيه .. وقد
أحسست به معجبا بى الى حد الذهول الى حد أن يضطر الى
كل هذه المقاومة ..

وقد أشعرنى حديثه لأول مرة بانى فى القاهرة .. لهجته
المصرية الرقيقة .. وأسئلته التى تشمرنى بأنى فى بلد غريب
عنها .. وأسئلته عن الأماكن التى شهدتها فى القاهرة .. ثم
كف بيننا الحديث برهة .. خيل الى خلالها أنه يهم أن يسألنى
عن الرسالة التى أحملها له ، فقلت فورا :

— آسفة .. لقد نسيت رسالة عمى ..

وضحك ضحكة كبيرة خيل الى أنها ابتلعت انفه كله ، ثم
قال :

— لا يهم ..

قلت وصدى ضحكته يتردد على شفتى :

— انى أتسى كثيرا .. ولكنى سأحملها لك يوما ..

قال فى لهفة :

— غدا ؟

قلت :

— لا .. بعد غدا !

ولم أدر لماذا لم أوافق على الغد ، فلم يكن لدى شىء يقيدنى
فى اليوم التالى .. ربما كان هذا مجرد انعكاس تلقائى لاحتاسى
بأنه معجب بى ..
قال :

— بعد غد .. إذن ..

قلت :

— سأتصل بك فى التليفون لنتفق على الموعد ..

ونظر الى فى تردد ، ثم أمسك بقامه وكتب رقما على ورقة ،
قدمها لى وسحابة خجولة حمراء تطوف بوجهه ، وقال :

— اتصل بى فى هذا الرقم ..

ولم أدر لماذا بدا عليه هذا التردد ، ولا لماذا الخجل ..
واستطرد هاشم قائلا :

— حتى أدر عليك بنفسى .. انه رقم التليفون الخاص ..

هزرت رأسى كأنى فهمت ..

وقمت واقفة ..

وقال رهو يضافحنى :

— الا تستطيع ان أقدم لك أى خدمة وانت فى القاهرة .

قلت :

— لا .. شكرا !

قال :

— أنت هنا مع العائلة ؟

قلت :

— .. وحدى !

قال :

— لعلنى أستطيع دعوتك ..

قلت :

— لا أدرى .. نتفق فيما بعد !

وابتسم .. وقال وهو يفتح لى الباب :

— لو أنى رأيتك فى أى مكان لما اعتقدت أنك من لبنان ؟

وهزرت كفتى ..
لا يهم ..

ورقدت فى فراشى وأنا لازلت بثوبى ، وصورة الدكتور هاشم تملأ خيالى .. انه ليس كبيرا جدا .. لعله فى الأربعين ، وربما أكثر قليلا .. انه أكبر من سامى وغسان وباقى أصدقائى فى بيروت .. ولكنه يبدو لى أكثر حاجة الى منهنم .. ويبدو مهموما ، حائرا ، ضعيفا ، كالطفل التائه .. هذه النظرة المنكسرة فى عينيه .. وهذه الابتسامة كأنها آهة ألم .. ثم هذه المقاومة العنيفة التى يبذلها ليحتفظ بشخصيته .. انه يبدو لى كأنه يعيش هذه المقاومة منذ ولد .. طول حياته يقاوم .. ترى ماذا يقاوم ؟ ولم أكن أفكر فى الدكتور هاشم الا كصورة مرت بي .. مجرد صورة .. لم يأخذنى خيالى الى أبعد من ذلك .. لم أجمع بينى وبينه ، ولا فى خيالى .. لم أتصور ان يكون بنى وبينه شيء .. لا يمكن أن يكون بينى وبينه شيء .. ورغم ذلك ..

انه شيء جديد بالنسبة لى .. شخصية جديدة .. مثيرة .. غامضة .. فيها غموض القاهرة اننى لا أعرفها ، ولم أستطع ان ألتقى بها حتى اليوم ..

ونمت دون أن أتخذ قرارا بالنسبة للدكتور هاشم .. ولا حتى قررت أن أعتذر له عن ضياع الرسالة .. انى أكره أن أعتذر لأحد .. أكره أن أشعر بأنى مدينة لأحد بالاعتذار .. ماذا يمكن أن تكون لهذه الرسالة من أهمية .. لا شيء قطعا .. مجرد كلام فارغ مما يتبادلته الرجال ..

وفى اليوم الثانى قررت أن أخرج وحدى .. حملتلى السيارة

قلت وأنا أنظر اليه بكل عيني :
— لماذا ؟

قال :

— انك تبدين كأنك باريسية ..
قلت ضاحكة :

— كثيرون يعتقدون ذلك ..

قال وفى عينيه شيء كالتوسل :

— سأنتظر منك تليفون ..
قلت :

— ان الله يريد ..

وخرجت .. وعلى شفتى ابتسامة زهو .. راضية عن نفسى .. معتدة بنفسى .. كأنى فتحت أبواب القاهرة ..

وذهبت للقاء شلة اللبنانيين فى كافيتريا هيلتون ، وتفديت معهم .. وربما لاحظوا يومها انى أكثر مرحا ، وأكثر اعتدادا بنفسى .. كنت أقودهم جميعا الى حيث أريد .. أقود حديثهم .. وأقود خطواتهم .. وأطلق بينهم الضحكات ، وأثير بينهم المناقشات .. ولم أكن أدرى سببا لانطلاقى .. ليس السبب قطعا هو الدكتور هاشم .. ولكنه احساسى بانى استطعت ان أخرج عن هذه الدائرة الضيقة التى عشت فيها منذ وصلت الى القاهرة ..

وعدت الى البيت .. وقبل ان أخلع ثوبى بدأت أبحث عن الرسالة التى نسيته .. بحثت عنها بجانب التليفون .. وفى غرفتى .. فى حقايبى .. فى الدولاب .. ولكنى لم أجدها .. ربما وجدتها الخادمة وأعطتها لطنط لولى .. وسألت طنط لولى .. وسألت الخادمة .. كل الخدم .. ولكن لا أحد وجد الرسالة ..

الى شارع قصر النيل ، ثم صرفتها واخذت اسير فى الشارع وحدى .. وتعمدت ان ادخل فى الشوارع الجانبية التى لم ادخلها من قبل .. ثم خرجت الى ميدان الأوبرا .. وميدان العتبة .. مناطق لم اتردد عليها من قبل ، ثم لحت شارعا مزدحما دخلت فيه .. عرفت فيما بعد انه شارع الأزهر .. ومشيت ، ومشيت .. وأنا اتمنى ان أتوه فى القاهرة .. او يخطفنى أحد .. ان اصادف أى مغامرة تحرك هذا الماء الراكد الذى غطست فيه حتى عنقى .. ولكنى لم أنه ، ولا حدثت لى مغامرة .. انها أمشى واطل على الوجوه السمراء التى أمر بها ، ويخيل الى أن كل وجه جدار من الحديد لا أستطيع أن أرى خلفه شيئا .. ورائحة أفريقيا نملأ أنفى .. رائحة العرق ، والزحام ، والشمس .. رائحة لاذعة تثيرنى ..

وتعبت من المشى ، فركبت سيارة تاكسى ، وطلبت من السائق أن يحملنى الى كافيتيرنا هيلتون .. لن يتوه أحد أبدا ما دامت هناك سيارات تاكسى ..

وكنت سعيدة يومها الأنى تحررت مرة ثانية من المجتمع الذى يمتصنى .. ولكنها كانت سعادة باهتة .. ولم أكد استقر بين شلة اللبنانيين فى الكافيتيريا حتى عاودنى الملل والزهد .. انه نفس الحديث التافه المعاد .. بل انى أستطيع أن أعرف ماذا سيقول هشام بعد نصف ساعة .. ومتى سيضحك عصام ضحكته الغليظة .. ومتى سنأتى سوزيت .. وماذا ستطلب ليلى .. الدقائق مرسومة أمام عيني .. مملة .. سخيفة ..

وقمت فجأة من مجلسى ، وذهبت الى حجرة التليفون ، وبحثت عن رقم عيادة الدكتور هاشم .. كنت قد نسيت أن أحمل

معى رقم التليفون الخاص الذى أعطاه لى .. انى أنسى دائما .. أو على الأصح أكره أن أحمل شيئا فى يدي ، أو فى ذاكرتى .. وعندما سمعت صوته ، قلت له فوراً :

— أنا رحاب .. هل أستطيع أن أمر عليك هذا المساء ؟
قال فى صوته المليء الكسول وأنا أكاد أسمع لابتسامته صوتاً :

— منى ؟

قلت :

— الساعة الخامسة ..

قال :

— سأنتظرك ..

وذهبت اليه فى الساعة الخامسة .. وكل ما تعمدته هو انى جمعت شعري فوق رأسى .. لأبدو أكبر .. وقال فى مرح هادىء بمجرد أن رآنى :

— انها تسريحة جديدة ..

قلت وأنا ابتسم له :

— هل أعجبتك ؟

قال :

— انك تبدين فيها كالقطة ..

ولم يعجبنى أن يشبهنى بالقطة ، لا لشيء الا لأن عشرات قبله شبهونى بالقطة ..

وقلت وأنا انظر الى ابتسامته اننى يخيل الى انها تنضح بالآلم :

— جئت اعتذر .. لقد أضعت الرسالة ..

وضحك .. كأنه يدلل طفلة صغيرة .. وقال :

يعيننى على اتخاذ قرار ..

— هل يزعجك أن أصحاب معى صديقتى ..

وقال فى تهالك كأنه على وشك أن ييأس :

— لا .. لا يزعجنى .. ولكن الحديث بين اثنين أمتع .

وترددت برهة .. ثم قلت :

— لك حق .. قبلت دعوتك ..

قال :

— غدا ..

قلت :

— غدا ..

قال :

— الساعة الواحدة والنصف ..

قلت :

— اتفقتا ..

وابتسم ابتسامة كبيرة ، ثم قال وهو يفتح لى الباب :

— هل أرافقك حتى البيت ؟

قلت :

— لست ذاهبة الى البيت .. انى على موعد مع بعض

الأصدقاء .

قال :

— صديقات ؟

قلت :

— وأصدقاء ..

قال :

— هل لك أصدقاء كثيرون فى القاهرة ؟

— لا يوم .. لا أعتقد أنها تحمل شيئاً هاما ..

قلت وأنا أدارى غيظى من ضحكته ، بابتسامتى :

— أعتقد أنه كان يوصيك بى .. لا أكثر .. ولكنى سأطلبه

فى التليفون الأسأله ان كان هناك شىء أكثر ..

قال وهو ينظر الى هذه النظرة التى تنضح بالمقاومة :

— دعيه هو يطلبك فى التليفون لو أراد أن يطمئن على

رسالته ..

قلت :

— أبى سيطلبنى فى التليفون على كل حال .. أسفة مرة

أخرى ..

وهيمت أن أنصرف .. وقام من وراء مكتبه ، ولحق بى قائلاً

كأنه يتوسل :

— هل تقبلين دعوتى الى الغداء ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه :

— لماذا ؟

قال فى دهشة :

— لا لسبب .. فقط لأكون معك ..

قلت :

— ان لى صديقة يسرها أن تخرج مع مصرى .. هل أعرفك؟

بها !

وعاد يضحك .. ضحكة خجلة .. كأنه جرح :

— انى لا أريد أن أخرج مع أى واحدة .. أريد أن أخرج

معك أنت ..

قلت وأنا أنظر فى وجهه كئى أبحث فيه عن شىء منه بين

ثلاثة ..

قلت :

— كئيبون ..

وتغير وجهه .. كأنه غرق فجأة فى بحر من الهم .. كئيبى
سكبت فوق رأسه ابريقا من الحيرة .. وابتلع ريقه .. ثم قال
فى صوت منهار :

— غدا .. الساعة الواحدة والنصف .. أين ؟

قلت :

— فى كافيتيريا هيلتون .. انه المكان الذى لا أتوه عنه ..

قال بعد تردد وهو لا يزال غارقا فى الهم :

— اتفقنا ..

وخرجت ..

وفى صدرى احساس بانى بدأت مغامرة ..

مغامرة فى القاهرة ..

نعم ..

كنت أعتقد أنها مجرد مغامرة ..

لا أدرى ما الذى ربطنى بهاشم ..

احاسيس ..

احاسيس جديدة على ، لم تخطر على قلبى من قبل ..

وقد كان هاشم أكبر من دخلوا حياتى .. أكبرهم سنا ..

لقد قال لى فى يوم لقائنا الأول ان عمره احدى وأربعون سنة ..

ثم قال لى بعد أيام ان عمره ثلاث وأربعون .. ثم اعترف لى

بأن عمره أربع وأربعون .. كأنه كان يسقيني عمرة على جرعات ،

حتى لا أصطدم لو شربته فى جرعة واحدة .. ولم يكن يخطر ببالى

أبدا ان أكون يوما لرجل فى الرابعة والأربعين .. كان رقم

الأربعين يمثل أمامى عالما آخر لا يمكن ان أعيش فيه .. عالم

بعيد .. بعيد .. بعيد عن قلبى ، وعن عقلى ، وعن خيالى ..
ورغم ذلك فعندما عرفت هاشم أحسست به أقرب الى من كل
الشباب الذين ملأوا حياتى .. أقرب لى عقلى .. بل انى أحيانا
كنت أشعر به أصغر منى .. كنت أشعر به كأنه طفل .. عيناه
فيهما براءة الأطفال .. وعلى شفثيه تردد الأطفال .. وأحاديثه
أحيانا فيها سذاجة الأطفال .. وانفعالاته فطرية صريحة كأنها
انفعالات طفل ..

ولكنى شعرت بالخوف من هذا الطفل ..

انى لم أشعر بالخوف أبدا من قبل .. كنت دائما مندفعه
فى حياتى بلا خوف ..

ولكنى منذ اليوم الأول الذى عرفت فيه هاشم ، والخوف
يتسلل الى قلبى .. كنت أنظر الى شعره الذى يختلط فيه الأبيض
بالأسود ، فأحس انى أغرق فى بحر من الدخان .. وأنظر فى
عينيه فأحس انى أضيع فيها .. راسع كلماته الساذجة
الصريحة ، فأحس بالحذر من السذاجة والصراحة ..

لا أدرى لماذا ؟

لماذا هذا الخوف ..

ربما لأنى أحسست بأن هاشم يحاول ان يأخذنى من عمرى
الى عمره .. وقد كنت فى التاسعة عشرة من عمرى ، ولكنى
حتى ذلك الحين أعيش فى عمر الخامسة عشرة .. وكنت أحب
هذا العمر .. كنت أفضل الثياب التى تضعنى فى عمر الخامسة
عشرة .. وتسريحة الشعر التى تضعنى فى الخامسة عشرة ..
والانطلاق البرىء الذى يندفع فيه عمر الخامسة عشرة .. كنت
أقضى اليوم كله بالنطلون والحذاء بلا كعب .. أذهب الى كافيتيريا
هيلتون بالنطلون .. والى السينما .. والى حفلات الجامعة

بدلة غامقة اللون .. ياقة .. وكرافت .. وجاكت .. كأنه ذاهب
الى تشييع جنازة .. كان الفرق بينى وبينه كبيرا .. كان اكبر
من عمره .. وكنت أصغر من عمرى ..

وما كُدت أجلس بجانبه فى سيارته حتى نظر الى نظرة طفل
مسكين ، وقال فى صوت مرتعش :

— ايجب أن تلبسى البنطلون ؟
قلت :

— الا يعجبك ؟
قال :

— يعجبنى .. ولكنه يجربنى .. انه يشعرنى بعمرى
وعمرى ..

وقلت وأنا أشفق عليه :

— اذن انتظر .. سأبدل ثيابى ..

قال :

— لا .. ولكننا لن نذهب الى السينما .. لنذهب الى مكان
آخر ..

قلت :

— انى أريد ان اذهب الى السينما .. انتظرنى .. خمس
دقائق فقط ..

ونزلت من السيارة .. وعدت ابنى البيت .. ووقفت أمام
المرأة ابدل ثيابى وأنا أحس بالاشفاق عليه ، وفى الوقت نفسه
أحس بالثورة على نفسى لانى أشفقت عليه .. أحس أنه غلبنى
وجعلنى ابدل ثيابى ..

ارتديت « تاير » « جرسيه » بنى اللون فيه خيوط من الذهب
.. ضيق .. ووضعت قدمى فى حذاء فرنيه .. سبعة سنتى

الأمريكية .. دائما بالبنطلون .. لأن البنطلون يحرننى من عمرى ،
ويحتفظ لى بعمر الخامسة عشرة .. ولكنى منذ عرفت هاشم
بدأت أحس بعمرى .. عمر التاسعة عشرة .. ثم بدأت أحس
بعمر الكبر من عمرى .. بدأت أحس بشيء يتتظ فى .. شيء
يخيفنى .. بدأت أحس بأنوثتى .. لم أعد أستطيع أن أتجاهل
أن هاشم رجل .. وأن رجولته أكبر من أن يضيعها فى الرقص
والتنطيط كما يفعل الشبان الذين عرفتهم .. وقد عرفت فى
بيروت كما قلت ، رجالا فى الثلاثين .. فى الخامسة والثلاثين
.. ولكن واحدا منهم ، لم يثر فى هذا الخوف ولم أحس بواحد منهم
يحاول أن يأخذنى من عمرى الى عمره .. هاشم وحده هو الذى
أثار فى كل هذه الأحاسيس ..

لم أكن أقاوم هاشم .. ولكنى كنت أقاوم نفسى ..
منذ اليوم الأول وأنا أقاوم ..

أقاوم هذه الأحاسيس الجديدة التى بدأت تتسلل الى ..

وازدادت التصاقا بالشبان اللبنانيين الذين تعرفت بهم
وربطت نفسى أكثر بصديقى عصام .. وتغالييت فى انطلاقى ..
انطلاقة الخامسة عشرة .. أحاول بكل هذا أن ابقى كما أنا ..
لا أريد أن أتغير .. لن أسمح لأحد أن يغيرنى .. أن يجعل مبي
فتاة أخرى غيرى .. أن يجعل لى شخصية أخرى غير الشخصية
التي اخترتها .. وأذكر أن هاشم دعانى مرة الى السينما ..
فخرجت اليه وأنا مرتدية البنطلون وشعرى سائل على وجهى ..
وكنت أعلم أن ليس من اللياقة أن اذهب معه الى السينما
بالبنطلون وشعرى سائل .. كنت أعلم انى سأبدو بجانبه كأنى
ابنته .. ولكنى عاندت ، ووقفت أمام المرأة طويلا أحاول أن أقاوم
عنادى .. ولكنى بقيت عنيدة الى أن خرجت اليه .. ورايته مرتديا

.. ورفعت شعري فوق رأسي .. وعدت اليه ليستقبلني بابتسامه
خبيره حلوة .. ابتسامه طفل فرح ..
وكان هاشم يقاوم هو الآخر ..
اني اشعر بمقاومته ..

ربما كان احساسه بالفرق بين عمره وعمرى ، أكبر من
احساسى .. وكان هذا الفرق يقف بيننا أحيانا ، فأحس به يحدثنى
حديث صديق كبير ، كأنه عمى الدكتور محمود شمس الدين .
حديثا سخيفا باردا ، وأحيانا كان يحدث العكس ، كان يحدثنى كأنه
شباب فى العشرين .. ويتعمد أن يختار المواضيع التى يعتقد
أنها تهم شباب العشرين .. كأنه يحاول أن ينزل الى عمرى ..
وكان حديثه فى هذه الحالة أيضا ، حديثا مفتعلا ، سخيفا ، باردا
.. ولكنه فى أحيان أخرى كثيرة كان ينسى عمرى وعمره ، وينطلق
يتحدث على طبيعته .. حديثا حلوا ، عميقا ، فيه أفكار جديدة ..
وتجارب كثيرة .. حديثا يفتح عقلى على عالم لم أكن أعرفه ..
عالم فيه حقائق هادئة ، ومرح هادىء ، وسعادة هادئة ..
وقال لى مرة ، وهو بنظر الى وصى عينيه شبه حسرة :

— غريبة .. لقد كنت قبل أن نأذننى أحب فتاة فى العشرين
من عمرها .. أنها الآن فى الحادية والعشرين .. أكبر منك
بعامين فقط .. ولكنى لم أشعر أبدا بالفرق بين عمرى وعمرها ..
قلت وأنا أشعر بغصة :

— البنات المصريات يكبرن أسرع من اللبنانيات .. جوكم
حار .. تنضج فيه البنت أسرع من جر لبنان ..
قال صاحكا :

— لا أظن .. ولكنه الشكل .. لقد كانت أطول منك ..
وأسمن .. ولم يكن عنى وجهها هذه الطفولة التى تبدو على
وجهك ..

وشعرت بالغيظ .. انى أكره أن يقارننى أحد بأى فتاة
أخرى .. وقلت كائى أدافع عن نفسى :

— كثير من الرجال لا يروننى طفلة ..
قال وهو يتنهد :

— أنا أيضا لا أراك طفلة .. ولكنى أحاول أن أحس بك
كطفلة ..

قلت وأنا التفتت اليه كائى غاضبة :

— لماذا ؟

قال :

— هذا خير لى ..

ولم أحاول أن أستطرد فى هذا الحديث .. كنت أعرف الى
أين ينتهى هذا الحديث .. ولكن احساسى بالغيظ من هذه الفتاة
الأخرى ظل يلازمنى .. انه ليس غظا .. انه غيرة .. لعلها
المررة الأولى التى أحس فيها بالغيرة من فتاة أخرى .. وجدت
نفسى أسأله ، فجأة ، كإن السؤال انطلق رغما عنى :

— هل كنت تحبها ؟

والفتت الى فى دهشة وقال :

— من ؟

قلت :

— هذه الفتاة الأخرى ..

قال وهو يحنى رأسه :

— نعم .. كنت أحبها ..

وقلت كائى إتهكم :

— وأين ذهب الحب ؟

قال وهو يزفر أنفاسه :

وأصبحت أغار كالنساء .. وأتحدث كالنساء .. وأحس بأحاساس
النساء .

لماذا أغار ؟

انى لا أحبه حتى أغار عليه ..

وحتى اذا كانت هذه الغيرة مجرد أنانية .. أنانية بلا حب
.. فيجب الا أنسى أنه رجل فوق الأربعين .. ولابد أن فى حياته
الطويلة تجارب كثيرة ، ومساء كثيرات .. انه ليس فتى فى الثامنة
عشرة أو فى العشرين ، حتى أصدم عندما أعرف أنه كان يحب فتاة
قبلى .. ويجب الا أنسى هذا .. يجب الا أنسى أنه فى الخامسة
والأربعين ..

وأعود أقاوم ..

وهو يقاوم ..

ورغم هذه المقاومة ، غاننا نلتقى .. كل يوم تقريبا .. وشيء
يشدنى اليه أكثر وأكثر .. وأحس بحاجة الى .. ومسؤوليتى
عنه ..

وقد عرف أصدقائى اللبنايين انى تعرفت الى شاب مصرى
.. وقتلت لهم اسمه .. ولكنى لم أقل لهم عمره .. وهمست
صديقتى عفاف فى أذنى قائلة :

— احترسى من الشبان المصريين .. انهم يريدون كل شيء
من البنت .. ولا يعطون شيئا .. الا الكذب .. وكل منهم عنده
شقة ..

ولم أهتم بكلمات عفاف .. انها لا تعرف هاشم .. انه
ليس شابا .. انه رجل .. رجل كبير .. ولا يمكن أن يكون من
هذا الصنف من الشبان المصريين ..

وبدأت ارى القاهرة معه كما لم أرها قبل أن التقتى به .. كنا

— قاومته ..

قلت :

— لماذا ؟

قال :

— لأنها كذبت على .. أخفت عنى حقيقتها .. وجدت امامى
فجأة فتاة أخرى غير الفتاة التى أحببتها ..

قلت :

— وكان من السهل عليك أن تنساها ..

قال :

— لا .. لم أنساها .. ولكننا أصبحنا أصدقاء ..

ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وقال :

— لقد رأتنا معا .. وهى تعتقد أنك تصبغين شعرك ..

وصرخت كاتى أذافع عن أعزما املك :

— اصبغ شعرى .. لماذا .. هل أنا عجوز لاصبغ شعرى
.. خذ .. المس شعرى .. هل هذا شعر مصبوغ .. لماذا
قالت لك ان شعرى مصبوغ .. لابد انها هى التى تصبغ
شعرها ..

قال وهو يبتسم فرحاً بصراخى :

— اى لم أصدقها .. ولم أغضب منها .. ويجب ان
تعذريها .

قلت فى زهق :

— شو بدى منها ، حتى أعذرها .. انى لا اعرفها ..

وبقيت الابتسامة على شفثيه ..

وكرهت نفسى ساعتها .. أحسست انى كبرت فجأة ..

نذهب الى المطعم .. وأنى الفيوم .. والى القناطر .. والى الهرم ..
والى سيدنا الحسين .. ونسير معا فى ضوء القمر فى
الشوارع الضيقة .. فى النحاسين .. والمتونى .. والقلعة ..
والمآذن الكثيرة ترتفع من حولنا شاهنة كأنها تحاول أن تصل الى
الله .. لقد وجدت القاهرة شيئا آخر ، بعد أن ابتعدت عن كافيتيريا
الهيلتون وشارع قصر النيل .. شىء آخر غير بيروت .. لها
شخصية أخرى .. لها رائحة أخرى ..

وكل شىء يتغير معناه .. الهرم لم يعد مجرد قطع من الحجارة
والنيل لم يعد مجرى من الوحل يحاول أن يشدنى من قدمى
ويبتلعنى .. ويبدو أننا لا نستطيع أن نشاهد القاهرة ونحس
بها الا مع واحد من المصريين .. واقد أحسست أن فى هاشم
قطرة من النيل .. فى أنفه الكبير قوة النيل .. وفى عينيه
الهادئين طيبة النيل .. وفى شفثيه المنفرجتين سذاجة النيل ..
وفى حيرته حيرة النيل .. فيه ضعف، النيل وهو يسير منكسا
ذليلا لا يستطيع أن يقاوم رمال الصحراء التى تقع على شاطئيه ..
وفيه جبروت النيل عندما يتمرد فى مناطق أخرى فيشق الصخر ..
وفيه كبرياء الهرم .. وفيه ايمان المذئبة .. وفيه ضجيج ميدان
العتبة ، وهدوء شارع ارجيلية .. ان هاشم كان مصر كلها تسير
على قدمين .

لقد أحببت القاهرة مع هاشم ..

وابتعدت عن لبنان .. كنت فى كل أسبوع أقرر ان اعود الى
لبنان فى الأسبوع التالى .. ثم اعود وأؤجل عودتى الى الأسبوع
التالى .. ومضى شهر ونصف وأنا لا أزال فى القاهرة .. وأبى
يتصل بى فى التليفون كل يومين ليطمئن على عودتى .. وفى كل
صباح أكتب خطابا الى امى أو أحد أخوتى ، أو احد أصدقائى ..

وقد خفت أن تكون عائلة محبى الدين قد ضاقت باتقامتى
عندها ، فقررت أن أنتقل وأقيم فى فندق هيلتون أو شبرد ..
ولكن العائلة كلها عارضت .. ربما خشيت ان أقمت فى الفندق
أن يطلب منهم أبى أن يسددوا لى الحساب زدا لجزء من الدين
الذى يطالبهم به .. كما أن أبى رفض أن أقيم فى فندق وحدى ..
وبقيت عند عائلة محبى الدين ..

وكانوا قد ينسوا منى .. لم يعد أحد منهم يحاول أن يعرف
أين أذهب ومع من .. وأعطونى مفتاحا للبيت ..

وفى كل يوم أيضا أتلقى بشلة اللبنانيين .. وصاديقى عصام
.. أتناول الغداء معهم ، والعشاء مع هاشم .. أو العكس ..

وأحاول أن أقتنع نفسى بأنى حر ، .. حرة من هاشم ومن
عصام .. ومن شلة اللبنانيين .. ومن عائلة محبى الدين ..
حرة من كل شىء الا من أحاسيسى التى تسيطر على ، وتحكمنى ..
ولكن هذه الأحاسيس تدفعنى الى هاشم أكثر ..

انى أشعر بشىء جديد عندما تتلامس أيدينا .. وأشعر
بشىء جديد عندما تلتقى أعيننا .. وأشعر بشىء جديد وأنا أنتظر
لقاءه .. شعور آخر غير ما كنت أشعر به عندما كنت أعرف
تيسير ، وأندرية فى لبنان .. وشعور آخر غير ما أشعر به نحو
صاديقى عصام ..

ما هذا الشعور ؟
ربما كان مجرد الزغبة فى الاستطلاع .. فهاشم أول مصرى

أعرفه .. ثم هو فى الخامسة والأربعين من عمره .. وهذا يكفى ليثير فى حُب الاستطلاع ..

ولكن خوفى من هذا الشعور يشتد ..

وأشعر بأنى فى حجة الى بذل مجهودا أكبر كى أقاوم هذا الشعور .. أقاوم أحاسيسى التى عشت عمرى كله مستسلمة لها ..

الى أن كان يوم ..

وكنت مع هاشم فى سيارته فوق جبل المقطم .. نتدفأ فى شمس بعد الظهر ..

ونظر الى هاشم طويلا .. هذه النظرة التى تثير فى هذا الشعور انجديد .. ثم صمت صمتا طويلا .. وفجأة التفت الى وقال كأنه قرر أن يتخلص من ضعفه :

— رحاب اننا لا نستطيع أن نستمر هكذا .. اننا نخدع أنفسنا ..

ونظرت اليه نظرة سريعة ، ثم أرخت عيني عنه .. وقلت :

— ماذا تقصد ؟

قال :

— اننا نقاوم .. انى أقاوم .. وأشعر أنك أيضا تقاومين .. هذه المقاومة ستفسد كل شىء بيننا .. ويجب أن نحدد وضعنا ونستسلم له ..

قلت :

— ماذا تريد ؟

قال :

— بمراحة .. لم أعد أستطيع أن أكتفى بهذه الصداقة .. أشياء كثيرة أقاومها .. أقاوم كلاما أريد أن أقوله لك .. أقاوم

أحساسا بأنى أريد أن أمسك يدك .. أقاوم .. أقاوم .. انى

أريد أن أقبلك الآن .. ولكنى أقاوم ..

قلت فى صوت خافت :

— ولكنى لا أريد أن أقبلك ..

ونظر الى بعينين مدهولتين كأنه لا يصدقنى ، وقال :

— ماذا أنا بالنسبة لك ..

قلت وأنا أشعر بأنى أقاوم .. أقاوم صراحتى التى تعودت

عليها :

— انت صديق .. وأنا سعيدة بكل دقيقة أقضيها معك ..

قال :

— صديق فقط ..

قلت :

— صديق عزيز ..

وأحنى رأسه كأنه هزم وقال :

— خيل الى اننا نستطيع أن نكون أكثر من أصدقاء ..

قلت وأنا أحاول أن أكون باردة :

— لا أعتقد اننا فى حاجة لأن نكون أكثر من أصدقاء ..

قال :

— لك حق .. انها غلطتى .. ولكن اعذرنى .. اعذرى

غرورى .. ولعله ليس غرورا ، ولكنى أحسست انى فى حاجة

اليك .. الى أكثر من صداقتك .

وأحسست أن قلبى ينشق ، ورغم ذلك قاومت .. وقلت :

— ألسنت سعيدا بصداقتى ؟

قال كأنه يسخر من نفسه :

— سعيد .. نعم سعيد ..

قلت كأنى أكبر منه :

— فلنكتفِ إذن بهذه السعادة .. أنا أيضا سعيدة بصدافتك ..
وعقد ما بين حاجبيه وقال :

— ولكننا نسير فى طريق سيقضى على صداقتنا .. اننا
نسير فى طريق ينتهى الى حب او الى هاوية .. فاذا لم نصل
الى الحب ، سقطت صداقتنا فى الهاوية .. ويجب أن نحوى
صداقتنا من السقوط .. من أن تتحطم .. يجب أن نسير فى
طريق آخر ..
قلت :

— ماذا تعنى ؟

قال وهو يجز على أسنانه كأنه يستجمع ارادته :

— يجب الا نلتقى كل يوم .. ويجب الا نلتقى وحدنا .. ويجب
أن أعرفك بأختى .. وتعرفينى بالعائلة التى تقيمين عندها ..
حتى اذا التقينا كان لقاؤنا فى جو عائلى يحوى صداقتنا من التطلع
الى دنيا أخرى ، ومن الاطلاق الى عاطفة أكبر ..
قلت وقلبي يخفق فى هلع :

— ولكنى لا أحب زيارة العائلات .. انى لم احضر الى القاهرة
لازور عائلات ..
قال فى مرارة :

— ولكن هذا يحفظ صداقتنا .. انى اريد أن أياأس من احلامى
.. واريدك أن تساعدينى على اليأس ..

قلت وأنا أحس كأنى أهم بالبكاء :

— اتفتنا ..

وساد بيننا الصمت ..

صمت ثقيل .

وكل منا يعاند نفسه ..

وقاد سيارته الى بيتنا .. أنا وهو والصمت ..

وعندما أوقف سيارته أمام البيت لم يلتفت الى .. ظل ناظرا
أمامه .. ووجهه محتبب غاضب كأنه فى معركة مع نفسه ..
ونظرت اليه فى لهفة تشوبها شفقة ، وقلت فى صوت خفيض :

— متى أراك ؟

قال وهو لا ينظر الى :

— سأنتفق مع أختى لتدعوك الى الغداء أو العشاء ، ثم أتصل

بك ..

قلت وأنا انظر اليه بكل عينى :

— أهذا ما تريده ؟

قال :

— هذا ما تريدينه أنت ..

قلت وأنا أفتح باب السيارة :

— أنا لا أريد أن ادعى الى بيتكم لا على الغداء ولا على
العشاء .. ولا اريد أن اعرف أختك .. انها ليست فى مثل
سنى ..

ولم يرد على ..

ظل صامتا .. معتد الحاجبين .. ووجهه محتبب .. كأنه
فى عراك مع نفسه ..

وبقيت أنظر اليه برهة .. وأحاسيس كثيرة تعتمل فى صدرى
.. الغيظ .. والعناد .. والرغبة .. والاندفاع .. والتردد ..
ثم فجأة أغلقت باب السيارة الذى كنت قد فتحتة ، قبل أن أنزل
منها .. وقلت فى حدة :

— أين تريد أن تقبلنى .. هنا ؟

والفتن الى في دهشة ، وقال :
— ماذا قلت ؟

وقلت وأنا أكثر حدة :

— تبلى .. اذا كنت كل مشكلتك انك تريد ان تقبلنى ..
وفتح فيه ليتكلم :

— انى و ..
وقاطعته :

— افعل ما بدا لك .. انى لم ار رجلا يستاذن البننت قبل ان
يقبلها .. او يستاذنها ان تسمح له بأن يحبها .. لا تسالنى
شيئا .. لا تسالنى .. ارنى ما تريده ..

وامتلات عيناه بالتردد ، ثم ادار موتور السيارة ، وهو يقول :

— لك حق ..

وسار بنا ..

وقلبي يرتجف .. خوف .. ورهبة .. وغيط .. وعناد
.. وتطلع .. واندم لانى اطلقته فيما يريد .. وأثرته الى حد
التحدى .. ثم اعود واعاند نفسى .. اتحداها .. واحاول أن
اقنع نفسى بانى اقوى من أن يأخذ منى احد شيئا لا أريد ان
اعطيه ..

رهو يقود السيارة صامتا ..

وهممت أن اسأله الى أين .. ولكنى عاندت .. حاولت أن
انظاها بانى لا سبالية .. لا يهمنى شيء .. ولكن عنادى تبخر فى
لحظة .. وانفقت من بين شفقتى السؤال :

— الى أين ؟

وقال وهو لا يلتفت الى :

— سنذهب الى الاستديو ..

قلت :

— أى استديو ؟

قال ولمسة حمراء تبع فوق خديه :

— شقة خاصة نسميها استديو ..

قلت فى حدة :

— لماذا تسميها استديو .. لماذا لا تسميها شقة ..

قال وكلماته ترتعش بين شفتيه :

— ربما لأن كلمة استديو أرق من شقه ..

قلت :

— ولكن كلمة شقة أصرح ..

قال :

— إذن .. شقه ..

ثم استطرد قائلا :

— اذا كنت لا تريدين .. فلن نذهب ..

قلت فى تجد :

— لا .. لنذهب .. انك ستقبلنى هناك .. اليس كذلك ؟

قال :

— لا أدرى .. ولكنى سأشعر بك هناك اقرب الى ..

وستكت .. وكلمات صديقتى عفان تطن فى اذنى « احترسى

من الشباب المصريين .. انهم يزيدون كل شيء من البننت ،

ولا يعطون شيئا الا الكذب ، وكل منهم عنده شقه » ..

ولكى كنت ممثلة بالتحدى ..

نحدي أكبر من الخوف .. وأكبر من شخصية هاشم ..

وكنت أكره نفسى سماعتها .. أكره هذا الاحساس بالتحدى

.. وأكره خوفى .. وأكره شيئا آخر ، أكره احساسى بأنوثتى

ورغم ذلك لم أحاول أن أتلفت لأرى ما حولى .. لأرى كيف تكون
شقة الشاب الأعزب .. بل انى لم أحاول أن أنظر الى هاشم ..
تركز احساسى ساعتها فى انتظار ما سيحدث .. كنت فى كل
دقيقة أنتظر أن يحدث شئ ، وأستعد لمقاومة هذا الشئ ..

وكان هاشم يتكلم .. يتكلم كثيرا .. ويتحرك أمامى فى
الرتيبك ، كطفل ضائع لا يدري من أين يبدأ طريقه .. وفتح
الراديو .. ثم أغلق الراديو وأدار اسطوانة .. وهو يتكلم ..
ويتكلم .. ثم فجأة اقترب منى وأنا جالسة على المقعد ، وانحنى
ولمس خدى بشفتيه .. ولم أتحرك .. ولم أرفع اليه عيني ..
بقيت جامدة .. وأحسست بلمسة شفثيه ساخنة .. نار ..
كانها شعاع من شمس القاهرة يلسعنى .. وأحسست بوجهى
كله يحترق .. ولكنى بقيت جامدة .. ولمس هاشم خدى بشفتيه
مرة أخرى .. ومرة ثالثة .. أحس كأنه يحاول أن يذيقنى فى
ناره .. ولكنى جامدة .. جامدة كالخشب .. ثم طاف بشفتيه ،
واقترب من شفثى .. وزممتها .. زممت شفثى .. أخفيتهما
داخل ممي .. وحاول أن يصل اليهما .. أن يشدهما بشفتيه
من داخل فمى .. ولكنى قاومت .. بلا عنف .. وأنا أدعى
الجمود والبرود ..

وابتعد هاشم عنى ، وفى عينيه نظرة خجل ، كأنه أحس أنه
أخطأ ، وقال لى فى صوت ضعيف :
— أنا آسف ..

قلت وأنا أساوى شعرى ، واتحسس خدى لأطفىء اللهب
الذى أشعله فيهما :

— لا تأسف .. لقد سمحت لك ..
قال وهو يتنهد :

.. كنت أحس فى تلك اللحظة بأنوثتى أكثر مما أحسست بها فى
أى يوم من حياتى .. أنوثة منساقاة الى رجل ، وهو احساس
يقززنى ، يضعفنى ، لا أريد أن أحس بأنى انثى .. ولا بأنى
صبى .. لا أريد أن أحس بأى صفة من صفات الجنس .. كل
ما أريد أن أحس به هو أبى رحاب .. لست انثى ولست رجلا ..
ولكنى رحاب .. شخصية قائمة بذاتها ، ليست فى حاجة الى
جنس آخر ليكملها ...

وأعصابى تلتوى من الغيظ ..
الغيظ من نفسى ..

لماذا أنا منساقاة هكذا .. لماذا قبلت ان أذهب معه الى
الشقة .. لماذا لا أعود .. لماذا لا أقف الآن من السيارة ، وأجرى
.. لماذا لا أترك هاشم ولا أعود أرى وجهه .. انه حمل ثقيل ،
لا أريد أن أثقل به على حياتى .. أريد أن أتححر منه .. أن
أرقص .. أن أضحك .. لأشئ جاد .. لأشئ يخيفنى .. و ..
ووقف أمام عمارة فى الزمالك ..

ونزلنا من السيارة .. وسرت بجانبه أدب على الأرض
بخطوات تعلن عن احساسى بالتحدى .. وعيناي مفتوحتان على
آخرهما كأنى أريد أن أشق بهما انجدران لأرى ما خلفها ..
ولم أتكلم ..

ولا هاشم يتكلم ..
وصعدنا ..

وفتح هاشم الباب ..
ودخلت ..

وجلست على أول مقعد صادفنى ..
وكانت المرة الأولى التى أدخل فيها عند شاب أعزب ..

— انك لا تريد ان قبلاي ..

قلت وانا ابتسم له لآعينه على نفسه :

— من يدري لعلى أريدها يوما ..

ونظر الى بعينين مثوثحتين كأنه يتعجب منى .. ثم تشاغل
عنى بادارة أسطوانة ..

وبدأت أشعر بالزهق .. تبخر شعورى بالخوف ، وتبخر
تطلعى الى التجربة الجديدة .. وبدأت أشعر بالزهق .. زهق ..
يكاد يخنقنى .. وهاشم يبدو سخيفا فى كل ما يفعله .. سخيفا
فى كلامه .. انه ليس طبيعيا ، ولا أنا ..

وقمت واقفة وقلت فى حزم :

— يجب أن أعود الآن ..

ونظر فى ساعته وقال وهو يصفر بشفتيه صغير الدهشة :

— الساعة السابعة .. لقد تأخرت كثيرا على موعد العيادة

لا يهم .. هل أراك فى المساء ..

قلت :

— لا اناى مدعوة مع بعض الأصدقاء ..

وارتعشت عيناه وقال :

— شيبان ؟

قلت :

— نعم .. وبنات ..

قال وهو يحاول أن يبتسم :

— المفروض ألا تخرجى الا معى ..

قلت فى دهشة :

— لماذا ؟

قال :

— لأنك سمحت لى بنقبيلك ..

قلت :

— وماذا يعنى هذا ؟

قال :

— يعنى اناى أصبحت رجلك ..

قلت وانا ابتسم :

— أنا لا أحب أن يكون رجلى انايا .. ليس من حق رجلى

أن يحرمنى من أصدقائى ..

قال :

— 'يرضيك أن أخرج مع فتاة أخرى ؟

قلت :

— اذا أحسست بأنك تريد أن تخرج مع فتاة أخرى فيجب

أن تخرج معها .. أنا لا أحب أن تجاملنى .. أو تنافقنى .. أريد

أن أحس دائما بأنك تتصرف باحساسك ..

قال فى يأس :

— وانت تحسسين بأنك تريد أن تخرجى الليلة مع

أصدقائك ..

قلت :

— نعم .. وأكره إلا أخرج معهم مجاملة اك .. وأكره أن

تسمى هذا اخلاصا .. الاخلاص هو الاحساس المخلص .. ولأن

احساسى مخلص فانى سأخرج الليلة مع أصدقائى ..

قال :

— وترقصين معهم ..

قلت :

— نعم ..

قال كأنه يئن :

— وقد يضع أحدهم خده على خدك أثناء الرقص ..
قلت :

— انى عادة لا احب أن يضع احد خده على خدى وأنا ارقص ..
الرقص عندى هو احساسى بالموسيقى لا احساسى بالرجل ..
ورغم ذلك فثق انى لو احساست بانى اريد أن يضع أحدهم
خده على خدى .. فلن اتردد .. لانى لو لم أفعل .. فلن أكون
مخلصة ل احساسى .. واذا لم اخلص ل احساسى ، فلن أكون
مخلصة لك .. اذا خدعت احساسى فانى اخدعك .. انا فثقتك ..
وأنا لا ادب أن اخدع احدا ، ولا أن انافق احدا .. افهمنى ..
انا ملك ل احساسى قبل أن أكون ملكا لاحد ..

ونظر الى كأنه عاجز أن يرد على منطقي ..

ثم قام وفتح لى الباب ، وهو يقول :

— لك حق ..

وساد الصمت بيننا طوال الطريق .. وخيل الى أنه يتألم
فى صمته .. عيناه تنضحان بالالام ..

وخرجت مع اصدقاءى ليلتها .. ولكن جهرة اللهب التى تركها
هاشم بقيت تحرقنى طويلا الليل .. ونظرة الالام فى عينيه تطوف
بى ..

ونمت فى انتظار لحظة لقائه فى اليوم التالى .. وأنا أشعر
بانى كنت قاسية عليه ، وأعاهد نفسى بأن اكفر عن قسوتى ..
ولا ادري ان كان هذا انشعور صادقا أم انى كنت اخدع به نفسى
.. كنت اتعلل به حتى اتركه يقبلنى مرة ثانية .. كنت اريده
أن يقبلنى .. فقط يقبلنى !

والتقينا فى السيارة .. وذهبنا الى مكاننا المفضل فوق جبل
المقطم .. والقاهرة كلها تحت أقدامنا .. كأنها مستسلمة لنا ..
وقد كنت أغيظ هاشم دائما كلما ذكر جبل المقطم .. كنت أصيح
فيه :

— شو جبل .. هذا لا يساوى تلا فى لبنان ..

ويضحك هاشم ..

ولكنى فى هذا اليوم لم أحاول أن أغيظه .. كان كل احساسى
مجتمعا فى انتظار اللحظة التى يقبلنى فيها .. ولكن الالام فى
عينيه .. كان يتكلم وينصرف كالطفل الغاضب .. وضقت بانتظار
قبلته ، وقلت فجأة كأنى بم أعد احتمل :

— ألا تريد أن تقبلنى اليوم ..

ونظر الى فى دهشة ، وقال :

— انك لا تحبين قبلاتى ..

قلت وأنا أنظر الى شفطيه بكل عينى :

— دعنى أجربها مره ثانية ..

واقترب هاشم بشذتيه وقبل أن يصل الى شفطى ابعدت
راسى عنه ، وقلت :

— لا .. لا تقبلنى .. اذا كنت لا تريد ..

وشدنى هاشم من شعرى فى حركة مباغتة ، وقرب راسى
اليه ، وهو يهمس :

— انك تتكلمين كثيرا ..

ثم سقط فوق شفطى ..

واستسلمت له بكل شفطى ..

ربما كانت المرة الأولى التى لم أحس فيها بانى أضيق بقبلة
فوق شفطى .. ولا أبدل مجهودا لاحتملها كما كنت احتمل قبلة

لقاتهم .. وكنت يوماً على موعد معه .. ومر على بسيارته
ليأخذنى من أمام البيت .. وقلت وأنا اجلس بجانبه :

— لن أستطيع أن ابقى معك الا عشر دقائق ؟

ونظر الى فى تحمز وقال :

— لماذا ؟

قلت :

— صديق جاء من لبنان .. وقد وعدته أن أخرج معه الليلة ..
وصرح :

— لماذا لا تعملين مضييفة سياحية ، لتستقبلى السائحين
اللبنانيين وتطوفى بهم على معالم القاهرة ..

قلت :

— لا تصرخ .. أرجوك ..

قال :

— انى لا أستطيع أن أحب فتاة تخرج كل يوم مع رجل ..

قلت فى حدة :

— انى أخرج مع اصدقاء .. لا مع رجال .. وأنا لا أخفى
عك شيئاً .. ولكنك تفضل أن أخدك كما تفعل البنات المصريات
.. تفضل أن أقول لك انى ذاهبة الى الكوافير أو الى زيارة
صديقة ، ثم أذهب الى لقاء رجل .. ولكنك لا تحتلم أن أصارك
بأنى سأخرج مع صديق .. أتدرى لماذا تخدع البنات الرجال ،
لأن الرجال لا يحبون الحقيقة .. لا يريدون أن يفهموا أن البنت
ليست مجرد جنس .. وأن العلاقة بين البنت والرجل ليست
دائماً علاقة جنسية .. يجب أن تعرف أن البنت شخصية كاملة
من حقها أن يكون لها اصدقاء سواء كانوا بنات أو رجالاً .. من
حقها أن تتحرك كما تريد .. أن البنت تعمل الآن ، فاذا كان من

تيسير .. طعم آخر .. نكهة أخرى .. كأنهما أول شفتين
ناضجتين التقى بهما .. وكأن شفاه الرجال لا تنضج الا بعد
الأربعين .. وأعصابى تهذا .. وتسنسلم .. كأنى كنت أجرى
طول حياتى ولم اتوقف عن الجرى الا بعد أن وصلت الى شفثيه ،
وشىء جميل رائع يسرى فى عروقى كلها .. كأنى سأنام ..

ورفع هاشم شفثيه عن شفثى ..

والتقت عيوننا كأننا نلتقى لأول مرة ..

ثم عادت شفثاه الى شفثى ..

ومرت بنا الأيام بعد ذلك أكثر روعة وجمالاً .. ولكننا لم
نكن نذهب الى الشقة ..

كنت أضيق بهذه الشقة .. كنت أحس كلما هممت بالذهاب
اليها ، كأنى على وشك أن تصيبنى نوبة الاختناق .. انى أكره
الجدران .. كل الجدران ، لقد قضيت طول عمرى أهرب من
الجدران .. جدران بيتنا فى بيروت ، وجدران المدارس التى
التحقت بها .. وجدران بيت عائلة محبى الدين .. انى لا أضغ
نفسى بين أربعة جدران الا اذا غلبنى النوم .. وقد أحس هاشم
بكل ذلك .. أحس بى فتاة عصبية ، يعذبها الزهق كلما دعانى الى
الشقة .. فكف عن دعوتى .. وانطلق معى .. فى حدائق
القناطر .. وفى حقول المنصورية .. وفى رمال المقطم ..
وقبلاتنا منطلقة معنا .. لا تفقد روعتها .. كأنها النسيم الطلق
الذى يتجدد باستمرار .. ليست قبلات مخنوقة بين أربع
جدران ..

وكنا نختلف دائماً حول موضوع واحد .. كل يوم لنا خناق
حول حقى فى أن التقى بأصدقائى وأخرج معهم .. وكنت مصره
على احتفاظى بهذا الحق .. يكفى أن أحساسى يدفعنى الى

— انك تتحدث كأن لقائى مع صديق جريمة ..
قال :

— انها جريمة فى حقى .. انها استهانة بى .. اذا اردت
ان تنقادى لأحاسيسك فبجب أن تعيشى فى عالم وحدك .. لأن
الناس لهم أيضا أحاسيس يجب أن تراعيها ، وتحترمها ..
وتحسبى حسابها ..

ثم سكت برهة ليلتقط أنفاسه واستطرد قائلاً :

— سأخرج مع فتاة حتى تحسبى بما أحس به .. حتى تحسبى
بالجريمة ..

وشعرت بقلبى يتملأ ، وهو يهددنى بأن يخرج مع فتاة غيرى
.. ولكنى عانددت ، وفتحت باب السيارة ، وأنا أقول :

— يجب أن أتركك الآن حتى لا أتأخر عن موعدى ..
ولم يرد على ..

وفزلت من السيارة ، والتفت إليه قائلة :

— أتدرى ماذا بعدك .. انانيتك .. كل ما تريده الايرانى
الناس مع أحد غيرك .. انك لا تزال شرقيا .. الفتاة يجب أن
تكون فتاة خصوصية .. كسيارتك .. كحذائك ، أنانية الشرق
.. غباؤه .. افهم انى لست سيارة .. ولا حذاء .. لست
وردة تضعها فى عروة سترتك .. وتتخايل بها أمام الناس ،
أنا لست ملكة .. أنا ملكة نفسى .. حتى لو أحببتك .. حتى
او كنت الرجل الوحيد فى الدنيا ..

وتركتة قبل أن أسمع رده .. وأنا أشعر كأنى أهم بالبكاء ..
واتصل بى هاشم فى اليوم التالى ..

كان صوته ضعيفا مهزوما فيه رنة الاعتذار عن مناقشة
الأمس ..

حقها أن تلتقى بالرجل فى المكتب أو فى المصنع ، فلماذا لا يكون من
حقها أن تلتقى به فى منهى أو فى حديقة .. وإذا كانت قد
استطاعت أن تتحرر من الجنس فى المكتب .. فلماذا لا تتحرر
من الجنس خارج المكتب .. هاشم افهمنى .. انى أستطيع
أن أكذب عليك وأخدعك كما فعلت بك أمينه ونجوى .. ولكنى
لن أفعل .. لا من أجلك .. ولكن من أجل احساسى .. انى
مخلصة ل احساسى قبل أن أكون ملخصة لك .. واخلاصى ل احساسى
هو اخلاصى لك ..

وصرخ هاشم وهو يضرب عجلة القيادة أمامه بقبضته ،
وعيناه غاضبتان :

— احساسك .. انك تتحدثين دائما عن احساسك ..
واحساسى أنا ، اليس له وجود .. أنتعتدين انى حجر .. حمار
بلا احساس .. ثم يجب أن تعرفى أن الانقياد للاحاساس هو
انحلال .. فوضى .. انك قد تحسبن بأنك تريدين أن تخلعى
ثيابك فى الشارع ، فلماذا لا تخلعينها .. وأنا احس أحيانا بأنى
أريد أن أقتل شخصا ، فلماذا لا أقتله .. ان الاحساس يقوم
أساسا على الغريزة .. والانسان لم يتقدم الا لأنه استطاع أن
يقاوم غرائزه .. كل تاريخ الانسان هو تاريخ مقاومة غرائزه
والسيطرة على احساسه .. الانسان وضع القوانين ليقاوم
غرائزه واحساسه .. وحدد المبادئ .. ودعا الى احترام
الناس بعضهم لبعض .. والأنبياء والفلاسفة .. والمفكرون ،
كل هؤلاء لم يفعلوا شيئا الا أنهم قاوموا غرائز البشر والسيطرة
على احساسهم ، حتى يستطيعوا حماية المجتمع الانسانى
والتقدم به .

قلت وأنا أصرخ مثله :

وابنسمت ..

انه لا يستطيع ان يستغنى عنى ..

وبدأت اعطيه وقتا أكثر وهو يعطينى كل وقته .. وليس معنى هذا انى تنازلت من حقى فى ان يكون لى اصدقاء .. أبدا .. كنت لا زلت اخرج معهم .. وأرقص .. بل انى ازددت احساسا بأن هؤلاء الأصدقاء هم ضمان حريتى .. هم حماية لى من ضعفى .. اذا حدث يوما واحسست انى ضعيفة .

والقاهرة كلها تتحدث عنى وعن هاشم من كثرة ما رأنا الناس معا .. وعائلة محبى الدين بدأت نتهامسى عن علاقتى بهاشم .. ثم بدأوا يتحدثون عنه أمامى .. لم يكن احد منهم يلومنى .. وربما لم يستطع احد منهم ان يحدد نوع هذه العلاقة التى تربطنى بهاشم ، فلم يكن من السهل ان يتصوروا ان هاشم يحبنى ، أو انى أحبه ، لفارق السن الكبير بينى وبينه .. ولكنهم كانوا يمتدحون هاشم كثيرا أمامى .. ويرددون ان له نفوذا كبيرا .. وأنه صديق لكل رجال مصر .. ودودى ابنة طنط ميمى لا تخفى غيرتها من صداقتى لهاشم ، انها تلوى شفقتيها كلها سمعت فى البيت سيرة هاشم ، ثم تصعد الى غرفتها فوق سطح البيت ، وتصنع تماثيل من طين .. ولكن زوجها رفيق بدأ يهتم بى أكثر من عادته ، منذ سمع بصداقتى لهاشم .. وقد قلت ان رفيق كان يغيب كثيرا عن البيت ويعود فجأة .. ولا يهتم احد بغيبته ولا يفرح بعودته .. وتعودت أنا أيضا إلا أهتم به .. والواقع ان شيئا فيه كان يقززنى .. ابتسامته التى تسيل على شفقتيه .. ونظراته المتسللة من تحت جفنيه ..

ولكنه بدأ يتعمد ان ينتظرنى ليتناول معى طعام الإفطار ، ويتعمد ان يسألنى اذا كنت سأعود لتناول الغداء ، ودعائى مرة

الى العشاء فى شبرد مع زوجته وبعض أصدقائه .. وأهدائى مرة خاتما أثريا اشتراه من خان الخليلى وكان يتحدث كثيرا عن هاشم .. وعن نفوذه ، وقال لى مرة :

— لا أظن أن الدكتور هاشم من الأشخاص الذين تفتش حقائبهم فى الجمرى عندما يسافر ..

وقلت بلا مبالاة :

— لا أدرى ..

لم أفهم يومها ما كان يقصده رفيق ..

— ٢ —

هاشم يتطور بسرعة .. أسرع من تفكيرى .. أسرع مما أنتظر .. لا .. انه لا يتطور .. انه يحاول ان يجعل من نفسه انسانا آخر .. يحاول ان يكتسب لنفسه شخصية جديدة .. عمرا جديدا .. كان يبدو كأنه يئس من ان يرفعنى الى عمره ، فقرر ان ينزل الى عمرى .. وكان كل ما يسعى اليه هو ان يستأثر بى .. ان يبعثنى عن أصدقائى الشبان .. يئس من ان يقتنعنى بأن اكون له وحده .. فقرر ان يكون كل شىء فى حياتى .. وان يعطينى كل ما يمكن ان يعطيه لى أى انسان آخر .. ان يشغل كل وقتى .. وكل تفكيرى .. وكل أحاسيسى .. بحيث لا يترك منى شيئا لأحد غيره ..

وكنت معه نتناول العشاء فى مطعم عائم على النيل .. مطعم عمر الخيام .. وأنا أفضل دائما ان اكون مع هاشم فى الأماكن الهادئة .. انى أحس به أكثر وسط الهدوء .. أحس

بعقله الكبير .. وآرائه العميقة .. ولسانه الرقيقة .. ونظراته الحانية كأنه يخشى على ، لو أطلق عينيه لتعبيرا عن رجولته ، أن يكسرنى بنظراته ..

وسألنى هاشم :

— ماذا تفعلين غدا ؟

قلت ببساطة :

— فى الصباح سأذهب مع بعض الأصدقاء الى الهرم لنركب الخيل ..

وتغير وجهه فجأة : والتمعت عيناه ، وقال وهو يقبض على كأسه بكل أصابعه كأنه يحاول ن يحطمه :

— مع من ، من أصدقائك ؟ ..

قلت بلا مبالاة :

— مع عصام .. وعفاف .. وعايده .. وأسعد .. وصالح .. ولا أدري من أيضا ..

ونكس عينيه وقال وكأنه يخاطب نفسه :

— عصام دائما ..

قلت وأنا أنظر اليه مشفقة عليه :

— عصام مجرد صديق .. لا أكثر .. و ..

وقاطعنى فى حدة :

— أعلم .. ومن يدري .. لعلى أنا مجرد صديق .. ولعل

ما بينى وبينك هو ما تسهينه صداقة ..

قلت وأنا أنظر اليه بكل عيني ، وعلى شفقتى ابتسامة أحاول

أن أرفه بها عنه :

— أنك كثير الشكوك .. والذنب ليس ذنبك ..

قال ونى عينيه الم :

— ذنب من ؟

قلت وأنا أهزأ كئيبا :

— ذنب البنات اللاتي عرفتهن قبلى .. كلهن بنات لا يعرفن معنى الصداقة بن الرجل والمرأة .. وقد تعودت على أن ما تعطيه الفتاة لرجل هو نفس ما تعطيه لى رجل آخر ..

قال نى عصبية :

— أرجوك شبعيت من فلسفتك ..

ومرت بيننا فترة صمت ..

وهاشم محتقن الوجه .. عيناه محتدتان .. ويشرب كأسه فى عنف كأنه يطفىء بها نارا شبت فجأة فى رأسه .. ثم قال وهو لا ينظر الى :

— سأذهب معك ..

قلت نى دهشة :

— الى أين ؟

قال :

— الى الهرم .. لنركب الخيل ..

وشعرت بالحرج .. لم أدر بماذا أجيبه .. انى لا أريده أن يكون معى .. ثم قلت كائى وجدت حجة تثنيه عن عزمه :

— وعيادتك ؟

قال وهو يهزأ كئيبا :

— لا يهم ..

قلت :

— انى لا أريدك أن تترك مرضاك من اجلى ..

قال وخطوط كثيرة تشق جبينه :

— اذا كان يهمك مرضاى ، فلا تذهبي مع اصدقائك ..

انى لا أستطيع أن أعالج مريضاً .. بينما عقلى مشغول بك
بتصورك مع رجل آخر ..

قلت :

— أنا لست مسؤولة عن مرضاك .. أنا لست طبيبة .. أنت
الطبيب ..

قال فى ضعف :

— لو كنت تحبيننى لشاركتنى مسئوليتى ..

قلت فى عناد :

— تفصّد لو كنت أحبك لصرت عبدة لك .. لسجّنت نفسى
فى البيت من أجلك .. لا .. أنا لا أفهم هذا المنطق .. ولو أنك
كنت تحبى لوثقت بى ..

قال :

— انى اثق بك ، ولكنى لا اثق بأصدقائك ..

قلت :

— لأنك لا تثق بنفسك ..

ورفع الى عينيه كأنه يلومنى لانى جرحته ، ثم قال وفى
صوته مزيد من الضعف :

— لا يمكن لرجل ان يثق بنفسه عندما يحب فتاة مجنونة ..

قلت فى حدة :

— أنا لست مجنونة .. ولكنك معقد .. أتدرى ما هى

عقدتك ؟

قال وعلى شفقيه انتسامة مرة ساخرة :

— ما هى عقدتى ؟

قلت :

— عمرك .. انك لا تريد أن تنسى عمرك ..

وارتفعت خطوط الألم الى جبينه .. وقال :

— افرضى أن هذا صحيح .. لماذا لا تساعديننى على أن أنسى
عمرى .. وكيف أستطيع أن أنسى عمرى وأنت لا تحاولين
أن تنسى شمرى ..

قلت :

— إن أى عمر أعيش فيه لا يحرمنى من أن يكون لى أصدقاء ..

قال :

— إذن ، سأعيش معك ومع أصدقائك ؟

قلت :

— ولكنك لا تعرفهم ..

قال :

— عرفينى بهم ..

قلت فى غيظ :

— أنك لن تستريح معهم ، ولن يستريحوا معك ..

قال :

— إذا كنت أستريح معك ، فسأستريح معهم .. وإذا كانوا

يستريحون معك ، فسأستريحون معى ..

قلت فى حدة :

— أنا شىء آخر .. عقلى يتسع لك .. احساسى يتسع لك

.. أما هم .. فعقولهم صغيرة وأحاسيسهم صغيرة ..

قال فى تهكم :

— لماذا تعرفين ناساً عقولهم صغيرة ؟

قلت :

— لأنى ألهو معهم .. اننا فى حاجة الى التفاهة بقدر حاجتنا

الى العمق .. فى حاجة الى أن نعيش على سطح الحياة ، كما

هذا الحب .. ان الرجل عندما يحب وهو فى الخامسة والأربعين *
فتاة فى التاسعة عشرة .. فهو يغامر بكل ما بقى من أيامه ...
يغامر بعمر الخمسين وعمر الستين وعمر السبعين .. وقد حاولت
أن اتجنب هذه المغامرة .. حاولت أن أطفىء آخر ومضة حب
يمكن أن تنطلق من شمعة حياتى .. ولكن لماذا .. لماذا أعيش
فى الظلام وأنا لا زلت فى الخامسة والأربعين .. ولماذا أربط
بين الحب وعمرك .. لماذا لا يحق للرجل فى الخامسة
والأربعين أن يحب فتاة فى التاسعة عشرة . الحب ليس تفاعلا
كيميائيا .. نضع عمر الخامسة والأربعين على عمر الخامسة
والثلاثين فيتم التفاعل فى أنبوبة الحياة وينتج الحب .. كلام
غاضى .. الحب ليس تفاعلا بين أرقام العمر .. ولكنه تفاعل
بين عقليين ، وقلبين .. وشخصيتين مهما تباعدت أو اقتربت
الأعمار ..

ورفعت اليه عينين مبهورتين وقلبي مشدود الى شفتيه ..
انى لم أسمع أبدا من قبل يتحدث بهذه الرقة .. وبهذه العذوبة
.. ولم ألمح الصدق فى عينيه أو فى عيني أى رجل ، قد ما لحته
ساعتها .. واضطربت عواطفى ساعتها الى حد أن شعرت
بأنى على وشك البكاء .. ولم أجد كلاما أقوله .. لم أستطع
أن أحدد بالضبط ما يمكن أن أقوله .. ورفعت كأس البرتقال
الموضوع أمامى وقربت من شفتي .. ولم أشرب منه .. ولكنى
أبقيته بين شفتي ..

واستطرد هاشم قائلا وهو لا يزال ممسكا بيدي الأخرى ..
يضغط عليها .. وصوته يرتعش .. والصدق فى عينيه :
— ان كل ما أحاوله الآن هو أن نعيش فى عالم واحد ..
ان أقرب بين عالمك وعالمى حتى يصبحا عالما واحدا .. عالم

اننا فى حاجة الى أن نغوص فى اعماقها . ثم انى احس احيانا
كثيرة بأنى تافهة .. وأنى فى حاجة الى التفاهة ، هؤلاء الأصدقاء
يشبعون جوانب التفاهة .. انى معهم أضحك على نكات لن
تضحك أنت لها .. وأرقص رقصات لا تحب أن ترقصها . انى
معهم انطلق فى نواحي أخرى لا أستطيع أن انطلق فيها معك ..
أصرخ .. وأجرب .. وردد أغانى شارل أرنافور ، وأغانى نات
كنج كول .. فلماذا تحرمى من كل ذلك ..
قال وهو ينظر الى بعينين متوسلتين :

— انا لا أريد أن أحرملك من شيء ، ولكنى أريد أن أشاركك
كل شيء ..
ولم أرد عليه ..

لويت شفتى ، وألقيت ظهري على مسند المقعد ، واطلقت
عيني فى نظرات بعيدة .. بعيدة عنه ..
ومرت بيننا فترة صمت أخرى ..
ثم ألقى هاشم بكأسه .. ومد يده والتقط يدي ، وقال وهو
يضغط عليها .. وصوته مبجوح :

— رحاب .. انى .. انى احبك .. واستطيع أن احبك
أكثر .. ولم أكن أعتقد انى ساحب من جديد وبهذه السرعة ..
مرت على أيام اعتقدت فيها أنه لم يعد لى قلب أحب به .. كان
قلبي قد تفتت الى حد لم يعد يصلح لأحب .. ولكنى بدأت احس
بقلبي يعود الى الحياة .. الى النبض .. ولم أصدق احساسى
.. لم أصدق انى احبك .. وفى خلال الشهور التى مرت علينا
وأنا أصحو كل صباح وأنكر انى احبك .. ولكنى لا أكاد المح
التليفون .. حتى اكتشف ، انى احبك اليوم أكثر من أمس .. وأنتظر
أن أسمع صوتك فى التليفون بشوق أكثر .. وأنا أعلم خطورة

ان هذا الانسان انانى . وهذا ليس انانيا .. كلاهما خاضعان
لاحاساس اللحظة .. والصدقة .. ان صديقك لم يكن صديقك
بالأمس .. وقد يكون عنوك غدا .. انى لا أو من بكل هذا الكلام
.. ان الأحاسيس عندى لحظات .. أعيش اللحظة التى انا
فيها ...

ولا احاول ان أربط نفسى باللحظة التى تليها . أنت
لا تحبنى ، وأنا لا أحبك .. ولكن كلينا يحب هذه اللحظة التى
تجمعنا .. رهى لحظة .. حتى لو استمر الحب ساعات أو أياما
أو سنين .. لأن السنين مجموعة لحظات .. وما دمت لا تستطيع
أن تحكم على اللحظة التالية .. فأنت لا تستطيع الا ان تعيش
اللحظة التى أنت فيها .. لا تستطيع ان تتنبأ بأحاسيسك ..
لا تستطيع ان ترصدها كما يرصد علماء الفلك الحالة الجوية ..
لا تستطيع ان تقول غدا حب .. وبعد غد زهق .. وبعد بعد غد
تضحية .. انك تستطيع ان تقول لفتاة أحبك هذه اللحظة ،
ولو قلت لها انك ستحبها طول العمر ، فأنت دجال لأنك تتنبأ
بالغيب .. واحاسيس الانسان هى أعمق وأبعد ما فى الغيب ..
لا احد يستطيع ان يرى أحاسيسه ..

وكان هاشم يستمع الى وعيناه متسعتان ، ووجهه غارق فى
الدهشة ، وقال بصوته مبهور :

— ومن وضع على لسانك هذا الكلام ؟

ونظرت اليه كأنى الومه وقلت :

— لا احد .. كلام اكتشفته بنفسى .. انى طول عمرى احاول
ان اكتشف أحاسيسى وأرتبها وأنظمها .. وأضعها فى دوسيتها
كما تفعل سكرتيرات المكاتب .. حاولت ان اعرف هل انا انانية
أم شهيدة .. هل .. هل .. حاولت ان أضع أحاسيسى فى

يضم اصداقاً مشتركين .. واهتمامات مشتركة .. ولن يكون هذا
سهلاً .. فالذى يفرق بين عالمى وعالمك ليس الاصدقاء والاهتمامات
فقط .. ولكن بلدى وبندك .. أنت فى بيروت ، وأنا فى القاهرة
.. وأنا خائف .. خائف من ان نفشل فى بناء عالمنا الواحد ..
وهذا الخوف يجعلنى أكره أصدقائك ، وأكره بيروت .. أكره
كل شىء يفرق بيننا .. ورغم ذلك يجب ان نجتاز التجربة ..

ولم أجد أيضاً كلاماً أقوله .. بقيت صامتة .. (كأس البرتقال
بين شفتى .. وعيناي سارحتان ..

وقال هاشم وبين شفثيه ابتسامة صغيرة :

— فيم ترحين ؟

قلت :

— فى كلامك ..

ثم وضعت الكأس من يدي ، وقلت وأنا لا انظر اليه :

— انك تعتقد الدنب من حولى .. انى لم احاول ان اسأل
نفسى اذا كنت أحبك أم لا .. بل انى لا أو من بهذه المتاييس العامة
التي يطلقها الناس ويريطون أنفسهم بها .. الحب .. الصداقة
.. الكراهية .. الأثانية .. كل هذه الألفاظ لا تدل على حقيقة
لأنها ليست ثابتة . ليست ماضيا ، ولا حاضرا ، ولا مستقبلا ..
ان الناس تحاول ان تجعل من الأحاسيس اشياء مادية ثابتة ..
كالجماد .. كالحديد .. والصخر .. والخشب .. ولكن الخشب
كان خشبا فى الماضى .. وهو خشب فى الحاضر .. وسيكون
خشبا فى المستقبل .. ولكن الحب .. كيف تثق أنك ستحبنى
غدا كما تحبنى اليوم .. وكيف تثق أنك تحبنى اليوم كما كنت
تحبنى أمس .. والأثانية .. ان الانسان قد يكون انانيا فى
لحظة .. ومضحيا فى لحظة أخرى .. فلا تستطيع ان تقول

— هذا صحيح ..

قال :

— اذن ، من حقك أن تدافعى عن هذه اللحظة حتى تستمر الى اللحظة التالية واللحظة التى بعدها ، والى مدى الحياة ..

وترددت برهة ، كأنه فعلا تسلسل من ثقب فى عقلى :

— طبعا .. هذا من حتى ..

قال :

— اذن اتفقنا .. فهذا هو الحب .. الحب ليس عاطفة غير

ارادية ، ولكنه عاطفة تذكيتها وتحفظ بها الارادة ... الحب فى

حاجة دائبة الى الارادة .. والى الذكاء .. والى التضحية

المتعمدة .. حتى يعيش ..

قلت اصارع منطقته :

— معنى هذا أن الانسان هو الذى يصنع الحب .. معنى

هذا أن أى فتاة يمكن أن تحب أى رجل ..

قال بسرعة :

— لا .. ليس هذا ما اقصد .. ولكن الفتاة تجد فى الشاب

شيئا يعجبها .. يتفق مع عقليتها .. مع ذوقها .. فتتمنى بارادتها

هذا الشيء حتى يصبح حبا .. ثم بارادتها أيضا وبما تبذله من

نفسها تستطيع أن تحتفظ بهذا الحب ..

قلت رقد تعبت من المناقشة :

— ولكنك قلت انك تخاف من حبك لى ، فلماذا تحاول ان

تشبه بارادتك ..

قال وهو يهز كتفيه :

— لا أترى .. ربما الأنى قارنت بين خوفى وحاجتى اليك

.. فتغلبت حاجتى اليك ..

دوسيهات .. هذا حب .. وهذه صداقة .. وهذه كراهية ..

وهذا زهق .. ولكنى .. ولكنى فشلت .. وكنت افاجأ بأحاسيسى

التي تحكم تصرفاتى أكثر مما يفاجأ بها الناس .. وقد سبق ان

اعتقدت انى أحب تيسير الذى سبق أن حدثك عنه ... ولكنى

كنت فى لحظة اكتشف فى نفسى احساسا مختلفا نحوه .. لحظة

أزهى منه .. ثم فى لحظة لم أعد أحس به اطلاقا .. أختفى من

كل أحاسيسى .. أين ذهب الحب اذا كان الحب شيئا ثابتا ماديا .

أين هو .. وأين ذهب حبك لنجوى ؟

وقال هاشم وهو ينظر الى كأنه ينظر الى مجنونة :

— انك تهدمين الحياة كلها .. انك تهدمين اجمل وأشرف

ما فى الانسان .. ان أنحب هو البشرية .. لولا الحب لما تزوج

الناس ، وخلفوا صبيانا وبنات ، واستمرت الحياة ..

وضحكت ضحكة صغيرة وقلت كأنى أسخر منه :

— بالعكس .. أندرى لماذا يتزوج الناس .. لأنهم لا يثقون

بعواطفهم .. لأنهم يؤمنون مثلنى أن الحياة لا يمكن أن تقوم على

العاطفة .. لأن العاطفة لحظات .. ليست حياة .. ولذلك فكل

اثنين يربطان نفسيهما بعقد قانونى ... ليحتمى كل منهما من

اللحظة التى تتغير فيها عواطف الآخر .. يرتبطان بعقد لأن

كل منهما لا يثق فى الآخر .. كل منهما يؤمن بأن الحب لحظة ،

لا تضمن اللحظة التى تليها ..

وسدكت هاشم برهة وهو لا يزال ينظر الى بعينيه المتسعيتين

من الدهشة .. ثم قال ، كأنه وجد ثوبا فى عقلى :

— انك تقولين انك تحبين هذه اللحظة معى .. اليس كذلك ؟

قلت :

رهزرت رأسى كائى استسلمت ..

واستطرد هاشم قائلا ونظرات غبنيه تمسح على خدى فى
رفقى :

— وانت ؟

قلت :

— أنا ماذا ؟

قال :

— ماذا قررت ؟

قلت :

— انى لا أستطيع أن اقرر شيئا .. انى أكره أن اقرر شيئا ..
.. أكره مجرد كلمة قرار .. افهمنى .. انى أكره أن أرى الفد
.. أكره أن أرى صورة للمستقبل .. ان مجرد رسم صورته
للمستقبل والتمسك بها ، يفقد المستقبل لذته .. يفقد الحياة
كلها روعنها .. ان روعة هذه اللحظة التى أعيشها هى فى
انتظار مفاجأة قد تأتى بها اللحظة التالية ..

وتنهى هاشم فى ييس ..

واستطردت قائلة :

— انقرار الوحيد الذى يمكن أن اتخذه الآن .. فى هذه
اللحظة .. هو أن أعود الى البيت ..

وقام هاشم واقفا .. وكأنه ضاق بى .. وقال :

— قرار هائل ..

ودفع الحساب ، وأمسك بذراعى ليخطو بى فوق المعبر
الذى يصل بين المطعم العائم وشاطئ النيل .. ثم التى ذراعى
من يده بمجرد أن وصلنا الى الشاطئ ..

ولم نتكلم طوال الطريق ..

ونزت من السيارة امام باب البيت .. دون أن يقبلنى كما
عودنى .. ربيعد أن نزلت مد عنقه نحوى وقال :

— متى ستذهبين غدا الى الهرم ؟

قلت :

— عصام سيهر على فى الساعة الحادية عشرة ..

قال فى حزم وعينا، تبرقان بالتصميم :

— وأنا أيضا سأمر عليك فى الحادية عشرة ..

ثم سحب عنقه ، واعتدل امام عجلة القيادة .. وصرخت :

— ومرضاك ..

ولكنه انطلق قبل أن يسمعنى .. او لعله سمعنى ولم يرد

على ..

وصعدت الى غرفتى وأنا أحس بشيء ثقيل يضغط على
صدرى ، ويلتف حول عنى .. أشعر كائى أجزى فى قدمى قيذا
من حديد .. انى أكره أن يقيدنى أحد .. أكره أن يلاحقنى أحد
... أكره هاشم فى هذه اللحظة ..

ونمت نوما أرقا ..

صليل القيود يزعجى ..

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا ، سمعت صوت كلاكس
سيارة عصام .. ان عصام تعود أن يضغط على الكلاكس بحيث
يخرج نفمة مميزة ، أعرفه بها ..

وبعد لحظات سمعت صوت كلاكس سيارة هاشم .. ان
هاشم يضغط على الكلاكس كأنه يضربه ، فيطلق صوتا مزعجا
كأنه الصراخ ..

وأنا حائرة فى غرفتى .. أحاول أن اقنع نفسى بالا اذهب
معهم ... لا مع عصام ، ولا مع هاشم .. حتى لا أخرج نفسى ..

وصاحته ، والحبرة ، والجرح الذى اوقعنى فيه ، يمزقانى .. وقلت وأنا انظر اليه كانى الومه لأنه جاء :

— هل اقدمك لأصدقائى الآن ؟

ولم يرد هاشم ..

فتخ باب السيارة ونزل منها ، ثم أمسك بيدي واتجه بى الى سيارة عصام .. وغدته اليهم :

— صديقى الدكتور هاشم ..

واعتدل عصام واستعد وصلاح ، فى جلستهم داخل السيارة ، وقد بدا عليهم الارتباك ، كأن الأستاذ ضبطهم وهم مزوغين من المدرسة ..

وانطلقت عيون عفاف وعائده ، فى شبه شهقة ، وهما ينقلان نظراتهما بينى وبين هاشم ..

ومد هاشم يده وأخذ يصافحهم واحدا واحدا وهو يبتسم لكل منهم كأنه يطمئنه .. كأنه يقول لكل منهم انه رغم كبر سنه ، فهو منهم .. اليف .. ثم قال فى صوت رقيق رزين :

— سيارتى اكبر .. هل ننقل كلنا اليها .. بدل أن نذهب فى سيارتين ..

وازداد ارتباك الشبان .. وتمتم كل منهم بكلمة لا معنى لها .. وكل منهم حريص على أن يبدو فى أشد حالات الأدب والاتزان ..

وأطأت عفاف الى سيارة هاشم .. ثم التفتت اليه بعينين مبتسمتين وقالت :

— مكرة ..

وقال عصام وهو ينظر الى كأنه يسألنى رأبى ، ثم يعود وينظر الى هاشم بعينين مرتبكيتين :

ثم انى لا أحب ركوب الخيل .. كل ما هنالك انى أحب لبس بنطلون الركوب .. لقد شاهدت مرة أودرى هيبورن فى أحد الأفلام ، ترتدى البنطلون المخصص لركوب الخيل ، فخرجت من السينما واشترت بنطلون مثله .. وفى المرات القليلة التى ركبت فيها الخيل سواء فى بيروت أو فى القاهرة كنت أصر على أن يمسك السنايس بلجام الحصان ، ويستير بى الهوينى .. لأنى أخاف .. ثم أفضى الوقت كله متمتعة بلبس بنطلون الخيل ..

ورغم ذلك نزلت انبهم .. مرتدية قميصا أسود ، وبنطلون ركوب رمادى اللون . وحذاء طويلا « هاى بوت » يصل الى ركبتى ، ومصنوع من جلد أسود ، ثم قبعة سوداء .. وفى يدي سوط من الجلد ..

كنت رائعة ..

والشئ الثقيل يجثم على صدري ، والقيد الحديدى يجرجر فى أقدامى ..

ورفعت يدي التى تحمل السوط ولوحت بها لعصام وأنا أصبح وعلى شفتى ابتسامة كبيرة :

— هاى ..

وكان مع عصام بقية الشلة .. عفاف وعائده وأسعد وصلاح ..

واتجهت اليهم .. وتبادلنا صرخات التحية .. ثم اتجهت الى هاشم وأنا أجد صعوبة فى الاحتفاظ بابتسامتى ..

وكان هاشم يرتدى قميصا مفتوحا ، قصير الأكمام ، ويلف حول عنقه ايشاريا رمادى اللون منقطا بنقط سوداء .. وكان وجهه منجبتها متمعا . يبدو انه لم ينم .. وانفه يبدو اكبر .. وشعره أكثر بياضا .. كان يبدو كأنه أحد اللوردات الانجليز القدامى ..

.. وفكرت المشرفة على بيت الطالبات ان تتصل بك .. ان
عيادتك قريبة جدا من بيت الطالبات .. هكذا قالت ..
وقال هاشم كأنه يخاطب سيدة كبيرة :
— الحمد لله اننا التقينا بلا مرض ..
والتقت الي كأنه يرى تأثير كلامه على .. كأنه يستغيت
بي لاساعده على الكلام ..

وعصام جالس بجانبى مؤدب غاية الأدب .. وأسعد وصلاح
يتهاوسان .. ثم تلتقى العيون كلها فوق وجه هاشم ..

كنا نشعر كأننا تلاميذ فى رحلة مدرسية بصحبة الأستاذ ..
ثم ارتفع صوت عايذة تغنى أغنية هنرى ماسياس : « لقد
تركت وطنى .. تركت بيتى .. تركت حياتى .. حياتى البائسة »
.. ثم اعقبته بأغنية « الحقول الخضراء » ... وشاركتاها
جميعا فى الغناء .. وهاشم صامت .. يصفر بشفتيه حينا
مصاحبا للحن الذى نغنيه .. ثم يعجز عن متابعة اللحن ،
فيسكت .. ويكتفى بأن يتمتم بشفتيه بصوت غير مسموع ..
وأحس به يضيع .. ويضيع .. لا .. انه يذوب .. يكاد يتلاشى
.. ولا يرده اليها الا عفاف عندما تهتم به مرة ثانية ، وتحاول
ان تجذبه الي حديث معها ..

ووصلنا الى الهرم ..

ونزلنا من السيارة ..

وحرصت الا اسير بجانب هاشم .. تركته يسير بجانب
عفاف .. وأنا أنظر اليه نظرات مختلصة .. وخيل الي ساعته
ان قامته أقصر مما كنت اتصور .. ولاحظت ان ساقى بنطالونه
واسعتان .. على الطراز القديم .. ربما لو ضيق ساقى بنطالونه
لبدا أطول قامة .. وأكثر أناقة .. ثم وجدت نفسى أقرن بينه

— كما تريد ..

وقلت كأنى أجرؤهم على هاشم :

— كما تريدون أنتم .. أنتم الاغلبية ..

وقالت عفاف وهى تنزل من السيارة :

— الاغلبية موافقة ..

واتجهنا كلنا الى سيارة هاشم .. وأنا لا استطيع ان ارفع
عيني اليه .. وأتعهد الا اسير بجانبه .. كأنى أريد ان أثبت
للشلة انى لازلت حرة ..

وجلست بجانب هاشم .. وعلى يمينى جلس عصام ..
وفى المقعد الخلفى جلست عفاف وعايده ، وأسعد وصلاح ..
عفاف جلست على ركبتى أسعد ، ومالت بجذعها وأسندت ذراعها
على مسند المقعد الامامى خلف هاشم .. شفتاها تكادان
تلمسان قفاه ..

وساد بيننا صمت حرج فترة طويلة .. وعلى خد هاشم لمسة
حمراء ، ويثنى عنقه داخل ياقة قميصه بين لحظة وأخرى كأنه
يقام شيئا يخنقه .. وعلى شفتيه ابتسامة بلهاء لا معنى لها ..
لعله كان أشدنا حرجا ..

وانطلقت عفاف تائلة ، وشفتاها قريبتان من قفا هاشم :

— سمعت عنك كثيرا يا دكتور من أصدقائى المصريين ..
انك مشهور ..

وقال هاشم وصوته مختنق :

— متشكر ..

وعادت عفاف تقول وصوتها يزغرد :

— لقد كدت مرة أستدعيك .. اصبت بالحم شديد فى معدتى

وبين عصام .. وخيل الى ساعقتها أنه أكبر سنا مما كنت أعتقد .. رأيت التجاعيد تحت عينيه لأول مرة .. ورأيت نقطا سوداء صغيرة فوق يديه ، وبجانب أنفه ، لم أكن أراها من قبل .. وجلد عصام مشدود .. نظيف من النقط السوداء .. أف من هذا المجنون هاشم ، لماذا وضع نفسه في موقف جعلني أقارن فيه بينه وبين أي رجل آخر .. اني لم أفكر من قبل أن أقارن بينه وبين آخر .. لقد كنت معجبة به الى حد اني اعتقدت أنه لا يمكن أن يقارن بأخر .. انه مجنون .. انه يضيعني ، ويضيع نفسه .. واقتربت مني عفاف وهمست في أذني :

— «دبئك بيجتن .. يبدو أنه شخصية ..

ولم أرد عليها .. ولكني تمنيت ساعتها أن تأخذه وتبتعد به عني ، لتخلصني من هذا الحرج الثقيل الذي يجثم على صدري .. لتحررنى من قيده .. لانطلق لا مبالية كما تعودت .. وبدأنا نركب الخيل ..

ونظر الى هاشم .. ثم تردد قليلا .. وامتنطى الحصان .. لعله لم يركب حصانا من قبل .. ان طريقته في الارتفاع فوق ظهر الحصان تدل على أنه لم يركب من قبل .. وابتسمت له .. ابتسامة لا معنى لها ..

وركبت حصاني ، ونهت على صاحبه الاعرابي الإيترك اللجام من يده .. نهت عليه بصوت عال ، فاني لا أخفي اني أخاف الخيل ..

وسارت بنا الخيل في خطوات بطيئة .. وهاشم يقبض على اللجام بيد ، ويمسك بيده الأخرى حافة السرج ، حتى لا يقع . وما كدنا نصل الى الصحراء الواقعة خلف الهرم ، حتى

اطلق عصام العنان لجواده .. رمح به .. ورمح خلفه أسعد وصلاح .. في شبه سباق .. وهلل البنات .. وهللت معهن .. ونحن نرقب الشباب يرمح بالجياد في نظرات مبهورة ..

والحصان الذي يركبه هاشم يتلملح .. ويدب بقدميه .. ويهز عنقه في عصبية يريد أن يلحق الجياد التي تجري .. وصاحبه الاعرابي واقف بجانبه يحاول أن يهدئه ، ويقبض على لجامه بقوة ..

والتفت الى هاشم ..

ولحنى ابتسم له ..

كنت أبتسم له ابتسامة أحاول أن أقول له بها اني معجبة به رغم أنه لا يرمح بجواده .. ابتسامة أحاول أن أخفف بها عنه ، حتى لا يندفع في تقليد الشبان ..

ونحن .. لعل هاشم لم يفهم ابتسامتي .. لقد ظل ينظر الى .. ثم ينظر الى عفاف وعائدة .. ثم امتلا وجهه بتصميم هائل ، والتفت الى الاعرابي الذي يمسك بجواده ، وصرخ فيه :

— دع الحصان ..

وترك الاعرابي لجام الحصان من يده .. واذا بالحصان ينطلق كالصاروخ ليلحق بالجياد التي تجري .. وهاشم فوقه يرتفع وينخفض .. ويميل الى الأمام ، والى الخلف .. انه يبدو ككيس من القطن فوق ظهر سيارة فقدت فراملها .. وصرخنا في جزع ..

وصرخ الاعرابي صاحب الحصان :

— الحصان جمح ..

ثم طلب مني أن أنزل عن حصاني ، ليركبه ويلحق بالحصان الجامح ..

ونزلت .. وأنا أكاد أموت من الهلع على هاشم .. وعائدة
وعفاف يصرخان .. والحصان يبتعد بهاشم .. ويبتعد .. وفي
كل لحظة يخيل لي أنا هاشم سيقع من فوقه ويموت .. والدموع
تتجمع في عيني .. ليست دموع شفقة .. ولكنها دموع غيظ ..
لماذا يعرض هاشم نفسه لكل هذه البهذلة .. يعرض نفسه الى
حد الموت ..

وتعدى حصان هاشم بقية الخيل .. واصبحت بقية الخيل
تجري وراءه لتوقفه .. واخفتي الجميع عن اعيننا ..
وأنا ابذل جهدي حتى لا تنهر دموعي ..
وقلبي يضطرب ..
كلى مضطربة ..

وبعد أكثر من ربع ساعة ، رأينا الجميع يعودون ..

هاشم على ظهر جواده ، والأعرابي يمسك بلجامه .. ومن
حوله عصام وأسعد وصلاح ، كل منهم يركب جواده .. والجياد
كلها رؤوسها منكسة كأنها تسير في موكب الهزيمة ..
ونزل الجميع أمامنا من فوق ظهور الخيل ..

وساعد الأعرابي هاشم وهو ينزل من فوق ظهر جواده ..
وكان وجهه مجهدا طغت الصفرة على سمرته .. وعيناه مضطربتان
.. وشفتاه جافتان .. وقميصه خارج من بنطلونه .. والإيشارب
الذي يلفه حول عنقه طائح في الهواء .. وقال وهو يساوى
قميصه ويحاول أن يسيطر على اضطرابه :

— تجربة لا بأس بها .. وقد سبقتهم ..

ومرت برهة لم يرد فيها أحد عليه .. كنا لا ندري ماذا نقول
.. ثم قالت عفاف وهي تغتصب ابتسامة :
— كنت رائعا ..

واقتربت من هاشم وسرت بجانبه صامتة ، كأتى خفت ساعتها
أن يرتكب حماقة أخرى .. ثم همست :
— لقد خفت عليك ..

قال في حدة كأنه مغتاض من نفسه وكأنه يسكتني :

— لا تخافى .. انى أعرف ما أفعله ..

وصمم هاشم على أن يدفع أيجار الخيل لنا كلنا .. صمم
في حدة ، كأنه وجد شيئا آخر يتفوق فيه على بقية الشبان ..
ولم يدر أنه كان يفسد الروح التي تربطنا جميعا .. وأنه يزداد
بعدا عنا .. فقد كنا متعودين أن يدفع كل منا حسابا .. حتى
البنات .. كل بنت تدفع حسابها ..

ودخلنا فندق مينا هاوس لتناول الغداء .. وشرب هاشم
بيرة .. شرب كثيرا .. وحاولنا أن نشترك جميعا في حديث
واحد .. كل منا يبذل مجهودا حتى يختار موضوعا يشرك فيه
هاشم .. وهاشم كان يبذل مجهودا أكبر ليختار موضوعا يهمنا
.. وكان هذا المجهود يجعل من حديثنا حديثا مفتعلا سخيفا
تضيق به صدورنا .. وهاشم يشرب حتى ينسى الحماقة التي
ارتكبها .. ونحن لا نحاول أن نذكره بها ، رغم أنها في رأس كل
منا .. ومن يدري لعل الشبان والبنات كانوا يسخرون منه بينهم
وبين انفسهم ، ولعل حماقته ستكون حديث كافتيريا هيلتون بعد
لحظات ..

وتعينا من هذا الافتعال ..

وجدنا انفسنا نتحدث في مواضيع تهنا وحدنا .. نتحدث
عن اصداقنا .. وعن حفلاتنا .. وعن أخبار بيروت .. وهاشم
وحده .. يشرب البيرة .. ثم يتنبه احدنا الى أنه وحده فيحاول

أن يشركه فى حديث .. ثم نجد انفسنا نعود الى الحديث الذى
يبعده عنا ..
لعلى بالفت ..

فان هاشم رغم كل ما يبعده عنا ، كان فيه شىء يجذبنا اليه
.. كل الشبان والبنات وجدوا فيه شىئا جذابا .. ولكنه ليس
الشىء الذى يمكن أن يجعله واحدا منا .. أو يجعل رأسه فى
مستوى رؤوسنا .. انه الرأس الوحيد بيننا المتوج بالشعر
الأبيض ..

وصم هاشم أيضا على أن يدفع حساب الغداء ..
وتركناه يدفع ..
وعدنا الى السيارة ..

وكنت أعتقد أن هذه التجربة ستقنع هاشم بأنه لا يمكنه أبدا
مشاركتي فى أصدقائى .. تقنعه بأنه لا يستطيع أن يعيش فى
عالمى .. كنت أعتقد أنه استسحف عقول هؤلاء الشبان والبنات
وتصرفاتهم .. ولكننا بدانا نتحدث فى السيارة عن قضاء السهرة
فى الاستريو .. فاذا هاشم يدعوننا الى أن نكون معه .. ورفضت
.. ولكن بقية الشلة قبلت .. وكان أكثرهم حماسا .. عفان
.. والحوا على حتى قبلت .. قبلت خفت أن أترك لهم هاشم
وحده .. أن أتركه لعفان ..
وذهبنا فى المساء ..

وتعمدت أن أبدو كبيرة .. أكبر من عمري .. وأكبر من
بقية البنات .. ورقصنا ..

وكنت أخصص كل الرقصات الهادئة لهاشم .. وهاشم عندما
يرقص هذه الرقصات الهادئة أحس كأنى أدوب فى صدره ..
لم أشعر أبدا بأنى أدوب فى صدر أحد الا عندما رقصت مع هاشم

.. انه يرقص فى رقة .. وشموخ .. وروعة .. واحس به
كأنه يحملنى بذراعيه القويتين فوق سلم من الموسيقى الى عالم
بعيد .. بعيد .. ساحر ..

ولعلى لست وحدى التى أحببت أن أرقص معه هذه الرقصات
الهادئة .. لقد قامت عفان ترقص معه، فأريتها بعد لحظات تكاد
تختفى فى صدره .. ورأسها مائل فوق عنقه .. وعيناها
مغمضتان ، كأنها هامت ..
وعذرتها ..

وكنت ليلتها أرقص الرقصات السريعة مع بقية افراد الشلة
.. التويست .. الباسانوف .. والتشكن .. وكنت خلال رقصى
المح هاشم وهو يخطر الى كأن عينيه ستقفزان لتصفعانى ..
فترتبك خطواتى .. كنت أحس بالحرى وأنا أرقص التويست أمامه
.. وأبذل حتى أنسى وجوده .. حتى لا تضيع خطواتى ..
وهاشم يشرب ..

ويسكى ..

وقال لى وأنا جالسة بجانبه :

— متى ستعلمينى التويست ..

قلت وأنا ابتسم له :

— لن أعلمك ..

قال

— لماذا ؟

قلت :

— لأنه لا يليق بك .. انك خير من يرقص الرقصات الهادئة ..

قال وهو يتنهد :

— لأنى عجوز ..

قلت :

— لا ... فقط لأنه لا يليق بك ..

قال فى ضيق :

— انك دائما تذكرينى بأنى عجوز ..

— قلت وأنا مشغقة عليه :

— لفت لست عجوزا .. انت رجل .. ورجل رائع ..
والتويست يفقدك روعتك .. وبالناسبة يجب ان تضيق سيقان
بنطلونك ..

وقال وكأنه طفل عنيد :

— لا .. لن أضيق سيقان بنطلونى .. أما ان اعجبك هكذا
أو لا اعجبك ..

قلت مبتسمة :

— تعجنى ..

ثم قمت لأرقص التويست مع عصام وتركته يشرب كأسه ..
وفجأة رأيتة أمامى فى حلبة الرقص يرقص التويست مع
عفاف ..

انه يهتز كأنه أصيب بحمى الملاريا .. حركاته فى ناحية ،
والموسيقى فى ناحية أخرى .. انه يبدو سخيفا .. ومضحكا ..
كمهرج السيرك .. يبدو وكأنه نجوى فؤاد فى رقصة شرقية
.. وعفاف اللبينة ترقص أمامه كأنها تحاول أن تجعل منه قردا
يقلدها .. وأنا أكره الذين يرقصون دون أن يجيدوا الرقص ..
انهم كالذين ينفون بصوت نشاز .. مزعجين .. سخفاء ..

ووجدت نفسى أصرخ فى وسط حلقة الرقص :

— هاشم ..

والتفت الى فى دهشة ..

وتملكأت أعصابى ، ووضعت يدي على رأسى ، وقلت :

— انى متعبة .. خذنى الى البيت ..

وكانت هذه الطريقة الوحيدة لأمّنه من أن يجعل من نفسه
مسخا يضحك عليه الناس .. ويضحك عليه أصدقائى .. وتضحك
عليه عفاف ..

ومن يومها قررت أن أكذب عليه حتى أمّنه من مطالبتي
بأن اشركه فى عالمي ، وأن يصحبنى مع أصدقائى ..

واصبحت أخفى عليه انى خارجة مع أصدقائى ، وأدعى انى
مدعوة مع عائلة محبى الدين فى بيت احدى العائلات اللبنانية ..
لم أكن أكذب من قبل .. كنت معترزة بشخصيتى وحرّيتى الى
حد يفغنى عن الكذب ..

هاشم علمنى الكذب ..

علمنى الكذب حتى أنقذه ..

أنقذ الطفل الضعيف الذى يتعلق بى ..

★ ★ ★

وفى كل هذه الأيام كان أفراد عائلة محبى الدين لا يكفون
عن ملء أذنى بحديثهم عن الخراب الذى لحق بهم نتيجة تأميم
ممتلكاتهم .. ولم أدر سر الحاحهم على بهذا الحديث ، رغم أنهم
تبينوا انى لا أهتم به .. ولا أهتم بالسياسة .. ولا أحاول أن
أفهم لماذا أخذت الحكومة ممتلكاتهم .. بل لعلمهم عرفوا من كلامى
أنى أحب جمال عبد الناصر .. أحبه دون أن أحاول فهم سياسته
.. أحب وجهه الأسمر القوى .. وأحب مظهر بطولته .. انه
يطلق خيالى الى عالم من البطولات .. أشسبه بالقصص التى
أقرؤها أو أشاهدها فى السينما ..

ورغم ذلك فهم لا يكونون عن حديث التأميم والسياسة ،
والظلم الذي حاق بهم ..

وقلت مرة لمحمد محيي الدين عميد العائلة :

— لماذا لا تعود الى لبنان وتبدا هناك من جديد ..

قال وهو يكاد يبكي :

— كيف أبدا بلا رأسمال ؟

قلت :

— بع ما بقى لك فى مصر ، وأبدا به فى بيروت ..
قال

— او استطعت ان أنقل اموالى ، لذهبت ..

وقالت زوجته طنط لولى :

— لو سمحوا لى ان أنقل مجوهراتى فقط ، لذهبنا كلنا الى

بيروت ..

قلت :

— ولماذا لا يسمحون لكم ..

وقال محمد محيي الدين :

— لأنهم لا يريدون لنا ان نعيش ..

قلت :

— لماذا ؟

قال وهو يمسخ دمه :

— لأننا لبنانيون .. تصورى يا رحاب .. لقد جئت الى هذا

البلد وأنشأت فيه أول مصنع للألمنيوم وشغلت عشرات العمال

.. فتحت مئات البيوت .. ورغم ذلك أخذوا كل شيء ..

ونظرت اليه كأنى لا اصدقه ..

— لا يمكن ..

لابد ان هناك سببا اجهله لكل ذلك ..

وقال رفيق زوج اودى وهو يسلط على كل عينيه .. ولا ادرى
لماذا احس كلما نظر الى رفيق انى ذباية تكاد تسقط بين خيوط
العنكبوت .. قال :

— الدكتور هاشم يستطيع ان يساعدنا ..

قلت فى دهشة :

— كيف ؟

قال ونظراته تسيل لزجة كخيوط العنكبوت :

— يستطيع ان بنقل اموالنا الى بيروت ..

قلت :

— قد لا يرضى ..

قال وابتسامته تسيل على شفثيه :

— انه لن يعلم ..

وفتحت عينين متسائلتين ..

وقرب رفيق مقعده منى ، وقال وصوته كالفحيح :

— اسمعى يا رحاب .. هذه النقود لم نسرقها .. لقد

جمعناها بعرقنا فى عشرات السنين .. نحن لم نسرق أحدا ..

لم نجن على احد .. ولكن هذه الحكومة تريد ان تسرقنا ، وتجنى

علينا .. وكل ما نستطيع ان نفعله هو ان نهرب بما بقى لنا ..

والدكتور هاشم هو الوحيد الذى نعرفه الآن ، ويستطيع ان ينقذ

اموالنا ، دون ان يشك احد فيه ..

قلت وخيط العنكبوت يلتف حول عنقى ، وعيون العائلة

مسلطة على كأنها انوار كشافه كأنها تلاحقنى :

— لا أفهم شيئا ..

وعاد رفيق يقول :

— الم يقل لك الدكتور هاشم انه سيسافر الى لبنان ..
قلت :

— نعم .. سيأتى الى بيروت بعد ان أسافر انا ..
قال ونظراته الخبيثة القوية تكاد تشل نبضات قلبي :
— كل ما نريده ان يحمل لنا معه حقيبة ..
قلت كأتى بدأت أفهم :

— فيها أموالكم ومجوهرات طنط لولى ؟
قال وهو يرخى عينيه المتوفنتين :
— نعم ..
قلت :

— ولماذا لا أحملها انا ؟
قال كأنه يتهمنى بالغباء :

— لأنك معرضة للتفتيش فى الجهرك .. انهم لا يرحمون
اللبنانيين ..
قلت :

— ولكن هاشم يجب ان يعلم ..
قال :

— لو علم .. سيرفض .. وقد يبلغ عنا الحكومة ..
قلت :

— اذن .. ماذا سنقول له ؟

وقال ونظراته اللزجة تسيل من عينيه :

— تسافرين الى بيروت .. وتقولين انك نسيت احدى
حقائبك ؟ وتطلبين منه ان يحملها لك عندما يسافر الى بيروت ..
هذا كل ما فى الامر ..

وفكرت برهة .. ثم خبطت على المائدة بيدي فى عصبية ،
وقلت :

— ولكن لماذا .. لماذا .. لماذا لا يسمحون لكم بأخذ أموالكم
ما دمتم لم تسرقوها ؟ ..

وقالت طنط لولى :

— لأنهم يكرهوننا ..

وقال محمد محيي الدين :

— يحقدون علينا ..

وقال رفيق :

— انها ثورة والثورة لا تعرف الحقوق ولا القانون .. تعرف
فقط ما تريد .. وهى تريد أموالنا ..

والتفت الى الوحوه البائسة التى تحيط بى .. وأحسست
بالشفقة عليهم ..

وقعت الذبابة فى خيوط العنكبوت التى نصبها لها رفيق ..
خيوط خيل الى أنها خيوط الشفقة ..

وطنط لولى تبكى ..

ومحمد محيي الدين ينهد كأنه يلتقط آخر انفاسه ..

ورفيق يلقي بنظراته الخبيثة حول عنقى .. وابتناسامته تسقط
كأنه يقبل بها قدمى ..

وطنط نازلى راقدة مثلولة اسمعها وهى تصيح .. سنية
.. سنية .. كأتى اسمعها تبتهل الى الموت ..

وطنط ميمى تتوكأ على عصاها الأبنوس ذات المقبض الفضى ،
وتصدر أوامرها كأنها تحرك جيوشنا من الوهم ..

ودودى زوجة رفيق تصنع فى غرفتها تماثيل من الطين ..
انها مجنونة .. لعلها جنت بعد ان أخذوا أموالها ..

وعندهم سيارتان .. ويحتفظون فى خزائن البيت بثروة كبيرة ،
بمجوهرات أكثر ..

ورغم ذلك فقد بهرنى هذا الاحساس بالبطولة ..
ملكى ..

سيطر على خيالى ، كما يسيطر العنكبوت على الذبابة ..
انه احساس جديد على ، لم تنبض به اعصابى من قبل
.. احساس يلهينى عن نفسى ، وينفض عنى غبار السأم الذى
بدأت أشعر به فى القاهرة .. انه الاحساس بعالم جديد يتفتح
أمامى .. بدور جديد أقوم بتمثيله .. نفس احساسى عندما
اكتشفت عالم المثقفين الذين يملئون المقاهى التى تحيط بالجامعة
الأمريكية فى بيروت .. ونفس احساسى كلما عرفت شابا جديدا
وحاولت أن أكتشفه واكتشف احساسى نحوه .. احساسى
عندما عرفت هاشم ..

كنت أياها أشبه بفتاة خرجت من السينما بعد أن شاهدت
رواية سيطرت على خيالها ، وتظل بعدها ساعات وهى تعيش
دور البطولة ..

وقد كنت أحس بكل ذلك ..

أحس بأنى أمثل ..

أمثل دور البطولة ..

وكان هذا الدور يتطلب منى أن أدعى نوعا معيناً من الذكاء
.. ذكاء حاد أقرب إلى الخبث .. وكان يتطلب منى أن أضع
فى عيني نوعاً جديداً من النظرات .. نظرات كالتى تنطلق من
عيون المتأمرين .. وكنت كلما جلست مع رفيق ليحدثنى عن الخطة
التي سننفذها ، أشعر بهذه النظرات فى عيني .. أشعر بها كأنها

وقمت ودخلت غرفتى ، ورقدت فى سريري ، وخيالى يصور
لى أنى بطلة أقوم بمغامرة كبيرة لانقاذ هذه العائلة .. وتذكرت
قصة « الزهرة القرمزية » التى كان البطل فيها يقوم بتهريب
أفراد العائلة المالكة أثناء الثورة الفرنسية لينقذهم من المقصلة
.. وتصورت نفسى كأنى الزهرة القرمزية .. كنت ذبابة وقعت
فى خيوط العنكوت ..

بدأت أتقصر شخصية جديدة ..

شخصية بطل قصة « الزهرة القرمزية » الذى كان يقوم
بتهريب أفراد العائلة المالكة أثناء الثورة الفرنسية ..

الشخصية التى ستقوم بتهريب أموال عائلة محيى الدين الى
لبنان ..
تهريب !!

لا .. لم تكن تخطر ببالى كلمة « تهريب » .. لم أحس بأنى
مقدمة على ارتكاب جريمة .. أبداً .. لم يخطر ببالى أنى ارتكبت
جريمة .. لم أحس باحساس الجريمة .. كنت أحس باحساس
البطولة .. أنا بطلة .. أقوم بمغامرة كبيرة .. احساس نصبه
حولى رفيق زوج ابنة محيى الدين .. كما ينصب العنكبوت خيوطه
اللزجة ليصطاد بها ذبابة ..

وكان احساساً ساذجاً .. بطولية ليست لها دوافع ..
لم أشعر بأن لى إيماناً سياسياً ، أو عقيدة سياسية تدفعنى الى
هذه البطولة .. حتى شفقتى على عائلة محيى الدين ، لم تكن
من القوة بحيث تدفعنى الى هذه المغامرة .. بل انى لو تمنعت
أياها فى حقيقة شعورى ، اكتشفت انى لم أكن أشفق على عائلة
محيى الدين .. ان حالتهم ليست من السوء بحيث يستحقون
الشفقة .. لا يزالون يملكون الكثير .. يسكنون فى قصر ..

تنطلق من عيني فتاة اخرى غيرى .. من عيني ممثلة تقوم بتمثيل دور البطولة فى احد الافلام ..

وكان هذا الدور يتطلب منى ايضا ان اكون فتاة منافقة ..
 انا فى هاشم .. لم اعد صريحة ، قوية ، منطلقة كما كنت ..
 تركته يحبنى .. وتركته يقتنع انى احبه .. احبه على طريقته .
 لا على طريقيتى .. وامتنعت فعلا عن الخروج مع اصدقائى اللبنانيين حتى لا يفضب .. واصبحت احادثه فى التليفون اكثر من عشر مرات فى اليوم .. اوقظه من النوم لاقول له : صباح الخير .. واهمس فى اذنه قبل ان ينام : تصبح على خير ..
 كما كانت تفعل معه البنات المصريات ..

وكنت اكره ، نفسى وانا انا فى ..

احس بانى لست انا ..

احس بانى ضائعة .. كائى فتاة اخرى لا اعرفها ..

بل كانت تمر على لحظات اثور فيها على هذا الدور الذى امثله .. احس انى اعمل طبيعتى اكثر مما تحتل .. ولكنى لا البت ان اعود الى التمثيل ، كائى لا اجد لعبة اخرى العيب بها ..
 تعود الذبابة وتمتسك بين خيوط العنكبوت ..
 وهاشم يزداد ضعفا نحوى ..

الضعف فى عينية البتهلتين .. وفى شفثيه المرتعشتين ..
 وفى قبلاته التى لا تكف عنى وكأنه لم يعد يستطيع ان يتنفس الا من شفثى ..

قبلاته !!

لقد افسدتها ..

لم اعد اُستطيع ان اُهمم فيها .. لم اعد اشعر بها كشعاع من شمس القاهرة يلسعنى ..

انى استسطم لقبلاته ، وعقلى كله صاح .. واعصابى مشدودة .. انا فى .. يا رب .. ماذا افعل بالرجل الذى يحبنى .. وماذا افعل بنفسى ..

وكان هاشم يشعر احيانا كثيرة بانى لا اهمم معه فى قبلاته .. وقال لى مرة ونحن جالسان فى سيارته فوق قمة المقطم :

— هل كل بنات لبنان باردات مثلك ؟

قلت وانا ادعى الغضب :

— لست باردة .. ولكنك تحاول ان تذيب عقلى .. حاول مرة ثانية !

واعطيته شفثى .. كائى اعطى لطفلى شيئا يسكته .. وتركته يضمنى اليه فى قسوة .. ويعبث فى شعرى باصابعه .. ويمسح على ظهري بكفه .. وعقلى لا يذوب ..

ورفضت ايامها ان اذهب معه الى شفثه .. حتى لا اضطر ان اعطيه اكثر .. واستسلم اكثر .. انى اُستطيع ان انا فىه ونحن فى الهواء الطلق .. ولكنى لا اُستطيع ان انا فىه ونحن فى الشقة .. وقلت له وهو يلح على ان نذهب الى هناك :

— ان الجدران تخنقنى ..

قال :

— انها تقرينى منك ..

قلت :

— لقد قربت بينك وبين عشرات البنات ، ولا اريد ان اكون

واحدة منهن ..

قال :

— انك لا تريدننى ..

قلت وانا ابتعد عنه :

وقامت لهاشم مرة كآنى احاول ان اقتنعه بان يشترك معى
فى عملية التهريب بدل ان اضطر الى خداعه :

— قل لى .. لماذا تأخذ الحكومة أموال اللبنانيين ؟
قال فى دهشة لسؤالى :

— أى لبنانيين ؟
قلت :

— اللبنانيون الذين أممت ممتلكاتهم .
وضحك هاشم ، وقال :

— الحكومة أخذت أموال الرأسماليين ، سواء كانوا لبنانيين
أم مصريين .. لم تأخذ أموال اللبنانيين لأنهم لبنانيون .. ولكن
لأنهم رأسماليون ..
قلت فى حدة :

— لماذا .. انها أموال جمعوها بعملهم ..
قال :

— لقد تركت لهم ما جمعوه بعملهم ، وأخذت ما جمعوه
بعمل الآخرين ..
قلت :

— ماذا تعنى ؟

قال وهو يبتسم كأنه يدللى :

— اسمعى .. أنا طبيب .. كل ما اكسبه من عملى حق
لى .. ولكن لو كنت محاميا وفتحت مستشفى وظفت فيه عشرة
اطباء .. مانى أستطيع ان آخذ اجرا على ادارة المستشفى ..
ولكن ليس من حقى ان آخذ اجرا على عمل الاطباء العشرة ..
لأنه ليس لى فضل فى هذا العمل ..
قلت وأنا ارفض ان اقتنع :

— لا اريدك كما ارادتك اى فتاة اخرى .. اريدك لعقلى
وقلبى .. والجدران تخفق على قلبى ، ولا تبقى منى
الا جسدى ..

قال وهو يبتسم لى فى ابتهاج :

— ولكن جسدك هنا ايضا .. انك عندما تقبلينى تعطينى
قطعة من جسدك .. وعندما تلفين ذراعك حولى ، تلفين قطعة من
جسدك .. انك عقل وقلب وجسد .. وأنا ايضا ..

قلت وأنا انظر اليه كآنى ارده الى عقله :

— هاشم .. لقد ذهبنا الى هناك مرة ، وشعرنا اننا سخفاء
.. انك هناك تقاوم شيئاً تريده .. وأنا ايضا اقاوم هذا الشيء
الذى تريده .. ولكننا هنا لا نقاوم .. اننى هنا لا أشعر بأنى
اقاومك .. وانت لا تشعر بأنك تقاوم نفسك .. اننا هنا أكثر
انطلاقاً وأكثر جمالاً ..

قال فى يأس :

— كنت اعتقد أنك أكثر تحرراً ..
قلت :

— انى أكثر تحرراً مما تعتقد .. التحرر هو ان اكون صادقة
مع نفسى .. وثق انى صادقة مع نفسى عندما أقول لك ان
الجدران تخفقنى ..

وسكت هاشم ..

لعله لم يقتنع .. ولكنه سكت ..

وأنا مندفعة فى استكمال خطة تهريب اموال عائلة محبى
الدين التى اثارى فى هذا الاحساس بالبطولة الساذجة .. ثم
الدين .. وأشعر أحياناً بأنى اكره نفسى .. وكره عائلة محبى
اعود وأندفع .. خيوط العنكبوت تشدنى ..

— ولكن الذى يبنى مصنعا يبنيه بأمواله .. وأمواله جمعها من عمله ..
قال :

— لا يمكن أن يبنى انسان مصنعا من عمله .. ولكنه يبنيه من استغلال الآخرين .. والفرد قد يكسب من عمله مائة جنيه .. ويستطيع أن يوظف هذه المائة جنيه فى بنك فتصبح فى عام مائة وأربعة جنيهات .. هذه الأربعة جنيهات هى مكافأة له لأنه ادخر المائة جنيه .. ولكن المائة جنيه لو أصبحت ثلاثمائة جنيه فى عام واحد ، فمعنى ذلك أنه سرق عمل الآخرين .. ليس لها تحليل الا السرقة ..

قلت فى حدة كأتى خفت أن أقتنع :

— لا أفهم ما تقول .. ولا أريد أن أفهم .. كل ما أفهمه أن هؤلاء الناس لم يسرقوا ، ولم يرتكبوا جريمة ، ولكنهم جمعوا أموالهم بعملهم .. ثم جاءت الحكومة وأخذتها ..
قال مبتسما :

— أنهم يستطيعون أن يعملوا من جديد ، ويأخذوا اجرا على عملهم .. سواء كانوا لبنانيين أو مصريين .. لا أحد يمنعهم من العمل .. ولكنهم لا يريدون العمل .. أو لا يكتفون بأجر عملهم ، ولكنهم يريدون أن يعمل لهم الآخرون ..
ولم أرد عليه ..

ومال على بوجهه وقال :

— لم أكن أعلم أنك تهتمين بالسياسة ..
قلت :

— أنا لا أهتم بها ..

قال :

— اننا فى مصر ، غيركم فى لبنان ..

قلت :

— الناس فى لبنان سعداء ..

قال :

— وفى مصر سعداء

قلت :

— لا .. فى مصر تأخذ الحكومة أموال الناس ..

قال :

— بعض الناس .. لتعطيها لآخرين أحق بها منهم ..

قلت :

— هذا ما تسمونه اشتراكية ..

قال :

— نعم ..

وهزرت كتفى وقلت :

— لا يهمنى .. لا أريد أن أفهم ..

ولم يكن هذا صحيحا .. فقد كنت أريد أن أفهم .. ولكنى لم أستطع .. وكلام هاشم ملاً رأسى بضباب كثيف لم أتبين من خلاله شيئا .. واشتدت حيرتى .. الحيرة بين احساسى بالظلم الذى وقع على عائلة محبى الدين ، ومحاولتى البحث عن تلعين يبرر تأميم ممتلكاتهم .. وفى محاولتى الهرب من هذه الحيرة اندفعت أكثر فى تمثيل دور البطلة التى تنقذ العائلة المنكوبة ..
أفتعل الذكاء الحاد .. وأضع فى عيني نظرات التأمر .. وأعامل هاشم بنفاق خبيث .. وكل أفراد عائلة محبى الدين يعاملونى كأننى بطلة فعلا .. كأنى جان دارك .. القديسة التى أرسلتها السماء لانقاذهم .. عيونهم ستاجدة تحت أقدامى .. ومطالبى

فلا خوف علىّ .. لأنى سأكون فى لبنان بعيدا عن يد الحكومة المصرية .. وحتى لو سألونى فى لبنان فانى أستطيع أن ادعى انى لا أعرف هذه الحقيقة ، وربما نسيها نزيل قبلى أو بعدى كان بقيم فى نفس الغرفة ..
ولكن ..

ماذا لو عدل هاشم عن السفر الى لبنان لأى سبب من الأسباب ..

فى هذه الحالة ، تقرر أن أعود أنا الى القاهرة ، وأخذ الحقيقة ، وأعيدها الى عائلة محيى الدين ..
كانت هذه هى الخطة ..

خطة محكمة .. ربما كان فيها بعض المجازفة .. وربما روعى فيها سلامة عائلة محيى الدين ، أكثر مما روعيت فيها سلامتى ..

أعدّ رفيقٌ حقيقياً صفراء ذات جيوب سرية .. وخبأ فيها أوراق النقد .. حوالى عشرة آلاف جنيه مصرى .. وثلاثة آلاف دولار .. وجنيهاً انجليزية .. وفصوص من الماس .. وسبائك صغيرة من الذهب .. انها ثروة كبيرة .. وقد تساءلت ساعتها ، لماذا تشكو عائلة محيى الدين ، وهى تملك كل هذه الثروة .. ولكن تساؤلى ضاع فى بهرة المغامرة .. ثم ملأنا الحقيقة بعد ذلك بأشياء أخرى .. ليست ثيابى .. حتى لا تقوم دليلاً على فى حالة ضبطها .. ولكننا ملأناها بقطع قماش رجالي .. وكراوات .. وهدايا من خان الخليلى ..

وبعد ذلك تقرر أن أنتقل الى فندق هيلتون .. وحتى أطلع ادارة الفندق على الصلة بينى وبين هاشم ، تقرر أن أطلب منه .. من هاشم .. أن يتولى هو حجز غرفتى

كانها القدر .. ودموع طنط لولى تلاحقنى .. وتنهديات محمد محيى الدين تملأ أذنى .. ووجه طنط نازلى المريض ، يطل علىّ كأنه يبتهل لى أن ارد اليه الحياة .. وطنط سلى التى تدب بعصاها وتصدر الأوامر لجيوش الوهم ، تستكين أمامى فى ذل وخضوع .. حتى دودى المجنونة التى تكرهنى ، أصبحت تتمسح فى كأنها القطة الليفة ..

ورفيق العنكبوت ينفذ خيوطه للزجة حول خيالى ليحتفظ بأحاساسى كبطلة أرسلتها السماء لانقاذ الجالية اللبنانية فى مصر .. وبدأ يتفق معى على الخطة التى سأقوم بتنفيذها ..

وكانت الخطة تقضى بأن تعد حقيقة فيها جيوب سرية تخبأ فيها الأموال والمجوهرات التى ستتهرب .. ثم أحمل هذه الحقيقة ضمن حقائبى وأنتقل الى فندق هيلتون لأقيم فيه يومين قبل أن أسافر الى لبنان .. وعندما أغادر الفندق أتعمد أن أنسى فيه الحقيقة ذات الجيوب السرية .. وبعد أن أصل الى بيروت مباشرة ، أتصل من هناك بهاشم بالتليفون ، أبلغه انى نسيت إحدى حقائبى فى فندق هيلتون وأطلب اليه أن يذهب الى هناك وينسأها .. وفى نفس الوقت أرسل برقية الى ادارة الفندق أطلب تسليم الحقيقة التى نسيتها الى هاشم .. ثم يحمل هاشم الحقيقة الى لبنان ضمن حقائبه ..

كانت هذه هى الخطة ..

وكان القصد من انتقالى الى فندق هيلتون قبل سفرى ، هو إبعاد الشبهة عن عائلة محيى الدين فى حالة حدوث أى طارئ ، حتى لا يكشف أحد الصلة بينى وبينهم .. وحتى لو اكتشف هذه الصلة فى حالة ضبط الحقيقة فان عائلة محيى الدين تستطيع أن تدعى بأنها لا تملك هذه الحقيقة .. أما أنا ..

وقال موظف الاستقبال وهو يقلب فى دفتر اُمامه :

— منى ؟

قلت :

— هذا الصباح ..

وتوقفت عينا الموظف فوق دفتره ، ثم رفعها الى وقال :

— الانسة رحاب شمس الدين ؟

قلت :

— نعم ..

وابتسم ابتسامة كبيرة وقال :

— الغرفة رقم ٦٢٥

ثم اخذ جواز سفرى ، واستكمل اجراءاته ، وصحبنى موظف آخر .. ونظرت الى الحقيبة الصفراء قبل ان ادخل المصعد .. ثم عدت وتجاهلتها بسرعة .. كائى خشيت ان يضبطنى احد وأنا انظر اليها .. وصعد بى المصعد .. وقلبى يصعد الى حلقى ..

وبقيت فى الغرفة بضغ دقائق .. وحدى .. لا أستطيع ان اجلس .. ولا أستطيع ان ادير عينى حولى .. تائهة .. بانسة .. احساس كبير بالبؤس يخنقتنى .. ثم انتبهت على صوت نقرات على الباب .. ودخل الحمالون .. يحملون حقائبى .. والحقيبة الصفراء ..

ودفعت لهم البقشيش ..

لا ادرى كم دفعت ..

لعلى دفعت لهم جنيها كاملا .. فقد رأيت فى عيونهم نظرات كثيرة .. وهمهمات عالية .. خفت منها فى الاول .. ثم اكتشفت انها نظرات شكر وهمهمات امتنان ..

وبقيت وحدى فى الغرفة .. ادور فيها ، وأنا أبحث عن

فى الفندق .. واتصلت به بالتليفون ورفيق واقف بجانبى .. وقلت له انى سأنقل الى الهيلتون الأبقى فيه يومين قبل عودتى الى لبنان ، لانى زهقت من الجو القاتم الذى يخيم على بيت محبى الدين .. وقلت له انى أخشى الا اجد غرفة خالية .. فطمأنتى هاشم قائلا انه يعرف مدير الفندق معرفة شخصية ، وسيتولى حجز غرفة لى .. وبعد دقائق اتصل بى ، وقال ان الغرفة قد حجزت باسمى .. حجرة رقم ٦٢٥ .

وحملت الحقيبة ذات الجيوب السرية ضمن حقائبى ، وانتقلت الى الفندق .. لم يأت معى أحد من أفراد عائلة محبى الدين لمرافقتى الى الفندق .. وقفوا كلهم يودعوننى على باب البيت .. وعيونهم تشهق من خلال دموعهم وراء الحقيبة الصفراء .. وقيلتهم واحدا واحدا وعواطف متباينة تضطرم فى صدرى .. الشفقة .. الاحتقار .. العطف .. التعالى .. الغيظ .. عواطف أتوه بينها .. والاحساس بالمغامرة يهزنى .. ولم اركب أيضا سيارة العائلة ، امعانا فى ابعاد الشبهة عنها .. ركبت تاكسى ، حملنى أنا وحقائبى الى الفندق ..

ودخلت الى الهيلتون .. والحقيبة الصفراء تسير ورائى محمولة على كتف الشيال .. وقلبى يضطرب .. لم اكن ادرى انى سأعرض لكل هذا الاضطراب .. كل هذا الخوف .. كل هذه الحيرة ازاء مغامرة أندفع فيها دون ان اكون فى حاجة اليها ..

والتفت الى موظف الاستقبال .. ولم أستطع ان اركز عينى فى عينيه .. وقلت فى صوت مرتعش :

— أعتد ان الدكتور هاشم عبد اللطيف حجز لى غرفة عندكم ..

قلت :

— من أحتمل الساعة .. أكاد أختق من الزهق ..

قال :

— بعد عشر دقائق أذن ..

روصعت سماعة التليفون .. وأنا أحس بضغفى .. وأحس
بكراهينى لنفسى لأنى ألقيت ضعفى على هاشم .. أحس أنى
أنانية .. أستقل حبه ، الى حد أن أبعده عن مرضاه ليعيننى على
ضعفى .. ولكن .. انى مريضة أنا الأخرى .. الزهق مرض ..
الضعف مرض .. الأنانية مرض ..

رلم أحتمل أن أبقى العشر دقائق فى الغرفة .. نزلت الى
بهو الفندق ، وطلبت من موظف الاستقبال أن يحجز لى مقعدا فى
الطائرة المسافرة الى بيروت بعد الغد .. وأرسلت برقية الى أبى
أحدد له فيها موعد وصولى الى بيروت ..

ثم جاء هاشم .. وأخذنى فى سيارته الى ميناء هاوس ..
ولكنه ما كاد يصل الى هناك .. حتى طلبت منه أن يعود ..
وقلت :

— لا تتقف فى أى مكان .. انى لا أطيق الوقوف .. اطلق
سرعة السيارة ..

وقال وهو يلتفت الى :

— أنت عصبية ..

قلت وأنا لا أنظر اليه :

— انى دائما عصبية عندها أسافر من مكان لمكان .. أحس
انى أفقد شيئا .. عندما تركت بيروت أحسست انى فقدتها ..
والآن أحس انى على وشك أن أفقد القاهرة ..

مكان أضع فيه الحقيرة الصفراء بحيث يمكن أن ادعى انى
نسيته ، وبحيث لا يكتشف أحد مكانها قبل أن أغادر الفندق ..
واحترت .. وفى كل ثانية من حيرتى ، العن نفسى لأنى حشرت
نفسى فى هذه المغامرة .. وأكاد أهم بأن أرفع سماعة التليفون
وأصل بعائلة محيي الدين وأطلب اليهم أن يأتوا ، ويأخذوا
حقيبتهم ويروحونى .. ولكنى أحس انى مقيدة من عنقى بدور
البطلة الذى قررت أن أقوم به .. أحس كأنى ذبابة وقعت بين
خيوط عنكبوت سام .. خيوط الوهم بأنى بطلة أنقذ عائلة مجنبا
عليها ..

وقررت أن أضع الحقيرة فى أرضية الدولاب الكبير وراء
الضلفة التى لا تفتح .. وحاولت أن أحملها بيدي .. انها ثقيلة
.. أثقل مما كنت أعتقد .. وجررتها على الأرض .. بذلت كل
ما فى جسدى الضعيف حتى أجزها .. وشعري سائل على وجهى
.. والعرق ينضح من كفى .. والكحل يسيح حول عيني ..
وانتهيت ..

ورقدت على فراش الهث ..

ولكنى لا أستطيع أن أهدأ ..

أحس كأن وراء ضلفة الدولاب جثة قتيل .. وحاولت أن أقاوم
هذا الاحساس .. ولكنى لم أستطع .. لم أستطع أن أرقد ..
ولا أن أقف .. ولا أن أجلس ..

ورفعت سماعة التليفون واتصلت بهاشم ، وقلت كأنى
استغيث به :

— هل أستطيع أن أراك الآن ؟

قال :

— بعد ساعة ..

.. ثم نفیق لنجری .. والیوم التالی قضاه کله معی .. والمساء
ایضا .. ولم نكن سمعاء .. ولكن كان كل منا مشدودا للآخر ،
كانها التصقنا ، والقدر یجری عملية جراحية بدون بنج لیفصل
كلا منا عن الآخر .. وفي كل لحظة یشعر كل منا بأنه یودع
الآخر .. ویشعر بألم العملية الجراحية .. وتكلم حینا كان
كلا منا یوأسی الآخر .. ثم نصمت كأننا قد افترقنا فعلا .. ونعود
نتكلم .. وأنا أتساءل فی كل لحظة .. هل أنا أحبه .. وهل
هذا هو الحب .. انی أشعر باحساس لم أشعر به من قبل ..
هذا الالتصاق لم أشعر به نحو ای رجل آخر .. لعل هذا هو
الحب .. ورغم ذلك فانی اتعجل أن تنتهی هذه اللحظات وأعود
الی بیروت .. وأنتهی .. وأنتهی من كل شيء .. وأستريح
فی بینا .. أوحشني الحاج عبد الرحمن .. وأمی .. وأختی
.. وقفرت فی خیالی فجأة صورة الحقیية الصفراء الراقدة خلف
ضلفة الدولاب كجثة القتیل .. والتفت الی هاشم مذعورة كانی
أخاف أن یلبح صورة الحقیية فی خیالی ..

وأقرر فجأة الا استمر فی عملية التهريب .. أحس بالذبابة
تحاول أن تخلص نفسها من خيوط الوهم بأنها بطلة .. خيوط
العنكبوت التي نصبها حولها رفیق .. ثم أعود وأتساءل : هل أنا
أحب هاشم ..

وكل هذا ینبض به احساسی ، وأنا جامدة .. لا أتصرف ..
لا أفعل شيئا .. قرارانی تتوالی بسرعة .. فی كل لحظة قرار
یعارض الآخر ..

وقال لی هاشم ونحن جالسان فی كافيتريا هيلتون فی الساعة
الرابعة صباحا ، وقد قررنا الا ننام حتی موعد قیام الطائرة ..
انا التي قررت الا أنام ، خوفا من بقائی بجانب الحقیية الصفراء :

لم یطلق سرعة السيارة .. وظل یقودها ببطء .. وقال
فی صوت مرتعش :

— انی أخشى ان أفقدك فی بیروت .. هناك أهلك وبلدك
.. وقد أحببتنی بعيدا عن أهلك وبلدك .. أحببتنی وأنت غریبة
.. وأخاف عندها لا تشعرين بالغربة ان تفقدی شعورك بحبی ..
قلت وأنا ساهمة :

— لا أظن ..
قال وضعفه یطل من عینیه :

— ان الحب یشمل الظروف التي تحيط به .. فاذا اختلفت
الظروف اختلف الحب .. كالرجل الذي یحب راقصة فی كباریه ،
اذا ابتعدت الراقصة عن الكباریه ، وأصبحت ست بيت ، فقد
حبه لها ..

قلت وأنا أنظر الیه وعلى شفתי ابتسامة عصبية :
— أنا لست راقصة .. والقاهرة لیست كباریه .. ثم انك
ستأتی الی بیروت .. متى ستأتی ..

— بعد عشرة أيام .. أعددت كل شيء الاكون معك بعد عشرة
ایام ..

قلت :
— لن تتأخر ..
قال :
— لا .. لن أتأخر .. لا أستطيع ان أتأخر ..
وبفینا معا ..

لم یذهب الی دیادته فی المساء .. ظل معی حتی الرابعة
صباحا .. نجری معا فی شوارع القاهرة .. ونجلس فی مكان
.. لنقوم ونجری فی الشوارع .. ونضیع نحن الاثنين فی قبلة

— انى على قدر ما انا خائف ان افقدك فى بيروت .. اريدك
ان تسافرى .. حتى تستطيعى وانت بعيدة عنى ان تكتشفى
حقيقة عواطفك ..

قلت وانا مرهقة :

— مهما كانت عواطفى .. فالحقيقة انى اعيش فى لبنان
وانت تعيش فى مصر .. ولن تستطيع ان تعيش معى فى لبنان
.. ولا ان اعيش معك فى مصر ..

ونظر الى فى يجب ملء باللوم وقال :

— حتى اذا اكتشفنا الحب ؟

قلت :

— ماذا يجدى الحب ..

قال فى هدوء وهو ينظر فى عينى :

— نتزوج ..

وارتعشت رموتى فوق عينى .. انى لم افكر فى الزواج
من هاشم .. حتى هذه اللحظة لم افكر فى الزواج من هاشم ..
ربما لانى لا افكر فى الزواج اطلاقا .. ولكنه يفكر فى الزواج
.. الى هذا الحد يحبنى ..

وقلت وانا ارخى عينى عنه :

— انا لا افكر فى الزواج .. ليس الآن ..

قال فى دهشة اكبر :

— حتى لو كنت تحببىنى ..

قلت :

— حتى عندما احب .. لا افكر فى الزواج .. اسهل على ان
افكر فى ان اعيش فى القاهرة ما دمت احبك .. من ان افكر فى
الزواج ..

قال :

— لماذا .. ما هذا الجنون ..

قلت :

— انى اعتبر ازواج نهاية .. وانا لا احب النهايات ..

قال :

— انه بداية ..

قلت :

— انها نهاية فترة من حباتى لا اريدها ان تنتهى ..

وخفض رأسه وقال :

— هذه اول مرة التقى بفنائة ترفض ان تتزوجنى ..

قلت وانا ابتسم له :

— انى لا ارفضك انت .. انى ارفض الزواج .. انى اثق

بحبك الى حد انى لست فى حاجة الى عقد قانونى يربطنى بك ..

يكفينى حبك ..

قال وهو يتنهد :

— لن تستطيعى ان تقررى شيئا الآن .. فى بيروت

ستكتشفين حاجتك الى .. الى حد الزواج ..

قلت :

— من يدرى .. انى اؤمن كما تعلم باحساس اللحظة ..

ربما تاتى لحظة اقرر فيها الزواج ..

قال :

— انك مغرورة ..

قلت :

— مغرورة بك ..

وابنسم ، والامل يشع من ابتسامته .. وقال :

— لا تكتبى الى بعد ان تصلى الى بيروت .. حتى لو
احسست بانك تريدن ان تكتبى الى ..

قلت :

— لماذا ؟

قال :

— لاننا فى حاجة الى هذه الايام العشرة كامتحان لعواطننا ،
ولو كتبنا فكاننا نفش فى الامتحان .. اريدك ان تعيشى مع
عواطفك .. وانا ايضا ساعيش مع عواطفى .. حتى نستطيع
يوم ان نتخذ قرارا ان نكون على ثقة منه ..

قلت :

— موافقة ..

وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف صباحا ..

رأستأذنت من هاشم وصعدت الى غرعتى ، وغسلت وجهى ،
وبدلت ثوبى .. ثم اغلقت حقائبى .. وناديت الشيال .. وحمل
الحقائب امامى ونزل بها ..

ثلاث حقائب .. والرابعة نسيتها .. مغلقة .. ومفتاحها
معى كما نقضى الخطة ..

ونزلت الى هاشم ..

لحنه يروح ويجيء فى بهو الفندق .. ويده فى جيب بنطلونه
.. ورأسه ملقى على صدره ونظراته ملقاة على الارض ..
وشفتاه متمهتان كأنه يحدث نفسه ، والتعب والارهاق يبديوان
على وجهه ..

واتجهت مباشرة الى موظف الاستقبال ..

كنت اريد ان أنتهى بسرعة من دفع حشائى ، قبل ان يكتشف
احد من موظفى الفندق الحقيبة التى نسيتها ..

ولحنى هاشم .. وجاء ووقف بجانبى .. وحاول ان يدفع
حشائى .. ولكنى رفضت .. رفضت بحدة أدهشت هاشم ..
ولا ادرى لماذا كنت اشعر ساعتها انى لا أستحق ان يدفع لى
هاشم الحساب ..

وتركنى ادفع ..

ثم تولى عنى دفع البقشيش ..

وانا اتعجله حتى نركب السيارة .. قبل ان يكتشف احد
الحقبة .. مضطربة .. كل شىء فى داخلى يرتعش .. ويخيل
الى ان الناس يرون ما فى داخلى .. يرون ارتعاشتى ..
والعيون تتسلل من تحت ثوبى .. ومن تحت جلدى .. لتكتشف
سرى .. وكل وجه تصطدم به عيناي ، يخيل الى ان صاحبه
يهم ان يصيح بى .. يا آنسة .. لقد نسيت الحقيبة الصفراء ..

وتحركت بنا للسيارة ..

الحمد لله ..

لم يكتشف احد الحقيبة ..

حاولت ان اسفرخى فى مقعدى .. ان اهدأ .. ولكنى
لا اسطيع .. اعصابى مشدودة بعنف ، تكاد تتمزق .. وأحس
كان فى ناخلى استماتا حادة تاكل فى لحمى .. أحس كأن جلد
وجهى يتساقط .. وبحركة لا ارادية نظرت الى مرآة السيارة
المعلقة امامى .. ان وجهى اصفر .. اصفر .. وعيناي مرهقتان
.. وشفتاي باهتتان .. وابعدت وجهى عن المرآة كأنى خفت
منه .. وشعرت بانى فى حاجة طاغية لأن التى برأسى فوق
كتف هاشم .. وابكى .. وابكى .. الى ان اهدأ ..
وهاشم صامت .. مرهق .. خطوط كثيرة تملأ وجهه
وجبينه ، كأنها خريشة اظافرى ..

الذى كنت أندفع الى لقائه .. وقد جئت الى القاهرة لابقى ثلاثة
أسابيع بمبيت خمسة شهور .. من أجلك .. انى عندما أسأل
نفسى ، لا أجد سبب نبقائى فى القاهرة طول هذه الشهور الا انت
.. ورغم ذلك لى لا استطيع أن أعرف ما أريد منك ..
ولا ماذا أربك أن تكون منى .. ان فى داخلى شيئاً يتمرّد عليك
وفى داخلى أيضاً شيئاً يربطنى بك .. ولا أدري أيهما سيغلب
الأخر .. انى أتمرّد عليك بنفس القوة التى أندفع بها اليك ..
وتنهّد هاشم ..

ومد يده والتقط يدى وضغط عليها .. وقال :

— انى مستسلم .. لم أكن أبداً مستسلماً كما كنت معك
مستسلم الى حد الضعف .. انى أشعر بنفسى ضعيفاً الى
حد المجزأ .. نفسى الضعف الذى أحس به عندما أعجز عن
تشخيص مرضى .. وأكثر .. انى عاجز أن أعرف أين المريض
.. أنت .. أم أنا .. وأين يستحق العلاج .. أنا أم أنت ..
أم كلانا ..

وفلت ودموعى لا تزال على خدى :

-- لا .. لستنا مرضى .. لا تقل اننا مرضى ..

قال :

— اننا نتألم .. والمرضى يتألمون ..

قلت :

— والأقوياء يتألمون أيضاً ..

قال :

-- الأقوياء يتألمون الألام غيرهم .. وقد كنت انألم الألام مرضى

.. كنت أتألم كطبيب ولكنى اليوم أتألم كمريض ..

قلت :

وطال دسمتنا ..

كأننا استعدنا جدنا عن الآخر مسافة أكبر من التى تفصل
بين القاهرة وبيروت ..

ثم تكلم هاشم .. صوته عميق ، بعيد ، حزين .. وقال
دون أن ينظر الى ، ونحن نقترّب من طريق المطار :

— أنا خائف با رحاب .. لا أدري لماذا .. ولكنى خائف ..
وربما كنت خائفاً على نفسى أكثر من خوفى عليك .. لقد قضيت
هذه الشهور فى قلق .. قلق أفقدنى ثقى فى نفسى .. أفقدنى
سيطرته على عقلى .. أهملت عملى .. وأهملت حياتى .. وكنت
دائماً أحذر بأنى أسير فى طريق لا أدري نهايته .. أسير
بلا ارادة .. مغض العينين .. وكل ما أحتاج اليه الآن هو
أن أقف .. وأن أفتح عيني .. لأرى أين أنا .. ولا يهمنى أين
أكون .. ولكن يهمنى أن أعرف مكانى .. مكانى منك .. مكانى
من نفسى .. وكل ما أريده هو أن تستاعدنى على أن أقف ..
وعلى أن أفتح عيني .. ساعدنى .. كوني صريحة معى ..
حددى مكانى منك بالضبط ، حتى أستطيع أن أحدد مكانى من
الحياة .. انك الآن العلامة الوحيدة فى طريق حياتى .. وأريد
أن أعرف هل أنا أتقرب من العلامة ، أم ابتعد عنها .. أم قد
وصلت اليها ..

ورشعرت بدموعى تنهمر ..

بلا ارادة منى ..

رقلت فى صدقى يمالأ كل قلبى :

-- لا أدري .. انى حائرة مثلك .. انى لم أفعل شيئاً معك
.. كنت ألقى بك لأنى كنت أحس انى أريد أن أكون معك ..
وكان هناك عشرات غيرك أستطيع أن ألقاهم ، ولكن انت وحدك

قال :

— أو نبتعد أكثر ..

وكنا قد وصلنا الى باب المطار ..

واقترب الحمالون من السيارة ..

وفجأة ..

بذكرت الحقيبة الصفراء ..

واحسست بتمرد هائل .. تمرد على نفسى .. تمرد الذبابة

على خيوط العنكبوت .. ولكن التمرد لم ينقذ الذبابة .. ان

الذبابة مضطرة أن تنفذ بقية الخطة .. والخطة تقضى بالآ يدخل

معى هاشم الى المطار حتى لا يراه معى رجال الجمر ..

والتفت اليه وقلت وأنا أحاول أن أخفى اضطرابى :

— ابق فى السيارة .. لا أريدك أن تنزل معى ..

وقال فى دهشة :

— لماذا ؟

وصرخت .. انطلق صراخى رغم أراذتى .. وقلت وأنا

ارتعش وأعصابى تخنقنى :

— لا أريدك أن تأتى معى .. لا أريدك .. لا أريدك .. انى

اتعذب بحضرات الوداع .. الا تفهم ..

وستكت هاشم مبهوتا ..

وانحنيت وقبلته قبلة سريعة ، وأنا أتمتم :

— أراك بخير ..

ثم فتحت باب السيارة ونزلت منها قبل أن يرد قبلى ..

وهرولت الى داخل المطار دون أن التفت خلفى .. جريت ..

ولم أكن أجرى من هاشم .. ولكنى كنت أجرى من نفسى ..

ودموعى تجرى معى ..

— اننا نتألم لأن الطريق الذى يفصل بيننا طويل .. الطريق

بين عقلك وعقلى .. بين عمرى وعمرك .. بين احساسك

واحساسى .. لقد كنت أشعر أحيانا أنك تنظر الى كانى من

عالم آخر .. من القمر .. من الريح .. وأنا أيضا كنت أحس

أحيانا أنك آت من عالم غريب .. عالم الاساطير .. كنت أحس

بك كأنك اعرابى تعيش فى الجاهلية ، تقف على باب خيمة

وتحاول أن تخطفنى وتسدل على ستائر خيمتك لأعيش فى الظلام ،

ويبقى النور لك وحدك .. كنت أحسك هكذا فعلا .. وكنت

أتمرد .. لا أريد أن أعيش فى خيمتك ، ولا فى ظلامك ..

ولكنى رغم تمردى كنت أجد نفسى مندفعة اليك .. وقد قطعنا

مسافة طويلة من الطريق الصعب .. انى أحس بنفسى أقرب

اليك ، وانت أقرب الى .. لقد بدأت أنا اهبط من القمر الى

الأرض .. وبدأت أنت تخرج من الجاهلية الى العالم الجديد ..

ويجب أن نحتمل أكثر لنقطع ما بقى من الطريق حتى يلتقى ..

قال مبتهما كأنه يسخر من نفسه :

— ان فى عمرك ما يكفى للانتظار .. وليس فى عمرى

ما يكفى ..

قلت كانى أوامسيه :

— انى أسرع بعمرى اليك .. وعلبك أن تبطىء بعمرك

حتى الحق بك ..

قال :

— انى سأوقف عمرى هذه العشرة الأيام التى سنفترق فيها

.. وبعدها اما أن أمقد ما بقى ، أو أسترد ما ضاع منى ..

قلت :

— أحس أننا سنقرب أكثر أيام الفراق ..

ان أحس بأنى تركت القاهرة ، ولا بأنى مقبلة على بيروت ..
أحاسيس مضطربة .. حمراء فى لون الدم .. كأنها عاصفة من
الرمال تضرب فى عيني ..

ووصلت بيروت ..

واحتضنتى أبى الى كرشه الكبير وهو يردد بصوته الضخم
من خلال ضحكة مرتعشة :

— رحاب .. رحاب .. رحاب ..

وحاولت أن أهدأ فوق كرشه .. أن أحس بأنى عدت الى
حبه ، والى حمايته .

ولكن أمى اختطفتنى منه ، وأخذت تقبلنى فى كل مكان من
وجهى .. ثم أبعدتنى عنها وهى لا تزال ممسكة بكتفى .. وقالت
فى هلع وهن تنظر فى عيني :

— روللى .. ماذا بك .. هل كنت مريضة ..

قلت وأنا أهز رأسى وابتسامتى معلقة بين شفتى :

— لا .. صحتى منيحة ..

رجذبتنى أختى إليها وهى تصرخ فى مرج :

— اشتقتالك ..

واحنضنتها الى صدرى كأنى أريد أن أسمعها شهقات الألم
التي تنطلق من قلبى .. وبكىت ..

والدموع تلمع فى عيني أبى .. وفوق شفتى أمى .. وعلى
خدى أختى ..

وخرجت بنا السيارة الى بيتنا .. وأنا أتطلع حولى كأنى
أبحث عن أشياء فقدتها .. الجبل الذى فقدته .. والبحر الذى
فقدته .. والشوارع التى فقدتها .. والوجوه التى فقدتها ..

ثم وقفت قبل أن أدخل الى منطقة الجمرک .. التقت أنفاسى
ومسحت دموعى .. وأعدت وضع خطوط الكحل حول عيني ..
ثم التفت الى الباب الذى يؤدى الى الجمرک .. وارتعش قلبى
.. خيل الى أنى سأدخل من هذا الباب الى السجن .. الى جهنم
.. أنهم يكرهون اللبنانيين .. يفتشونهم .. وقد يلعبون على
ثيابى كنها ويعرضوننى عارية فى ساحة الجمرک .. ولم يكن
فى حقائقى شيء أخاف منة .. **وراهم ذلك فأنى خائفة ..** خائفة
.. كأن كل الرجال الذين سأدخل اليهم يعلمون قصة الحقيقة
الصفراء ..

ولكن ..

لا شيء ..

لا شيء من هذا كله ..

استقبلنى رجال الجمرک فى رفق .. كل منهم يحملنى فوق
ابتسامته ويسلمنى الى ابتسامته الآخر .. أنهم لم يفتحووا
حقائى .. ولا حقيقة واحدة .. ربما لو كانت معنى الحقيقة
الصفراء ، لما فتحوها أيضا ..

وفى دقائق وجدت نفسى خارج منطقة الجمرک ..

وجلست فى انتظار ركوب الطائرة .. وحاولت أن أهدأ

.. ولكن .. نوبة التمرد تنقبنى من جديد .. التمرد على كل
هذا .. على نفسى .. على هاشم .. على رفيق .. على خطة
الحقيقة الصفراء .. التمرد على هذه الذبابة التافهة التى أسلمت
نفسها لخيوط العنكبوت ..

وسحبنى التمرد والاحساس بالتفاهة وأنا فى الطائرة ..
لم أستطيع أن أتأم .. ولا أن أهدأ .. ولا أن أستقر .. لا أستطيع
أن أربط خيالى بهاشم .. ولا بأهلى الذين ينتظروننى .. لا أستطيع

— اشتقتك .. وانت ؟

قال كأنه يتنهد :

— أنا .. أتى أحس كأن كل شيء اختفى من القاهرة فجأة ..

لم يعد فى القاهرة سيارات .. ولا شوارع .. ولا ناس ..
كل شيء أخذته معك الى بيروت ..

وقلت ، وأمنى واقفة بجانبى تنظر الى :

— هاشم .. لقد نسيت حقيبة فى الهيلتون .. هل تستطيع

أن تأتى بها معك ؟

قال :

-- حاضر ..

قلت :

— انك لن تتأخر ..

قال

— لا .. بعد عشرة أيام .. يوم السبت .. وربما قبل ذلك

إذا لم أتحمل ..

قلت وأنا أبتسم :

— أرجو ألا تحتمل ..

قال :

— سأحاول أن أتحمل .. كيف بيروت ؟

قلت :

— انى لازلت فى القاهرة ..

قال :

— يا ريت ..

وانتهت المكالمة ..

نفذت الذبابة خطة العنكبوت ..

ودخلت بيتنا وعينى تمسح الجدران وتبكي فوقها .. كأنها
تعترض لها ..

والتمس الجميع حول حقائبى ، أخرج لهم الهدايا التى حملتها
لهم .. ثم فجأة .. وكأن عفريتنا نغزنى فى جنبى .. صحت :

— نسيت حقيبة ..

وقالت أمى فى دهشة :

-- شو ؟ ! ان حقائبك كاملة .. ثلاث حقائب ..

قلت :

— لا .. هناك حقيبة رابعة اشتريتها من مصر .. انى

أدرى أين نسيتها ..

وقال أبى :

— تكلم أصدقاءنا هناك ليرسلوها إلينا ..

قلت وأنا أجرى الى التليفون :

— لا .. لى صديق سياتى الى بيروت بعدد أيام ...

سأكلمه ..

وطلبت القاهرة بالتليفون .. مكالمة سريعة .. وبتوصية من

مكتب أبى ..

طلبت هاشم ..

وفى نفس الوقت أرسلت سائق سيارتنا ببرقية الى فندق

هيلتون ، قلت فيها :

« نسيت حقيبة فى الغرفة رقم ٦٢٥ أرجو تسليمها الى

الدكتور هاشم عبد اللطيف » ..

وبعد ساعة سمعت صوت هاشم يصبح فى التليفون :

— مرحاب ؟

قلت وأنا أتحامل على أعصابى :

قلت وأنا أجرى ناحية الباب :

— سأبقى معكم العمر كله ..

قالت في استسلام وهي تنظر الى كائى مجنونة :

— سنعودين لتناول الغداء ..

قلت :

— ربما ..

وصفت الباب ورائى ..

وذهبت الى مقهى « أونكل سام » وأنا اقتفز فى الشارع بالبنطلون ، وأحاول أن اقتنع نفسى بالفرحة وأنا التقى بشوارع بيروت ، ودكاكين بيروت ، وناس بيروت .. حاول أن أسترد العمر الذى كنت أعيش فيه قبل أن أسافر الى القاهرة .. عمر الخامسة عشرة والسادسة عشرة .. لقد تركت هذا العمر ، وعشت فى عمر أكبر من أجل هاشم .. ولكن هاشم انتهى .. لقد كان بطالا من أبطال الفيلم الذى شاهدته فى القاهرة .. وانتهى الفيلم .. انتهت القاهرة .. وانتهت عائلة محيى الدين .. وانتهت قصة الحقيبة الصفراء .. انتهى كل شيء .. انتهى انتهى .. وأنا الآن رحاب ، الفتاة التى كانت تعيش فى بيروت منذ خمسة شهور .. ترندى البنطلون ، وتضع الكحل حول عينيها ، وتترك شعرها يسيل على وجهها .. وتعيش عمرها لحظة بلحظة .. لا يوما بيوم ، ولا شهرا بشهر ، ولا عاما بعام ..

ودخلت الأونكل سام وأنا اهل .. كل شيء فى يهمل .. عيناي تهلان .. وشعرى المنسكب يهمل .. وشفتاي تهلان .. ونى لحظة واحدة رأيت كل شيء كما هو .. كائى لم اغب عن بيروت سوى لحظات .. كائى تركت متحفا للشمع ، وعدت

- ٣ -

حاولت أن أنسى كل شيء بعد أن حادثت هاشم فى التليفون ، وانتهيت من تنفيذ خطة العنكبوت .. حاولت أن اقتنع نفسى بأن كل ما حدث لم يكن سوى فيلم سينمائى ، تخيلت نفسى خلال فترة عرضه ، أنى فى مكان بطلته .. وقد انتهى الفيلم .. وخرجت من السينما .. ويجب أن أنسى بطلته الفيلم .. وأعود الى نفسى .. وأخذت أدور فى أنحاء البيت .. أضحك مع أختى .. وأقبل مرييتى .. وأرورى نتفا سريعة ممزقة من ذكرياتى فى القاهرة .. وأستمع نتفا من أخبار بيروت التى حدثت أثناء غيبتى .. وعينا أرى تلاحتانى كأنها تحاول أن ترى ما تحت جلدى ، وعلى وجهها تعبير متسائل كأنها لا تصدق الضحكة التى تخرج من شفتى ، ولا المرح المرسم فى عيني .. وتحاول أن تجلسنى بجانبها لأحدثها عن القاهرة .. ولكنى لا أطيق أن أجلس فى مكان .. ولا أطيق أن أتحدث فى موضوع واحد .. لا أستطيع أن أركز عقلى ولا أن أنسق كلامى ..

رفجاء دخلت غرفتى .. وخلعت ثوبى ، ولبست بنطلونا و « بلوز » ، ووضعته فى قدمى حذاء بلا كعب ، وتركت شعري يسيل على وجهى وأمسكت فى يدي بورقة الكلينكس ، وبضع ليرات ، وخرجت من البيت ..

وصرخت أمى ورائى :

— ألا تبقين معنا .. الا يكفيك أن غبت عنا خمسة شهور ..

يضغط على عروقي .. ثم فجأة انطلقت قائلة كائى أهرب من
نفسى :

— سامى .. هل تتغدى معى ..

ونظر الى سامى وعيناه تضيقتان ، وقال :

— لا مانع .. هيا بنا ..

وقمت دون أن أحيى أحدا .. وجاء ورائى ..

ولم أتعهد أن أختار سامى .. ولكنه كان تمثال الشمع الذى

سقطت عليه عيناي عندما تكلمت ..

وقال سامى ونحن نسير فى شارع « بليس » :

— الى أين ؟

كنت وأنا ساهمة :

— الايجلز نست ..

وانحرفنا ، لنصعد فى شارع جان دارك ، وأنا أحاول بكل

أعصابى أن أتحرر من الاحساس بالانكماش .. أحاول أن

أستعيد الأيام التى كنت أذهب فيها الى مطعم « الايجلز نست »

لألتقى بالدين يحبوننى ، واحدا بعد واحد .. لا يمكن أن يكون

شئ غد تغير فى خلال خمسة شهور .. أنا كما أنا .. يجب أن

أقنع نفسى بأنى أنا كما أنا .. ولكن لا .. مستحيل .. شئ

تغير .. كل شئ تغير .. لا أدري كيف ، ولا لماذا .. ولكن

انا لم أعد أنا .. أحس بنفسى فتاة أخرى .. أحس بنفسى امرأة

عجوزا .. ان خطواتى هرمة مرتعشة .. ولعل ظهري تقوس

.. ولعل وجهى ملىء بالتجاعيد .. وشفطاي تعجزان عن حمل

ابتسامتى .. وأذناى تعجزان عن التقاط كلام سامى .. كأنه

يتكلم من بعيد ..

ودخلنا مطعم الايجلز نست .. وهلل الجرسون عندما رأتى

اليه مرة ثانية .. الوجوه لم تتغير .. والأصوات لم تتغير ..

والجرسون لم يتغير .. والرائحة لم تتغير .. وسامى ..

وغسان .. وتيسير .. و .. و .. كل منهم جالس الى نفس

المائدة التى تعود أن يجلس اليها .. وعنقه مائل بنفس درجة المي

التي تركته عليها ..

وبعيت واقفة عند الباب اطل على متحف الشمع .. الى

إن لمحتنى التماثيل — تماثيل الشمع — فانطلقت الى وعلى شفتى

كل منها مبرخة ..

وأجلسونى بينهم يسألوننى عن القاهرة .. وحاولت أن

أقول لهم شيئاً مهما عن القاهرة .. فلم أجد شيئاً مهما .. كان

كل ما شاهدته وما حدث لى فى القاهرة لم يكن سوى سخافات

.. بل انى أحسست كأن ذكرياتى عن القاهرة اختفت كلها وراء

ضباب ، فلم أعد أتبينها الا بصعوبة ..

وانتهى حديثنا عن القاهرة بسرعة بعد أن عجزت عن أن

أثير اهتمامهم .. واندمجوا فى مناقشة أخرى .. نفس المناقشة

التي تركتهم عندها منذ خمسة شهور .. بل ان الحروف كانت

ترن فى أذنى كأنها بقية كلمات سمعتها منذ خمسة شهور ..

رشيئنا فشيئاً بدأت أفقد احساسى بكل ما حولى .. شئ

فى ينيكمش .. وينكمش .. وينكمش .. وأحس بجلدى ينيكمش

.. وأعصابى تنكمش .. ومعدتى تنكمش .. وأحس بنفسى أبتعد

وأبتعد ، كائى باللونة تنطلق فى الفراغ البعيد وهى تزفر كل

ما فيها من هواء ، ولم أحاول أن أفسر هذا الشعور بالانكماش

.. لم أحاول أن أجد له تبريراً .. ولكنى استسلمت له ..

وبقيت بين الأصدقاء ، ساكته ، واجمة ، والانكماش يؤلنى ..

ضحكة أو فى كلمة .. ولكنه يبصقها بصراحة .. ويهز كتفيه ..
ويمضى الى الموت ..

قلت وأنا أزرغنى زهق :

— اننا لا نمضى الى الموت ، ولكن الموت يأتى الينا ..

قال وهو يضحك ساخرا :

— خرافة .. اننا منذ اليوم الذى نولد فيه ونحن نتجه الى
الموت .. بعضنا يقطع الطريق فى خمسين عاما .. والبعض
يقطعه فى عشرين .. والسريع يقطعه فى عشرة .. وما دمنا
نعرف الى أين يؤدي الطريق ، فلماذا نختار .. ولماذا نشغل
بالنا .. ولماذا نحمل هما .. و ..

زقاطعته وأنا أشد زهقا :

— فاسفك سخيفة .. حدثنى عن شىء يضحكنى ..

قال وفى عينيه حنان :

— حدثينى أنت عن تجاربك فى القاهرة ..

قلت وأنا أهز كتفى :

— لا شىء مهم ..

ونظر الى كأنه لا يصدقنى ، وقال :

— رولى .. لا شىء يستحق الندم .. لا شىء يستحق
أن نعيش من أجله الا اللحظة التى نعيشها .. ليس هناك شىء
فات ، ولا شىء قادم .. ولكن هناك لحظة نعيشها .. لحظة
تأكلنا .. ولا نستطيع الا أن نستسلم لها حتى تأكلنا .. و ..

رجعت أطباق الطعام التى طلبناها .. فأزحتها من أمامى
.. وانتفضت واقفة .. وقلت وأنا القى بالليرات على المائدة ..

— لم أعد أطيق .. سأذهب ..

قال :

.. وهروا صاحب المطعم الى يحيينى .. وكلام سخييف يقولانه ،
وأرد عليه دون أن أسمعه .. ونظر سامى الى السكين الموضوع
على المائدة ، واتسعت عيناه فى رعب .. وارتعش .. ثم مد يده
بسرعة والقى بالسكين بعيدا تحت المقاعد .. انه لا يزال يخاف
من السكاكين .. انه لم يتغير .. ونظرت اليه كأنى أحسده لأنه
لم يتغير ..

ونظر سامى الى ، بعد أن هذا خوفه وقال وهو يتحدث فى
وجهى بعينيه :

— ماذا بك ؟

قلت وأنا أحاول أن ابتسم :

— لا شىء ..

قال :

— يخيل الى أنك فتاة أخرى .. أحس بك كأنك كبرت عشرة
اعوام ..

قلت كأنى أحادث نفسى :

— انى أحاول أن أكبر ..

قال :

— لا تحاولى شيئا .. وأبصق على الدنيا ..

قلت وأنا أتهد :

— بر بصق كل الناس على الدنيا ، فهم يبصقون بعضهم
على بعض ..

— هذا ما يفعلونه .. أنهم يبصقون بعضهم على بعض
.. الابتسامة بصقة .. والضحكة بصقة .. والكلمة بصقة ..
.. وأشرف الناس هو الذى لا يخفى بصقته فى ابتسامة أو فى

— هل أتى معك ..

قلت :

— لا ..

وخرجت أهيم فى شوارع بيروت .. وأحس بكل شيء حولي
ميتا .. الشوارع ميتة .. والسيارات عربات لنقل الموتى ..
والبحر ميت .. والجبل قبر كبير .. وأنا بومة واقفة فوق فرع
شجرة ميتة .. ولا أدري أين أذهب ، ولا أين أجلس .. ولكنى
أشعر بانى بومة .. عينان واسعتان مفتوحتان كعينى البومة
.. وأنفى صغير مقوس .. ووجهى مستدير يكسوه الشعر كوجه
البومة !. وأخاف أن أنكلم حتى لا أسمع فى صوتى نعيب
البومة ..

وعدت الى البيت فى المساء .. الساعة السابعة ..
الثامنة .. لا أدري .. واستقبلتنى أمى قائلة فى صوت محدد :

— أنتظرنالك على الغداء ..

قلت وأنا لا أنظر إليها :

— آسفة ..

قالت :

— لم يتغير فيك شيء .. لا زلت مجنونه ..

قلت :

— ربما ..

وانطلقت تهتة أبى قائلا :

— عادت رحاب الى عاداتها القديمة ..

وانجبت الية وجلست على ركبته .. وأنا أقول :

اشتقت لك يا حاج عبد الرحمن ..

وحاولت أن أستريح على صدره .. ولكنى شعرت بمجرد أن

ملت برأسى على كتفه ، انى سأبكى .. واذا بكيت فسيسالنى
عن بكائى .. ويجب أن أقول له شيئا .. لا .. لن أبكى ..
حتى لا أمرل شيئا .. وقفزت من فوق ركبته .. واتجهت الى
غرفتى وأنا أقول فى مرح مفتعل :

— سأنام ..

وقالت أمى :

— ألا تتناولين العشاء ؟

قلت كاذبة :

— نعشيت ..

وقال أبى :

— ألا تجلسين معنا قليلا ..

قلت :

— منعبة يا بابا .. غدا ..

وجريت الى غرفتى ، وجلست فوق سريرى كالبومة ..
أحاول كل جهدى الا أفكر فى شيء .. أن أستسلم لحالتى دون
أن أفكر .. ان التفكير معناه أن أواجه نفسى .. أخاف أن
أواجهها .. انها أنتظر أن تمر هذه الحالة التى أعانيها ..
وانسى .. وأعود لا مبالية ..

ونمت .. مغشيا على من التعب ، والارهاق .. نوما ثقيلًا ،

كانى نمت تحت جبل من التراب ..

— ويوم آخر ..

ثم يوم ثالث ..

وأنا ازداد انكماشًا .. ولا أستطيع أن أكل .. وأعصابى
تأكل من لحمى .. وأذوب .. ولم أحاول أن أخرج من البيت

.. منكوشة فى غرفتى .. وأمى تعرض علىّ أن تأتيني بطبيب
فارغى .. وتقتضى يومها كله تتحامل على أن أكل ..

ولم يعد يجدى الهرب ..
يجب أن أواجه نفسى ..
وأخيرا ..

استجمعت قوتى .. كل ما بقى فى من قوة .. وواجهت
نفسى .

لماذا أعانى كل هذه المعاناة ؟

لأنى نفذت خطة العنكبوت ؟

لأنى خدعت هاشم وأشركته فى خطة لتهديب أموال عائلة
محيى الدين ؟ !

ولكن هاشم لن يتعرض لأذى .. حتى لو ضببت معه
الحقيرة الصفراء ، يستطيع أن يقول انه لا يمكنها .. ويستطيع
أن يستنجد بموظفى فندق هيلتون ، ليشهدوا أن الحقيقية هى
حقيبتى أنا .. ثم أن الأموال التى نهبها ليست أموالا مسروقة
.. انها حق لعائلة محيى الدين .. ومن حقهم أن ينقلوها الى
لبنان ، كما ينقل أبى أمواله الى لندن وباريس ، وكل بقاع الأرض
.. انى لا أؤذى أحدا بالاشترار فى نقل هذه الأموال .. وقد
اشتركت فى خطة نقلها باحساسى .. وأنا أستسلم دائما
لاحساسى .. فلماذا أثور عليه الآن .. لماذا كل هذا القلق ..
كل هذه المعاناة .. كل هذا الضيق .. كأن رنتى تلطمان صدرى
.. كأن أعصابى تتمزق .. كأن كبدى يتفتت ..
ولكن ..

ان ما يشغلنى ليس الحقيقية الصفراء ، ولا عملية التهريب
.. لا .. انى أضحك على نفسى عندما اعتقد أن سر ما أعانيه

هو انى نفذت خطة العنكبوت ، ولا هو احساسى بأنى كنت ذبابة
.. ان سر ما أعانيه هو هاشم نفسه .. من هو هاشم بالنسبة
لى ؟

صديق ..

مجرد صديق ..

ليس أكثر من تيسير ، وسامى ، وغسان .. وبقية الأصدقاء
.. أصدقاء احتاج اليهم ، لقطع الوقت ، ولارضاء غرورى ..
ولكن لا ..

ليس هذا صحيحا ..

هاشم أكثر من ذلك .. ليس مجرد صديق ..

ونجاة تكشف أمامى الفراغ الكبير الذى أعيش فيه منذ تركت
هاشم .. ومنذ اللحظة الأولى التى وصلت فيها الى بيروت ..
لم يكن هاشم صديقا ..

كان حياتى ..

كان كل دقيقة من يومى .. وكانت اللحظات التى يغيب عنى
فيها ، يملؤها بالأمل فى لقائه ..

.. ماذا يعنى هذا ؟ !

هل أنا أحبه ؟

وهل هذا هو الحب ؟ ..

وارتفع أمامى وجه هاشم .. شعره فى لون الدخان كأنه
ينطلق من حريق قلبه .. وعيناه المنتفختان تطل منهما نظراته
الضعيفة المبهلة .. وأنفه الراقد فى تواضع كالأسد العجوز ..
وشفتاه المنفرجتان كأن بينهما أمة الم ..

لا .. انى لا أحبه !

لا أريد هذا الحب .. لا أريد أى حب .. ان الحب قيد ثقيل

قال فى دهشة :

— ماذا ؟

قلت :

— قبلنى .. قلت لك قبلنى ..

انى لا زلت اذكر قبلاته .. لقد كنت احتملها .. كنت احيانا اريدها .. ولكنه نى هذه الليلة ، وما كاد يقرب وجهه من وجهى ، حتى شعرت بريح ساخنة تهب على .. ورائحة لاذعة تكاد تخنقنى .. وشهدت كأن احدا بهم أن يشق جسدى بسكين .. وسقطت شفطاه على خدى كأنهما بقعتان من الزيت البارد .. واحتملت .. احتملت بكل ما فى من قدرة على الاحتمال .. بل وأدرت له شفتى .. وما كاد يلمسهما بشفتيه حتى شعرت بالاختناق .. انى أختنق فعلا .. أختنق .. وتزعجت شفتى منه بقسوة كانى أقاوم الموت .. وجريت .. جريت فى الليل .. لا أدرى شيئا .. وهو يصرخ :

— روللى .. يا مجنونة .. روللى ..

وجرى ورائى ..

وخيل الى فعلا أن الموت يجرى ورائى .. يجب أن أسبق الموت .. أن أنجو .. والهلع يملأ عيني .. والاختناق يقبض على عنقنى ..

ولا أرى كيف وضعت نفسى فى سيارة أجرة .. ووصلت الى بيتنا .. ودخلت وضباب كثيف يزحف على عيني .. ويد قاسية تقبض على عنقنى .. وسمعت أمى تصرخ فى وجهى :

— اين كنت .. الساعة الآن الحادية عشرة ..

وصرخت :

.. انه ارتباط .. وأنا لا أطيق القيود ولا الارتباطات .. لا أريد أن اعانى كل هذه المعاناة لانى أمتقد رجلا .. أى رجل .. أريد أن أنطلق .. أن أطيرو ..

— انا لا أحب ..

أبدا لا أحب ..

أن الحب يأخذ منى كل شيء .. بل يأخذ عمري .. هاشم يريد أن يأخذ عمر العشرين ويعطينى عمر الأربعين .. لا .. أريد عمري .. أريد حرىتى .. أريد انطلاقى ..

ونحاولت على ضعفى .. وقمت الى التليفون واتصلت تيسير .. لا شك أن تيسير لا يزال يحبنى .. ربما أكثر من هاشم .. وسأجد عنده نفس ما كنت أجده عند هاشم ..

وذهل تيسير عندما طلبت منه أن يقابلنى ، حالا .. وكنا فى الساعة الثامنة مساء .. وخرجت اليه مرتدية البنطلون ، وشعرتى سائل على وجهى ، وقلم الكحل فى يدي ، كما تعودت أن أقابله .. ولم استأذن احدا قبل أن أخرج ..

ونظرت اليه .. لا تزال فى عينيه هذه النظرة المتعالية المتحفزة .. ووجهه جميل .. وجلده مشدود .. وشعره أسود .. ولكن كلامه سخيىف .. كل كلمة من كلماته تدق فى اذنى كأنها مسمار .. وتقع على أعصابى كأنها حد الموس .. ولكن .. لعلى عصبية .. يجب أن أحتل حتى أهدأ .. وحاولت أن أحتمل .. ولكنى لا أستطيع .. أبدا لا أستطيع .. حد الموس يقطع فى أعصابى .. والسامير تدق فى رأسى ..

والثفت اليت فجأة ونحن نسير على الروشمة ، وقلت كانى أصرخ فيه :

— تيسير .. قبلنى ..

بالأهتيم سواء أتى هاشم يحمل الحقيبة الصفراء . أو لم يأت
 .. ولكن الصوت لا يزال يملأ رأسي ، ويردد في الحاح :
 هاشم سيأتي يوم السبت ومعه الحقيبة الصفراء ..

رتضبت اليوم كله ساكته .. وأنا أتحفز لأفعل شيئاً .. ولكن
 لا أدري بالضبط ما سأفعله .. وصورة هاشم تملأ رأسي ..
 والحقيبة الصفراء .. والصوت المجهول يتردد في أذني وقد خطر
 لي خاطر سريع أن أروي لأبي كل ما حدث وما فعلته لتهريب
 أموال عائلة محيي الدين .. انه يفهم في هذه المسائل .. ولعله
 يعينني على أن أرتاح .. ولكني لم أقل شيئاً .. ان المشكلة ليست
 مشكلة تهريب أموال .. انها مشكلة احساسى بأنى كنت ذبابة
 .. لا .. انها مشكلة هاشم .. لو كان أى شخص غير هاشم ،
 لما أحسست ان هناك مشكلة ..

وفى يوم الأربعاء قمت من الفراش ، وفاجأت أمى وأنا ارتدى
 شياىي .. وسألتنى فى جزع :

— الى أين ؟

قلت :

— الى السوق ..

قالت :

— ولكنك لازلت مريضه .. الدكتور أمر ..

وقاطعتها :

— انى أعلم حالتى أكثر من الدكتور ..

وسكتت أمى .. خافت أن تجادلنى حتى لا تصيبنى النوبة
 مرة أخرى ..

وذهبت الى أبى ، وقلت له وأنا أقبله فوق وجنته :

— أريد الف ليرة ..

— لا تسألنى .. لا تحاسبينى .. ابعدى عنى .. انى ..
 أنى (٥٦٥)

وصوتى يختنق ..

عروقى رقبتي تنتفخ ..

والم .. ألم عنيف تقاس حول عنقى ، وفى صدرى ..
 انها النوبة التى أتعرض لها .. النوبة التى أعرفها جيداً ..
 وأخافها أكثر مما أخاف الله .. انى أنتزق .. أنفاسى كأنها جيش
 من الدبابيس يشك صدرى .. وفى عنقى .. وفى أعصابى ..
 يا رب ..

يا رب ..

ثم لم أدر شيئاً ..

وأفتت وأنا راقدة فى الفراش .. والطبيب بجانبى ..
 وأمى وأبى عند قى السرير .. ونظرت الى الطبيب .. وإلى
 أبى وأمى .. وسألت وكأنه فى داخلى شخص آخر يضع خطة
 أثناء غيبوبتى .. وكأن هذا الشخص هو الذى يسأل :

— أى يوم نحن ؟

وأجاب أبى وعيناه تبرقان بدمعه :

— الثلاثاء ..

وسكتت ..

وتعلقت عيناه بسقف الغرفة ، ووجدت نفسى أهيم فى خطة
 غامضة لا أدري كيف ولا متى ثارت فى خيالى .. وامتلاً رأسي
 بصوت يردد :

ان هاشم سيأتى يوم السبت ومعه الحقيبة الصفراء ..

وحاولت أن أتجاهل هذا الصوت .. حاولت أن أقنع نفسى

— لقد كنت دائما أخاف استسلامك لأحاسيسك .. ولكنى
اليوم أتمنى أن تعيشى العمر كله مستسلمة لأحاسيسك ما دامت
تدفعك الى ..

قلت وأنا ابتسم :

— هذا احساس اليوم .. لا ادري احساسى غدا ..

قال وهو يمد يده ويضغط على يدي :

— اتى واثق من احساسك اليوم وغدا وبعد غد .. والعمر
كله ..

وابتسمت ..

ومرت بيننا فترة صحت ..

وهو لا يزال ينظر الى بعين ، وينظر الى الطريق بعين ..
ثم قال :

— هل كنت مريضة ؟

ونظرت اليه ، وقلت :

— كيف عرفت ؟

قال وهو يتفحص وجهى بعين طبيب :

— وجهك ..

قلت بلا مبالاة :

— أصبت بنوبة اغماء .. ومرت ..

قال :

— لن تصابى بها مرة ثانية .. أعدك بذلك ..

قلت :

— ستعالجنى ..

قال مبتسما :

— لا .. ولكنى لن أبعد عنك مرة ثانية ..

وسرت بجانبه نمر بمكانب الجوازات ، وصالة الجمرک ..
ان هاشم له نفوذه فعلا .. كثيرون يحبونه .. وكثيرون يسارعون
الى خدمته .. وأنا فرحة به .. وفرحة بشخصيته الحلوة التى
يتعامل بها مع الناس .. فرحة بابنى العجوز ..

وتمت كل الاجراءات فى لحظات ، قبل أن تتم اجراءات بقية
الركاب ..

وركبنا بجانب هاشم فى سيارته .. وعيناي معلقتان بوجهه
.. انه يبدو أقوى مما تركته .. فى عينيه لمعة قوية .. وعلى
شفتيه ابتسامة قوية .. وأنفه راقد فوق وجهه فى قوة .. يبدو
كأنه استرد كل ما ضاع منه .. استرد شخصيته .. استرد
ثقتة بنفسه .. ليس حائرا .. ولا مهزوزا .. ولا ضعيفا ..
.. لعل مجرد عودتى اليه قد أعادت اليه كل شيء ..

وقال وهو ينظر فى وجهى كأنه يشرب منه بعينه :

— لم أصدق برقتك .. خفت أن يكون مقلبا ..

قلت وصورة الحقيقية الصفراء تملا خيالى :

— لعل المقلب هو عودتى ..

وضحك فى قوة ، وقال :

— أنها أحلى مفاجأة .. لقد كنت أعد الساعات التى تفصلنى
عنك .. فكنت أنت أسرع من الساعات .. ولكن .. لماذا عدت
.. لماذا لم تنتظرنى فى بيروت .. كنت تعلمين أنى سأكون هناك
يوم السبت ..

قلت وأنا أهز كتفى :

— لا شيء مهم .. أحسست أنى أريد أن أعود الى القاهرة

فعدت ..

قال وهو لا يزال يضحك :

وابنسمت ساكتة .. وخيالى لا يزال وراء الحقيبة الصفراء
 .. ثم قلت وأنا اتعمد أن أطل من نافذة السيارة حتى أخفى
 عنه وجهى :

— هل أخذت حقيبتى من الهيلتون ..
 قال :

— نعم .. فى نفس اليوم الذى حادثتني فيه ..
 قلت :

— أين هى الآن ..
 قال :

— احتفظت بها فى العيادة ..
 قلت :

— لنذهب لاحضارها الآن ..
 قال :

— لماذا .. سأحملها مع حقائبي وأنا مسافر الى لبنان ..
 قلت :

— لا .. ان فيها أشياء تخص عائلة محبي الدين .. كنت
 نسييت أن أتركها لهم .. سناخذها من العيادة ، ثم أتركها عند
 عائلة محبي الدين ..

قال بلا مبالاة ودون أن يحاول أن يفهم شيئاً :
 — كما تريد ..

قلت :

— انى سأعود غدا الى بيروت ..
 قال :

— ألا تنتظرين الى ان نعود معا بعد غد ..

قلت وأنا لا انظر اليه :

— لا أستطيع .. بابا لم يسمح لى الا بليلة واحدة ..
 قال :

— انى أسافر معك غدا ..
 قلت :

— لا .. أفضل الا نصل فى طائرة واحدة ..
 وارنسم الكمد على وجهه . وقال :

— لا أريد أن أقضى يوماً آخر بعيداً عنك ..
 قلت :

— انه يوم واحد ..
 وسكت ..

ووصلنا الى العيادة .. وصعد هاشم .. وعاد ووراء
 البواب ينهل الحقيبة الصفراء .. وضعها فى المقعد الخلفى من
 السيارة ..

ولم أنظر الى الحقيبة ، ولا التفت اليها ، كأتى خشيت أن
 بظرت اليها أن تفضحنى عيناي .. وقلبي يضرب .. كأتى الوحيدة
 التى نعلم ان فى هذه الحقيبة جثة قتيل ..
 وابطلقنا الى بيت عائلة محبي الدين .

رفاديت بواب البيت .. وقلت له وأنا أشير الى الحقيبة :

— خذ هذه الحقيبة .. سلمها لرفيق بك ..
 وقال البراب ووجهه مثهل للقائى :

— ألا تقيمين عندنا ..
 قلت :

— لا .. سلم لى على الجميع ..

وحمل البواب الحقيبة .. وأنا لا التفت اليها ايضا ..
!خاف ..

وانطلق هاشم بسيارته ..

وما كاد يبتعد بى عن البيت ، حتى شعرت كأن كل شىء
فى يرتخى .. أعصابى المشدودة .. ابتسامتى المتعقلة ..
وارتخيت فى مقعدى كأنى سأنام .. وأدرت رأسى الى هاشم
.. ونظرت اليه وعلى شفتى ابتسامة هادئة .. وشعرت انى
أريد أن أقبله .. لم أستطع أن أمنع نفسى من تقبيله فشبيبت
اليه بوجهى وقبلته قبلة سريعة على خده ، ثم ملت برأسى على
كتفه ، وأغمضت عيني ، وهمست :

— انى متعبة .. أريد أن أنام ..

ومال على رأسى بشفتيه ، وقبلنى فوق جبينى .. كأنه يخدرنى
بقبلته ..

وأخذنى الى الهيلتون .. ووقف معى حتى تمت إجراءات
الاستقبال .. ثم تركنى أصعد الى الغرفة ، على أن يعود الى
فى الساعة الرابعة ..
ونمت ..

نمت وفى قلبى ابتسامة هادئة .. وفى أعصابى يسرى
احساس مريح لذيذ .. لم أشعر أبدا بمثل هذا الهدوء وهذه
الراحة .. كأنى ألقبت من فوق ظهرى حملا زنته طن .. نابت
الذباب بعد أن تخلصت من خيوط العنكبوت ..

ولا أدرى كم نمت .. ساعة .. ساعتين .. ثلاثا ..

ثم استيقظت مفزوعة على صوت رنين جرس التليفون ..
ومددت يدى وأنا لا زلت مغمضة العينين ، كأنى أريد أن اخنق
هذا الرنين .. وقلت وصوتى نائم :

— من ؟

وسمعت صوتا مبهورا يقول لى :

— أنا رفيق ..

وفتحت عيني المغمضتين .. وفتحت عطفى .. واستيقظت
أعصابى .. وقلت شى حدة :

— ماذا تريد ؟

قال كأن كلماته تهول :

— ماذا حدث ؟

قلت وأنا أشد حدة :

— لا شىء حدث .. فقط لا أريد أن أشارك فى هدم المهمة ..
قال :

— ألم تسافر لى لبنان ..

قلت :

— سافرت .. وعدت ..

قال شى توسل :

— هل أستطيع أن أراك ..

قلت كأنى أصرخ :

— لا ..

قال فى دهشة :

— لماذا ؟

وصرخت :

— لا أريد أن أراك .. لا أريد أن أرى احدا منكم ..

وفضمت سماعة التليفون ..

وحاولت أن أعود الى النوم .. وضعت الوسادة فوق رأسى
.. ثم وضعت رأسى مكان قدمى .. وضغطت على عيني بجفنى

ما عندي .. سيظل في دائما شيء لا اعطيه لاحد .. احتفظ به
لنفسى .. حريتي .. انطلاق احساسى .. وهاشم لن يحتفل
حريتي ، ولا انطلاق احساسى .. انه ليس من هذا الصنف
من الرجال .. انه الرجل الذى يريد كل شيء .. الرجل الذى
يطوى كل من حوله في شخصيته .. حتى لو كان ضعيفا امامى
.. نهذا الضعف نفسه يدل على انه يمر في فترة عابرة من عمره
.. ولن يكون ضعيفا الى الأبد ، ولا أريده أن يكون ضعيفا ..
ولا أن أستغل ضعفه .. ولو تركته يقوى ، فسيقوى على ..
وأنا لا أريده أيضا أن يقوى على .. إذن فالأفضل لكينا أن
نتهى ..

وكانت كل هذه الخواطر تمر بى وأنا هادئة .. وأبتسم ..
أبتسم لهاشم .. أبتسم لشخصيته الطوة .. وقلبه الطيب ..
وحبه لى .. لم تكن ابتسامة حب .. ليس هذا النوع من الحب
.. انى أستطيع الآن أن أتبين انى لا أحبه .. وربما ما اعتقدته
وأنا فى بروت من أنه انحب ، لم يكن الا انعكاسا لتأنيب ضميرى
بسبب خطة الحقيبة الصفراء .. انعكاسا ل احساسى بأنى كنت
ذباية .. ولكن هناك شيئا آخر يربطنى بهاشم ، هل اسمى هذا
الشيء صداقة .. انفعالا .. انجذابا .. لا أدرى .. ولكنه شيء
كبير .. وشيء حلو .. ولكنه ليس الحب .. كما أتخيل الحب ..
وخرجت من الحمام .. ونظرت فى المرآة .. وابتسمت ..
ان وجهى قد استرد بعض لونه .. وعيناي استقر فيهما الضوء ..
وشفتى دبت فيهما الحياة ..

وارتديت ثيابى .. وخرجت من غرفتى .. ومررت على موظف
الاستقبال ، وطلبت منه أن يتأكد من حجز مقعد لى فى الطائرة

كانى اضربهما حتى يناما .. ولكن ، لا امل .. لن انام .. وقمت
من الفراش وصوت رفيق لا يزال يشق احساسى كأنه سكين
.. كأنه يذكرنى بفضيحة ارتكبتها ، فأتقزز من نفسى ..

ودخلت الحمام ، ومألت البانيو ، ورقدت فى الماء الفاتر ..
وبدا احساسى يندمل شيئا فشيئا .. بدأت اعود الى الهدوء
والمرح . وشعرت مرة ثانية بأنى خفيفة .. لا شيء يثقل ضميرى
.. احساسى كلها منطلقة مرحة .. وأخذت أغنى أغنى الانجليزية
المفضلة « الحقول الخضراء » .. ثم توقفت عن الغناء وعدت
أفكر من جديد .. لقد انتهت الآن قصة الحقيبة الصفراء .. وأنا
سعيدة بانتهائها .. لست سعيدة لأنى لم أهرب النقود ، ولكنى
سعيدة لأنى لم أترك عائلة محبى الدين تستغل هاشم ، وتستغل
حبه لى .. سعيدة لأنى لم أعد ذباية ..

ولكن .. بقى هاشم ..

ماذا أفعل به ؟

وابنسمت وأنا أسأل نفسى ماذا أفعل بهاشم .. وبهدوء
ودون أن أنفعل ، اقتنعت بينى وبين نفسى بأن قصتى مع هاشم
انتهت بانتهاء قصة الحقيبة الصفراء .. كأنى صفت حسابى
معه ، ولم بعد امامى الا أن أنصرف .. واتفق احساسى مع
اقتناعى .. وربما اقتنعت لأنى كنت أعام أن هاشم ينظر الى
علاقتنا نظرة أكثر جدية مما أحتمل .. ومما أريد ، انه يصل
بعلاقتنا الى حد التفكير فى الزواج .. وأنا لا أريد أن أتزوجه ..
ليس الآن .. ولو تزوجت فلن يكون هاشم هو الذى يقنعنى
بالزواج . انى أحس به كأنه مسؤولية كبيرة لا أستطيع أن
أحتملها .. أحس به كأن مركزه ، وعمره ، واحساسه بنفسه ،
يتطلب منى أن اعطيه كل ما عندى .. وأنا لا أستطيع أن اعطى كل

- قلت :
 — الآن القاهرة وحدها هي التي نستطيع ان نجتمعنا ..
 بيروت ستفرقنا ..
 مال في دهشة :
 — لماذا ؟
 قلت وانا انظر اليه كأنى ارجوه ان يقتنع :
 — أنا في بيروت انسانة أخرى .. وانت هنا انسان
 آخر ..
 قال :
 — ان الحب لا يختلف باختلاف العواصم ..
 قلت :
 — انى أخاف حبك ؟
 قال :
 — ماذا يخيفك منه ؟
 قلت :
 — انه اكبر مما احتمله .. ان حبك جاد .. له تقاليد ..
 وذه خط مرسوم .. وانا لا أحتمل التقاليد ، ولا الخطوط المرسومة ،
 ولا الزواج ..
 قال وانفاسه مبهورة :
 — ولكنك عدت الى القاهرة من اجلى ..
 قلت :
 — عدت لاتأكد من انى لا اريد ان اعيش في القاهرة ..
 قال :
 — وناكدت ؟ !

- المسافرة عدا الى بيروت .. ثم اتجهت الى الكافتيريا ، بعد ان
 تركت حبرا لهاشم انى انتظره هناك ..
 والتقيت في الكافتيريا ببضعة شبان لبنانيين ، فجلست بينهم
 .. مرحلة .. منطلقة .. كما عرفوني .. الى ان لحت هاشم
 آتيا من بعيد .. فقامت اليه ، قبل ان يصل اليّ ، حتى لا أحرجه
 أمام أصدقائى .
 استقبلنى هاشم وهو يتسهم ابتسامة مهزوزة ، ينظر بها الى
 الشبان اللبنانيين ، ثم يعود بها الى ..
 وركبت بجانبه في سيارته ، واتجهنا الى المقطم .. وهاشم
 طوال الطريق يحاول ان يجعلنى اتكلم عن سر عودتى الى القاهرة
 فجأة .. وكنت اعلم باحساسى ماذا يريد ان يسمع منى .. انه
 يريدنى ان أقول له انى عدت من اجله .. وانى أحبه .. ولكنى
 لم أقل له .. حتى ولا لأرضيه .. لم اكن أريد ان أطلق له الأمل ..
 وسألته :
 — لا زلت مصمما على أن تأتى الى بيروت ؟
 قال في دهشة :
 — طبعا ..
 قلت :
 — من اجلى ؟
 قال :
 — من اجلك ..
 قلت وانا ابتسم كأنى أربت على اعصابه بابتسامتى :
 — انى أفضل الا تسافر ..
 قال وهو ينظر الىّ في لوم :
 — لماذا ؟

— تأكدت ..

وغرق وجهه فى سحابة حمراء ، وقال فى حدة :

— انى لن استسلم لأحاسيسك الجنونة .. الأحاسيس التى تختلف بين كل لحظة وأخرى .. هذه الأحاسيس تحطم كل من يقترب منك ، ثم ستتتهى بأن تحطمك .. وأنا لن أسمح لك بأن تحطمنى ، ولا بأن تحطمنى نفسك ..

قلت وأنا أنظر اليه كأنى أعتذر له :

— أنك تعلم انى ملك لأحاسيسى ..

قال وهو أكثر حدة :

— أنك لست ملكا لأحاسيسك .. ولكنك تهريين .. تهريين

من كل شيء .. تهريين من الحب .. وتهريين من العائلة ..

وتهريين من الايمان .. وتهريين من عقلك .. وتهريين من

المستقبل .. وتسببن هذا الهروب : احساس .. أنك مسكينة ..

ولن يجديك الهرب .. لن تستطيعى أن تعيشى هاربة العمر كله

.. سنجدين نفسك مضطرة يوما الى استعمال ارادتك على

نفسك .. وعلى ما تسمينه احساسا .. حتى تتوقفى عن الهروب

.. فإذا لم تستطيعى أن تجدى ارادتك ، فستضطرين الى الهروب

من الحياة كلها ..

قلت وكلامه يجرى فى عقلى :

— تقصد أنتحر ..

قال :

— نعم .. تتحريين .. ولن أتركك الى أن تتحرى ..

ثم أوقف السيارة ، والتفت الى بكل جسمه وقال :

— رحاب أنت فتاة رائعة .. أنت تملكين كل شيء لتكونى

سعيدة ، ولتسعدى الانسان الذى يحبك .. ولكنك لم تجدى احدا

ولا شيئا يرسم لك الطريق .. مرضك فى صفرك ، جعل أهلك يخافون عليك من أن يقيدوك بشيء .. شيء يروض ارادتك ، ويروض احساسك ، ويروض منطقتك .. ونحن نولد جميعا بلا ترويض ثم يتولى اهلنا ترويضنا ، ويزيدنا المجتمع ترويضاً ..

لكنك أنت لم تجدى من يروضك ..

قلت مبتسمة :

— وأنت ستروضنى ..

قال فى رجاء :

— دعينى أحاول ..

قلت وأنا أحاول أن أبتسم :

— لقد حاولت طوال خمسة أشهر .. وها أنا كما أنا ..

وسمكت قليلا ، ثم قال فى يأس :

— لك حق .. ربما لائى لا أريد أن أروضك لنفسك ، ولكنى

أريد أن أروضك لنفسى .. أروضك على حبنى .. إن الأب يروض

بنته ليعطيها لرجل آخر ولكنى أب يحاول أن يروضك ليحتفظ بك

نفسه ..

قلت فى غضب صادق :

— لا تقل أنك أبى .. انى أكرهك عندما تتكلم هكذا ..

قال وهو أشد يأسا :

— أنك لا تحبيننى ..

قلت :

— ليس الحب الذى تريده .. ولكنى لا احبك ايضا ..

انى احبك حبا فيه جمال كثير .. فيه انوار .. فيه الامانة

التي افضيها معك هى دائما الامانة ..

على هذا الحب اذا ..

عليه أن يحطم .. وأنا أريد أن أبقى عليه طول عمري .. طول
عمري سأشعر بالحاجة اليك .. حاول أن تفهمنى يا هاشم ..
قال ساخراً :

— ان الفهم يحتاج الى عقل .. وانت تدعين انك تنقادين
الى احساسك ، لا الى عقلك ..
قلت :

— [٤] —

عدت الى بيروت وأنا سعيدة .. سعادة هادئة لذيدة ..
أعصابى كلها مسترخية كأنها راقدة على مقعد مريح .. حتى
عناد هاشم وأصراره على أن يلحق بى فى بيروت ، كان يشعرنى
بالسعادة .. ربما أرضى غرورى ، ولكنها كانت سعادة أعمق من
الاحساس، بالغرور .. أشبهه بسعادة الأم عندما تحسن بتعلق
ابنها بها ، رغم أنها تريده أن يبتعد عنها ليتعود أن يقف على
قدميه ..

انى لم أشعر أبدا من قبل بمثل هذه السعادة الهادئة ..
لقد كانت سعادتى دائما سعادة حادة .. كالصراخ .. كانت كل
احساسى صراخا .. سعادتى صراخ .. وشقائى صراخ ..
وحيرتى صراخ .. كنت — كما قلت — أعيش دائما فى قمة
الأحاسيس .. ولكنى الآن أحس بأنى فى قمة جديدة على ..
قمة نهدوء النفسى .. السكينة .. كأنى راقدة فوق قطعة من
السحاب .. ان شيئاً فى قد تغير .. لا أدري ما هو .. ولكن شيئاً
تغير .. هذه الشهور التى عشتها فى القاهرة ، والأزمات التى
مرت بى خلالها ، جعلت منى إنسانة أخرى .. إنسانة لم أعرفها
بعد .. ولكنها إنسانة أخرى غير رحاب التى أعرفها ..

وكنيت قد قضيت سهرة الامس مع هاشم .. سهرة صاهنة
.. وقد حاولنا أن نمدها حتى الصباح .. حتى موعد قيام طائرنا

— انى أفهم احساسى .. واستطيع أن أفهم ما مر بنا منذ
التقينا .. لقد مرت بنا أيام كثيرة ضعنا فيها أهدنا عن الآخر ..
أندرى متى كنا نضيع ؟ كنا نضيع عندما نحاول أن نقرب ..
عندما نحاول أن نعيش فى دنياى .. عندما نحاول أن ننزل الى
عمرى .. أو عندما نحاول أن أصعد الى عمرك .. لقد كنت تترك
عملك وأصدقائك لتعيش فى لهوى ومع أصدقائى .. وكنت ان
أترك انطلاقتى وسخافاتى لأعيش فى قيودك وحدك .. فكنا
نضيع .. كنت فى هذه اللحظات أحس بك بعيدا عنى .. وكنت
تحسن بى بعيدة عنك .. ولكننا كنا نساعد عندما تلتقى وكل منا
فى دنياه .. كنت تسعد بى كفتاة تافهة .. وكنت أسعد بك
كشخصية حادة ضخمة .. وستبقى سعادتنا دائما فى احتفاظ
كل منا بدنياه .. كل منا يظل على الآخر من دنيا أخرى ويهد له
يده ويبتسم له .. صدقنى .. هذه هى الحقيقة .. وانت تقول
انى فتاة ذكية .. وأنا أحدثك الآن بذكائى ..

وصفت هاشم برهة ، ثم خبط على عجلة القيادة بكفه ، وقال
فى عناد :

— سأسافر الى بيروت ..

ثم انطلق بالسيارة فى سرعة مجنونة كأنه شاب متهور ..

قلت :

— انك لست غاضبا منى ؟

قال وهو يتنهد :

— لا ..

قلت :

— سئنى الا تفكر وحدك .. وفر تفكيرك الى ان نلتقى ..

اننا مستطيع ان نتناقش العمر كله ولكنى لن اُحتمل ان تفكر

وحدهك .. أخاف ان تكرهنى لو فكرت وحدك ..

قال وهو ينظر الى بعينين يائستين :

... انا لن اكرهك ابدا .. ولكنى أخاف ان اكره نفسى ..

قلت :

— لا .. لن تكره نفسك .. انك لو كرهت نفسك كرهنى ..

فنفسك على التى احببتى ..

قال :

— سأحاول .. سأحاول ان احب نفسى لانها احببتك ..

قلت وقلبي ملهوف عليه :

— أنا ايضا احببتك .. ولكننا اختلفنا فى طبيعة حب كل

منا .. رلابد ان نتفق .. تأكد اننا سنتفق ..

قال :

— باذن الله ..

واُحذيت اقبله مرة ثالثة ..

ومد ذراعه وكأنه لم يعد يستطيع ان يقاوم — وضمنى الى

صدره .. وهمس وخذه راقدا على خدى :

— مع السلامة ..

ونزلت من السيارة ..

الى بيروت .. كما فعلنا عندما سافرت فى المرة السابقة ..

ولكننا لم نستطع .. لم نحتمل الصمت .. وكان هاشم يبدو فى

صمته كأنه يتالم .. كأنه يحاول ان يقتل شيئا داخل نفسه ..

ووجهه غارق فى سحابة صفراء .. وخطوط كثيرة تشق جبينه

كأنها آثار سكاكين حادة .. وكنت أعلم ما يعانى به .. انه يعانى

من أزمة عناد .. من أزمة اصراره على ان نعيش انا وهو فى

دنيا واحدة .. لا يريد ان يقتنع بأن كلامنا خلق لدنياه .. لا يريد

ان يستسلم لليأس .. لا يريد ان يتخلى عنى كفتاة يحبها ..

ويكفى بي كصديقة ..

وقد حاولت كثيرا ان اخفف عنه .. حاولت ان اقطع حبل

الصمت الذى يلتف حول عنقى وعنقه .. ولكنى عندما تكلمت

قلت كلاما سخيفا ، ليس له معنى .. كلاما مفتعلا .. فاستسلمت

انا الأخرى للصمت .. الى ان قررنا اننا لم نعد نحتمل صمتنا ،

فافترقنا فى الساعة الحادية عشرة مساء .. ووجهه غارق فى

سحابة العذاب .. وشفتاه مكورتان ممطوطتان كأنه طفل عنيد

غاضب ..

ومسببى الى المطار فى اليوم التالى ، وهو لا يزال مصمما

على ان يلحق بى فى اليوم الذى يليه .. يوم السبت ..

واُحذيت اقبله على خده قبل ان انزل من سيارته .. ولم

يبادلنى تبتلى .. اكنفى بأن مال بخده على شفتى ..

ونظرت اليه مبتسمة كأننى اعتذر له .. ثم عدت اقبله مرة

أخرى .. وأنا اهمس :

— ألا تريد ان تقبلنى ؟

قال وكأنه يضغط على اعصابه :

— لا ..

وفجأة صاح بنى كأنه تذكر شيئا :

— ابن حقيقتك الصغراء؟؟

وارتمت رموشى فوق عيني . وقلت فى تردد :

— تركتها لعائلة محبى الدين .. لم يكن فيها شىء مهم ..
وابنسم ساكنا ..

وقلت وأنا أدير له ظهرى واثموج له بيدى :

— سأنظرك غدا فى مطار بيروت ..

وتركنى أدخل المطار وحدى كما سبق أن اتفقنا ..

ووصلت بيروت وأنا سعيدة هذه السعادة الهادئة اللذيذة ..

أعصابى كلها مسترخية كأنى راقدة على مقعد مريح .. واستطعت

ببساطة أن أهدى حدة أبى وأمى .. وساعدنى على تهدئتهما

أنهما لاحظا هدوء أعصابى ، واستردادى لصحتى .. وأخذتنى

أمى واحتلت بن فى حجرتها وسألتنى وهى تحاول أن تشعرنى

بأنها صديقتى الكبيرة ، عن سر سفرى إلى القاهرة ، وأجبتها

ببساطة :

— لا شىء .. كان يجب أن أودع أصدقاء نسيت أن أودعهم ..

قالت :

— أتحبينه ؟ ..

قلت فى دهشة :

— من ؟

نالت وهى تنظر فى عيني مبتسمة لتطمئننى :

— الشاب الذى ذهبت إليه ؟

قلت وأنا أضحك :

— لا .. لا أحب . ولكنه صديق عزيز ..

قالت، وهى تكشف عن جزعها :

— انك لا تخفين عنى شيئا خطيرا ؟ !

قلت :

— لا .. صدقينى .. واطمئنى ..

ونظرت إلى فى تمعن ، وقالت :

— يخل إلى أنك كبرت يا رحاب ؟

قلت :

— ربما ..

ثم استطرقت كأنى تذكرت شيئا :

— غدا سيصل صديق من القاهرة .. أريد أن أدعوه إلى

بيننا .. لقد اهتم بنى هناك ، ودعانى أكثر من مرة .

قالت :

— هل هو الذى سافرت إليه ؟

قلت وأنا أتجاهل الرد على سؤالها :

— انه صديق لعمى الدكتور نور الدين .. وعمى هو الذى

قدمنى إليه بخطاب أعطاه لى عندما سافرت إلى القاهرة أول مرة

.. ألا تذكرين ؟

قالت وهى تنظر إلى كأنها لا تصدقنى :

— أذكر ..

وقمت من جانبها قائلة :

— سأتصل بعمى ..

واتصلت بعمى وأبلغته خبر وصول هاشم إلى بيروت فى

الغد ، وافقت معه على أن نذهب سويا لاستقباله فى المطار ..

وقضيت اليوم كله وأنا أعد برنامج الأيام التى سيقضيها

هاشم فى لبنان .. بل أعد الكلمات التى سأقولها له .. وأعد

من نزل .. ولا ثانى من نزل .. ولا الثالث .. ولا الرابع

(٥٣٥) و (٥٣٦)

هاشم لم يصل على الطائرة ..

وجريت الى مكتب الشركة أسأل هل هناك طائرة أخرى ..
لا ، ليست هناك طائرة أخرى .. ربما يصل على طائرة تابعة
لشركة أخرى .. ولكن من العبث أن أبقى فى انتظاره فى
المطار ..

رعدت الى البيت وأنا أشعر بثقل فى قلبى .. أشعر كأنى
فقدت كل غرورى .. كل ثقى بنفسى .. كل ما يمكن أن أهتم
به .. وغراغ كبير ممتد امامى ..

ربما نكدت أصل الى البيت حتى ناولنى الخادم برقية باسمى
.. برقية من هاشم : « آسف .. عدلت عن السفر » ..

وابتسمت ابتسامة حزينة ... ودخلت غرفى .. وعدت
أقرأ الكلمات القليلة من جديد .. وبحثت عن تاريخ وساعة
أرسلها .. لقد أرسلها بتاريخ أمس ، فى الساعة التاسعة
مساء .. ثم أخذت أقرأ كل كلمة فى البرقية .. حتى الكلمات
الحكومية المطبوعة ..

وأنا حزينة ..

لست فائرة ..

ونكئى حزينة .. حزنا هادئا كسعادتى الهادئة .. وفى
نفسى احساس عميق مستقر بأنى فقدت هاشم الى الأبد ..
انتهت قصتى معه .. وبدأت نقاشا طويلا بينى وبين نفسى ..
لأقتنع بأن هذا أفضل .. على الأقل ، أفضل لهاشم .. ولأقتنع
بأن أملى فى أن تستمر ملاحظته لى ، لم يكن لائى متمسكة
بصداقته ، ولكن لأن هذه الصداقة ، كانت ترضى غرورى ،

الموافق، التى تجمعنى معه وحدنا .. واكتشفت أنى أفكر فى
هدوء عجيب .. كأنى كبرت فعلا كما قالت أمى .. وكان تفكيرى
ينصب على أن أضع هاشم فى جو عالى .. حتى أقلل من خلواتى
معه .. وحتى يسامدنى هذا الجو على أن بكبت هاشم
أحاسيسه ..

واستيقظت فى اليوم التالى مبكره .. نشطة .. نشاطة ..
مرتبكا ..

وأحدثت سيارتنا وذهبت الى بيت عمى .. وكان لا يزال
نائما فابقظته .. واستطعت أن أقنعه بأن نتناول افطارنا فى
مطعم المطار .. والدقائق تمر بطيئة .. وصوت الطائرات التى
تصل وتغادر المطار يملأ قلبى برجفة عجيبة .. لا يمكن أن تكون
كل هذه الرجفة لأنى فى انتظار صديق .. أو حتى صديق عزيز
جدا جدا كهاشم .. ان قلبى يرتجف من اللهفة ، كأنى لم أر هاشم
منذ سنوات ، مع أنه كان معى أمس ..

ووعان عن وصول الطائرة العربية من القاهرة ..

وجريت وأنا أشد عمى ورائى ، ودخلنا أرض المطار ..
ورفعت رأسى أبحث عن الطائرة فى السماء ، كأنى أبحث عن
طالعى ..

الطائرة تقترب ..

وتقترب ..

هبطت ..

ووقفت ..

وفتح الباب ..

وبدا الركاب ينزلون واحدا بعد واحد .. ولم يكن هاشم أول

ماذا انتهت هذه الصداقة ، فكل ما حدث هو انى فقدت غرورى ..
وإنكن ..

الانسان لا يستطيع أن يعيش بلا غرور .. ويجب أن ابحت
لنفسى عن شىء آخر أشبع به غرورى .. ان اشباع الغرور
هو اشباع الوقت .. الوقت يحتاج فى كل دقيقة منه الى شىء
ياكله .. كالغرور .. فبماذا أشبع وقتى ..

وكانت أناشئ نفسى فى هدوء ..

لست محتدة ولا نائرة ولا عصبية كعادتى ..

وبدأت أستعرض الحياة التى يمكن أن أعيشها فى بيروت ..
هل أعود الى مفاهى المتقنين المحيطة بالجامعة .. هل أعود
لأعيش حياتى لحظة بلحظة .. وأحسست كان كل ما اعرفه فى
بيروت سخيف ، تافه .. المفاهى التى اعرفها تافهة .. والأصدقاء
الذين اعرفهم تافهون .. ثم أحسست انى لم أعد أستطيع أن
أعيش حياتى لحظة بلحظة .. اللحظة لا تكنى للأمل ..
وما ينقصنى هو الأمل .. يجب أن يكون لى أمل فى شىء ..
أمل يرسم لى طريقا أسير فيه ويشغلنى عن نفسى ، ويملا
وقتى ..

أى أمل ..

أنا لا أجد أملا ..

وصورة هاشم تهتز أمامى .. دون أن أستطيع أن أركز
ذهنى فيها .. لا أستطيع أن ألومه لأنه لم يأت .. ولا أستطيع
أن أفكر فى العودة اليه مرة ثالثة .. لا أستطيع شيئا الا أن
أترك الصورة تهتز أمامى ، أنظر اليها بعينين جامدتين ، لا تعبران
عن شىء ..

ومرت أيام وأنا أعيش فى هذا الهدوء العجيب ، والمناقشة

بينى وبين نفسى لا تنتهى .. ثم جلست ذات يوم أكتب خطابا ..
خطابا نهاشم .. خطابا طويلا .. قلت له فيه :

« .. وكل ما أحرص عليه هو أن تفهمنى .. وأنا اعلم أن من
الصعب عليك أن تفهمنى ، لسبب بسيط هو انى لا أستطيع أن
أفهم نفسى .. وقد كنت أقول لك دائما انى أعيش ملكا لأحاسيسى
.. والأحاسيس لا تفهم .. انها مجرد انطلاقات تعكس الظروف
التي بصطدم بها الانسان .. انطلاقات تلقائية .. لا تحكمها
إرادة ، ولا يسيطر عليها العقل .. ولكن احساسى بك كان شيئا
آخر .. انه احساس ايقظ ارادتى ، ونبه عقلى .. لقد شعرت
انى مدفعة اليك كما لم أندفع نحو أى انسان آخر .. وفجأة
تنبهت الى هذا الاندفاع .. وتمردت عليه .. وبدأت أستغل
إرادتى وعقلى فى تمردى .. كنت أستغل ارادتى حتى لا أزداد
اندفاعا .. حتى لا أعطيك ما تريده ، وما أريد ان أعطيك ..
وكنت أستغل عقلى لأقنع نفسى بأنى لا أحبك .. بأن كل ما بينى
وبينك صداقة كبرت حتى اقتربت من الحب .. ولم يكن هذا
سحيفا .. لم يكن ما بينى وبينك صداقة .. انى أستطيع أن
أرى حقيقة شعورى الآن وأنا بعيدة عنك .. عندما كنت فى مصر
كنت مقتنعة فعلا أن ما بينى وبينك صداقة .. ولكن الآن .. لا ..
انى أعرفه أن ما كان بينى وبينك هو الحب .. ورغم ذلك فقد
كلن يجب أن أقاوم هذا الحب .. وأستمر فى مقاومته .. لقد
كنت أشعر بأن الريح دفعتنى رغما عنى الى حافة هاوية .. وكان
يجب أن أقاوم الريح حتى لا أسقط فى الهاوية .. وعذرا انى
.. فأنت لست هاوية .. أنت جبل .. أنت شجرة خضراء تملأ
ظلالتها سخاء على الناس لتحميهم من شمس الغاشية .. وا ..

النفسي .. بعد أن اكتشفت ما أريده .. يا الله .. من كان يصدق أن رحاب تتكلم هذا الكلام .. رحاب التي لم تكن تطبق أن تخلو الى عقلها لحظة واحدة ، تحاول الآن أن تهيب حياتها كلها للعقل .

« يا عزيزى هاشم .. يا اعز من التقيت به .. انى اشكرك لانك لم نأت الى بيروت .. من يدري ، ربما لو أنك أتيت لانهارت بمقاومتى لك ، ولاضطررت الى الاعتراف لنفسي بأنى أحبك .. هذا الاعتراف الذى رفضت أن اواجه به نفسي شهورا طويلة .. ثم لانفدت لحب لست مقتنعة به .. ورغم ذلك .. رغم انى أشكر لك مساعديتى فى اتخاذ قرارى ، فانى عاتبة عليك .. فقد كنت أنتظر منك رسالة طويلة .. ان ما بينى وبينك لا يمكن أن ينتهى فى كلمتين .. و ..

والخطاب فيه كلام أكثر ..

وقد خيل الىّ وأنا اكتبه ، انى اكتب لنفسي أكثر مما اكتب لهاشم .. كنت احاول أن افهم نفسي فهما جديدا .. وساعدتني الكتابة على هذا الفهم .. ومن يومها وأنا اكتب كثيرا .. أصبحت اكتب مذكراتى يوما بيوم ..

ولم يكن فى مذكراتى خلال الايام الاولى سوى خواطرى .. ثم بدأت أسجل فيها ملخصا لما أترؤه .. لقد بدأت أقرأ كثيرا .. لم أكن أقرأ .. كان كل ما فى رأسى عن الأدباء .. وعن القصص .. وعن الفن .. وعن السياسة ، هو ما أسمعه من أصدقائى فى المقهى .. كلمات متناثرة .. أملا بها فمى وكأنى فتاة مثقفة .. كلمات لا تعبر عن فهم ولا عن بناء عقلى .. وقد اكتشفت وأنا أقرأ ، عالما جديدا مثيرا ، ممتعا .. عالما مغايرا تماما للعالم الذى كانت تصوره لى كلمات أصدقاء المقهى .. حتى الوجودية ، التى ادعيت يوما انى من بناتها .. وجدتها شيئا

.. رغم ذلك .. كان يجب ان أقاومك .. واستمر فى مقاومتك الانى لا أريد هذا الحب .. وقد اكتشفت انى رغم ادعائى بأنى أعيش حياتى لحظة بلحظة ، فقد كان هناك فى داخلى آلة تعمل دائما وترسم لى طريقى الممتد عبر الايام والسنين .. ترسم لى مستقبلى .. وأنا لا أعلم الى الآن ما هو هذا المستقبل الذى رسم لى ، ولكنى مقتنعة بأنك لست هذا المستقبل ... مستقبلى ليس فى حبك .. هناك دنيا اخرى يجب ان أبحث عنها لأعيش فيها .. وهما تحملت فى سبيل البحث عنها من حيرة واضطراب وقلق ..

1 هاشم .. هل ترى فى كلامى صورة فتاة اخرى غير رحاب التى عرفتها .. لقد تغيرت فعلا .. أحس بنفسي انسانة اخرى .. انسانة لها عقل وإرادة .. والفضل لك .. انك لا تدري كم غيرتنى .. لقد نبهنى اندفاعى اليك ، الى خطورة انقيادى لأحاسيسى .. أحاسيسى كلها ، تجاه كل الناس ، وتجاه نفسي ، وتجاه الظروف التى تحيط بى .. واكتشفت أن هذه الأحاسيس قد تدفعنى الى ارتباطات كبيرة قد أندم عليها العمر كله .. وقد تدفعنى الى إيذاء ناس لا أريد إيذاءهم .. ثم قد تدفعنى الى إيذاء نفسي .. انى لا أريد أن أؤذى نفسي .. انى أحب نفسي كما تعلم .. ثم اكتشفت أن من السهل دائما على العقل أن يسيطر على الاحساس ويقوده .. لو ترك له صاحبه متاعب السيطرة والقيادة .. ولو تحمل صاحبه متاعب السيطرة والقيادة .. وكل ما يحتاج اليه العقل هو بعض الموازين التى يزن بها انطلاق الاحساس .. الموازين التى سبق ان حدثتني عنها .. المبادئ .. القيم .. المنطق .. وأنا أبحث لنفسي الآن عن مبادئ وعن قيم .. وعن منطق .. حتى أستطيع أن أحقق بها ما أريده

..سكر حتى أفقد الوعي .. وتندهشين أيضا اذا علمت انى مزقت
..نرا من الليالى بين سيقان نوع من النساء لم يدخل حياتى من
..ل .. وكانت كل هذه جهودا ضائعة .. جهودا كنت أبذلها
لأنسك .. وكأى رجل جاهل ، خيل الى انى أستطيع أن أنسك
..الفرغ نقتل ذكراك .. اقتلها بالخمير ، وأمتصها من صدرى
..شفاء النساء الرخيصات .. ولكن محاولة نسيانك لم تكن لتؤدى
..بى أبدا الى التخلص من ضعفى .. فأنت لست سبب ضعفى ..
..هناك سبب آخر يجب أن أكتشفه .. وبدل أن أتفرغ لنسيانك ،
..فعلت كما فعلت أنت .. نفرغت لمناقشة نفسى .. وخيل الى
..أن السبب فى ضعفى هو انى وصلت الى سن الخامسة والأربعين
..وانا لا أزال واقفا على قدمى .. ليس لى مكان فى الدنيا أجلس
..فيه .. ليس لى بيت .. ليست لى امرأة .. والرجل لا يستريح
..الا الى بيت وامرأة .. وقد قضيت هذا العمر الطويل واقفا على
..قدمى لأنى كنت مغرورا بقوتى .. كنت اعتقد انى أستطيع أن
..أبقى واقفا على قدمى العمر كله .. وحيدا .. متباهايا بوحدى
..ولكن سن الخامسة والأربعين نبهتنى الى حاجتى الى مكان
..ارتاح فيه .. ان الخامسة والأربعين سن خطيرة .. انها سن
..المراهضة الثانى .. يفتح الرجل عينيه فيرى طريقا جديدا متدا
..امامه .. ويرى النهايات تقترب .. نهاية كل شىء .. ويجد فى
..نفسه همدا على هذه النهايات .. ويدفعه التمرد الى محاولة تغيير
..حياته .. الهرب من الطريق .. الهرب من النهاية .. ويجد أن
..كل ما بناه خلال سنواته الماضية لن يعفيه من النهاية التى تنتظره
..نهاية كل شىء .. وهذا ما أحسست به .. أحسست أن نجاحى
..كطبيب .. وشهرتى .. وثرائى .. ونفوذى .. وأصدقائى ..
..كل هذا لا يساوى شيئا .. كل هذا انا فى غنى عنه .. كل هذا

آخر فى الكتب .. شيئا آخر غير الشعر المنكوش ، والبنطلون
والحذاء الواطى ، ورقصة التويست .. الوجودية كما بدأت
افهمها هى أن يكون للفرد الحق فى أن يختار مكانه من المجتمع
.. فإذا كنت وجودية فمن حقى أن أختار مكانى .. أين مكانى ..
..ليس لى .. حتى هذه اللحظة — مكان ..

..وتد شغلتنى القراءة عن العالم الذى كنت أعيش فيه ..
..لم أعد أطفش من البيت طول النهار كما تعودت .. لم أعد اتحرك
..كثيرا .. ولكنى أفكر كثيرا .. وأمى تستمع الى كلامى الهادىء
..وتصرفاتى الرزينة .. وتطير من الفرح .. الكل من حولى منداهش
..لنطورى .. وبعد خمسة عشر يوما وصلنى خطاب من هاشم ..
..الخطاب الذى تمنيته طويلا .. ويئست منه طويلا ..

وقال لى هاشم فى خطابه :

« .. لم يكن سر تعاستى هو اصرارك على أن تضعى حدودا
..ضيقة لعلاقتنا .. ولكن كان سر تعاستى هو احساسى بضعفى
..ومنذ الأيام الأولى التى جمعتنا وأنا أحس بأنى ضعيف ..
..وكنت أنكى ضعفى .. كان غرورى الذى عشت به طويلا يرفض
..أن يعترف بأنى ضعفت .. لم أضعف أمامك ؛ ولكنى ضعفت
..أمام نفسى .. وبعد أن سافرت وأنت تلحين على أن يبقى كل منا
..فى دنياه ، فاضت بى التعاسة الى حد أن أجبرتني على أن أواجه
..نفسى .. وأعترف بضعفى .. وقضيت يومى كله أصرخ فى داخلى
..أنا ضعيف .. أنا ضعيف .. أنا ضعيف .. وفى لحظة قررت
..أن أقاوم هذا الضعف .. مهما حدث .. مهما عانيت .. يجب
..أن أتخاص من الضعف .. ولم يكن هذا سهلا .. تندهشين اذا
..علمت انى اضطررت أن أغلق عيادتى شهرا كاملا ، لأتفرغ لمقاومة
..ضعفى .. وتندهشين اذا علمت انى قضيت ليالى كثيرة أسكر

متشابهان .. نقف فى خطين متوازيين لا يمكن أن يلتقيا .. كلانا موجب ، أو كلانا سالب .. والحياة فى حاجة الى موجب وسالب .. يخيل الى أن الحب الناجح لا يحتاج إلى اثنين متشابهين فى شخصياتهما ، بل يحتاج الى اثنين يكمل أحدهما الآخر .. وعندما التقينا لم يكن أحدهما يكمل الآخر .. بل كان كلانا متكامل الشخصية أمام الآخر ..

« وهذه المناقشة النفسية يا عزيزتى رحاب ردت الى عقلى .. وقد اكتشفت فى نفسى أن من الصعب على قلبى أن يغلب عقلى .. ولكن من السهل على عقلى أن يغلب قلبى .. وأن سر فشلى فى جميع المرات التى أحببت فيها أن عقلى كان دائما يغلب قلبى .. وعندما انتصر عقلى هدأت نوعا ما .. ولم انتصر على حبك وحده ، بل انتصرت أيضا على سن الخامسة والأربعين .. اكتشفت بعقلى أن سر خوفى وأنا فى سن الخامسة والأربعين هو انى تخيلت انى قد وصلت الى القمة .. قمة النجاح كطبيب .. وأن ليس بعد القمة الا طريق الهبوط .. طريق النهاية .. ولكن هذا غرور .. انى لم أصل الى القمة .. بينى وبين القمة آلاف السنين .. وبسرعة عدت الى عيادتى .. وانطلقت أعمل .. أعمل بشراهة .. بجنون .. كائى قررت أن أقطع آلاف السنين فى يومين ..

« انى لن اكتب لك طويلا يا رحاب ، لن اكتب لك كثيرا ، فإن الوقت انذى أقضيه فى الكتابة آخذه من مرضاى .. وهم أحق به منا نحن الاثنين .. وأريدك أن تطمئننى .. انى اهدا حالا .. ربما لأمى لم أعد أعيش لنفسى ولكنى أعيش لغيرى ولا أحس بأحاسيسى ، ولكنى أحس بأحاسيسى غيرى .. وإذا عاش كل منا فى أحاسيسى غيره ، لما أضفته أحاسيسه .. وأحيانا نهربى

ليس ما أريده .. تماما كما يبلغ المراهق عمر الخامسة عشرة فيتمرد على والديه .. ويحس أنه فى غنى عنهما ، وينطلق يبحث عن حياة جديدة لنفسه .. والمراهقة هى سن الانتقال من حياة الى حياة ، من حالة الى حالة ، وقد كنت فى هذه السن عندهم، التقيت، بك وقد حاولت قبل أن نلتقى أن أنظم حياتى تنظيما جديدا مع فتاة أخرى ، ولكنى فشلت .. وقابلتك مراهقا كبيرا بين شفقتي وحرارة الفشل .. وانجذبت اليك من اللحظة الأولى .. تعلق احساسى بك .. ولم أتوقف لأتمعن فى هذا الاحساس ، ولم أهمل حتى ينضج .. ولكنى اندفعت ، اندفعت أكثر منك .. وفى اندفاعى فقدت توازنى .. لم أعد أستطيع أن أحكم تصرفاتى .. أن أرسم خطواتى .. كنت أريد أن أصل اليك بسرعة .. بسرعة .. قبل أن يكبر عمري عاما آخر .. وانفقدت الى هذه المحاولات الساذجة التى تعرفينها .. محاولة أن أنزل الى عمرك ، أو أرفعك الى عمري .. ولقد كنت فى كل هذا منقادا انى احساسى مئلك .. مجرد الاحساس .. صحيح انى كنت أدعى العقل وأرفض الاعتراف بأنى منقاد الى احساسى بلا تفكير .. ولكن الواقع غير هذا .. الواقع انى كنت منقادا .. والشرق بينى وبينك أنك بدأت تقاومين احساسك قبل أن أبدأ أنا فى مقاومة احساسى .. ثم كان الفضل لك فى أنك اتخذت القرار الأخير بتحديد علاقتنا فى حدود ضيقة .. حدود الصداقة .. ولو لم تتخذى هذا القرار لاندفعت فى حبك .. وهو حب حقيقى .. بل انى لا أستطيع أن أعترف بحب فى حياتى الا حبك .. انى اعترف بك كأصدق وأصرح وأقوى فتاة التقيت بها .. ورغم ذلك فقد كان هذا الحب مقضيا عليه بالفشل .. ولو تهملت عليه قليلا لاكتشفت استحالاته منذ اليوم الأول .. فنحن الاثنان

لحظات اعانى فيها الوحدة .. ولكن من منا لا يشعر بالوحدة
أحيانا .. ووجدتى لحظات لا اليبث أن أمسحها باهتمامى بعملى
.. ونكرا .. انى .. » .

م مرة قرأت هذا الخطاب ؟

عشرة .. عشرين .. لا أدرى .. ولكنى قرأته كثيرا ..
وشربت منه احساسا بالثقة فى نفسى .. بالثقة فى عقلى ..
انى لم أخطئ عندما تغلبت على حبى لهاشم .. هاشم نفسه
يقول انى لم أخطئ ..

ولم أرد على خطاب هاشم ..

اكتفيت بأن كتبت ردا عنيه فى مذكراتى ..

ونفرت أبحث فى هدوء عن طريقى ..

وقررت أن أعمل ..

أندرون أين عملت ؟ فى التلفزيون اللبناى .. وقد رحب

بى لبنان كله يوم اشتغلت فى التلفزيون .. رحب بى كوجه جميل ،

وابنة الحاج عبد الرحمن الناجر الكبير .. ولكن لبنان وجد فى

مزايا أخرى يرحب من أجلها .. شخصيتى .. لقد أعطيت من

خلال نشأة التلفزيون شخصية جديدة للفتاة اللبنانية .. ليست

هذه الفتاة التى كتبتها .. ليست الفتاة التى ترتدى البنطلون ،

وتترك شعرها يسيل على وجهها ، وتمسك بقلم الكحل وورقة

الكليكس فى يدها .. انى الآن أمسك فى يدي حقيبة ..

والبرنامج الذى أقدمه هو برنامج « قراءات » .. اقرأ كل

أسبوع كتابا والخصه وناقشه أمام جمهور التلفزيون .. نجح

البرنامج نجاحا ضخما رائعا .. والصحف تكتب عنه باحترام

كبير .. وقد أشعرتنى هذا النجاح والاحترام بمسئوليتى ..

مسئوليتى عن لبنان كله .. بنات لبنان .. اولاد لبنان .. ورجال

لبنان .. رسيديات لبنان .. وأنا سعيدة بهذه المسئوليه .. انى
تلهينى عن نفسى ، وتملا وقتى وتشعرتنى بشخصيتى .. والطريق
يتسع امامى أحيانا أتخيل نفسى خلال الطريق بأنى أصبحت سفيرة
للبنان فى احدى العواصم الكبرى .. وأحيانا أتخيل نفسى نانيه
فى البرلان .. أحلام لا تنتهى .. وطموح نظيف .. وكل شىء
يمكن أن يحقق .. لقد عرفت الآن الطريق ..

ومن حولى شبان كثيرون ..

يوما ما سأحب واحدا منهم .. أتزوجه .. انى أو من الآن
بالزواج .. انه الحل الوحيد لتنظيم الحياة .. ونحن لن نستطيع
أن نبدع فى الحياة الا اذا نظمناها .. الذين لا ينظمون حياتهم
يفقدون القدرة على الابداع .. ولكن .. هذا حديث سابق
لأوانه .. انى لم أجد الشاب الذى أحبه بعد .. ولا قررت
الزواج ..

ومر عام ..

وسافرت الى القاهرة لأقضى أسبوعا .. ارتاح فيه من
التلفزيون ..

وكان يجب أن أسافر الى القاهرة ، ليس هناك أى داع
لأخاف من ذكرياتى فيها ، أو أتهرب منها ، وأنا لم أنس هاشم ..
انى أذكره دائما .. وشعره المعبق بالدخان ، وعيناه المنتفختان ،
وشفتاه المنفرجتان ، وأنفه الكبير .. كل علامة من علاماته أراها
معلقة فوق رأسى كلما خلوت بنفسى قبل أن أنام .. لكن ذكراه
ليس فيها ألم ولا ندم .. ذكراه حلوة ، عاطرة تمدنى بالثقة فى
نفسى ..

ورغم ذلك فقد انقضت أربعة أيام قبل أن اتصل بهاشم ..

قال وفي عينيه نظرة طيبة مبتسمة :

— لا .. بعد أن عرفت نفسها ..

ولم يقبلنى .. ظل ممسكا بكلتا يدي .. وعيناي تقبلان كل قطعة من وجهي ، وأنا لا زلت أملاً عيني منه .. انه أسمن قليلا مما تركته .. ووجهه أكثر قوة .. ليس فيه هذا النحول والاصفرار .. وشعره أكثر بياضا ، ولكنه يبدو أصغر من سنه .. وأنفه أيضا يبدو أصغر وسط وجهه القوي ..

وتبادلنا ذكرياتنا ونحن نضحك .. لا نكاد نبدأ في ذكرى ، حتى ننقل الى أن قال هاشم وهو محتفظ بهرحه :

— أتعلمين آخر اخبارى ؟

قلت :

— خير ..

قال وهو يضحك :

— سأتزوج الأسبوع القادم ..

وأحسست بلحظة صمت ، طوت ضحكة هاشم ، واستقرت في قلبي .. لا أدري لماذا أحسست بهذه اللحظة .. ربما لأنى مهما ادعيت القوة .. ومهما باعدت بيتى وبين هاشم ، ومهما اقتنعت بأنه ليس لى ، فان أنانيتى .. أنانية كل امرأة .. تبخل أن تتنازل عن رجل لأخرى .. حتى لو كان هذا الرجل مجرد ذكرى ..

وقلت وأنا أحاول أن اضحك :

— أحببت من جديد .. وبسرعة !

قال وابتسامته مستقرة في هدوء وثقة فوق شفثيه :

— لا .. سأتزوج فتاة خطبتها لى أمى منذ عشرين سنة ..

قلت وأنا أدعى الدهشة :

ترددت .. لا أدري لماذا .. ربما لأنى خفت ان أعكر الذكرى .. خفت ألا أجد فى لقائى بهاشم شيئا أجمل من ذكرياتى معه .. ولكنى لم أستطع أن أقاوم معه طويلا .. اتصلت به فى التليفون .. وما كاد يسمع صوتى حتى صاح :

— رحاب .. أين أنت ..

قلت :

— فى الهيلتون ..

قال بسرعة وصوته يزغرد بفرحته :

— سأمر عليك الساعة الثانية ، انتظرينى .. انى مشغول

الآن ..

قلت وأنا الهث وراء كلماته المتعجلة :

— ألا تستطيع أن تأتى فى الواحدة ..

قال نى عجلة وقوة :

— محتحيل .. العيادة مزدحمة .. انتظرينى .. انى فى

شوق اليك .. الحمد لله على السلامة ..

وانهى المحادثة بسرعة ..

وابتسامته وسماعة التليفون لا تزال فى يدي .. كائى ابتسم لطفلى الذبير وأنا أراه منهمكا فى استذكار دروسه ..

ولم يأت هاشم الا فى الساعة الثانية والنصف .. صعد الى غوفتى .. وما كاد يلحنى حتى اتسعت عيناه دهشة ، وامسك بكلتا يدي ، وقال بلهجته المصرية الحلوة المرححة :

— مش معقول .. أمال فى رحاب .. انت أجمل منها ..

وأكبر ..

قلت وأنا ابتسم وأملأ عيني منه :

— هذه رحاب بعد أن عرفتك ..

— وانتظرتك طول هذه المدة ؟

قال :

— لا .. تزوجت ، وانجبت ثلاثة اولاد .. ثم توفى عنها زوجها ..

قلت فى خيبت :

— واكتشفت بعد عشرين سنة انك تحبها ؟

قال فى هدوء :

— اى مقتنع بها ويخيل الى أن الاقتناع هو الطريق السليم الى الحب ..

وينظر الى كأنه يذكرنى بقصتنا معا :

— ان الطريق من العقل الى القلب ، اسهل من الطريق من القلب الى العقل .. العقل أقدر على اقتناع القلب .. من قدرة القلب على اقتناع العقل ..

تتد وصوتى خافت :

— هذا صحيح .. مبروك ..

وقال كأنه لا يزال يحادث نفسه :

— لقد وجدت فى هذه السيدة كثيرا مما ينقصنى .. انها

تكملىنى ..

قلت كأنى أذكره بخطابه :

— سالب وموجب ! ؟

قال :

— نعم .. سالب وموجب .. والفرق بين عمرى وعمرها

عشر سنوات ، فرق معقول .. ولكنى عندما اجلس معها احس بانى اصغر منها .. تصورى .. منذ خطبتنا ، زدت ساعات عملى ..

لأننا رأنا أنظر فى وجهه كأنى ابحت عن نفسى :

— اعتقد ان هذا دائما تأثير الزوجة الكاملة ..

قال وصوته منطلق كأنه طفل مرح :

— سأعرفك بها .. نتعشى غدا معا .. فى بيت اختى ..

— احب ان أعرفها .. ولكنى لا أريد ازعاجك .. استاذنها

أولا ..

قال :

— انها تعرفك .. وتحترمك .. قدر احترامى لك ..

ثم قف واقفا واستطرد :

— يجب أن اذهب ..

قلت فى دهشة :

— ألا تدعونى الى الغداء ؟

قال فى عجلة وهو يضحك :

— بسيطة .. انتظرى حتى الساعة الرابعة .. الى ان انتهى

من زيارة مريض .. ثم اعود اليك لادعوك الى تناول ساندويتش

ساعة الغداء ..

قلت وأنا أقف لاودعه :

— لا .. عندك الآن من ينتظرك ..

وينظر الى طويلا ، وهم ان يقول شيئا .. ولكنه لم يقله ..

وجرى نحو الباب وهو يقول فى مرح :

— غدا سأمر عليك فى التاسعة والنصف مساء ..

وخرج وابتسامة هادئة تملأ قلبى .. ان هاشم تغير ..

تغير الى رجل أقوى .. الى رجل آخر .. غير الذى احلمنا

به فى ذكرياتى .. وربما كان دائما هذا الرجل القوى .. وانراهم

مكتبة فؤاد

سعيد جوده السحار وشركاه

نقدم قائمة بمؤلفات عمالقة القصة المصرية

كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

- | | |
|-----------------------------------|----------------------------|
| (١٩) بئر الحرمان | (١) صانع الحب |
| (٢٠) علية من صفيح | (٢) بائع الحب |
| (٢١) ثقوب في الثوب الاسود | (٣) أنا حرة |
| (٢٢) بنت السلطان | (٤) الطريق المسدود |
| (٢٣) سيدة في خدمتك | (٥) أين عمري |
| (٢٤) نساء لهن أسنان بيضاء | (٦) النظارة السوداء |
| (٢٥) لا أستطيع أن أفكر وأنا ارتقص | (٧) في بيتنا رجل |
| (٢٦) الوسادة الخالية | (٨) لا أنام |
| (٢٧) دمي ودموعي وابتسامتي | (٩) منتهى الحب |
| (٢٨) الراقصة والسياسي | (١٠) لا تطفئ الشمس (جزآن) |
| (٢٩) حتى لا يطير الدخان | (١١) شيء في صدري |
| (٣٠) لا تتركوني هنا وحدي | (١٢) زوجة أحمد |
| (٣١) الحياة فوق الضباب | (١٣) البنات والصيف |
| (٣٢) أسف لم أعد أستطع | (١٤) لا شيء يهم |
| (٣٣) وتاهت بعد العمر الطويل | (١٥) أنف وثلاث عيون (جزآن) |
| (٣٤) لم يكن أبدا لها | (١٦) شفتاه |
| (٣٥) ونسيت أنني امرأة | (١٧) لا .. ليس جسدك |
| | (١٨) عقلى وقلبي |

دجمعى به الا لحظة من لحظات ضعفه .. وصعفى ..
وعاد الى فى اليوم التالي .. جاء متأخرا ايضا .. فى
الساعة العاشرة ، وصحبني الى بيته فى المعادى لتناول العشاء ..
والفتيت هناك بخطيبته ..
انها سيدة رائعة ..
رائعة فعلا ..

ومى اليرم التالي زرت مبنى التلفزيون المصرى .. ان الفرق
بين تليفزيون مصر وتلفزيون لبنان هو أن ..
..
..
..
..

((تمت))

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب	تاريخ اول طبعة	تاريخ آخر طبعة	اسم الكتاب	تاريخ اول طبعة	تاريخ آخر طبعة
مصر القديمة	١٩٣٢		نهاية بلا بداية والنهاية مجموعة	١٩٧١	١٩٨٤
همس الجنون	١٩٣٨	مجموعة	«ر الصل» مجموعة	١٩٧١	١٩٨٢
عبث الاقدار	١٩٣٩	رواية تاريخية	السرايا رواية	١٩٧٢	١٩٨٠
رادوبيس	١٩٤٣	رواية تاريخية	الحب تحت المطر رواية	١٩٧٣	١٩٨٠
كفاح طيبة	١٩٤٤	رواية تاريخية	الجريمة مجموعة	١٩٧٣	١٩٨٤
القاهرة الجديدة	١٩٤٥	رواية	المرتك رواية	١٩٧٤	١٩٨٢
خان الخليلي	١٩٤٦	رواية	«كتابات حارثنا» رواية	١٩٧٥	١٩٨٤
زقاق المدق	١٩٤٧	رواية	«حب الليل» رواية	١٩٧٥	١٩٨١
السراب	١٩٤٨	رواية	«سيرة المحترم» رواية	١٩٧٥	١٩٨٣
بداية ونهاية	١٩٤٩	رواية	«لحمة الحرافيش» رواية	١٩٧٧	١٩٨٤
بين القصرين	١٩٥٦	رواية	«حب فوق هضبة الهرم» مجموعة	١٩٧٩	١٩٨٤
قصر الشوق	١٩٥٧	رواية	«السيطان يعظ» مجموعة	١٩٧٩	١٩٨٤
السكرية	١٩٥٧	رواية	«سيرة الحب» رواية	١٩٨٠	١٩٨٣
اللص والكلاب	١٩٦١	رواية	«فراح القبة» رواية	١٩٨١	١٩٨٣
السمان والخريف	١٩٦٢	رواية	«الى الف ليلة» رواية	١٩٨٢	١٩٨٣
دنيا الله	١٩٦٢	مجموعة	«الحب فيما يرى النائم» مجموعة	١٩٨٢	١٩٨٤
الطريق	١٩٦٤	رواية	«الأمي من الزمن ساعة» رواية	١٩٨٢	١٩٨٥
بيت سيء السمعة	١٩٦٥	مجموعة	«نام العرش (حوار بين الحكام)»	١٩٨٣	١٩٨٥
الشحاذ	١٩٦٥	رواية	«سيرة ابن فطومة» رواية	١٩٨٣	١٩٨٥
ثورة فوق النيل	١٩٦٦	رواية	«الطيب السرى» مجموعة	١٩٨٤	١٩٨٥
ميرamar	١٩٦٧	رواية	«العاشق في الحقيقة» رواية	١٩٨٣	١٩٨٥
خمارة الققط الاسود	١٩٦٩	مجموعة	«دم مثل الزعيم» رواية	١٩٧٩	١٩٨٥
تحت المظلة	١٩٦٩	مجموعة		١٩٨٥	١٩٨٥
			تحت الطبع	١٩٨٤	
			«سيرة الصباح والمساء» رواية		
			«الحب الزود» مجموعة		